

# العلوم الإنسانية والاجتماعية قضايا معاصرة

” التكامل أساس المعرفة “

تنسيق د. بحري صابر

العلوم الإنسانية والاجتماعية قضايا معاصرة “ التكامل أساس المعرفة “  
Human and Social Sciences Contemporary Issues

# Human and Social Sciences Contemporary Issues

Coordinated by: Dr. BAHRI Saber



**Democratic Arab Center**  
**For Strategic, Political & Economic Studies**  
Deutschland – Gensinger Str. 112 , 10315 Berlin  
<https://democraticac.de>



أعمال المؤتمر الدولي  
العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة  
التكامل أساس المعرفة  
أيام 1-2-3 نوفمبر 2019  
ألمانيا- برلين  
الجزء الثالث(03)



المؤتمر الدولي العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا  
معاصرة التكامل أساس المعرفة  
المنظم من طرف  
المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين  
بالتنسيق مع  
مخبر الطفولة والتربية ما قبل التمدرس جامعة لونيبي  
علي البلدية- الجزائر  
أيام 1-2-3 نوفمبر 2019  
ألمانيا- برلين



تنسيق: بحري صابر  
كتاب: العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة التكامل أساس المعرفة  
رقم تسجيل الكتاب :  
VR.3373.6348.B  
الطبعة الأولى  
نوفمبر 2019  
الجزء الثالث

الناشر:

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.  
ألمانيا- برلين  
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه ه في نطاق إستعادة  
المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر .  
جميع حقوق الطبع محفوظة: للمركز الديمقراطي العربي  
برلين- ألمانيا.  
2018

All rights reserved No part of this book may by reproduced.  
Stored in a retrieval System or tansmitted in any form or by  
any meas without prior Permission in writing of the publishe  
المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

Germany:

Berlin 10315 GensingerStr: 112

Tel: 0049-Code Germany

54884375 -030

91499898 -030

86450098 -030

mobiltelefon : 00491742783717

E-mail: book@democraticac.de



العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة

التكامل أساس المعرفة

رئيس المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين

أ.عمار شرعان

مدير مخبر الطفولة والتربية ما قبل التمدرس جامعة

لونيسي علي البليدة2- الجزائر

أ.د لورسي عبد القادر

تنسيق:

د.بحري صابر

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- الجزائر

رئيس اللجنة العلمية

د.خرموش منى

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- الجزائر



الرقم	العنوان	الصفحة
	تقديم: العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة التكامل اساس المعرفة د.بحري صابر جامعة محمد لمين دباغين سطيف2-الجزائر	
01	الكتابة الصحفية وتأثيراتها الاجتماعية / كتاب " الرحالة " لسامي كليب أنموذجًا أ.د.نبيل الخطيب كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، بيروت ، لبنان د.سينا مقلد الجامعة الأمريكية ، بيروت ، لبنان	9
02	أثر فعالية برنامج علاجي معرفي سلوكي في خفض الاكتئاب لدى المسن المتواجد بدور الرعاية. د. زهرة عدة ، جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان الجزائر	22
03	سوسولوجيا العلوم الإنسانية والاجتماعية والتحديات المعاصرة د.قاسم المحبشي ، كلية الآداب جامعة عدن- اليمن	29
04	التجديد الترابي: باراديكم جديد في العلوم الاجتماعية ابناي سعيد طالب باحث في الدكتوراه ، شعبة الجغرافيا كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة القاضي عياض- المغرب	49
05	كتب علم التفسير المعاصرة دراسة مقارنة د. عمر عبد الوهاب الكحلة قسم علوم القرآن ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الموصل- العراق	56
06	أهمية الطريقة المباشرة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها أ.عصام محمد المشهراوي المركز القومي للبحوث- فلسطين	65
07	أثر الجغرافية في الوحدة الحضارية والسياسية لبلاد وادي الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد أ.د.جميل موسى النجار كلية التربية- الجامعة المستنصرية- العراق	71
08	الخطاب السياسي في مجتمع التغيرات الحادقرامب..... وهم الخطاب وحقيقة التضليل د.مصطفى البوروطي الكلية متعددة التخصصات: أسفي ، جامعة القاضي عياض: مراكش/المغرب	77
09	الهرمنيوطيقا و قراءة التراث في الفكر العربي المعاصر حسن حنفي و نصر حامد أبو زيد نموذجا د. زينب بومهدي ، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر د. جميلة بسو ، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر	89

104	اقتصاديات الجنوب بين اتجاهات تطوّر التعاون جنوب- جنوب ورهانات تشكل الجغرافيا الجديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية د.محمد يعقوبي ، كلية العلوم الاقتصادية وعلو التسيير ، جامعة البليدة الجزائر	10
127	عراقيل المحكمة الجنائية الدولية أ.بلال نيد ، جامعة سعد دحلب البليدة- الجزائر أ.يوسف نيد ، جامعة سعد دحلب البليدة- الجزائر أ.سارة نيد ، المدرسة العليا للأساتذة القبة الجزائر	11
135	المراكز العلمية في عمان خلال الفترة (12/هـ6 - ق7/هـ13م) د. نورة بنت سيف بن راشد الكلباني عضو مناهج تاريخ بوزارة التربية والتعليم- سلطنة عمان	12
150	الفكر السياسي العُماني (ق3-2 هـ) أ. أحمد بن حميد التويي- وزارة التربية والتعليم- سلطنة عُمان	13
158	هندسة العلاقات الاجتماعية الجديدة في الوسائل التكنولوجية الحديثة هاجر لمفضلي باحثة في علم الاجتماع ، جامعة ابن زهر –أكادير المغرب-	14
171	المعالجة الدولية والوطنية للجرائم الالكترونية د.قوسم الحاج غوثي ، جامعة تيارت ، كلية الحقوق والعلوم السياسية- الجزائر د. هروال نبيلة هبة ، جامعة تيارت ، كلية الحقوق والعلوم السياسية- الجزائر	15
179	الفلسفة وسؤال المنهج أ.د بلعاليه دومه ميلود جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف-الجزائر	16
191	جوهر ومظهر الحضارة الإسلامية – دراسة في فينومينولوجيا الدين- عند إسماعيل راجي الفاروقي. ط د. فوزية شريط جامعة وهران 1- ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- الجزائر	17
201	التسويق بالعلاقات في منظمات الأعمال الأسس والتطبيقات المركز العربي "نموذجا"Caaid الإفريقي للاستثمار والتطوير أ.بن مزاري فريال ، كلية علوم الاعلام والاتصال ، جامعة الجزائر- الجزائر أ.عكروف إيمان ، كلية علوم الاعلام والاتصال ، جامعة الجزائر- الجزائر	18
215	الإعلام الجديد وإدارة الأزمات الاجتماعية (دراسة تطبيقية على عينة من الإعلاميين بدولة الإمارات العربية المتحدة- 2019) الدكتور مصطفى حميد كاظم الطائي الإمارات العربية المتحدة-الأستاذ المشارك بكلية الإعلام - جامعة عجمان	19



233	التحولات السوسيوإقليمية للقصبات: من المركزية إلى الهامشية حالة قصر آيت بن حدو بورزازات / المغرب مريم اقداد: فريق البحث حول المدن والجهوية بالمغرب ، جامعة السلطان مولاي سليمان كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال ، المغرب كمال احشوش: مختبر البحث في التاريخ والتراث ، جامعة السلطان مولاي سليمان كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال ، المغرب	20
245	البحث العلمي بالمغرب والمسألة النسائية د. حفيظة الداوي جامعة ابن طفيل ، القنيطرة ، المغرب	21
256	تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية داخل الوسط الجامعي - دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة العربي التبسي - د. صافي لطيفة ، جامعة الشيخ العربي التبسي - الجزائر د. غربي رمزي ، جامعة الشيخ العربي التبسي - الجزائر	22
271	التراتبية الاجتماعية في مجتمع واحة وادي زيز بتافيلالت . سارة ماموني علوي ، باحثة في علم الاجتماع ، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة ، المغرب	23
276	مدينة الصويرة التراث المعماري والتنميط د. نعيمة الحضري جامعة ابن طفيل ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة - المغرب	24
292	التعدد اللهجي في الجزائر وأثره على اللغة العربية أ. نجية عابو ، جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف - الجزائر . د. يمينة فلاق عريوات ، جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف - الجزائر	25
300	الأسرة المهاجرة الثابت والمتحول في العلاقات الأسرية حنان بوكطاية استاذة علم الاجتماع المغرب - جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير	26
315	التمويل الإسلامي في الجزائر الواقع والتحديات - بنك البركة نموذجاً - د. سعاد رباح ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة - الجزائر ط د. هنوز سكينية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة - الجزائر ط د. دربال رقية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة - الجزائر	27
325	إلزامية إعلام المستهلك في العقود الإلكترونية	28

	<p>د.بودليو سليم  ط.د. بوعروج شعيب  ط.د. بوعروج خولة  كلية الحقوق بجامعة الإخوة منتوري قسنطينة00-الجزائر</p>	
331	<p>تيديس الأثرية قيمة تاريخية واستثناءات معمارية  د.نبيل بوعويرة  قسم الآثار جامعة قسنطينة2 عبد الحميد مهري-الجزائر</p>	29



## تقديم:

لا يمكن لأي دولة أن تنمو وتتطور دون أن تطور مجال البحث العلمي الذي يعد الركيزة الأساسية لأي رقي يمكن أن تنشده الدول اليوم ، وتطوير البحث العلمي لا يكون في مجال دون غيره ذلك أن كل العلوم تتكامل فيما بينها لتحقيق هدف واحد وهو خدمة الإنسان بالدرجة الأولى ، لذا فيخطأ من يعتقد أن الإهتمام بمجال دون غيره هو المنفذ للتطوير ذلك أن المنفذ الوحيد لتطور وتقدم الأمم هو إيلاء كل مجال حقه دون أي تمييز أو تعصب وهو المسار الذي ننتقل منه للتطوير (بحري صابر ، 2018).

ولعل المؤتمر الدولي العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة التكامل أساس المعرفة قد إنطلق من فكرتين أساسيتين ، الأولى تؤكد أهم القضايا المعاصرة التي أضحت تعالجها العلوم الانسانية والاجتماعية في محاولة للتجديد والتطوير وهو أحد الرهانات والمسائل التي تطرح في ظل المقاربات المعرفية المختلفة ، والفكرة الثانية تنطلق من أساس المعرفة وهو تكامل العلوم لخدمة الإنسان بالدرجة الأولى.

إن مختلف حقول العلوم الانسانية والاجتماعية على الرغم من أنها تعيش اليوم العديد من الأزمات في دراسة المشكلات ومعالجة القضايا الراهنة إلا أنها لا تزال تشكل رصيذا معرفيا يساهم في بلورة المفاهيم والنظريات حول القضايا الانسانية والاجتماعية التي تحتاج لتكاتف جميع الجهود لمعالجتها وفق قضايا إنسانية.

إن إستشعارنا بأهمية تناول مقاربة تكاملية في دراسة المشكلات ليس وليد الساعة ذلك أن القضايا الانسانية والاجتماعية تطرح في تخصصات متعددة وفق مقاربات وزوايا مختلفة ما يجعل من حقيقة محاولة بناء جسر للتواصل المعرفي الجامع للعلوم الهدف الأسمى لتقريب الرؤية في معالجة قضايا الإنسان على إعتبار أن الهدف الأسمى لكل تخصص ومعرفة هو خدمة الإنسان وتحقيق الرفاه له بتنبؤه للسبيل نحو الهدف الانساني المنشود في تخطيط رؤية مستقبلية لبناء منحنى إنساني في مجال تكامل العلوم لخدمة الفرد.

ولأن العلوم الانسانية والاجتماعية تلعب دورا أساسيا في عالم المعرفة اليوم خاصة وأن كل العلوم تنطلق منها في محاولة لتحقيق تنمية مستدامة على مختلف الأصعدة الإنسانية التي تتمظهر بقضايا إنسانية واجتماعية متنوعة ومتبانية إلى حد ما.

ما فتأت الكثير من القضايا تطرح هنا وهناك وفق مقاربات معرفية في ظل كل التخصصات أين يمكن النظر إلى كل قضية إنسانية أو إجتماعية من عدة أبعاد تخصصية ، وهو ما يجعل من التناول النسقي المتكامل لمختلف التخصصات أمر جد هام بالنظر لتلاقح المعرفة لتكوين إنسان يتمتع بالرفاه.

تتوقف تطورات المجتمعات على تطور المعارف ومدى مساهمتها كفاعل أساسي في التنمية بشتى مجالاتها ، أين تعد مسألة النظرية والواقع أحد أهم الإشكاليات التي تطرح في مجال المعرفة الإنسانية ، ذلك أن رقي الأمم وتطورها يتوقف على مساهمة مراكز البحث ومؤسساته في دراسة المشكلات التي

تعاني منها المجتمعات في إطار إيجاد الحلول المناسبة للمعضلات البشرية كل على مستواه ومن منظوره ، على إعتبار أن العلوم لا تتنافس فيما بينها بقدر ما هي تكمل بعضها البعض خدمة للبشرية والإنسانية جمعاء بدون النظر لإختلاف العرق ، الدين ، الجنس.....

مركز إهتمام مختلف العلوم هو الإنسان من زوايا متعددة ، إن فهم الإنسان بكل تعقيداته ليس بالأمر السهل وهو ما يجعل الدراسات والأبحاث دائما تتجه نحو إستقصاء وتحليل سلوكياته المختلفة في محاولة لفهم الإنسان من حيث القدرات والمهارات والطاقات وهو أمر يستدعي تداخل الكثير من العلوم الانسانية والاجتماعية والطبيعية والبيولوجية والطبية في محاولة لرصد ما يحدث داخل هذا الكائن الحي الذي يبقى قابلا للدراسة في أي وقت وفي أي مكان من خلال فهم الماضي والحاضر وإستشراف المستقبل.

وإننا من هذه الزوايا نحاول أن نقدم إسهاما وفق رؤيتنا الخاصة في طرح مختلف القضايا المعاصرة في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية في ظل الآمال المنتظرة والآفاق المستقبلية التي سوف تحقق من خلال رؤية على المدى القريب والمتوسط والبعيد.

د.بحري صابر ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2/ الجزائر

## الكتابة الصحفية وتأثيراتها الاجتماعية / كتاب " الرحالة " لسامي كليب أنموذجاً

"The Traveler" Book for the Lebanese journalist Sami Journal writing and its social impacts

Kleib "Model"

أ.د نبيل الخطيب

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، بيروت ، لبنان

د.سينا مقلد

الجامعة الأمريكية ، بيروت ، لبنان

" قد نضيع في السفر ، لكننا حتما نجد أنفسنا ونستعيد التعرّف إليها عبر الحضارات المتنوعة . فالرحلات ثروة تتضاعف ولا تنضب مطلقاً ، " وها أني أجدد محطات العمر في قطار الزمن " (سامي كليب ، 2018) يختصر الإعلامي " سامي كليب " في قوله هذا ، العلاقة المتبادلة بين الإعلام والمجتمع ، ذلك أن الأول لسان الثاني وانعكاس صورته وسفيره إلى أصقاع الأرض ، والثاني مادة الأول ومصادره ؛ بل ومكوّناته ، ولا وجود للإعلام خارج المجتمع .

كتاب " الرحالة " الذي بلغ عدد صفحاته " 720 صفحة " ، كتبه صحفي حقيقي ، " عينه كانت كاميرته على العالم ، قلبه ميزان إنسانيته ، قلمه يرسم فوق الصفحات خطوط الحاضر وجذور التاريخ والجغرافيا ونبض الناس والحضارات "(سامي كليب ، 2018 ، الغلاف )

" سامي كليب " واحد من " قلة يمسكون ذلك القلم ، لديهم ما يكفي من النضج الروحي والإنساني لاستيعاب تجربة أن تكون الجميع ، وأن تحتضن بكل حواسك أحلامهم وانهماماتهم ، أوجاعهم وأفراحهم ، ما يقولونه وما لا يقال "(سامي كليب ، 2018 ، الغلاف )

" تلك الرحلات إلى عوالم الآخرين لا تعود القضية عنواناً ؛ بل تصبح بشراً وقصصاً يتدفق في شرايينها الدم لا الحبر ، تتراجع الرواية الرسمية أمام الحكايات الصغيرة التي تحرك التاريخ . كلا ، التاريخ لا يصنعه الكبار فقط ؛ بل تحبكه قصص الصغار والمهمّشين ، وتصنعه معطيات تُنسخ في الكواليس ولا تأخذ يوماً دور البطولة"(سامي كليب ، 2018 ، الغلاف )

هذا ما كُتب على غلاف الرحالة ، وهو يختصر فعلاً الأدوار الحقيقية المتبادلة لطرفي المعادلة في بحثنا هذا / الإعلام والمجتمع.

الجسد ، الروح ، النبض ، التاريخ ، الجغرافيا ، البشر ، الحكايا ، القصص الصغيرة الكبيرة ، تعيش في قلم وتنتقل في وسيلة وتصل إلى متلقٍ ليقرأها وفق قدرته ومعرفته ، ويعيد إنتاجها ، ليعيدها إلى مصدرها ، وتساfer في رحلتها الجدلية التي تبدأ ولا تتوقّف ولا تنتهي ، تلك هي الفكرة والفلسفة والمجتمع .

تقرأ كتاب " الرحالة " ، فتجد أن صاحبه لا يريد أن يتوقّف عن سرد حكاياته ، وأخبار أسفاره ، فتنسى أنك موجود في مكان ، وترتحل معه عبر عادات الشعوب وثقافتها ، لتكتشف حقيقة مفادها أن للإعلام دوراً مهماً جداً في عملية تثقيف الناس بالأخبار والمعلومات والأفكار ، وهو ذو تأثير كبير في عملية تكوين الرأي



الجماهيري ، إلى جانب التأثير في تكوين اهتماماتهم وتوجهاتهم الفكرية والسياسية ، وهذا ما يكسبه أهميته في عملية تطوير الدّول والمجتمعات الإنسانية .

تقوم وسائل الاعلام – أساسا - على الإخبار والتوصيل ، وتشكيل الحوارات ، وديمومة الانفعال مع القضايا المطروحة ، والبحث عن القضايا التي ما زالت بعيدة عن معرفة العامة ، ومن ثم محاولة خلق رأي عام ، أو التأثير فيه ، كما محاولة استباق الأحداث من خلال المواد الإعلامية التحليلية .  
هذا ما دفع المنظر الإعلامي " ريموند وليامز " لمحاولة الإجابة عن السؤال: ما هو نفوذ تأثير تعرّض الناس الكبير لوسائل الإعلام في حياتهم ؟

يقول : "هي مجموعة من الممارسات والتّوقعات تبسط نفوذها على كامل معيشتنا ؛ حواسنا ، وعالمنا ، يتم اختيارها كممارسات ، تشكل إحساسا بالواقع لمعظم الناس في المجتمع " (انظر: ريموند وليامز ، 1986).  
ويرى المنظر الروسي " يوري لوتمان : " إن النصوص معقّدة إلى درجة غير معقولة ، إلا أن الخلق الفني يجعلها تتصرّف كأنها نوع من الكائنات الحيّة لها قناة تغذية راجعة للقارئ " (انظر: يوري لوتمان ، 1995 ).  
يؤكد لنا هذا الأمر ، أن المجتمع والإعلام والنص الإعلامي ، كيان واحد متكامل منسجم ، يقدم رؤية واعية لإقامة علاقات دائمة التجدد بين الطرف الإنساني وبين الجوهري الموروث ، وذلك من أجل استمرار العلاقة الإبداعية للإنسان مع لغته ، التي سيكون صانعا لها ، من خلال ما يضيفه إليها بديلا عن المتغيّرات المنقرضة ، كما أن اللغة صانعة له من خلال هيمنتها عليه بواسطة الثوابت الجوهرية ، وهذا هو جوهر الحداثة .  
وأجد أن الواقع يشكل مرجعا يتعامل معه الكاتب ، وبالذات الإعلامي ، يرى إليه ، يسمعه ، يحاوره ، وبالتالي ، فالنص الإعلامي محكوم بالموقع الذي منه يرى الكاتب إلى مرئيه ، كما هو محكوم بمجموعة من الأمور والعلائق التي ترتبط بعملية الكتابة نفسها: أدوات الكتابة وشروطها من حيث هي نشاط يتوسل اللغة " (انظر: عبد الله الغدامي ، 2006 )

ولما كان قوام الخطاب الفني هو لغته التي يصاغ بها ، فإن جوهر الأثر الأدبي والخطاب الفني ، لا يمكن النفاذ إليه إلا عبر صياغاته الإبلاغية ، ومن هنا تأتي أهمية الدراسات الاسلوبية التي تهتم بدراسة الخصائص اللغوية للخطاب ، والتي يتحول الخطاب من خلالها عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية " ويعرّف جاكسون الأسلوبية بأنها بحث عمّا يميّز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا " (انظر: يميني العيد ، 2010).

يساعد عملية التوصيل الجيدة اعتماد عمليات الاتصال المناسبة " التي تختلف اختلافا جذريا بحسب تنوع الوسيلة ، وبحسب الزمان والمكان المستخدمة فيهما ، لذلك نجد أن المتخصصين في مجالات الاتصال يعرفون كيف ، ومتى ، وأين ، وبأية وسيلة يتوجهون فيها إلى مختلف شرائح المجتمع حسب الطلب " (انظر: أسماء معيكل ، 1982/ كذلك أنظر: عبد السلام المسدي ، 1982 )

" سامي كليب " في كتابه " الرحالة " يأخذك عبر هذا كلّ إلى عوالمه ، لتنسى أنّك في مكان ، وترتحل معه ، تعيش مشاهداته وأحاسيس ناسه وأفكارهم ، فتزداد قناعة بعظمة الانسان ، وبقدرته على التمدّد والانتشار ، عندما يهدم السدود ، ويقفز فوق الحواجز والحدود الإنسانية ، فيغدو إنسانا ، وطنه الأرض ، وانتهاءه الدنيا ، يرى حاجته للآخر ، تكامله معه ، لا خلافه ولا اختلافه ، ولا رفضه عندما يدرك أهمية الانفتاح على الناس وعلى

الحضارات والثقافات ، فتسقط نظريات " هنتغتون " و " فوكوياما " وغيرهما ، ويغدو الإنسان أكثر اقتناعاً بأهمية التعددية والتنوع في المجتمع ، وبأن العالم مكوّن من شعوب وثقافات وأمم وأعراف واللوان وألسنة ، وبالتالي فإن هذا التنوع هو سَنَة إلهية وفطرة بشرية ، والحوار والتعاون والاعتراف المتبادل هو السبيل لاستنباط المشتركات الإنسانية ، والمصالح الموجودة في الاجتماع الإنساني ، ولا شك أن معرفة الآخر والحوار المتكافئ معه يوكد التقارب والفهم ، في حين أن الجهل به يقود إلى الافتراق والشكوك والتخاصم .

تثبت رحلات " سامي كليب " أن الطبيعة الإنسانية واحدة ، ورسالة الحضارة قائمة على الإيمان بوحدة الأصل البشري ، وعلى الرغبة المشتركة في بلورة تفاهم وتعايش إنساني ، يُبطل المناخات المفعمة بالمخاوف ومشاعر العنصرية والكراهية ونزعات الهيمنة وإهدار الكرامة الإنسانية .

عندما يكتب الإعلامي خبراً أو تحليلاً ، أو أي موضوع ؛ إنما يكتب المجتمع ، ثقافة وسياسة واجتماعاً . كتاب " الرحالة " مجموعة مقالات كتبها صاحبها خلال أسفاره المختلفة في جهات الأرض ، بدءاً من الجزائر وذاكرة الثورة ، حيث يتداخل المكان مع الحدث والتاريخ ، فيعود إلى زمن " النوميديين ، والبنوقيين ، والفينيقيين ، والرومان ، والبيزنطيين ، والإغريق ، واختزال الحضارات وغزوات وممالك غربية وعربية وإسلامية وعثمانية " (أنظر: رياض معسوس ، 2009 )

تقرأ في النص سلطة المكان ، وهيمنة التاريخ ، وحضور الجمال ، ومواكبة اللغة واللهجة ، والمصطلحات المستخدمة ، وطبيعة الناس المشابهة لطبيعة المكان ؛ بل المتوالدة نتيجة علاقة الانسان ببيئته المكانية والمعرفية ، حتى الطبع ، كما تقرأ السياسة والحدث: " حين وصلنا إلى الجزائر كان الاحتقان في أوجه بين الحركة الإسلامية والجيش " (سامي كليب ، 2018 ، ص11 )

يأخذك نص " كليب " إلى أماكنه المتباعدة ، المتشابهة ، واللا متشابهة ، و المختلفة تماماً ، ودائماً تقع على المكان ، والتاريخ ، والجمال ، والعادات والتقاليد ، والفلسفة ، والمرأة ، والدين ، والسياسة ، كل ذلك في نص واحد . " ما إن اقتربت من الشاطئ حتى تناهت إلى سمعي أهازيج إفريقية مقرونة بالموسيقى المحلية ، ها قد وصلت إلى الجزيرة السنغالية ( دوغوربة ) التي لها باب يطل على البحر ، وتاريخ يطل على الجحيم ، من هذا الباب كانت أفواج العبيد تُرسل مغلولة اليدين والعنق " (سامي كليب ، 2018 ، ص12) .

نلاحظ في هذه الجملة ان " كليب " جاور بين ضدّين من حقول متباعدة ، ما عظمّ المسافة الدلالية وضاعف الانزياح ، ففي استعماله لفظتين متباعدتين دلاليا (البحر # الجحيم) ، وفي توظيفه المعجم اللغوي والمعجم التركيبي المتضادّين ، وما يحملانه من دلالات ، إنما يحقّق القارئ على استدعاء شريط من الصور الضدّية ، ويضعها ماضٍ مستلب ، وحقبة زمنية كان تعريف الإنسان فيها غير واضح ، إذ إن حياته ومصيره مرتبّطان بلونه (تاريخ يطل على الجحيم ) ، وبين مستقبل مفتوح على الأمل والحلم والحرية والخطر ، هذا ما تدل عليه جملة ( يطل على البحر) .

الجحيم يحيل مباشرة إلى الوحشية والعنف والفظاعة والقمع ، حيث يغدو كلّ شيء مباحاً ، فتضيع كرامة الإنسان ، وتتسوّه الحياة في خضمّ القسوة والعبودية والرجعية والاضطهاد ، هناك حيث تُسلب الحريات والحياة على أيدي هؤلاء القابعين في قسوتهم واستبدادهم وشراسة غرائزهم وضمايرهم المتلهّفة للأذى والاستعباد والقتل والتنكيل ، وجمع الثروات على حساب الإنسانية .

هذا الجحيم هو من فعل الشياطين، شياطين بشرية، قاسية وظالمة بهتكها الإنسانية وقيمها، سلبت السكنة منهم وهشمت إنسانيتهم، ولم تكن تنظر إليهم على أنهم بشر. شعوب بأكملها حُكم عليها بالعبودية بسبب لونها، عالم يضح بالشقاء والبؤس. (من هذا الباب كانت أفواج العبيد تُرسل مغلولة اليدين والعنق).  
أما البحر وما يحمله من دلالة رمزية وتعبيرية؛ فإنه يحيل القارئ إلى السعة والانبساط والحرية والأمل، تماما كما يحيله إلى المخاطر والمجهول في مجابهة عباب الواقع المظلم والظالم؛ فهؤلاء الأفرقة الذين عاشوا مغلولي الأعناق والأأيادي، يشكّل البحر لهم نافذة الخلاص بالعبور، ربما إلى المجهول، لا بأس، فالبحر أرحم من هؤلاء المستعبدين، وربما يدلنا البحر على حدوده المترامية بين واقع بائس مظلوم، لا يملك مصيره وثروات بلاده وخيراتها، وبين بلاد تتبجح وتنادي بالحقوق والديمقراطية، والحرية والعدالة والمساواة، وهي تمارس اشبع أنواع الذل والعبودية، والاستعمار.  
يستوقفنا نص " سامي كليب " كثيرا، ويدفعنا إلى التفكير في عمق المسألة الاجتماعية لمرحلة العبودية، وما عاشته شعوبها من عار وظلم وانتهاكات عبر القرون.

إنّها مادة تاريخية — سياسية — اجتماعية، موثّقة في نصوص " الرحالة ".  
المكان في بناء نصوص " كليب " يحقق تجانسا متكاملا مع بقية عناصر الحياة فيه، فلطوقسه البادية فاعليتها الرمزية في توجيه أنساقها، وتشكيل نياتها، حيث بمقدورنا دائما أن نردّ تجلياتها ومستويات تطورها إلى عناصر أو عوامل مكانية، ثابتة أو متحركة، فنجد أن المكان يتنازع بتضاريسه ومعالمه الدقيقة، أبعاد دلالية، يصنع كيائها كمطلق، ونقطة وصول، قلما تتحرّر من تداعياته المتشظية.  
يحتفي " سامي كليب " بالمكان احتفاء شعائريا، يجعله وكأنه يحيا لحظاته العسية، لحظة لحظة، ويتغلغل في أغواره حاملا رحابته، مشدوها بقسوته، ودهشته، والخوف من عبء تقلباته، يتعلم منه كيف يرسم طريقه، ولا يكاد يضعه على حافة مكان، حتى يمسك بيديه، ليلقي به في قرار مكان آخر، ينقش خطاه في متاهاته، والعلاقات التي يقيمها تنمو وتتمدّد باستمرار، وتتجدد ضمن عوالم أليفة، لتبدو وكأنها تحاول امتلاك المكان، ليكون أداة التعبير، وأفق الحلم، يرى من خلاله حركة الواقع وطبيعته في مظاهرها الصريحة، يقول: " الرحلة طويلة وشاقة رغم سحر الصحراء. تعبر بنا السيارة طرقا ملتوية، وكتبانا تلفت حول شجيرات إبرية الورق، تركض قطعان الجمال وبعض الهاعز خوفا أمانا " (سامي كليب، 2018، ص100).  
يشكّل المكان واحدا من أبرز مرجعيات نصوص " كليب " حيث يتحدّ الجزئي بالكلي، والطارئ بالثابت، وتتجمع مستويات إيقاعات وإيماءات، ومعالَم تنهض من صميم الواقع السياسي والتاريخي والثقافي، ومن ثم، تشكل إطارا شموليا لمحاولات متوّبة لرصد إيقاع الحياة على انحناءات كرتنا الأرضية، وشبكة تناقضاتها ومفارقاتها، وفي خضم هذه الوشائج، يبدو النص وكأنه لا يبارح المكان، يتقدم في مجرى تعميق الإحساس بما ينضوي عليه من حقائق وأحوال، تضيء على كائناته وفننه اشياؤه طابعا شعائريا، يمتزج بها ويشحنها بترسبات المكان، لتتلاحم مع حركتها في اتجاه تكتيف صورة هذا الواقع واستكشافه.  
النص في كتاب " الرحالة " محكوم بسياق تفاصيل وجزئيات، ترسم تفاصيل أرض وأشكال بلاد مسكونة بالمياه والخضرة، والنخل، والمدائن الحزينة والسعيدة، وبالناس الطيبين، والشوارع الضائعة والقرى

والناس الذين يغفرون الليالي بالذكريات ، والصبايا ذوات القلوب الصغيرة المفعمة بالبراءة والأنوثة والرغبة ، وعبق الاحلام الدافقة .

ويتخلل ذلك كله الكثير من العناصر المكانية التي تغطي عبر صوتها العميق: الأرض ، البيوت ، النوافذ ، السجون ، المقاهي الشرفات ، الحقول ، الوطن ، البلاد ، البحار ، الأنهار ، والحدائق .

يمتلك المكان سطوة على الانسان - فكرا وعملا وطريقة حياة - والانسان بدوره ينتج قيم المكان ، وإنتاج المكان يحتاج الى امتلاك القدرة على تشكيل ذاكرة ثقافية له " تخلّد حضور الانسان وأفعاله وممارساته ، بمعنى أن الانسان يصنع للأمكنة تاريخا سرديا حتى يؤكد حضوره حقيقة ورمزا " (أنظر: أدونيس ، 1983).

وللمكان دور مهم وأساسي في تحديد الهوية وهو القادر على حفظ التاريخ وإظهاره ، لأنه انعكاس للزمن " فالمكان يعادل الزمان ، والمكان الأصلي هو الذي يشكل امتداد الزمن ، وحين يفلت المكان منا فإننا نفقد زمننا أيضا " (أنظر: غاستون باشلار ، 1987).

يأخذ سامي كليب بيد القارئ في جولات عبر الأمكنة عارفا أو مستكشفا ما أمكن من تفاصيلها البشرية والجغرافية وعادات شعوبها ولهجاتهم وأزيائهم وطرق عيشهم متخذًا من الماضي أداة للتعبير عن الحاضر أو وصفه .

تزداد أهمية المكان ، ويسمو معناه حين تحضنه بيروت إبان الحرب الاهلية ، وتآخي شوارعها (شوارع الحرب اليومية ) التي تتراءى كمشنقة يقطر الموت من زواياها النائمة على صمود الفصائل المقاومة ، والمدافع والبنادق ، أسراب المقاتلين ، كل ذلك يجسد ولع " كليب " بالمكان حيث زحف الخراب ، وتآكلت أغصان المدينة ، وتشطّط الأمكنة لتتساقط أشلاء ذكريات ملقاة في شوارع خالية ، في مدينة محترقة ، أحبّها وكرهها في آن ؛ تلك المدينة التي يقول فيها : " آه يا مدينتي الجميلة ، كم أحبك ، وكم أكرهك " (سامي كليب ، 2018 ، ص639)

يتحرك هذا السطر في فضاء من الضدية ، قائم على ثنائيات متعارضة تستقطب الحس والادراك معا ، حيث تقاطع بين المكان الواحد وتصب في المكان نفسه ، أقصد: بيروت .

أحببتك — أكرهك

ثنائية تقابلية تعارضية تؤكد شعوره بأنه يعيش حالة اغترابية عنه ، عن هذا المكان الذي أضحي غريبا .  
عمد " سامي كليب " إلى استخدام فعلين بصيغتين مختلفتين ؛ فالماضي ( أحببتك ) الذي يمثل في نظر الكاتب الزمن الأمثل والأجمل للمدينة / الوطن ، وهو زمن مسترجع مستذكر ، يتواصل فيه الكاتب مع ذاته التي تبقى مرتبطة - بشكل لا شعوري - مع ذكرياته وأيامه الجميلة المفعمة بالحب والحياة والأمن والاستقرار .

هذا الزمن الماضي يقابله الحاضر ( أكرهك ) / المضارع بما يمثله من حركية واستمرارية قد تمتد إلى المستقبل ؛ هذه الحالة إنما تدل على الرفض والتقهقر والضعف والوحشية والمأسوية التي آلت إليها حال المدينة ، وهذا التحول زبقي الدلالة ، قابل للإنزياح ، بمعنى أن كرهه للوضع الراهن نتج عن تحوّل في المفاهيم والايديولوجيات ، ومن تشويش الأنساق المجتمعية والثقافية التي كانت مغايرة تماما للوضع الراهن للمدينة .

أراد " سامي كليب " أن يعيد رسم مدينته في خياله ، أن يعيش في الماضي ، فنراه يعاني شوق العودة إلى تلك العوالم ، والتمسك بها والتحنان إليها ، فنجدته يقول (أكرهك) وكأنه مسكون بهاجس الرغبة في تجاوز هذا



الزمن الراهن والعودة إلى أزمنة خصبة فياضة بالجمال وملبئة بالذكريات والأحلام ، (ما أحلى ساحة البرج / الشهداء في ذلك الزمن الجميل).

يقول : " كانت العاصمة تحترق ، الطوائف تنهش الطوائف على مزابل الحاضر ، الايديولوجيات تقتل الايديولوجيات فوق جثث التاريخ. القضايا تصبح عاهرات عند مفترقات الطرق. تسقط الجغرافيا في فخاخ التآمر ، تسقط الاحلام في مجارير المدينة " (سامي كليب ، 2018 ، ص645).

تداخلت البنى الثقافية والتاريخية والسياسية والدينية ضمن بناء (الماضي / الحاضر) ، فقد كشفت هذه البنى المصير الذي ينتظر لبنان من خلال ما يحدث في الحاضر المتأزم والمسلوب: فكريا وسياسيا واجتماعيا. نتكلم هنا على الإعلام والثقافة / والإعلام والسياسة ، في نصوص تزخر بالمدلولات القريبة والبعيدة ، ذلك أن اللغة السهلة للنص ، تمنحه نبضه ، وتطلق إشارات الحرة ، فتشكل واقعها المتجدد ، على أساس "الدال" إنساني في مقابل "المدلول" المحلي ، وهو زمني في مقابل الوقتي ، كما أنه حر في مقابل الظروف ، وهذا يعني رفع قيد الطرف المعجمي والبيئي كمتحكم مطلق يقرر "الدال" ويصوغ مدلوله "(أنظر:عبد الله الغدامي ، 2006).

تسلل حكايا " الرحالة " كأفغوانة تلتف حولك ، لا لتعتصرك ؛ بل لتدخل دهاليز جديدة بهدوء ، تنتشر متخفية ، حيث تجمع إلى الجغرافيا والتاريخ ، والثقافة ، والتقاليد ... السياسة ، ومن المسلم به ، أن رأس اهتمامات الإعلام هو الشأن السياسي ، فالإعلامي أولا وأخيرا هو مراسل وناقل أخبار ، ومحلل ، وكاتب . ومع ثورة المعلومات وتطور وسائل الاتصال ، لم يعد الإعلام مجرد أداة لنقل الأخبار وتوصيل المعرفة ، أو مجرد وسيلة للتسلية ؛ بل أصبح أداة فاعلة ومساهمة في تبديل السلوك الإنساني ، والاستراتيجيات الدولية ، ومما لا شك فيه ، أن الصحافة المكتوبة تلعب دورا مهما ومؤثرا في الرأي العام – سلبا أو إيجابا – فنراها تعمل على تعزيز الهوية الثقافية للمجتمعات ، وذلك من خلال تنقية المادة الإعلامية من الشوائب المثيرة للنعرات ، وتقديم المواد الإخبارية بشكلها الموضوعي ، أو ربما ، على العكس ، قد تساهم في تزكية الفتن والنعرات الطائفية والإثنية والسياسية ، وفقاً لسياساتها أو مصالحها أو إنجازاتها أو الأدوار التي أوكلت إليها من قبل لاعبين خارجيين).

إلا أن إعلاميا كسامي كليب ، هذا الرحالة المثقف والملمتزم بقضايا الإنسان أينما كان ، ذلك الرجل الحالم بنهضة وطنية ، تسهم في نقل مجتمعه إلى مستوى بقية المجتمعات ، لن يقدم إلا مادة مصفاة ، كانت بمثابة وثائق عمل ، ومؤشرات تاريخية وثقافية متنوعة ، قدمت سجلا تاريخيا للسياسة ، والاجتماع ، والثقافة ، والفنون ، والعادات والتقاليد ، وكل ما وقعت عليه مشاهداته . لذا نجده يعود في رحلاته إلى الأصول ، ويحس بعرق الانتماء للجذور ، ويظهر رغبة عارمة ودفينة ، توجه سيرورة الكاتب وإرادته في نشر الوعي الذي أدركه ، أو تصويب البوصلة السياسية في مجتمع ينتمي إليه ، فيظهر التوتر القائم بين معتقداته الوطنية والقومية ، وبين الإحساس بالغربة في وطن يتميز بإرادات خارجية ، ليتمدد بعد ذلك على مساحة معتقداته وانتماءاته ، ومعرفته لتجارب الشعوب وثقافتها ، ما يوجب مستويات التعلق بالأصل ، ونشوة الاحتماء به خارج إمكانات التكيف مع لحظات الانهيار الوطني الراهن ، أو الواقع ضمن سيرورة الادراك للوجود الخاص في علاقته الشمولية مع الوجود الجماعي ، حيث يعني العود إلى الأصول في جوهره ، حلما أو إدراكا تخيليا ، يستعيد

مناخات الطفولة، ونشوة الذكريات، لا باعتبارها تؤرخ لأحداث مضت فحسب؛ وإنما باعتبارها كذلك جزءاً من أحداث تحدث كل يوم، وتسري في نبض الحياة، لعل الولادة الجديدة تبدأ من بؤرة متخيلة، لترسو على لحظة التحول الممكن، وصهر الراهن في ما يمكن أن يجعل منه واقعاً أكثر جاذبية، ليتوسل الطريق بينهما ويعود إلى منطقة الضوء لامتلاك هويته، أو تجسيد خيارته.

"كليب" يتذكر طفولته، فيشير إلى حرب دمّرت منزله وقتلت والده، وجرحت أمه؛ إنها الحرب اللبنانية التي يرفضها، فنجدته يسافر إلى بطرسبورغ ثم لينينغراد بحثاً عن لينين، "منظر الثورة البلشفية وقائدها" (سامي كليب، 2018، ص 124)

ليخلص بسردية جميلة فكرة الثورة البلشفية فيقول: "وأنا أسير في تلك المدينة، أتوقف عند ساحاتها، أعرف من ذلك التاريخ العريق، أتخيل القيصر على حصانه يوجب أرجاءها، أحاول أن أتخيل أيضاً العمال والفلاحين حاملين كل نعمتهم واضطهادهم... يرمونها حمماً على القصر الشتوي والقصور الأخرى" (سامي كليب، 2018، ص 186)

يسافر إلى كوبا، بلد كاسترو ورفيقه الشهيد المغدور "غيفارا" ليفتح باب العلاقات السياسية، والجغرافيا السياسية، فيشير إلى الانفراج الاقتصادي الذي "جاء من فنزويلا.. من الرئيس المتمرّد " هوغو تشافيز" الخصم الشرس للولايات المتحدة. أسهم تشافيز في إنقاذ صديقه كاسترو من تدهور اقتصادي خطير، بات السند الأقوى للاقتصاد الكوبي في وجه الحصار والجور الأميركيين" (سامي كليب، 2018، ص 192).

يحدّد "كليب" انتماءه إلى جانب الفقراء والعمال والفلاحين، إلى جانب الدول الفقيرة في وجه هيمنة الدول الغنية، ويضيف: "سعت أميركا إلى خنق كوبا أكثر من مرة... اضطر البابا يوحنا الثاني عام 1998 للمجيء إلى هافانا، نسي قليلاً ثوب الرهينة، ونسيت كوبا قليلاً ثوب الشيوعية. قال على أرضها إن الحصار الأميركي غير عادل وغير مقبول أخلاقياً" (سامي كليب، 2018، ص 197).

ليخلص إلى نتيجة، يريد منها إيصال رسالة مفادها أن إرادة الشعوب أقوى من تسلّط الأقوياء، "و حين وصلنا إلى كوبا، كان الرئيس الأميركي جورج بوش الابن يقول أمام طلاب أميركيين و كوبيين في ميامي إن نهاية النظام الكوبي باتت قريبة.. كان رئيس الوزراء الإسباني السابق "خوسيه ماريا أثنار" نجح في دفع حلفائه الأوروبيين إلى فرض عقوبات سياسية واقتصادية على الجزيرة في صيف عام 2003، مرّت العقوبات الاقتصادية والسياسية، وبقي فيدال كاسترو يردد أمام جماهيره: "إن الكلاب تنبح والقافلة تسير" (سامي كليب، 2018، ص 198).

وتستمر الحكايا في "الرحالة"، في الأسفار السياسية، والإشارات المتخفية في فنون السرد الحكائي، تقوم برسالة التوصيل للأفكار المتسللة داخل النص، ترسل الإشارات لتحرض على اتخاذ المواقف السياسية التي يعتقدونها، أو يؤمن بها، فيشير إلى انسجامه مع نفسه، إلى رفضه لفكرة الاحتلال بغض النظر عن هوية المحتل، وهوية الوطن المسلوب، فإذا كان يرفض فكرة احتلال فلسطين من قبل الإسرائيليين، فإنه كذلك يرفض فكرة احتلال العرب المسلمين لإسبانيا.

فلا يحقّ لنا أن نحلّل لأنفسنا ما نحرّمه على غيرنا، وأن نحتفي باستعمارنا لبلاد الأندلس في الماضي، ولنعلن الاستعمار الاجنبي لنا. كذلك يرفض فكرة الدولة البوليسية للدلالة على أهمية الديمقراطية، وحرية التعبير.

يسافر إلى السودان ، وإلى جوبا ، وإلى انفصال الجنوب السوداني (سامي كليب ، 2018 ، ص216) ، وكذلك على المغرب ، ومواقف الأمازيغ من العنصرية ، مسجلا موافقه التصريحية حيناً والتلميحية أحياناً ، في أن الهوية الإسلامية ليست إلا تشكل وتراكم ثقافات الأمم والشعوب التي انضوت تحت راية الإسلام ، سواء بقيت على دينها وعقائدها ، أم اعتنقت الإسلام . ليعود إلى لبنان بعد التحرير ، ويصل إلى مصر ، يعبر عن ناصرته ، وعن حبه لعبد الناصر : " سألت أبي عن ذلك الرجل .. وراح يحكي لي قصة عبد الناصر والآمال التي أحيها في قلوب العرب والكرامة التي نشرها في كل العواصم العربية " (سامي كليب ، 2018 ، ص382).

لا ينسى أن يتكلم على الاقباط وعلى تاريخهم في مصر ، وعلى علاقاتهم بعبد الناصر ، ويقول :  
قال لي الاب عبد المسيح بسيط : " إحنا عايزين منحسش باي فرق بين مسيحي ومسلم في مصر " (سامي كليب ، 2018 ، ص 412)

يقيم " كليب " داخل عرويته ، ويحدّد هويته بالإنسانية الجامعة ، فيرسها نصوصاً متصلة وحكايا متبادلة في معرفة الذات ومواجهتها مع الآخر ، ويحلم بأن تتحد البلاد العربية ذات يوم .  
يكشف في نيويورك روح المدن المنيرة ، ويتعرف إلى مدى احتضانها الثقافة ، ليشير إلى أنها ليست تلك المدينة المتوحشة في الحضارة ، وفي ارتفاع الأبنية الشاهقة وناطحات السحاب ، " في نيويورك 420 مسرحاً " (سامي كليب ، 2018 ، ص433).

يهرر رسالته السياسية في الكلام على المهاجرين " لم يفهم الزائر سراً أميركا إن لم يذهب إلى جزيرة " أليس " إلى هنا كانت الهجرات الأولى ، وإلى هنا وصل الكثير من المهاجرين الذين أسهموا في بناء أميركا وبينهم عرب من بلادنا .. يعقل أن هذا المكان الجميل كان معبراً لملايين المهاجرين على مدى أكثر من نصف قرن نحو حلمهم الأميركي بين عامي 1822 و 1954 . من الفنانين المشاهير الذين مرّوا بالجزيرة ، تشارلي شابلن ، مارلون أندرو ، ومارلين ديتريش ، ومن الساسة المشاهير ، غولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية السابقة ، التي كانت في الثامنة من عمرها حين وصلت مع أهلها إلى الجزيرة النيوبروكية قادمة من روسيا . كان اسمها آنذاك غوالد مابوفيتش ، لم ينفع كل عذاب تهجيرها وبحثها عن وطن في أن ترحم لاحقاً من كان عندهم وطن ، وجاءت تسرقه منهم " (سامي كليب ، 2018 ، ص465).

لا ينسى " سامي كليب " أن يتكلم على الديمقراطيات الغربية ، ويروي قصة وصول بائعة هوى صارت نائبة وقاضية ، حيث لم تقف ظروفها القاسية في وجه طموحها ووصولها إلى موقعها السياسي والقانوني " (سامي كليب ، 2018 ، ص 497).

وينهي موافقه السياسية والثقافية حيث يهيم في بلاد الغرب بحثاً عن وطنه ، والله ، وعن الحب والإيمان والكفر " ها نحن يا ربنا في بلاد منشأ الأديان السماوية ، في مهد التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ، نتفنن في اختراع أشنع طرق المذابح . عذرا يا إلهي إن جئت إلى بلاد الكفر لأقترب منك أكثر ( كلام مجازي تعبيرا عن رفضه لواقع بلاده ، وقبوله للغرب الذي ينظر إليه المتطرفون الاصوليون باعتباره بلاد الكفر ) فهنا لن تلهيني عنك دماء ولا جهل ولا قتل ولا دماء ، وهنا سأرى الطبيعة التي أبدعتها ولا تزال أجمل وأهدأ ، ضاجة بالحياة والفرح ، فأتصالح مع نفسي ومعك " (سامي كليب ، 2018 ، ص 627).

إنه التناقض الذي يتحدث عنه الكاتب ، فالبلاد العربية – مهبط الديانات – والتي تكاد من أشدّ شعوب الأرض محافظة وادّعاء بالتمسك بالدين ، نراها – اليوم – من أكثر الشعوب بعدا عن الدين ، من حيث التطبيق والسلوك اليومي ، فالمسافة طويلة جدا ، وشتان ما بين التدين والدين .

الإعلام السياسي وجه مجتمعي ينقل الخبر ، ينشر الثقافات ، يقرب المسافات بين البلدان والأفكار والمعتقدات ، يحرض القراء لاتخاذ مواقف يعتقد أنها صحيحة ، ويحاول إبعادهم عن مواقف ، يرى أنها لا تنفق ومعتقداته وأفكاره والفلسفات التي يؤمن بها ، يحرض الناس وفق مصالح فئته أو شعبه أو بلده ، أو حتى ضد ذلك كله ، يسهم في إشعال الحروب الأهلية والفئوية ، أو العكس .

وهذا متفق عليه ، ولكن أن يتسلل إليك كالنعاس ، ليأخذك إلى قناعاته بهدوء ، مع وجبات الثقافة والاجتماع والحب ، ذاك هو الإعلام الذكي.

في موازاة هذه النصوص التسجيلية المتنوعة ، نجد حضوراً لافتاً للمرأة ، وهي دائماً موضوع للحب ، وإن اختلفت أشكاله . فهي " مريم بنت نياس " التي يفيض علمها وأمومتها على كل من يحيط بها ، تلك المرأة التي استطاعت تجاوز الصورة النمطية التي تكاد أن تكون حكراً على الرجال باستثناء بعض التجارب لبعض النساء عبر التاريخ ، وهي أن تتخرط - عملياً - في نسق الولاية والصلاح .

دوّن " سامي كليب " تجربته مع هذه الوليّة الصالحة واصدراها للقارئ ، فكان له دور بارز وفاعل في تعريف القارئ العربي بها وبمجتمعها ومحيطها والعادات والتقاليد التي تخصّ بيئتها أولاً ، ثم ما يدخل في صميم عقيدتها ومعتقداتها: عنيت: الصوفية أو التيجانية ، دافعاً القارئ إلى التساؤل عن ماهية صورة المرأة في المتخيل الصوفي؟ والذهاب أكثر من ذلك في الاستفهام عن نصيب المرأة في التجربة الصوفية على مستوى التطبيق أو الممارسة والفعل؟

حاول " سامي كليب " أن يصوّر حياة تلك المرأة ، بعد الزيارة التي قام بها ، وقد وصلت المعلومة للقارئ بشكل انسيابي جاءت وكأنها في معرض الحديث ، فقد علم القارئ أن هذه المرأة تمكّنت من حيازة موقع لها ، إن على صعيد الممارسات الفقهية والأخلاقية التي أدّتها داخل الحقل الصوفي ، أو على مستوى التطبيق العملي – بقدر ما أتاحت لها – مع واقعها الاجتماعي والسوسيو – ثقافي والنفسي ، فقد اهتّمت بتعليم الأطفال ، نشر الدين وتعليمه لدى الناشئة ، هذا إضافة إلى عملها في السياسة ، فقد نجحت هذه الشبيخة " في القيام بأدوار سياسية بين السنغال وعدد من الدّول بما فيها دولة إيران " (سامي كليب ، 2018 ، ص 64-65).

والملفت في هذه المرأة انفتاحها على "الأخر" وإصرارها على إقامة روابط جامعة ووثيقة معه ( أي مع هذا الآخر ) ، وهي إذ تُؤكّد على " أن نهضة المجتمعات تبدأ بالعمل والوعي ، وأن مسلماً متعلّماً أفضل من مسلم جاهل " (سامي كليب ، 2018 ، ص 66).

تؤمن "مريم بنت نياس" أن التصوّف لا يقتصر على الجانب الروحي فقط ؛ إنما أيضاً معنيّ بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فمشايخ التصوف هم مرجعية أتباعهم ومريديهم في شتى مناحي الحياة ؛ لا سيما أن التصوف يشكل المرجعية المركزية للمسلمين السنغاليين .

قدّمت الوليّة السنغالية التيجانية نموذجاً رائداً في التصوّف الحضاري ، الذي يُعطي من قيمة العمل الاجتماعي ، ويحث على التسامح والتعايش وقبول الآخر .

استطاع " كليب " أن يسلط الضوء على هذه الوليّة المعروفة بالعلم والصلاح والولاية ، التي استطاعت بثقافتها وسلوكها الصوفي – التيجاني ، أن ترسخ مجموعة من القيم الإنسانية السامية ، وأن تساهم ، أبلغ ما يمكن ، في نشر وتعليم الدّين الإسلامي ، واللغة العربية في مجتمعتها ، وبصورته الصحيحة .

إضافة إلى البعد الديني والثقافي ، رصد " كليب " بعض العادات الغربية التي حدثت معه في تلك الزيارة ، يقول : " أمسكت بالأرز ، حرّكته في يدها حتى استدار مثل كرة صغيرة ، ثم قدّمته لي مباشرة إلى فمي ، أخذته شاكرًا . هذه عادة كنت قد تعلّمتها في الكثير من الدول ، ولم أرفضها يومًا ، ولا سيّما أن صاحب الدعوة والوليمة غالبًا ما يغسل يديه ، قبل الأكل ، بماء الورد ، فمن غير اللائق رفض ذلك ، لكن ما لم يكن في حسبانني أبدًا ، هو أن تضع الشّيخة مريم الأكل في فمها ، ثم تأخذ منه قليلا لتطعمني إياه " (سامي كليب ، 2018 ، ص 67)

استغرب " كليب " كثيرا هذا الأمر ونقل لنا إجراجه وإرباكه فقال : " صدّقوني لم أعرف كيف ابتلعت تلك الحبيبات من الأرز ، ولو كان بوسعي أن لا أفعل ذلك لها فعلته ، لكن الإحراج كان كبيرا جدًا ، وكبيرًا جدًا " (سامي كليب ، 2018) ، وعن سؤاله لها ما سبب ذلك قالت : " إن هذا بالظبط ما يعني مشاركة الروح وتقاسم المصير " (سامي كليب ، 2018 ، ص 67).

تحضر لُح من المعجم الصوفي في هذه الجملة بصورة إبداعية محمّلة بجمالية جديدة وبحمولة دلالية محتفظة بعمق الرؤية الصوفية ، إلّا أنها – في الوقت عينه – منفتحة دلاليًا على العصر ، فالحلولية التي تعني اتّحاد ذاتين في ذات واحدة ، الذات الالهية والذات الانسانية ، حضرت عند الوليّة بشكل " مشاركة " ذاتين إنسانيتين ، وهنا وظّفت الوليّة معاني الحب بما يتعالق معه من مفاهيم حقيقة المحبة لدى الصوفية ، فالحب عندهم " فناء الذات أو الأنا وبقاء الانت ، أي تهب كلك من أحببت فلا يبقى شيء " (أنظر أدونيس ، 1983) . استخدمت الشّيخة في كلامها مع " كليب " كلمتي: مشاركة – تقاسم ، أي تفاعل ، يلحظ المتلقي أن التجربة الصوفية التقليدية قد انحرفت عن مسارها الأول بعد أن دخلت تجربة الشّيخة مريم بنت نياس ، فقد اكتسبت دلالات ومعاني جديدة تتناسب وطبيعة العصر والمجتمع والعلاقة مع الآخر .

ولجت الشّيخة عالم التصوّف متعمقة في لغة أصحابه ومصطلحاتهم وتجاربهم ، وتأثرت بالفكر الحلولي عند أصحاب وحدة الوجود ، إلّا أنها طيّعتها وفق ما يفرضه الزمن والعصر والحدّات ، متّكئة على لغة الإيحاء والإشعاع والرمز التي تميّز بها الصوفية . فمريم بنت نياس تصوغ أقوال المتصوفين القدامى صياغة معاصرة وتحملها مفاهيم جديدة وأبعادا مختلفة ، غايتها في ذلك إقامة جسور تلاقح مع الآخر .

بعد تجربته مع الشّيخة مريم بنت نياس السنغالية ، ينقلنا " سامي كليب " إلى موريتانيا ، وتحديدًا إلى منزل الفنانة المبدعة عليّة ، على حدّ قوله ، " يبدو أن إحدى النساء التي كانت بجواري ، فهمت أن كلامي يشبه غزل ابن أبي ربيعة بنسائه ، وما إن انتهت السهرة ، حتى طلبت منّا أن نقلّها معنا إلى منزلها المجاور ... قالت لي : " أريد أن أراك غدا ، يبدو أن قصة حب بدأت بيننا ... أنا جادة في ما أقول ، فعاداتنا في موريتانيا لا تسمح لرجل بأن يغازل امرأة ثم يتخلّى عنها " (سامي كليب ، 2018 ، ص 96)

للنساء شأن مهم في هذا البلد ، ولهن مكانة اجتماعية خاصة ، وهنّ " محترمات وذوات قدر جليل ، إن أهان رجل امرأة فإنها يهين قبيلتها جميعا " (سامي كليب ، 2018 ، ص 92).

يختلف وضع المرأة الموريتانية عن أوضاع مثيلاتها في كثير من المجتمعات العربية، فنجدها في السياسة مشاركة وفاعلة وناشطة، كما أنها تبوأَت مراكز قيادية، ولها حضور فاعل في البرلمان ورئاسة البلدية، فضلا عن تواجدها في السلك الدبلوماسي، وفي التجارة.

" لا ترتدي المرأة الموريتانية النقاب ولا الحجاب، لها زيّها التقليدي المعروف بـ "الملحفة"، والذي يبقى الكثير من جمالها ظاهر للعيان" (سامي كليب، 2018)، وهي لا تحتاج إلى رقيب أو حسيب، لأنها تحترم عاداتها وتقاليدها وتحافظ على تراث انفتاحي كان متبعاً قبل أن تغزو الإسلام أفكاراً ضالّة تشوّهه وتشوّه المسلمين" (سامي كليب، 2018، ص 92).

يعزو البعض أن هذه الخصوصية تعود إلى تمسك المجتمع بالفهم الصحيح للدين الإسلامي، فصحيح أن موريتانيا كانت المصدر الأساسي لأسلمة إفريقيا، إلا أنها لم تنزلق إلى أفكار إسلامية متطرفة، تقول الفنانة عليّة: " يا أخي هذا هو الإسلام الصحيح، أما عندكم فأعتقد أن ما شوّه الإسلام هو ما أُضيف إليه" (سامي كليب، 2018، ص 92)

ثم يأخذنا " الرحالة " إلى سويسرا، في بحث عن بنت هوى صارت نائبة وقاضية، هي " سيدة سويسرية، رمتها أقدارها في أتون الدعارة في فرنسا، ثم أنقذت نفسها وأعادت ترميم جسدها وعقلها، وكافحت حتى صارت نائبة في البرلمان السويسري" (سامي كليب، 2018، ص 691).

يحكي " سامي كليب " قصة هذه المرأة، والظروف التي دفعتها إلى ذلك، ويقدمها إلى الرأي العام العربي، هذا النموذج الواقعي غير محدود بزمان وبمكان معينين، إلا أن الجدة فيه تكمن في أن هذه السويسرية استطاعت أن تتخطى كل ذلك بالعزيمة والإرادة، تقول: " نعرف يا سامي، نحن لا ننسى، ولا يمكن أن ننسى، لكننا نعرف كيف نخترع، كل يوم، لحظات فرح جديدة" (سامي كليب، 2018، ص 47).

"المشاهدة بحدّ ذاتها ليست عنصراً يتجرّد من المسبقات، فالرحالة لا يغادر بلاده وذهنه صفحة بيضاء لتبدأ بتسجيل مشاهداته مباشرة؛ بل يكون ذهنه مليئاً بالتوقعات والانطباعات التي سمعها من الآخرين وقرأها في الكتب وكوّنها من الأفكار العامّة السائدة في محيطه" (أنظر:عزيز العظمة، 1991) وهو عندما يدوّن ما يراه، لا يعكس خصائص الثقافات والحضارات التي يراها ويختبرها فقط؛ إنما يكشف أيضا ذاته وثقافته ويعكس تفاعله مع " الآخر " وكيفية التواصل والتفاعل بينه وبين هذا الآخر المختلف، وهذه العلاقة هي التي تميّز كاتباً أو صحفياً عن سواه في تدوين النصوص، فبقدر ما يتوفّر في الكاتب حساسية مرهفة وثقافة واسعة اطلاع ودقّة ملاحظة، تكون إمكانية رصد التمايزات والاختلافات بين الحضارات والشعوب أكبر.

في عدد كبير من مقالات أو نصوص " الرحالة " نجد حدثاً أو تجربة هي التي أوحى لكاتبها بتدوينها، وإذا ما قمنا بتتبع نشأة المقال في نفس كاتبه، لوجدنا له اصداء سابقة عليه، لم يقم هذا الحادث أو هذه التجربة إلا بإثارته وتحفيزه لعملية التدوين، فالسواد الأعظم من النصوص لها ماضٍ في نفس " كليب ".

يعود بنا- أيضاً - إلى " رحلة ابن بطوطة "، " كنت في بحثي عن ابن بطوطة، كمستمع متيمّ بمغنى، أحشى الخذلان إن اقتربت منه، مع ذلك كنت متلهّفاً للتعرف إليه، وأمّتي النفس بأن تكون صورته مطابقة لتلك التي في مخيلتي" (سامي كليب، 2018، ص 11)، ليكون الماضي على هذه الحالة ذا مركزية في إعطاء الأطر العامة للحاضر؛ لذا نجد التاريخ في نصوص كتاب " الرحالة " يهيمن على مسار السرد " ها أنا أكمل ما بدأه ابن



بطوطة ، وأسير على خطاه صوب آفاق جديدة ، لا أدري إلى أين ستقودني هذه الخطى ، لكنه بالتأكيد ستحمل إليّ الكثير من الفرح ، وتحقق الكثير من أحلامي " (سامي كليب ، 2018 ، ص 25).

اختلفت لغة " الرحالة " من نص إلى آخر باختلاف المواضيع المسجلة وتنوعها ، وتباين الأخبار وتشعبها ، وترنحت الأساليب الكتابية بين الفصحى ، والفصحى المبسطة الأقرب إلى العامية ، هذه المزوجة الخلابة جعلت كل قارئ يجد متعة خاصة يشبع بها حاجاته الجمالية والمعلوماتية ، لما في هذه النصوص من خصوصية فريدة ، يجعلها عصية على الانتماء إلى جنس أدبي بذاته .

هذا ما يجده الباحث في كتابات " سامي كليب " حيث تجد رواية الأحداث كما هي ، وتفسير الحدث وشرحه ، والتعليق عليه بعقلانية ، تقبلها أو ترفضها ، لكنها تبقى عقلانية ومعالجة الأمور الصعبة بأسلوب سهل العبارات ، سلسلة ، بسيطة ، تنساب على العقول ، وتدفع القراء إلى فهم الأحداث كما هي ، وربما الالتفاف حول القضية ، وتنطلق أسئلته من السؤالين المهمين: ماذا نقول؟ وكيف نقول؟

جمع " الرحالة " بين أشكال تعبيرية متباينة ، من وصف وسرد وحوار وتوثيق ومعلومة وخيال ، معتمدا الوظيفة الإبلاغية حينا ، والإبداعية أحيانا أخرى .

وجدنا في كتاب " الرحالة " العلاقة المتبادلة ، التأثير والتأثير بين المجتمع والإعلام ، وبين الإعلام والإبداع ، بعبارة أخرى ، بين كتابة تقريرية عجلية ، تلهث وراء الخبر ، مؤطرة بالتزامات يومية ، وبين كتابة إبداعية متأملّة ، متفتّحة ، تنشد الحرية لتمارس شغفها على الورق وفي الخيال وعلى الشاشات .

قدّم كتاب " الرحالة " دراسات مهمة في الجغرافيا والتاريخ والاجتماع والثقافة والسياسة ، وفي العلاقات العامة ، حيث تتشابك العلاقات الدولية ، وتؤثر بعضها في بعض . والإعلام المتخصص مرتبط بتخصص الصحفي وخبرته وسعة اطلاعه وثقافته ، وفردته في النظر إلى القضايا ، وكيفية طرحها ، كي تجد أصداء لها عند العامة والخاصة من اصحاب الشأن ، فتارة نشعر في " الرحالة " أنه إعلام سيّاحي ، وبيئي ، وتاريخي ، وتراثي... وطورا ، نراه إعلاما سياسيا واقتصاديا ، وهو بين هذا وذاك ، يبقى إعلاما إنسانيا ، تضامنيا ، ينشد السلام والمساواة والعدل ، والحب ، والجمال ، وصاحبه هو ذلك الصحفي الملتزم قضايا شعبه ؛ بل قضايا الإنسان ، ومن البدهي أن يسجل قلمه المشاهدات ، بأسلوب أحاذ ، وجرأة ، خرج بها " كليب " من مفهوم الإعلام التقليدي ، إلى صحافة مبدعة ، مغايرة ، مستفيدة من لغة الإبداع والجمال ، محافظا في الوقت عينه على لغة الصحافة .

كذلك ، أسهم النص الصحفي - الجمالي في بلورة صورة المجتمع ، لما له من قدرة وتأثير على الرأي العام في عملية التغيير والتطوير في سلوكيات المجموعات البشرية ، وفي عملية التلاقي والحوار بين المجتمعات ، حيث إن الانعكاسات تأتي نتيجة الوعي الثقافي لدى المتلقين وقدرتهم على التحليل وإصدار الأحكام والمواقف أمام تحديات الواقع المجتمعي . " قررت أن أبحث عن شعوب مهورة ، لعلّي إن أنا نقلت مأسيتها ، أسهم ولو قليلا في تعريف الناس بها ، وربما مساعدتها " (سامي كليب ، 2018 ، ص 85).

كما أن الإعلام يجر القارئ إلى عوالم فريدة ، وتفتح له أبوابا للنقاشات والسجلات ، لما فيها من قضايا تلامس حياتهم ، فقد فرضت العولمة على الثقافة العربية تحديات ، دفعتها إلى إعادة النظر في قدرتها على " الحركة في

عالم ليس من صنعها ، في عالم يجاور بين اقصى مظاهر التقدّم ، واقصى مظاهرتخلف" (أنظر : جابر عصفور ، 2010).

وتبيّن لنا أن العلاقة وطيدة بين الرحلة وثقافة التواصل ، والعلاقة مع الآخر ، حيث أن المقصود هو الثقافة التبادلية بين الرحّالة وأصحاب المجتمعات التي يزورها ، فالإتصال بينهما يؤدي إلى التعارف والتحاوّر والتلاقح ، وبالتالي تصديره إلى العلن وتعريف الناس به ، حيث يكشف الرحالة عن ثقافة الآخرين وعاداتهم وتقاليدهم ومجتمعاتهم الثقافية والسياسية والعقائدية ، ويعبّر كذلك عن تجارب شخصية ومواقف خاصّة واجهتهه أو تعرّض لها أثناء قيامه برحلاته . ولا ننسى أن " سامي كليب " إضافة إلى رحلاته الاستجمامية ، كان يقوم بعمله الإعلامي ، لذا فإن تدوينه لتلك الرحلات يشكل مادّة وثائقية تركز على الموضوعية ، كما ارتكازها على الجمالية .

كذلك تأكّد لدينا أن حرية الإعلام يجب أن تكون مطلقة في المواقف الاتّصالية ، غير أن التحرير الإعلامي يؤكّد على أهمية الشعور القوي بالمسؤولية ، ونحن نتفق مع الدراسة التي اعتمدها اليونسكو عام 1977 حيث جاء فيها: " الصحافة لا يمكن لها أن تبلغ مستوى رسالتها إلا إذا توقّرت في أشخاص المشتغلين فيها ، المزايا المهنية والعملية والخلقية الكافية " (منشورات اليونسكو ، 1977) ، ذلك أنّ حجم التحدّيات تطرح اسئلة عدّة ، ليس أقلّها هو: هل سيبقى الإعلامي / الإنسان ، هو المتحكّم بنقل الصورة المجتمعية ، وبمعالجة الأفكار المترافقة مع التطوّرات البشرية ؟ أم ستحلّ الآلة / الروبوت مكانه ؟ وكيف ستكون حال المجتمع عندها ، والعلاقة المتبادلة بينهما ( المجتمع والإعلام ) ؟

#### الفهرس

- 1- أدونيس(1982) ، الثابت والمتحوّل (تأصيل الأصول) ، ج 2 ، دار العودة ، بيروت ، لبنان .
- 2- أدونيس(1983) ، مقدّمة الشعر العربي ، ط 4 ، دار العودة ، بيروت ، لبنان .
- 3- أسماء معيكل(2010) ، نظرية التوصيل في الخطاب الروائي العربي المعاصر ، ط 1 ، دار الحوار ، سوريا .
- 4- جابر عصفور(2010) ، الهوية الثقافية والنقد الأدبي ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر .
- 5- رايموند ويليامز(1986) ، الثقافة والمجتمع ، تر : وجيه سمعان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر .
- 6- رياض معسّس(2009) ، تقنيات الصحافة المرئية والمسموعة ، دار نينوى ، دمشق .
- 7- سامي كليب(2018) ، الرحّالة ، دار نوفل ، بيروت .
- 8- عبد السلام المسدي(1982) ، الأسلوبية والأسلوب ، ط 2 ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، لبنان .
- 9- عبد الله الغدامي(2006) ، تشريح النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب .
- 10- عزيز العظمة (1991) ، العرب والبرابرة ، دار رياض الرّيس ، بيروت ، لبنان .
- 11- غاستون باشلار(1987) ، جماليات المكان ، ط 3 ، تر : غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان .
- 12- يمني العيد(2010) ، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، ط 3 ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان .
- 9- بيوري لوتمان(1995) ، : تحليل النص الشعري ، بنية القصيدة ، تر : محمد فتوح أحمد ، دار المعارف ، القاهرة .
- 13- اليونسكو لعام(1977) ، منشورات اليونسكو ، باريس .

## أثر فعالية برنامج علاجي معرفي سلوكي في خفض الاكتئاب لدى المسن المتواجد بدور الرعاية.

د. زهرة عدة ، جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان- الجزائر

### مقدمة:

إن مرحلة الشيخوخة مرحلة عمرية من مراحل النمو لها مظاهرها البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية المصاحبة لها ،فهي الفترة التي يحدث من خلالها ضعف وانهايار في الجسم ،واضطراب في الوظائف العقلية ، ويصبح الفرد أقل كفاءة ، وليس له دور محدد ومنسحب اجتماعيا ،وسيء التوافق ومنخفض الدافعية غير ذلك من التغيرات(عبد اللطيف محمد خليفة ، 1998:15).

ويعرفها بيرن Birren 1960 الشيخوخة انخفاض تدريجي في كل من الأداء والوظيفة. ويعرفها شاي (Schaie 1962)التقدم في العمر يعني التدهور التدريجي في قدرة الفرد على التكيف مع التغيرات التي يواجهها ،وتقرضها ظروف الحياة (عبد اللطيف محمد خليفة ، 1998:15). وتعد رعاية المسنين ضمن موضوعات الساعة التي يجب أن تحظى باهتمام المشتغلين في مجال التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع ، والطب بفروعه المختلفة .وغير ذلك من التخصصات التي يمكن أن تلقي الضوء على هذه المرحلة من العمر والوقوف على مشكلاتهم وحاجاتهم الأساسية ، واتجاهاتهم وقيمهم لغرض اعداد وتقديم البرامج والخدمات الارشادية التي تلائم أفراد هذه المرحلة العمرية ، فقد أشارت هاريس Harris (1985) أن السنوات القادمة سوف تشهد تغيرات كبيرة في جمهور المسنين كجماعة في حاجة إلى اهتمام ورعاية خاصة . وأن لهذه التغيرات تأثيرها في اهتمامات واحتياجات المسنين وفي ادراك المجتمع واتجاهه نحوهم (عبد اللطيف محمد خليفة ، 09، 1998).

### التساؤلات:

- ما هو مستوى الاكتئاب لدى الفرد المسن المتواجد بمركز رعاية المسنين؟
- هل يؤثر البرنامج العلاجي السلوكي في التخفيف من الاكتئاب لدى المسن؟
- للإجابة على هذا التساؤل يجب اختبار الفرضية الفرعية التالية:
- هل يوجد فرق بين القياس القبلي والقياس البعدي لمستوى الاكتئاب لدى المسن؟
- هل يوجد فرق بين القياس القبلي والقياس البعدي لدرجات مقياس التحكم الذاتي لدى المسن؟

### الفرضيات:

- تتوقع ارتفاع مستوى الاكتئاب لدى الفرد المسن المتواجد بمركز رعاية المسن.
- تتوقع تأثير البرنامج العلاجي السلوكي في التخفيف من الاكتئاب لدى المسن من خلال توقع:
- وجود فرق بين القياس القبلي والقياس البعدي لمستوى الاكتئاب لدى المسن.
- وجود فرق بين القياس القبلي والقياس البعدي لدرجات مقياس التحكم الذاتي لدى المسن.

### أهداف وأهمية الدراسة:

-التعرف على المتغيرات المعرفية للإكتئاب كاضطراب نفسي يتمثل في الشعور بالفشل واليأس وسيطرة الأفكار السلبية والقصور الوظيفي في اتجاهات المريض .  
-تأكيد أهمية برامج العلاج المعرفي السلوكي في السيطرة على الحالات الاكتئابية بمظاهرها المختلفة من خلال إعادة تنظيم مجال إدراك الفرد لنفسه خلال تعامله مع مشكلات حياته اليومية.  
-محاولة التوصل إلى بعض المؤشرات للوقاية من الوقوع في الإكتئاب خصوصا فيما يتعلق بالتحكم الذاتي (السلوكي) والجوانب المعرفية.

#### تحديد المصطلحات:

**تعريف بيك للعلاج المعرفي السلوكي** ، Cognitive Behavior Therapy: يعرف بيك العلاج المعرفي السلوكي على أنه طريقة بنائية مركبة ومحددة الزمن ذات أثر توجيهي فعال يتم استخدامها في علاج بعض الاضطرابات النفسية منها على سبيل المثال (القلق- الاكتئاب- الغضب ..الخ)(ألفت كحلة ، 2010: 10).  
**التعريف الإجرائي للعلاج المعرفي السلوكي**: يعرف العلاج المعرفي السلوكي على أنه كَفَّ نشاط الأفكار السلبية النشطة وفي نفس الوقت تدعيم وتعزيز الأفكار الملائمة في الواقع من خلال العمل الفعلي وتشجيع المريض بالاكتئاب على القيام باختبار مدى الأفكار الإيجابية والأنشطة الفعالة وتعديل المشاعر الداخلية المتعلقة بالمرض النفسي بهدف كشف النقاب عن المعاني التي توصف بها الأحداث غير المستحبة.  
**العلاج السلوكي عن طريق التحكم الذاتي**: يعرف (ريم 1978 Rehm) أن اكتساب مهارة التحكم الذاتي في السلوك يعني الإقرار بأنشطة إيجابية وتحديد الأهداف طويلة المدى ثم العمل على أخذ خطوات تجاه هذه الأهداف من أجل تحقيقها(ألفت كحلة ، 2010: 10).

**التعريف الإجرائي للعلاج السلوكي عن طريق التحكم الذاتي**: مساعدة المريض بحيث يمكنه ملاحظة ذاته وسلوكه في المواقف المختلفة لينتمكن من تقييم سلوكه بصورة واضحة وبالتالي يصبح قادراً على تعديل استجاباته والتحكم فيها من خلال نظام يحدده بعملية التدعيم الذاتي ويمكن التعبير عن ذلك كميًا من خلال الدرجات التي يحصل عليها الفرد على الأبعاد المختلفة بمقياس التحكم الذاتي المستخدم في الدراسة الحالية.  
**الاكتئاب - Dépression**: يعرف (بيك 1977Beck) الاكتئاب بأنه حالة الاضطراب في التفكير حيث تتوالى أعراض الاكتئاب طبقاً لفاعلية الأنماط المعرفية السالبة ويرتبط بالوجدان بصفة أساسية مع العنصر المعرفي بين حدث ما ورد الفعل العاطفي بهذا الحدث على المستوى المعرفي الوجدان الاكتئابي الحادث وعندما تكون المعارف المستعدة مضرية في تقديرها للحدث عن المشاعر الواردة ستكون غير ملائمة للحدث أو مبالغاً فيها.  
يعرف (ريم 1978 Rehm) الاكتئاب بأنه يفترض وجود سلبى للذات لدى الاكتئابين مع انخفاض معدلات التدعيم الذاتي معدلات معاقبة الذات وكلها أمور يراها ريم تقف خلف انخفاض معدل السلوك الذي يتسم به الأفراد الاكتئابين. (Rehm, L. P. (2003).

**التعريف الإجرائي للاكتئاب**: وتعرف الباحثة (الإجرائي) للاكتئاب بأنه حالة تنشأ كرد فعل (انفعالي) لدى الفرد إزاء مثيرات خارجية تؤدي إلى سوء توافق الفرد مع بيئته ، وينشأ مثلاً نتيجة لفقدان الفرد شخصاً عزيزاً عليه أو إهمال من جانب الأهل للفرد . ويتسم رد الفعل هذا بالقلق والحزن والتشاؤم والشعور بالفشل والعجز

والانسحاب الاجتماعي وانتقاد الذات والانخفاض في تقديرها مع الانخفاض في الطاقة العامة للفرد ويمكن التعبير عن هذه الظاهرة كميًا من خلال أداء المريض على مقياس الاكتئاب لبيك. المهنس: هو ذلك الفرد الذي بلغ سنه مرحلة الشيخوخة والتي تلي مرحلة الشباب والكهولة. منهجية الدراسة وإجراءاتها :

المنهج المستخدم: تم اعتماد المنهج التجريبي وهو المنهج الأنسب لقياس فعالية البرنامج العلاجي وهو اجراء يستدعي اخضاع موضوع أو أفراد لجملة من التغييرات الخارجية وفق شروط محددة الأهداف بغية دراسة نتائج أو استنتاجات متوقعة.

حدود الدراسة : يمكن تحديد مجال الدراسة في النقاط التالية:

حدود زمانية: تم اجراء الدراسة بداية 2018 إلى غاية شهر نوفمبر.

حدود مكانية: أجريت الدراسة بمركز رعاية المسنين أو ما تعرف بدار المسنين بتلمسان.

حدود بشرية: اختريت العينة من بين المسنين المتواجدين بالمركز والذين لوحظ عليهم ميول اكتئابية واستثنوا الحالات الذين لديهم أمراض نورولوجية كالزهايمر والباركنسون وذووا الاعاقات الحركية والحسية.

عينة الدراسة : تكونت عينة البحث من 15 مسنا ممن كانت درجاتهم على مقياس الاكتئاب لبيك ما بين 14 و 28 درجة وهذا يعني اكتئاب بسيط واكتئاب شديد كما هو موضح في الجدول رقم (1).

أدوات الدراسة :

مقياس بيك للإكتئاب: أعد المقياس آرون بيك Beck.A وقام بترجمته إلى العربية ابراهيم عبد الستار يقيس مستوى الاكتئاب لدى المفحوص ،يتكون المقياس من 21 سؤال لكل سؤال سلسلة متدرجة من أربع بدائل مرتبة حسب شدتها والتي تمثل أعراضا للإكتئاب وتستخدم الأرقام أو الدرجات من(0-3) لتوضيح مدى شدة الأعراض.

طريقة التطبيق والتصحيح : يختار المفحوص أحد البدائل الأنسب لوضعه الحالي بوضع دائرة حوله درجة كل سؤال هي رقم العبارة التي اختارها المفحوص فمثلا إذا اختار المفحوص البديل رقم 3 فإن درجته لهذا السؤال هي 3. كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم(1) مستويات الاكتئاب حسب مقياس بيك

درجة الاكتئاب	مستوى الاكتئاب
0-9	لا يوجد اكتئاب
10-15	اكتئاب بسيط
16-23	اكتئاب متوسط
24-36	اكتئاب شديد
37 فما فوق	اكتئاب شديد جدا

مقياس التحكم الذاتي : من إعداد عبد الوهاب كامل مكون من 54 عبارة وأمام كل عبارة تدرج خمساً (أ، ب، ج، د، هـ) ، وتوجد منها 21 عبارة تصحح بطريقة عكسية. تم التأكد من صدق وثبات المقياس بطريقة التحليل العالمي.

البرنامج العلاجي السلوكي عن طريق التحكم الذاتي:

**هدف البرنامج:** يهدف إلى تعديل التشوهات الحادثة في الجوانب المختلفة لعملية التحكم الذاتي في السلوك. **خطوات البرنامج:** يكون هذا النمط من العلاج قائم على التدريب على أنشطة سلوكية يومية محددة ويساعد ذلك على ممارسة المرضى التحكم الذاتي في سلوكهم للتخلص من المشاعر الاكتئابية.

-مناقشة جوانب الخلل في مراقبة الذات وإعطاء واجب منزلي يتمثل في ملاحظة الأحداث والأنشطة الإيجابية والقيام بها والتي ترتبط بقيم تدعمية معينة مباشرة أو عاجلة.

-مناقشة جوانب الخلل في تقييم الذات حيث يستخدم المفحوص البيانات التي حصل عليها من خلال جداول مراقبة الذات في تحديد أهداف معينة وإجراءات سلوكية محددة ممكنة التحقق ويمكن للمكتسبين في هذه الحالة التوصل إلى أهداف حقيقية وممكنة الحدوث ثم تقسيمها بعد ذلك إلى أهداف فرعية سهلة التحقق في مراحل متتالية.

-مناقشة جوانب الخلل في تدعيم الذات حيث يحاول المكتسبين وضع برامج ذاتية منظمة للتدعيم بحيث تتمثل هذه البرامج الذاتية في كل من التدعيم الذاتي الظاهر والضمني الذي يقدمه المكتسب عند إجراء وتحقيق الأهداف الفرعية.

**أهمية البرنامج:** يستند هذا البرنامج إلى نظرية جديدة وهي نظرية التحكم الذاتي في السلوك. يمكن تطبيق البرنامج بصورة فردية أو جماعية.

-الجانب الكبير منه يقوم به المريض من خلال الواجبات المنزلية اليومية التي تعقب كل جلسة علاجية وهو ما يجعل المرضى يشعرون بتحسن تدريجي مهما كان بسيطاً، كما يتيح لهم الفرصة في إقامة علاقات جديدة مرة أخرى مع أنفسهم وإعادة النظر في الأحداث البيئية والاجتماعية من حولهم.

**فنيات العلاج فنية تحديد الأفكار التلقائية والعمل على تصحيحها:**

The technique Identifying Automatic Ideas and Correcting Them

ويقصد بالأفكار التلقائية تلك الأفكار التي تسبق مباشرة أي انفعال غير سار وتأتي بسرعة وبصورة تلقائية، وهي أفكار لاعقلانية، وهي السبب في الانفعال غير الصحيح لحدث معين وتكون بصفة سلبية وتؤدي إلى توقع نتيجة غير سارة، وتهدف هذه الفنية إلى محاولة التعرف على تلك الأفكار ومن ثم تبديلها بإيجابية تؤدي إلى نهاية حسنة ولذلك يطلب من المريض أن يسجل الواجبات المنزلية على ورقة ويدون فيها كل الأفكار

التلقائية التي مرت بذهنه في كل يوم يمر به وتعتبر هذه الواجبات جزء من العلاج

**فنية المراقبة الذاتية: The Technique of Self Monitoring:** يقصد بها قيام المريض بملاحظة وتسجيل كل ما يقوم به في مفكرة أو نماذج معدة مسبقاً من المعالج وفقاً لطبيعة المشكلة ويطلب المعالج من المريض تعبئة الاستمارة بتسجيل وقت ومصدر الموقف الذي تسبب في القلق والاكتئاب والأعراض الجسدية و الأفكار التي تصاحبه. وهي تهدف إلى خفض معدل تكرار السلوكيات غير المرغوب فيها لدى المريض.

**جلسات البرنامج العلاجي:** تم تقسيم فنيات العلاج السلوكي المعرفي عن طريق التحكم الذاتي وفق مخطط ضمن إطار زمني في جلسات تدوم كل جلسة ما بين 30 و45 دقيقة بمعدل جلستين كل أسبوع، ويحدد لكل جلسة أو حصة علاجية هدف سلوكي وهي متدرجة بالترتيب كما في الجدول التالي:



جدول رقم (2) جلسات العلاج المعرفي عن طريق التحكم الذاتي

رقم الجلسة	موضوع الجلسة	اهداف الجلسة
الأولى	استقبال وتعارف	اقامة علاقة ثقة بين الباحث والمشاركين تعريف المكتئبين بالبرنامج وتقديم معلومات حوله تزويد المكتئبين بعدد الجلسات ومواعيدها والالتزام بذلك من خلال المواظبة والحضور والالتزام بأداء الواجبات
الثانية	البناء التفاعلي للعلاج	تشجيع المرضى على طرح الأسئلة التي تدور في أذهانهم تشجيعهم على الاستجابة والتعاون في عملية الفحص النفسي
الثالثة	التعريف بالاضطراب	تعريف المرضى إلى طبيعة الاكتئاب وأنواعه وأسبابه و أعراضه تعريف المرضى بالآثار النفسية المصاحبة من جراء هذا الاضطراب
الرابعة	التشوهات المعرفية	فحص الأفكار الآلية والتأكد من فهم المرضى للنموذج تدريب المرضى على استخدام سجل الأفكار
الخامسة	تحديد الأفكار التلقائية	مراجعة الواجب المنزلي تدريب المرضى على الاستبصار بالأفكار التلقائية والتي تكون سببا في الشعور السلبي
السادسة	ضبط الأفكار الآلية والتحكم فيها	مراجعة الواجب المنزلي تدريب المرضى على ضبط أفكارهم التلقائية تحديد التغييرات المصاحبة للمشاعر والانفعالات نتيجة الأفكار التلقائية
السابعة	التعبير عن الرأي	مناقشة الواجب المنزلي تدريب على اظهار المشاعر الحقيقية تدريب المرضى على النقد الذاتي
الثامنة	التدريب على ضبط النفس	مناقشة الواجب المنزلي تدريب المرضى على ضبط النفس تدريب المرضى على الإستخدام الهاديء في حالة مناقشة غير هادئة
التاسعة	أساليب لفظية	مناقشة الواجب المنزلي تدريب المرضى على النقد الذاتي البناء
العاشر	القدرة على المواجهة	مراجعة الواجب المنزلي تدريب المرضى على الاستجابة لانتقاد الآخرين
الحادي عشر	الاستعداد للتغيير	مناقشة الواجب المنزلي تدريب المرضى على ابداء الاستعداد للتغيير
الثاني عشر	التدريب على عدم اصدار حكم	مناقشة الواجب المنزلي تدريب المرضى على وصف الخبرة دون إصدار حكم
الثالث عشر	لعبة الدور	مناقشة الواجب المنزلي تدريب المرضى على زيادة القدرة على مواجهة الإحباط تدريب المرضى على التحكم بالغضب وتجنب الاندفاع
الرابع عشر	كيفية تفادي الانتكاسة	تدريب المرضى على فهم أسباب استمرار الأعراض والعوامل التي ساعدت على التخلص منها وأن يكونوا قادرين على وضع خطة للتعامل مع عودة الأفكار

الخامس عشرة	التقييم النهائي	التعرف إلى آراء المرضى في الجلسات ومدى استفادتهم منها تطبيق مقياس بيك للاكتئاب
-------------	-----------------	---

#### عرض ومناقشة النتائج:

الفرضية الأولى: نتوقع ارتفاع مستوى الاكتئاب لدى المسن المتواجد بدار المسنين لإختبار الفرضية تم استخدام مقياس بيك لقياس مستوى الاكتئاب بحساب درجات العينة المكونة من 21 فردا مسنا وكلهم ذكور تم تطبيق مقياس بيك للاكتئاب وتبين ما يلي:

مقياس بيك	العينة	المتوسط الحسابي	أعلى درجة	أدنى درجة	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري	الهدى
مقياس بيك	21	21.23	28	7	6.51	1.18	19

يتبين من نتائج الجدول أعلاه أن درجات المسنين على مقياس الاكتئاب تراوحت بين 28 كدرجة قصوى و7 كدرجة دنيا علما أن الأفراد الذين تراوحت درجاتهم ما بين 0 درجة و9 درجة كدرجة قصوى وعددهم 6 أفراد استثنوا من الدراسة لأنهم يقعون في فئة لا يوجد اكتئاب ، وعليه تم الاكتفاء بـ 15 مسنا ممن تراوحت درجاتهم ما بين 9 و28 درجة كحد أقصى.

#### مناقشة نتائج الفرضية الأولى:

وهذا ما اتفق مع دراسة أولسيفوسكي 2003 Olsovesky علاقة الاكتئاب بالتقدم بالعمر بلغ عدد أفراد العينة 81 فردا من كبار السن واستخدم مقياس تقدير الاكتئاب وقائمة النظر للحياة واتضح ان كلما تقدم الفرد بالسن زاد عنده الاكتئاب ، كما اتفقت مع دراسة عزة مبروك 2002 على عينة من المسنين في مدينة القاهرة متكونة من 60 مسنا تبين أن لديهم اكتئاب متأثرا بتقييم الذات لديهم.  
عرض نتائج لفرضية الثانية: نتوقع تأثير البرنامج العلاجي السلوكي في التخفيف من الاكتئاب لدى المسن من خلال توقع:

-وجود فرق بين القياس القبلي والقياس البعدي لدرجات الاكتئاب لدى المسن.

-وجود فرق بين القياس القبلي والقياس البعدي لدرجات مقياس التحكم الذاتي لدى المسن.

-عرض نتائج الفرضية الفرعية الأولى: وتنص على أنه يوجد فرق بين القياس القبلي والقياس البعدي لدرجات

الاكتئاب لدى المسن بحساب التباين الأحادي كما هو موضح في الجدول الآتي:

جدول رقم (3) نتائج حساب الفرق بين القياس القبلي و البعدي على مقياس الاكتئاب

عينة الدراسة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة F	مستوى الدلالة
قبل تطبيق البرنامج	15	26.74	6.31	94.72	0.000 عند مستوى 0.01
بعد تطبيق البرنامج	15	9.56	3.87		

يتضح من الجدول أعلاه أن مستوى الدلالة تساوي 0.00 وهي أقل من 0.01 وهذا يعني أنه توجد فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات العينة في القياس القبلي والبعدي وذلك لصالح التطبيق القبلي  
عرض نتائج الفرضية الفرعية الثانية: وتنص على أنه يوجد فرق بين القياس القبلي والقياس البعدي على مقياس التحكم الذاتي كما هو موضح في الجدول التالي:  
جدول رقم (4) نتائج حساب الفرق بين القياس القبلي والبعدي على مقياس التحكم الذاتي

عينة الدراسة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ف	مستوى الدلالة
قبل تطبيق البرنامج	15	32.02	11.02	26.03	0.000 دال عند مستوى 0.01
بعد تطبيق البرنامج	15	20.56	4.25		

مناقشة نتائج الفرضية: تنص الفرضية على للعلاج السلوكي المعرفي عن طريق التحكم الذاتي له فاعلية في خفض الاكتئاب لدى المسنين.

وهذا ما اتفق مع دراسة قام بها جاريت وزملاؤه Jarrett et al 2001 تطبيق برنامج علاجي معرفي سلوكي على حالات اكتئابية تبين فعاليته في محو آثار الإكتئاب لدى المرضى ، ودراسة بايكل وآخرون Paykel et al على عينة متكونة من 158 من المرضى بتطبيق برنامج علاجي معرفي سلوكي لمدة 18 شهرا بمعدل 16 جلسة علاجية تبين أن نسبة مايقارب 47 % تم شفاؤهم من حالة الاكتئاب بينما ما تبقى من النسبة علاجهم كان أقل فاعلية(Christine Mirabel-Sarron, 2008, p06).

#### قائمة المراجع :

- ألفت كحلة (2010) العلاج المعرفي السلوكي والعلاج السلوكي والعلاج عن طريق التحكم الذاتي لمرضى الاكتئاب إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع .  
-عبد اللطيف محمد خليفة (1997) دراسات في سيكولوجية المسن دار غريب للطباعة النشر .  
-فائقة سعيد عمر جوانه (2012) السلوكيات السلبية وعلاقتها بالتحكم الذاتي لدى طالبات كلية الآداب بالدمام ، مجلة الملك سعود للعلوم التربوية والإسلاميةم(24) ص(1223-1257).  
-ميشيل ج جراسكي(2012) العلاج السلوكي المعرفي ترجمة نكلس نسيم مكتبة دار الكلمة الطبعة(1) .  
-عزة عبد الكريم مبروك (2002) تقييم الذات وعلاقته بكل من الشعور بالوحدة النفسية والاكتئاب لدى المسنين ، دراسات عربية في علم النفس العدد2المجلد1ص185-209 كلية التربية جلمعة عين شمس.  
-Phillppe Thomas et Cyril Hazif –Thomas(2008) L es nouvelles approches de la dépression de la personne agée.Gérontologie et société .vol(31)pp(141-155).  
<http://www.cairn.info/revue-gerontologie-et-societe-1-2008-3-page141.htm>  
-Christine. Mirabel-Saron(2008) les therapies comportementales cognitives et depressions  
-Rehm, L. P. (2003). Self-management therapy for depression. Personal Improvement Computer Systems (PICS), Inc. NIMH project. TherapyAdvisor.com

## سوسيولوجيا العلوم الإنسانية والاجتماعية والتحديات المعاصرة

### Challenges Sociology of Human and Social Sciences and Contemporar

د.قاسم المحبشي، أستاذ فلسفة التاريخ والحضارة، كلية الآداب جامعة عدن-اليمن.

#### تمهيد

شهد العالم المعاصر منذ منتصف القرن العشرين أحداثاً عاصفة ومتغيرات متسارعة على مختلف الأصعدة (الحضارية والثقافية والمدنية)، متغيرات لم يشهد لها التاريخ مثيلاً؛ من حيث جدتها وسرعتها وأثرها وقوتها الصادمة، ووسط تلك الأحداث والمتغيرات العاصفة أخذ العلماء والمفكرون يبحثون عن تفسير معقول لها يعتمل في الواقع ويدور في عالم جنّ جنونه وأصاب الناس جميعاً بالدهشة والذهول (جورج بالانديية، 2000م). ولما كان العلم بكل مستوياته وتجلياته الأبتيمولوجيا، والسياسيولوجيا، والتقنية يعد الظاهرة الأبرز في هذا العصر، عصر العولمة والعلم والثورة العلمية بامتياز، فقد استقطب جلّ اهتمام الفلاسفة والعلماء وأثار دهشتهم ودفعهم إلى إعادة التأمل والتفكير والتساؤل فيه بوصفه موضوعاً كلياً لعدد واسع من أنساق المعرفة المعاصرة (فلسفة العلم، وتاريخ العلم، وسوسيولوجيا العلم، والأنثروبولوجيا الثقافية، وعلم نفس العلم، والعلم المقارن، والميثولوجيا (علم المناهج)، وفلسفة اللغة، والهرمونطيقا، وفلسفة المعلومات، وأخلاقيات العلم. فضلاً عن أنساق المعرفة الجديدة الأخرى ومنها، الدراسات الثقافية والنقد الثقافي والدراسات النسوية في فلسفة العلم وتأييث العلم، وأدب الخيال العلمي .. إلخ.

ما العلم؟ وما منهجه؟ وما تاريخ العلم؟ وكيف يمكن فهمه وتفسير بنيته وديناميته وصورته؟ وما علاقة العلوم الطبيعية بالعلوم الإنسانية والاجتماعية؟ وما مكانة العلوم الإنسانية ووظيفتها وقيمتها وأهميتها ومستقبلها؟ وما هي المؤسسة العلمية؟ ومن هو العالم؟ وما الأدوار الاجتماعية التي يمارسها العلماء؟ وما هي محددات الجماعة العلمية؟ وكيف يمارس العلماء نشاطهم؟ وما هي أنماط علاقاتهم؟ وما المعايير التي يلتزمونها؟ وماذا بمقدور العلماء فعلة في مواجهة التحديات المعاصرة؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تضعنا في قلب المشكلة التي واجهتها سوسيولوجيا العلوم الإنسانية والاجتماعية وما زالت تواجهها بوصفها منظوراً جديداً في بحث ودراسة الخطاب العلمي بما ينطوي عليه من أنساق، وعناصر، وفاعلين وأفعال وتفاعلات، وعلاقات، وممارسات، وأدوار والتزامات، وقيم وقواعد، ومؤثرات، وبنيات، ومادية ورمزية، داخلية وخارجية، فالعلم وفق هذا المنظور ليس مجموعة معارف ولا تقنيات وممارسات ... إلخ، بل هو مؤسسة استمئية بالمعنى الفوكوي للكلمة.

وتأتي أهمية موضوعنا، بما ينطوي عليه من راهنيه أبتيمولوجية، وقيمة منهجية، بوصفه محاولة لتسليط الضوء على وضع العلوم الإنسانية والاجتماعية اليوم والإحاطة بأبعادها وأوليائتها الداخلية والخارجية من زاوية نظر سوسيولوجية نقدية، بهدف تعيينها في خارطة الأبتيمولوجيا المعاصرة، والتوفر على فهم أوضح لطبيعة التحديات التي تجاهاها والإحاطة الممكنة بمشكلاتها الحيوية الراهنة واستشراف مستقبلها. وذلك انطلاقاً من الفرضية التي ترى: أن مسألة نمو وتقدم المعرفة العلمية هي مسألة ليست أبتيمولوجية أو فنية أو مهنية

خالصة فحسب، بل مسألة سيولوجيا، حضارية ثقافية عامة، مرهونة بسياق مجتمعيها المتعين وصحته وقدراته وفرصه وممكناته الواقعية والافتراضية التي من شأنها أن توفر وتؤمن البيئة الحاضنة والراعية والدافعة لنموها وازدهارها أو العكس.

### منهجية البحث

سوف نقارب موضوعنا من منظور منهجي سوسولوجي نقدي يستلهم أدوات منهج سوسولوجيا العلم: (الأسس الثقافية للخطاب العلمي، والدور الاجتماعي للعالم، ومعايير العلم، والجماعة العلمية أو المؤسسة العلمية وغيرها) بالاستفادة من منهجية الممارسة الانعكاسية التي تمكننا من إحداث قطعة فكرية بين عواطفنا ومواقفنا، واتجاهاتنا وانتماءاتنا المهنية وتخصصاتنا الأكاديمية، ورؤيتنا لموضوع بحثنا الذي ليس لها من هدف غير معرفة الحقيقة المحتملة على الدوام. في ضوء المفاهيم المفتاحية (العلم، العلوم الإنسانية، سوسولوجية العلم المعاصر، المؤسسة الأكاديمية، الدور الاجتماعي للعلماء، وغير ذلك من المفاهيم المساعدة).

### الإطار المرجعي

على مدى السنوات الماضية حظي العلم والمعرفة العلمية عامة والعلوم الإنسانية والاجتماعية خاصة باهتمام مضطرد من عدد واسع من الباحثين، وهذا ما أفضى إلى تراكم تراث زاخر من الدراسات والإصدارات المتنوعة يمكن الإشارة إلى بعضها: كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، وعقم المذهب التاريخي، مناهج العلوم الاجتماعية، والمجتمع المفتوح وأعداؤه، وأسطورة الإطار. وجوستاف باشلار، الفكر العلمي الجديد، والعقلانية التطبيقية. . وتوماس كون، بنية الثورات العلمية، وإيمري لكاكوش، براهين وتقنيات منطق الكشف الرياضي، وبرامج جديدة في المنهج. وباول فيررابنيد، ضد المنهج. وألان تورين، نقد الحدائث وبراديفم جديد من أجل فهم عالم اليوم. وبول ريكور: الخيال الاجتماعي بين الأيديولوجيا واليوتوبيا. و ج . كراوثر، موجز لتاريخ العلم. وجون ديزموند برنال، العلم في التاريخ. وبرسلوماكينوفسكي، السحر والعلم والدين. وجوزيف نيدهام، العلم والحضارة في الصين. وروبرت ميرتون، العلم والتكنولوجيا والمجتمع في بريطانيا في القرن السابع عشر، وخليقة العلم. وجوزيف بن دافيد، دور العالم في المجتمع. وهربرت بارفيل، أصول العلم الحديث. وألفن جولدنر، الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي. وروي ياسكر، العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية: الاتجاه الواقعي. وجيوفاني بوسينو، نقد المعرفة في علم الاجتماع. وكارل منهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا. وروبرت مولوتون، البنية المعيارية للعلم. وأنتوني جيدنز، قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع. وكاستورياديس: تأسيس المجتمع تخيلياً. وميشيل فوكو الكلمات والأشياء، وجينالوجيا المعرفة، ويجب الدفاع عن المجتمع، والمراقبة والمعاقبة، ونظام الخطاب، وجيل دولوز، ماهي الفلسفة، والسلطة والمعرفة. وبول فيين، أزمة المعرفة التاريخية: فوكو وثورة في المنهج. وأيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس. وفراسو اليوتار، الوضع ما بعد الحدائث: تقرير عن المعرفة. وتوبي أ . هف، فجر العلم الحديث: الغرب والإسلام والصين. وبيير بورديو، بعبارة أخرى محاولة باتجاه سوسولوجيا انعكاسية. ويان سبوك، أي مستقبل لعلم الاجتماع؟: في سبيل البحث عن معنى وفهم العالم الاجتماعي. ويورجن هابرماس، المعرفة والمصلحة. ويمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، ومشكلة العلوم الاجتماعية: تقنينها

وإمكانية حلها. وميليسا هاينز، جنوسة الدماغ، وأنتوية العلم. وجيروم كيغان، الثقافات الثلاث: العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات في القرن الحادي والعشرين. وجيمس تريفيل، لماذا العلم؟ ولوتشيانو فلوريدي، الثورة الرابعة: كيف يعيد الغلاف المعلوماتي تشكيل الواقع الإنساني. وإبراهيم عبد الرحمن رجب، العلوم الاجتماعية الوضع الراهن وآفاق المستقبل. ورشيدة بوشتي، المعرفة السوسولوجية ورهانات التنمية. وتقارير اليونسكو عن الفجوة المعرفية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وغير ذلك من الإصدارات المتصلة بموضوع البحث.

### محاوَر البحث

- تحديد المفاهيم وتعريفها (العلم، العلوم الإنسانية والاجتماعية، سوسولوجيا العلوم).
- السياق التاريخي لسوسولوجيا العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- العلوم الإنسانية والاجتماعية والتحديات المعاصرة.
- المنظور السوسولوجي النقدي للعلوم الإنسانية والاجتماعية.
- الخاتمة والاستخلاص.

### أولاً. تحديد المفاهيم وتعريفها:

تحديد المفاهيم وتعريفها هو الخطوة المنهجية الأولى في الدراسات الإنسانية والاجتماعية؛ ذلك كونها مفاهيم ملتبسة وغامضة على الدوام، لأن موضوعها ذاته متحرك ومتغير باستمرار، وأشد الأخطار هو خطر الكلمات التي تستثير في أذهاننا جواهر أو ماهيات فكرية مشخصة زائفة تملأ التاريخ كائنات من الأسماء الكلية المختلفة التي لا وجود لها في الواقع. إذ أن المفاهيم لا توجد في فلك الأفكار ومدونات اللغات وحسب، بل هي كائنات تاريخية شديدة الارتباط بسياقاتها الاجتماعية الثقافية المشخصة، ولكل مفهوم مكان وزمان ولادة، وسياق نمو وتجربة وخبرة ممارسة، وعلاقات قوة، ونظام خطاب ومدونة لغة، وفضاء فكر وحساسية ثقافة، وحقل تأويل وشفرة معنى وأفق تلقي .. إلخ، ولطالما ونحن نستخدم مفاهيم محددة فمن المهم أن نحدد ماذا نقصد بها بالنسبة لأغراض بحثنا.

**مفهوم العلم Science:** بالنسبة للثقافة العربية مازال مفهوم العلم محاطاً بكثير من اللبس والغموض والتشويش، وذلك بسبب الخلط المضطرب بين الاستعمالات المختلفة للكلمة. يورد ابن منظور، "علم: من صفات الله عز وجل العليم والعالم والعلام .. والعلم نقيض الجهل، علم علما، ورجل عالم وعليم من قوم علماء" (ابن منظور، 2003 ط5). والعلم بمعنى (الفقه والتفقه)، فالعلم بالشيء هو الفقه فيه. والعلم بمعنى (اليقين)، وهكذا تعددت معاني كلمة (علم) في الثقافة العربية الإسلامية لتشمل حقولا كثيرة ودلالات مختلفة، منها: العلم بمعنى التأويل والإيمان، وقد ألمح ابن خلدون في تصنيفه للعلوم إلى "أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعليماً هي على صنفين: العلوم الشرعية النقلية والعلوم العقلية" (ابن خلدون ص432) وعلى الرغم مما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من إشارات إلى العلوم العقلية؛ مثل (تعليم الله آدم الأسماء كلها)، وتعليم (سيدنا داود استعمال الحديد)، وحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تأبير النخيل (أنتم أعلم بأمور دنياكم) إلا أن توبي أ. هف، ذهب إلى "أن بنية الفكر والعواطف في الإسلام في القرون الوسطى بشكل عام كانت ذات طبيعة جعلت طلب العلوم



العقلية وعلوم الأولين أمراً يثير الشكوك" (توبي أ. هف 2000، ص134) وفي عصرنا الراهن مازال الجدل محتدماً بشأن كلمات (العلم والعالم والعلماء) التي نطلقها على كثير من أنماط المعرفة لا يشملها مفهوم (Science) العلم بالمعنى المتواضع عليه في الاستيمولوجيا المعاصرة. كتب ريموند وليامز: "قد تبدو كلمة (Science) علم - الآن - بسيطة جداً، ولكنها خضعت لمسار تاريخي واجتماعي طويل حتى استقر معناها منذ منتصف القرن التاسع عشر حينما صرح عالم الكيمياء الإنجليزي هول عام 1840 معرباً عن قلقه بشأن معنى العلم والعلماء، قائلاً: "نحن في أمس الحاجة إلى اسم يصف من يدعي العلم Science بشكل عام بما يجعلنا نصفه بالاسم scientist عالم"، ويضيف وليامز: "بحلول عام 1867 تم العثور على الوصفة الواثقة الواعية المستوعبة لجدة الاستعمال والمعنى الذي منحه إياها الإنجليز بمعنى علم مادي وتجريبي مستبعداً الثيولوجيا والميتافيزيقا" (ريموند وليامز، 2005، ص 348). على هذا النحو اكتسب مفهوم العلم مساراً متعرجاً في تحولات المفهوم وسياقات المعنى؛ ففي بواكير العصر الوسيط "كانت الكلمة (scientia) تطلق على المعرفة النسقية المكتسبة بالدراسة المنتظمة، وقد استخدمها فرنسيس بيكون بمعنى المعرفة التي تضم التاريخ والفلسفة ومبادئ الأخلاق واللاهوت؛ تمييزاً لها عن كلمة (art) التي تعني فن بمعنى مهارة وحرفة" (طوني بينيت وآخرون، 2010، ص 1، ص 504) وقد ظلت الكلمة تطلق على حقل الدراسة النظرية النظامية حتى أواخر القرن التاسع عشر؛ إذ جرى استبعاد مجالات معرفية أساسية وأصلية مثل الفلسفة والأدب والتاريخ واللاهوت لينحصر معنى الكلمة على العلوم الطبيعية التجريبية (الفيزياء والكيمياء والأحياء) وهذا هو ما حفز عالم الاجتماع الفرنسي أوجست كونت إلى محاولة تأسيس علم اجتماع وضعي يستلهم منهج العلوم الطبيعية. وهكذا تم تصنيف العلوم في الاستيمولوجيا المعاصرة إلى: العلوم الطبيعية البحتة بوصفها علوماً حقيقية، والعلوم الإنسانية الاجتماعية وتأتي في المرتبة الثانية في سعيها إلى اكتساب جدارة المعرفة العلمية، والعلم هو نوع من المعرفة، لكن ليس كل معرفة علماً. ويذهب روبرت موتون إلى "أنه إذا كان مصطلح (علما) يعبر عن حقائق مختلفة للغاية، فإن علم اجتماع العلم يهتم بالصيغة التي ترى العلم بوصفه مجموعة قيم ثقافية تؤثر في النشاطات المعرفية أو (المصنفة) علمية" (ميشال دوبوا، 2008، ط1، ص54) وفي قاموس أكسفورد المختصر جاء: "العلم هو ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بنسق مترابط من الحقائق المبرهنة، بصيغة قوانين عامة، ومسلمات مستخلصة عبر طرق ومناهج موثوق بها، لاكتشاف الحقائق الجديدة في ذات التخصص" (أيان كريب 1999 ص 25) في ضوء ما تقدم ولأغراض هذا البحث يمكن تعريف العلم: بمنظومة الأفعال والأقوال التي يمارسها العلماء في بحث ودراسة الظواهر الطبيعية والإنسانية ومحاولة تفسيرها وفهمها والكشف عن حقائقها المحتملة على الدوام، وذلك باستعمال مجموعة من الطرق والأدوات المنهجية التجريبية والاستدلالية العقلانية بالتزام قيم معيارية موضوعية ومجردة قابلة للقياس والنقد والتقييم.

**مصطلح العلوم الإنسانية والاجتماعية:** مصطلح العلوم الإنسانية يتضمن العلوم الاجتماعية "فالكثيرون ومنهم كلود ليفي شتراوس، يطابقون بين مصطلحي (Human Science و Social Sciences). وترى يمني طريف الخولي " أن مصطلح العلوم الإنسانية الذي بدأ يسود في السنوات الأخيرة يبدو أصوب؛ لأن الإنسان هو المحور لهذا النمط من الدراسات" (يمني طريف الخولي 1990، ط1، ص10) وربما بدأ التمييز بين العلوم الاجتماعية والإنسانية على نحو جاد في السنوات الأخيرة، وهذا هو ما فعله عالم النفس الأمريكي جيروم

كيغان في كتاب الثقافات الثلاث؛ إذ حاول تحديد نطاق كل من العلوم الثلاثة: الطبيعية والاجتماعية والإنسانية في جملة من المحددات والسمات في قائمة بيانية أسماها (مقارنة الثقافات الثلاث من خلال تسعة من النطاقات). إذ حدد العلوم الاجتماعية بعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وعلوم اللغة وعلم السياسة وعلم الاقتصاد، أما العلوم الإنسانية فهي بحسب زعمه تضم الفلسفة والتاريخ والنقد الأدبي والجمالي والدراسات النسوية وعلم الأخلاق والدراسات الثقافية (جيروم كيغان، 2014، ص 21) تجدر الإشارة إلى أن جيروم صنف العلوم من منظور علاقتها بالمنهج العلمي؛ إذ "يتفاوت العلماء في درجة اعتمادهم على ثلاثة أنماط من الهياكل العقلية حال وصفهم أو تفسيرهم للظواهر أيًا كانت: المفاهيم والمعادلات الرياضية، وشبكات التعبير اللغوي، والوصف القائم على تنظيم المدركات الحسية" (جيروم كيغان، المرجع السابق، ص 169) وتلك هي الأدوات المنهجية التي يستعملها كل من أراد أن يشتغل بأحد العلوم الثلاثة.

في الواقع لا توجد حدود قطعية بين أنساق المعرفة العلمية الثلاثة، فجميع العلوم هي إنسانية في آخر المطاف بمعنى أنها من إبداع الإنسان ومن أجل سعادته، وربما كان التمييز بينها يأتي لضرورة منهجية. وبالخلاصة يمكن تعريف العلوم الإنسانية والاجتماعية بأنها: تلك العلوم التي تهتم بدراسة الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً وتضم العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية والاقتصادية، فضلا عن الفلسفة والأنثروبولوجيا والتاريخ والجغرافيا والسياسة والقانون والقيم واللغة والأدب والثقافة عامة.

**مصطلح سوسولوجيا العلوم:** مصطلح سوسولوجيا العلوم أو علم اجتماع العلم، تطور في الثلث الأخير من القرن العشرين عما كان يعرف بالإنستيمولوجيا أو فلسفة العلم وذلك أثر الثورة المفاهيمية التي شهدتها مطلع السبعينيات. ويعد روبرت مرتون المؤسس الضمني لهذا النسق المعرفي الجديد في كتابه (البنية المعيارية للعلوم 1942) (ميشال دوبوا، 2008، ص 26) هذا فضلا عن الآفاق الجديدة التي تفتحت على أيدي فلاسفة العلم ما بعد الوضعية، أمثال كارل بوبر وتوماس كون اميرى لاكاتوش وباول فيرابند؛ إذ شكل هؤلاء الأربعة معا بصياغات متنوعة معالم فلسفة العلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، وهذا ما أفضى إلى تغير ثورى في النظرة إلى العلم بوصفه صنعة إنسانية وإبداعاً إنسانياً، ونشاطاً إنسانياً، وفعالية إنسانية، ومغامرة إنسانية، أو كما أكد مارجوليس في كتابه، علم بغير وحدة: إصلاح ذات البين للعلوم الإنسانية والطبيعة "أن مشاريع العلم هي بصورة حاسمة إنجازات إنسانية، والصفة الجذرية للعلم بعد كل شيء أنه نشاط إنساني .. لذلك فكل العلوم هي علوم إنسانية من زاوية إنجازها الفعلي، فلا يمكن تعيين خصائصها بمعزل عن ملامح الثقافة الإنسانية والتاريخ الإنساني واللغة الإنسانية والخبرة الإنسانية والاحتياجات والاهتمامات الإنسانية" (يمنى طريف الخولي، 1990، ص 10). وهكذا يمكن القول إن تأكيد البعد السوسولوجي للعلم، ونسبية الحقائق العلمية، ومبدأ الكشف، وقوة الخيال والمغامرة، وأسبقية الفروض الحدسية وحيويتها قد أفضى إلى إعادة الاعتبار للعلوم الإنسانية والاجتماعية. ويقر بيير بورديو بفضل الأفكار التي طرحها توماس كون، بقوله: "إنني أنسب الفضل لتوماس كون، في أهم جزء قدمته فيما يتعلق بمنطق الممارسة والديناميات التي تحتويها. إذ قدم توماس كون نظرية في الممارسة العلمية تثير أكثر الأسئلة إشكالية بالنسبة لسوسولوجيا العلم، والمتعلقة بالتغير، كيف يحدث وما هي آلياته، وما هي الشروط التي ينشأ فيها العلم الجديد أو النموذج الجديد، وما هي التأثيرات الخارجية المفروضة على المجال العلمي (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، جوجل).

في ضوء ذلك يمكن لنا استخلاص تعريف مصطلح سوسيوولوجيا العلم ؛ بأنه ذلك الفرع المعرفي الجديد في الإستمولوجيا المعاصرة الذي يهتم بدراسة العلم بوصفه كلية مركبة من منظومة الفاعلين العلميين ونشاطاتهم وأدوارهم وعلاقاتهم وقواعد عملهم ومعاييرهم وقيمهم، وصراعاتهم وغاياتهم والعوامل المؤثرة في طبيعة نشاطاتهم ؛ أي بكلمة واحدة: دراسة العلم بعده مؤسسة اجتماعية مستقلة ، أو مجال مستقل بقواعد وشروط لعبته الخاصة بحسب بورديو.

ثانياً. السياق التاريخي لسوسيوولوجيا العلوم الإنسانية والاجتماعية: يصعب دراسة وتعيين العلوم الإنسانية والاجتماعية في الحقل الإستمولوجي الراهن بمعزل عن السياق التاريخي الثقافي لصيرورتها المعرفية الداخلية والمؤثرات والعوامل السوسيوولوجية الخارجية ، وربما كان النظر في تاريخ العلاقة العضوية بين العلوم الإنسانية وفلسفة العلم المعاصرة يوفر المزيد من الضوء لفهم واقع العلوم الإنسانية وأزماتها الراهنة ، وهذا هو مرادنا من هذا المدخل الجينالوجي الحفري في مقاربة المسألة ، وذلك على النحو الآتي:

أولاً. نشأت فلسفة العلم بمعناها الأنضج على يد عالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت (1798-1857) وكتابه (دروس في الفلسفة الوضعية) الذي حاول فيه تحرير العلم من اللاهوت والميتافيزيقا وتأملاتها المجردة ؛ ومن هنا جاءت دعوته إلى تأسيس (فيزياء اجتماعية) أي علم اجتماع وضعي يدرس المجتمع والظواهر الاجتماعية في حركتها وسكونها دراسة اختبارية وصفية كما هو الحال في العلوم الطبيعية (بيار ماشيري ، 1994 ط 1 ص 36). وقد جرى العرف منذ ذلك الحين على توصيف العلوم إلى العلوم الإنسانية التي تدرس الإنسان ، والعلوم الطبيعية التي تدرس الطبيعة (معاذ قنبر ، 2017).

ثانياً: تطوّر الاتجاه الوضعي في الفلسفة عبر مسارين متوازيين: الوضعية التجريبية على يد فلاسفة العلم أمثال: هنري بوانكاريه وإرنست ماخ وغيرهما حتى بداية القرن العشرين ، وهو اتجاه يرى أن المعرفة الجديرة بالقيمة والأهمية هي تلك المستمدة من التجربة الحسية التي يمكن اختبارها واقعياً بالملاحظة والتحقق. والوضعية المنطقية ، على يد موريس شيلك وفنجنتشتين وكارناب وغيرهم ، ويذهب إلى تصنيف المعرفة في صنفين: الأول يتضمن مقولات قد تكون صحيحة أو خاطئة اعتماداً على أشكالها المنطقية أو معناها ، وتسمى (تحليلية قبلية) ، والثاني يتضمن مقولات يمكن التحقق من صحتها أو خطأها فقط من خلال التجربة وتسمى (تركيبية بعدية) (ماهر عبد القادر محمد علي ، 1984 ص 19-30). أما على صعيد العلوم الإنسانية والاجتماعية فقد اكتسبت وضعية كونت تطورها اللاحق على يد بعض علماء الاجتماع ، أمثال دوركايم في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ومن سار على نهجه فيما عرف بالمدرسة الوضعية ، ويرى يان سبروك "أن سيطرة النزعة الوضعية في علم الاجتماع الفرنسي تجد تفسيرها ببساطة في تاريخ العلاقة بين علم الاجتماع والدولة الفرنسية" (يان سبروك ، 2009 ط 1 ص 14). وفي أمريكا ازدهرت النزعة الوضعية في علم النفس ، لاسمياً المدرسة السلوكية وعلم الاقتصاد وعلم الأثرولوجيا التجريبي ... الخ.

ثالثاً. أفضت الدعوة إلى تأسيس علم اجتماع وضعي ، إلى تعميق الهوة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ، وجعل هذه الأخيرة تشعر بعقدة نقص وعدم ثقة بذاتها. كتب عالم الاجتماع الإنجليزي إيان كريب: "إن السواد الأعظم منا - يقصد المشتغلين في العلوم الاجتماعية - لا يعرف إلا القليل عن العلوم الطبيعية ، ولكننا مع ذلك نعتبر أن علم الطبيعة النظري شيء جيد ؛ إذ يبدو أن لهذا العلم نتائج عملية وحتى لو علمنا

سلفاً أننا لا نستطيع استيعاب هذا العلم، فإننا نشجع أولئك القادرين عليه، وبالمقابل ننظر إلى العلوم الاجتماعية كما لو أنها ليس لها أي نتائج عملية، والأسوأ من ذلك الاعتقاد بأنها تتناول موضوعات نعرفها معرفة وثيقة هي حياتنا الاجتماعية وتحولها إلى هراء لا يفهم" (أيان كريب، المرجع السابق ص 23).

رابعاً. في النصف الثاني من القرن العشرين شهدت فلسفة العلم باتجاهاتها (ما بعد الوضعية) ثورة منهجية نقدية كبرى، وذلك في إثر الانتصار الذي أحرزته النظرية النسبية والكوانتم في الفيزياء، كان أبرز ممثليها كارل بوبر وتوماس كون وأمرى لاكاتوش وفيرابند. وعلى الرغم من نقاط الاختلاف بينهم فإنهم جميعاً اتفقوا على نقد الوضعية التقليدية ونزعتها العلموية المتطرفة، وأكدوا خطأ الفصل والتمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية فيما يتصل بالمنهج والجدارة والأهلية المعرفية فضلاً عن القيمة والأهمية الاجتماعية. هكذا كتب كارل بوبر "منذ سنوات عديدة وأنا ناقد لما يسمى علم اجتماع المعرفة...ومن بين ما تصدت له معتقد مانهايم بأن ثمة اختلافاً جوهرياً بين العالم الاجتماعي والعالم الطبيعي أو بين دراسة المجتمع ودراسة الطبيعة فيما يتعلق بالموضوعية... وفي مواجهة هذا شددت على أن الموضوعية في العلوم الطبيعية والاجتماعية لا تقوم على حالة الحياد العقلي لدى العلماء بل فقط على واقعة هي عمومية وتنافسية المشروع العلمي، ومن ثم على جوانب اجتماعية معينة له؛ إذ إن ما يغيب عن علم اجتماع المعرفة هو سوسولوجية المعرفة، السمة الإنسانية أو العمومية للعلم، أن الموضوعية تقوم على النقد العقلاني المتبادل، وليس علماء العلوم الطبيعية ذوي عقول أكثر موضوعية من عقول علماء الاجتماع ولاهم نقديون أكثر منهم... ويضيف أن أصل هذا الخطأ ناجم عن تصور خاطئ لمناهج العلوم الطبيعية، وحالما نظفر بتفهم سليم لمناهج العلوم الطبيعية نستطيع أن نرى مساحة واسعة من التشارك بينها وبين مناهج العلوم الاجتماعية" (كارل بوبر، 2001). وهذا ما كان قد أدركه سابقاً الفيلسوف الألماني فيلهلم دلتاي (ت 1911)؛ إذ أشار إلى "أن العلوم الإنسانية مازالت تقتقر إلى تصور واضح ومتفق عليه عن أهدافها ومناهجها المشتركة والعلاقات بينها... في حين أن العلوم الطبيعية تزداد منزلتها ومكانتها نمواً واطراداً بما نطهها في الرأي العام مثلاً أعلى للمعرفة العلمية ليس بمقدور العلوم الإنسانية بلوغه" (نادر العساوي، 2011).

خامساً: تميزت الحقبة المعاصرة بتزايد الوعي بأن العلم هو محاولات في مواجهة المشكلات والبحث عن حلول لها، وليس بمقدور منهج علمي واحد معالجة المشكلات التي تواجه الإنسان في حياته، بل إن طبيعة المشكلة هي التي تستدعي المنهج المناسب، وإذا كانت العلوم الطبيعية تعتمد (التفسير) منهجاً في بحث ودراسة موضوعاتها فإن العلوم الإنسانية تتوسل نموذج (الفهم)، كما اقترح عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر "نموذج منهج الفهم بدلاً عن التفسير في دراسة الظاهرة الاجتماعية (جولييان فروند، 1976، ط 1، ص 57). هذا النموذج ازدهر في ألمانيا عند دلتاي وسميل ومدرسة فرانكفورت النقدية وفي البنيوية الفرنسية والماركسية الجديدة إلى نظرية التفاعلية الرمزية المعاصرة (بيير بورديو، 2002، ط 1، ص 20) كما هو واضح أفضت المنظورات النقدية الجديدة في فلسفة العلوم إلى تغيير النظرة الكلية بشأن الظاهرة العلمية عامة والعلوم الإنسانية خاصة، وإذا كانت أعمال بوبو قد لعبت دوراً محورياً لذلك لكونها مهدت السبيل لانطلاق إسهامات متعددة جاءت في أعقابها، وهذا ما أشار إليه أنطوني جدنز بقوله: "إن المناقشات في مجال فلسفة العلوم الطبيعية كان لها دلالتها المباشرة بالنسبة للمشكلات الابدستيمولوجية في مجال العلوم الاجتماعية")

انتوني جينز ، 2000، ط1، ص75). وربما كان توماس كون هو أكثر الفلاسفة أثراً في العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة؛ إذ "إن ما هو مشترك اليوم هو الإشارة إلى التأثير الفكري لتوماس كون في عملية تنويع توجهات هذا الفرع - نقصد (فرع سوسولوجية العلم المعاصر) - إذ ظهر كتاب بنية الثورات العلمية 1962م وتحول بسرعة إلى موضوع لمجالات كثيرة. وقد تحمس له مرتون في رسالة إلى توماس كون في 13 ديسمبر 1962 يُطري فيها عمله قائلاً: "إنك تجمع المعنى العميق لطبيعة العمل العلمي، وأشكال التطور التاريخي للعلم، والعمليات السوسولوجية المؤثرة تأثيراً مباشراً في هذا التطور" (ميشال دوبوا، المرجع السابق، ص 71). ولما كان علماء الاجتماع والإنسانيات يعتقدون - عن حق - بأنهم يمارسون العلم، وأنهم ينتهون إلى (شريحة العلماء)، وأن مناهجهم ونظرياتهم ونتائجهم ومعاييرهم ليست فقاعات صابون، بل ثمرة لجهود مضنية من الدرس والتعلم والتأمل والبحث والتقصي. نقول لها كانوا يعون ذاتهم على هذا النحو فمن المؤكد أن قراءتهم توماس كون وغيره من فلاسفة العلم قد أدخلهم في أتون أزمة نفسية ومعرفية عميقة؛ إذ راحوا يطرحون الأسئلة من جديد عن طبيعة عملهم وطائفتهم، ومناهجهم، وحقائقهم، وعن كل شيء يتصل بوضعهم. وهذا هو ما ألمح إليه ألفن جولدنر في كتابه، الأزمة القادمة لعلوم الاجتماع الغربي، إذ أشار إلى أن توماس كون فتح أبعاد العلماء على رؤية أنساقهم المألوفة ومسلمااتهم وعاداتهم ومفاهيمهم في ضوء نموذج جديد وأطر إدراكية مختلفة؛ إذ جعلهم يستيقظون من سباتهم المدرسي وأخذوا ينظرون إلى عوالمهم بعيون وبصيرة نقدية جديدة" (أيان كريب، المرجع السابق، ص. 65) وفي السياق ذاته يذهب فيلسوف العلم ميشيل بولاني إلى تأكيد الطابع الشخصي للمعرفة العلمية، "فصحيح أن العلم الطبيعي يبحث في عالم فيزيقي لا شخصي، إلا أنه ذاته نشاط ذو سمة شخصية، فلا يمكن تتبع نمو المعرفة العلمية إلا كسلسلة من أفعال أشخاص معينين وإنجازاتهم وأحكامهم وكشوفهم وخيالاتهم وحدوسهم، والعلم لا يعمل في فراغ مطلق، بل يفلح أرضاً مهدتها الثقافة السائدة أو تركتها صعيداً بلقياً" (يمنى طريف الخولي، المرجع السابق، ص450) على هذا النحو يمكن لنا تتبع تيار الاتجاه النقدي في الاستيمولوجيا المعاصرة الذي أخذ يشق طريقه باضطراد منذ كارل بوبر حتى بلغ أقصى مدياته مع فيلسوف العلم الأمريكي باول فيرابند في كتابه المثير للجدل (ضد المنهج: مخطط تمهيدي لنظرية فوضوية في المعرفة) إذ أكد "أن العلم لم يكن أبداً أسير منهج واحد محدد، بل هو مشروع حر لا يخضع لأي سلطة، وكل المناهج يمكن أن تجدي فيه، العلم ليس نظاماً معرفياً مقدساً يستلزم الكفر بكل ما عداه أو خالفه؛ إنه نظام عقلائي يجب أن ينمو ويزدهر وسط الأنظمة المعرفية الأخرى بدون قيد أو شرط، وينتهي فيرابند إلى أنه لا فرق بين مناهج العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية" (يمنى طريف الخولي، المرجع السابق، ص458). وهكذا أفضت النظرة النقدية إلى تأكيد البعد السوسولوجي للمعرفة العلمية، ونسبيتها وطبيعتها الإنسانية، فضلاً عن كونها أعادت الاعتبار للعلوم الاجتماعية والإنسانية بوصفها علوماً جديرة بالقيمة والثقة والتقدم (تريפור بنش، 1990 ص37) وهذا ما أكده عالم الاجتماع الروسي الأصل الأمريكي الجنسية، بيتريم سوروكين، في كتابه (الديناميات الاجتماعية والثقافية، 1985).

في ضوء ما تقدم يمكن إجمال الموقف بالنقاط الآتية:

أولاً. النزعة النقدية الجذرية لكل المطلقات والمقدسات والمسلمات والبداهيات الحدائية التنويرية، والتشكيك بكل المفاهيم والقيم والمؤسسات التي قامت عليها الحدائية: مفاهيم العقل، والعلم، والتقدم، والنظام، والتاريخ، والقومية، والدولة، والقانون الحتمية، واليقين، والحقيقة، والموضوعية، والذات والموضوع والكم والكيف...إلخ.

ثانياً. هدم الثنائيات الكلاسيكية (الذات - الموضوع، العلم - اللاعلم، المنهج - النظرية، الدال - المدلول، العقل - الانفعال، المادي - المثالي، الواقعي - الافتراضي، الأنا - الآخر...إلخ) فأحلت النسبية محل الحتمية، والشك محل الوثوق، واللايقين محل اليقين، والتعددية محل الواحدة، والحكايات الصغرى محل الحكايات الكبرى، والوسائل محل الغايات، والتمثيل محل الواقع، والرغبات محل الضرورات، والملاذات الحسية الفورية محل القيم العقلانية، والتفكيك محل التنسيق، والصورة محل الأصل...إلخ(ديفيد هوكس، 2000 ط1 ص5).

ثالثاً. ظهور أنماط جديدة من الظواهر والمشكلات الإنسانية والاجتماعية، وسرعة تحولها إلى مشكلات عالمية، كمشكلة سباق التسلح والحروب والأمن والسلام الدوليين، ومشكلات البيئة الأرضية والأوزون، وصدام وحوار الحضارات، ومشاكل الاقتصاد والتجارة والمال والأعمال العابرة للقارات. ومشاكل الفقر والصحة والمرض، ومشكلة التطرف والإرهاب والعنف، ومشاكل الهويات الطائفية والتعددية الثقافية، والأقليات والتمييز والتعصب والاستبعاد الاجتماعي، والهجرة غير الشرعية والاندماج، والمخدرات ومشكل الفساد والبطالة والحركات الاجتماعية والثورات، وقضايا حقوق الإنسان والمرأة والطفل والشباب، وكل ما يتصل بالحقوق المدنية، ومشاكل التربية والتعليم والجودة والاعتماد الأكاديمي، ومشاكل السياسة والنظم السياسية والعدالة والحرية والديمقراطية والمجتمع المدني والعدالة الانتقالية. والمشكلات الأخلاقية للعلم؛ كالاستنساخ، وزراعة الأعضاء، ومنع الحمل، ومشاكل الفضاء السيبرنتي والأقمار الاصطناعية والوسائط الإعلامية والتواصلية الجديدة أو ما سماها الفيلسوف الإيطالي لوتشيانو فلوريدي، أستاذ فلسفة وأخلاقيات المعلومات في جامعة أكسفورد، بالثورة الرابعة؛ كيف يعيد الغلاف المعلوماتي تشكيل الواقع الإنساني. "من نحن، ومن نصبح، وما الذي يمكن أن نكونه عندما يتزايد ما نقضيه من وقتنا في الإنفوسفير؟" (لوتشيانو فلوريدي، 2017، ص132). كل تلك المتغيرات والتحويلات التي طالت كل مناحي الحياة الإنسانية والاجتماعية للعالم الراهن أفضت إلى إدخال الأبتيمولوجيا الإنسانية في حالة أزمة منهجية ونظرية وتحديات حاسمة. وهذا هو ما سوف نعالجه لتونا.

### ثالثاً. العلوم الإنسانية والاجتماعية والتحديات المعاصرة

على مدى العقود الماضية واجهت العلوم الإنسانية والاجتماعية ومازالت، تحديات وأسئلة ومشكلات لم تشهد مثيلاً لها في تاريخها الطويل، وهذا ما يشف عنه القلق المتزايد الذي أخذ ينتاب علماء الإنسانيات والاجتماع في المجتمعات الغربية، بعد أن أحسوا بعجزهم إزاء ما يشهدونه من تحولات وظواهر جديدة لا عهد لهم بها، وليس بمقدور نماذجهم المعرفية التقليدية الإحاطة بها وفهم دلالاتها. كتب عالم الاجتماع الفرنسي جوفاني بوسينو: "إذا كان من الواجب تمييز علم الاجتماع في الأربعين سنة الأخيرة بكلمة واحدة فإن (كلمة) انقلاب هي التي تفرض نفسها بالتأكيد، فمنذ أواخر سبعينيات القرن العشرين بدأت الوظيفية ومعتقدات

وتأكيدات أخرى تتمزق، وبدت كل التحليلات والتنبؤات المتعلقة بالواقع التاريخي الاجتماعي التي غذت تفكيرنا ووجهت بحوثنا حينذاك حشوية وخادعة، وأدى عجزنا عن تفهيم وتفسير انبثاق الجديد والمختلف والمغاير والآخر... ويات وجودنا ونشاطنا من الآن فصاعد باطلاً وغير مفيد.. وبدون جدوى؛ إذ تحطمت فكرة الجماعة التي كانت تمنحنا هويتنا المهنية، ودورنا ومقاييسنا العلمية وآمالنا ومشاريعنا... وأدركنا أن مجرى التحولات الجديدة والتغيرات السريعة قد جردتنا من كل أدواتنا وأطرنا المرجعية التقليدية. ويخلص بوسينو إلى التساؤل: (هل هو إفلاس العلوم الاجتماعية وموت علم الاجتماع وبطلان كل نماذج معرفتنا للشأن الاجتماعي؟) مجيباً: إني لا أعرف الإجابة وكل ما أعرفه أن العقل الغربي هزته أزمة عميقة، يصعب تحديد طبيعتها وعمقها ومداه ونواتجها" (جيوفاني بوسينو، 1995، ط1، ص18) وفي السياق ذاته جاءت صرخة بول فيين؛ إذ كتب تحت عنوان فرعي، (توعك السوسولوجيا) قائلاً "ليس سراً على أحد أن السوسولوجيا تعيش اليوم متوعكة، وأن أفضل رجالها بل ومعظمهم لا يأخذون على محمل الجد إلا العمل الامبريقي التجريبي... ويايجاز فالسوسولوجيا ليست ككلمة إلا جناساً (اتفاق الحروف واختلاف المعنى) وأن كتابة تاريخ السوسولوجيا من كونت ودوركايم إلى فيبر وبارسونز ولأزار سفلد، ليست بمثابة كتابة تاريخ فرع متخصص من العلوم، بل تاريخ كلمة، فلا وجود بين أحد هؤلاء المؤلفين والآخر أي استمرار في الأسس والمنطلقات والموضوعات والمقاصد أو المناهج، فليست السوسولوجيا بالتعريف فرعاً علمياً متخصصاً، فرعاً متطوراً، ولا وجود لاستمراريتها إلا بواسطة اسمها الذي يقيم صلة لفظية بحتة بين أنشطة عقلية لا صلة بينها" (بول فيين، 1993، ط1، ص194) في الواقع لقد طالت الأزمة أنساق العلوم الإنسانية الغربية كلها، وانتشرت كالنار في الهشيم في مختلف الدوائر الفكرية والأكاديمية الأورأمريكية، فعلى صعيد الدراسات التاريخية كتب المؤرخ الإنجليزي جفري باراكلاف من جامعة أكسفورد تحت تأثير الإحساس العميق بالأزمة: "إننا مهاجمون بإحساس من عدم الثقة، بسبب شعورنا بأننا نقف على عتبة عصر جديد لا تزودنا فيه تجاربنا السابقة بدليل أمين لسلوك دروبه، وإن أحد نتائج هذا الموقف الجديد هو أن التاريخ ذاته يفقد - إن لم يكن قد فقد - سلطته التقليدية ولم يعد بمقدوره تزويدنا بخبرات سابقة في مواجهة المشكلات الجديدة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً منذ آدم حتى اليوم" (تيدور هيومور، 1989 ص260). وقد بلغ هذا الموقف المتشكك بلا جدوى التاريخ والمعرفة التاريخية عند المؤرخ الأمريكي دافيد رونالد، من جامعة هارفارد، حد الاستفزاز والتحدي في كتابه، تاريخنا بلا أهمية، أعلن فيه "أن التاريخ يظهر مقدار ضعفنا في مواجهة الحاضر وأنا لا نتعلم من أخطاء الماضي، وما أقل تأثيرنا في ما ينزل بنا من أحداث، وما أشد عجزنا في قبضة قوى أساسية هي التي تشكل الوجود الإنساني" (تيدور هيومور، المرجع السابق ص261). ويمكننا تتبع هذا الإحساس القلق بحالة الأزمة عند عدد واسع من علماء الإنسانيات من مختلف الأنساق المعرفية، فهذا عالم الاجتماع التربوي مالكهولم توبلز يقر بذلك حيث يقول: "إننا نعيش في زمن تتسارع فيه التحولات الاجتماعية وتغير فيه المعارف بسرعة مضطربة، بحيث غالباً ما تصبح فيه الكتب قديمة قبل خروجها من المطبعة، ويات من الضروري إعادة النظر في استراتيجيات التربية والتعليم وأهدافها بما يتواكب مع تلك المعطيات الجديدة" (أوليفيه ربول، 1986، ط3، ص30). وتكشف تلك النصوص طبيعة الأزمة وقوة أثرها الصادم عند علماء الإنسانيات الغربيين وكيفية تعاملهم وفهمهم لها؛ إذ رغم إقرارهم بوجودها فإنهم يختلفون في تأويلها، فهذا أولفين توفلز يقر بوجود

الأزمة إلا أنه يرى فيها بشارة ميلاد جديد لحضارة جديدة، إذ كتب: "إن التغيرات السريعة التي نلاحظها في عالم اليوم ليست بهذه الدرجة من الفوضوية والعرضية، التي يهيئنا لتصديقها، بل إن وراء الأحداث المعروضة بعناوين كبيرة، جملة من البنى ليست ملحوظة وحسب، بل هناك قوى يمكن تحديدها وهي التي تتحكم في تلك البنى وتبني صورتها،... اليوم تواجه البشرية فقرة هائلة إلى الأمام، تواجه أعمق فورانا اجتماعيا، وأشمل عملية إعادة بناء في التاريخ، ونحن اليوم مندمجون في بناء حضارة جديدة متميزة بدءاً من البداية، وإن كنا غير واعين تماماً لهذه الحقيقة وهذا ما نعنيه بحضارة الموجة الثالثة" (قاسم المحبشي، 2008). وبغض النظر عن تأويلات الأزمة، يهمننا التأكيد أن ثمة اتفاقاً بين معظم الفلاسفة والعلماء على أن المجتمع الإنساني الراهن يعيش لحظة تحول سريعة ومضطربة تصيب الإنسان بالذهول وتتحدى قدراته على الفهم والحكم والتمييز "إذ سرعان ما تأنكل الكلمات في محاولة التعبير عن هذا العالم المنبتق حيث الحركة هي القانون والرجوع إلى الماضي لا يسعف كثيراً في فهم هذا الزمان، فهناك كثير من المستجدات التي توهن العزم على الاستعانة بالمماثلة وأن المشكلات التي تراكمت في أواخر القرن العشرين جعلت العالم يبدو للإنسان وكأنه تيه" (جورج بالانديا، المرجع السابق، ص3). وسط هذه الأزمة العاصفة وقف علماء الإنسانيات أمام خيارين لا ثالث لهما: إما التشاؤم والقنوط واليأس والعجز، وإما التفاؤل والتفكير والمبادرة باتخاذ موقف نقدي جذري من كل شيء؛ نقد الذات ونقد التصورات ونقد التاريخ والتراث والمجتمع والحياة ونقد نظرياتهم ومناهجهم وأدواتهم وتصحيحها في ضوء المتغيرات وما تحمله من معطيات وممكنات إبستمولوجية جديدة. وهذا ما تم فعلاً؛ إذ مثلت سنوات الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي لحظة تحول حرجة للعلوم الإنسانية والاجتماعية في مواجهة السؤال الجوهرية: "كيف يمكن جعل مرحلتنا المفصلية بين مجتمع الأمس الآخذ بالزوال وبين المجتمع الآخذ في الانبثاق قابلة للتعلق والإدراك؟" (يان سبورك، المرجع السابق، ص12). وإذا ما حاولنا رصد أبرز ملامح أزمة العلوم الإنسانية ومخاضات تحولاتها في الإبستمولوجيا المعاصرة فيمكننا اجمالها بالنقاط الآتية:

أولاً: شهدت الإبستمولوجيا الإنسانية المعاصرة أكبر ثورة نقدية في تاريخها؛ إذ لأول مرة في تاريخ العلم ينسب الإنسان ومشكلاته الاجتماعية موضوعاً كلياً ومحورياً للفلسفة والعلوم الإنسانية؛ إذ شكل الإنسان سؤالاً رئيساً لمعظم المدارس والاتجاهات الفلسفية المعاصرة (الفينومولوجية والوجودية والشخصانية والحيوية والماركسية الجديدة والتحليل النفسي والهمنطيقيا، والأنثروبولوجيا والتفكيكية، والسمولوجيا وفلسفة اللغة وفلسفة الجسد.. الخ).

ثانياً: شهدت المعرفة الإنسانية والاجتماعية فضلاً غنياً من الرؤى والأفكار النقدية في سلسلة مضطردة من البحوث والدراسات النظرية النقدية، فضلاً عن اتساعها الأفقي في ارتياد مجالات وحقول وموضوعات جديدة لم تألفها في ماضيها الكلاسيكي من ذلك: الدراسات الثقافية والنقد الثقافي التي تنضوي على طيف واسع وشديد التنوع من المواضيع والمشكلات (دراسات المرأة والهيمنة وما بعد الكونيالية وسوسولوجيا الصحة والمرض، وسوسولوجيا الإعلام والتواصل والاتصال وأخلاقيات العلم والتكنولوجيا، والأنثروبولوجيا الثقافية والتعددية والهوية، وقضايا حقوق الإنسان وغير ذلك).



ثالثاً: الحضور المتزايد لخطاب العلوم الإنسانية والاجتماعية على الصعيد العالمي واتساع نطاق انتشارها وتمكينها وتوطئتها أكاديمياً وثقافياً وإعلامياً في مختلف المجتمعات والبلدان وتخصيبتها (بالخطابات البديلة) التي أخذت تنتشر في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، عبر فتح المزيد من المؤسسات الأكاديمية ومراكز الأبحاث والدراسات المتخصصة الرسمية والمهنية (سيد فريد عطاس، 2010، ص14) هذا فضلاً عن قيام الهيئة العامة للأمم المتحدة (اليونسكو) بإصدار العديد من القرارات والتوصيات والتقارير التي شددت على ضرورة نشر العلوم الإنسانية والاجتماعية وتميئتها في جميع الدول الأعضاء لأهميتها الحيوية في التصدي للمشكلات النوعية المتزايدة. "لا يزال للعلوم الاجتماعية الغربية أكبر تأثير على المستوى العالمي. لكن نطاق هذا المجال يتسع بسرعة في آسيا وأمريكا اللاتينية، لاسيما في الصين والبرازيل. وفي إطار أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، ينتج العلماء الاجتماعيون في جنوب أفريقيا ونيجيريا وكينيا 75% من المنشورات الأكاديمية. ويحتل مجال العلوم الاجتماعية ككل مرتبة متدنية في سلم الأولويات في جنوب آسيا، باستثناء عدد من مراكز الامتياز في الهند" (غودموند هيرنز وآخرون، 2010).

رابعاً: إعادة تعريف وتصنيف العلوم الإنسانية تعريفاً نقدياً جديداً في ضوء المداخل السوسولوجية المعاصرة بما فتحته من آفاق منهجية واستبصارات نقدية بالغة الأهمية في دراسة وفهم العلم عامة والعلوم الإنسانية تحديداً، إذ شهد التاريخ الداخلي (الأبستمولوجيا) في العلوم الإنسانية والاجتماعية أعمق ثورة نقدية في تاريخها، وهذا ما أفضى إلى إعادة تنظيمها، بنويماً ووظيفياً أفقياً وعمودياً، إذ لم بات العلم الإنساني يتفرع إلى عدد لا يحصى من الانساق التخصصية، ولم يعد من الممكن اليوم الحديث عن علم النفس بوصفه فرعاً علمياً واحداً، بل تفرع إلى مئات التخصصات النفسية الدقيقة، وهذا هو الحال في علم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم السياسة وعلم الثقافة وعلم الفلسفة... الخ. كتب ايان سبورك قائلاً: "من أجل فهم التعددية السوسولوجية المعاصرة يتم التمييز بين أربعة نماذج لعلماء الاجتماع: المتدّهن أو المنظر، والأكاديمي الرسمي، وعالم الاجتماع الاستعراضى الإعلامى وأخيراً الخبير" (يان سبورك، المرجع السابق، ص 136). فضلاً عن التشديد المتزايد على ضرورة ردم الهوة بينها وبين العلوم الطبيعية.

#### رابعاً: المنظور السوسولوجي النقدي والعلوم الإنسانية والاجتماعية

على مدى السنوات الماضية تم تطوير عدد من المنظورات النقدية الجديدة في سوسولوجيا العلم المعاصر، بوصفها أدوات منهجية فاعلة في دراسة وبحث ظاهرة المعرفة العلمية، ولما كان موضوع بحثنا هو تعيين (راهن العلوم الإنسانية والاجتماعية وتحدياتها المعاصرة) فمن الأولى بنا التعرف على أهم مداخل السوسولوجيا النقدية في دراسته وفهمه، بالاستفادة من بعض النماذج المنجزة في سوسولوجيا العلم المقارن، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: مدخل الباراداييم أو نموذج الرؤية الكلية: وهذا هو المنظور الذي صاغه فيلسوف العلم المعاصر، توماس كون والذي أثبت من خلاله، أن مسألة نمو العلم وتقدمه وازدهاره ليست مسألة علمية، بل تتعين في تلك المجالات الواقعة خارج العلم؛ حيث يتأمل البشر طبيعة الكون والتاريخ والمجتمع والإنسان بأعمق معانيها وأشدها غموضاً، وحيث يخلق الخيال الإنساني المؤسسات التي تسمح للأفراد بالاستمتاع على الدوام بالفضاءات المحايدة أو الأطر الميتافيزيقية والثقافية الأوسع التي تجري ضمنها أنماط العلاقات والممارسات

والخطابات التي تتشكل في سياقها تصورات الإنسان عن ذاته وعن عالمه وعن الآخرين تشكيباً عميقاً ، وهذا هو معنى الثقافة بعدها منظومة كلية مركبة من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نملكه أو نفضله كأعضاء في المجتمع ، فالثقافة السائدة في حضارة ما بوصفها نموذجاً إرشادياً (باراديم) إما أنها تدعم قوى الإنسان العقلية والإبداعية أو تحد منها وتضيق فرص نموها وازدهارها ( توماس كون ، 2007م ط1 ، ص 75) و" كلمة ثقافة تطلق مجازاً على الجهد المبذول في سبيل تحسين العلوم والفنون وتنمية القدرات الفكرية ومواهب العقل والذكاء"(شالتية،فرانسو ، 1981) وهي بهذا المعنى تتميز بجملة من السمات منها: 1- التهيؤ: كما هو الحال في التربية البدنية التي تهتم ليس بتمرين عضو معين من أعضاء الجسم ، بل بتمرين وتهيئة الجسم كله وإكسابه اللياقة اللازمة للممارسة. والثقافة بوصفها استراتيجية للتنمية العقلانية المستدامة ، تمنح الأفراد القدرة على استعمال جميع المعارف والمهارات المكتسبة لمجابهة الأوضاع المختلفة وحل المشكلات الجديدة ؛ أي تمنحهم (الذكاء العاطفي) إذ (هي ما يبقى بعد نسيان كل شيء) 2- الاستيعاب: بمعنى استخدام المعرفة وتجريبها ذاتياً ؛ لأن المرء لا يستطيع أن يتصرف بمعرفة ما إلا عندما يستوعبها ويجسدها في حياته (لغته وذهنه وقيمه وخبراته) 3- الشمول بمعنى القدرة على الربط العميق بين المعارف المستوعبة والموضوعات والقضايا التي تبدو متباعدة ، والنظر إليها برؤية كلية. 4- الحكم: بمعنى القدرة على التجريد واتساع الأفق الذي يعني في العلم (الحلم) وفي الفن (الدوق) وفي الأخلاق (الضمير) وفي الحياة (الفهم). وهذا هو (كل) ما يمكن انتظاره من الثقافة ، وبدون هذا (الكل) لا وجود لشيء جدير بالقيمة والاعتبار(اولفيه ربول ، المرجع السابق ، ص6) على هذا النحو يمكن فهم أهمية ودور الثقافة في تخصيب وإنجاب وتنمية التفكير العلمي وتمكينه في المجتمع ، وربما كان ماكس فيبر يقصد هذا المعنى حينما اشار إلى "إن الاعتقاد بقيمة الحقيقة العلمية لا يستمد من طبيعة العلم ذاته ، بل هو نتاج سياقات ثقافية واجتماعية تاريخية متعينة"( نظرية الثقافة ، 2014 ، ط1 ، ص11).

ثانياً. مدخل الدور الاجتماعي للعالم: يرى بعض العلماء أن النقطة المركزية في دراسة نمو العلم تتصل بوجود دور العالم المعترف به والمقدر تقديراً إيجابياً في ثقافة المجتمع المعني ، وهذا معناه أن المشتغلين في العلم ليسوا أشخاصاً معزولين عن مجتمعهم ، بل هم فاعلون ثقافيون يعتمد وجودهم واستمرار نشاطهم على شبكة واسعة من الدعم والإسناد المؤسسي على شكل فرص للتعليم والبحث العلمي وقنوات لمناقشة نتائج أبحاثهم ونشرها ، والتقبل والاعتراف الاجتماعي الضمني بهم بصفتهم علماء يحظون بالقيمة والتقدير الإيجابي في مجتمعهم. وأخيراً الجزاءات التي ينالونها مقابل القيام بأدوارهم المتعددة ، دور المعلم أو الأستاذ ودور الباحث العلمي ودور العضو في القسم العلمي ودور المدير أو العميد الإداري، ودور المناقش أو المحكم العلمي في رياضة الأبحاث والأطاريح العلمية أو حارس البوابة. يعد مدخل الدور الاجتماعي للعالم من أهم الأنساق المفتاحية في سوسولوجيا العلم المعاصر ، انطلاقاً من الفكرة الأساسية التي تقول : بأن لا سلطة اجتماعية إلا بوظيفة ولا دور اجتماعي إلا بسلطة. إذ "أن استمرار نشاط اجتماعيا ما على مدى فترات زمنية طويلة ، بغض النظر عن تغيير ممارسي هذا النشاط ، يعتمد على ظهور أدوار اجتماعية لتمكين استمرار وترسيخ ذلك النشاط وقيمه ، وعلى فهم فئة اجتماعية لهذه الأدوار وتقييم المجتمع الإيجابي لها ؛ أي منحها مشروعية وقيمة مقدرة خير تقدير"(توبي أ. هف ، المرجع السابق ، ص31). ومعنى الدور هو "ما يتوقع من شخص و عدة أشخاص

بوصفهم ( جماعة منظمة ) القيام به مؤسسيا بصفتهم أعضاء فاعلين داخل الأنساق المختلفة للمؤسسة المعنية ، وبهذا المعنى يختلف (الدور) عن (الوضع) كما ذهب جوزيف بن دافيد في كتابه (دور العالم في المجتمع)؛ إذ إن الوضع يشير إلى الجزاءات التي ينالها هؤلاء الفاعلون لقاء القيام بأدوارهم ، وهكذا فإن مصطلح (دور) يحدد الوظيفة ومصطلح (وضع) يحدد الموقع التراتبي لوحدة ما في نسق اجتماعي " (ميشال دوبوا ، المرجع السابق ، ص 93) ويرى زنانبيكي أن الشخص الذي يقدر له إنتاج المعرفة يمارس أدوارًا متعددة ومتكاملة منها: "دور الباحث ، ودور المدرس ، ودور الإداري ، ودور المشرف العلمي ، أو حارس البوابة) (قاسم المحبشي ، في دور حارس البوابة ، ومعايير التحكيم العلمي في الوطن العربي ، 2017 ، شبكة ضياء) ولكل دور من هذه الأدوار قيمه ومعاييرها المحددة بشفافية" (ميشال دوبوا ، المرجع السابق ، ص 127) وهكذا يصف الدور الاجتماعي للعالم: مجموع الوظائف النسقية المعترف بها اجتماعياً بوصفها وظائفاً وأدواراً مشروعة ومقدرة اجتماعياً حوّل لفئة من أفراد المجتمع النهوض بها ، والتي بفضلها منحوا اسمهم وصفتهم المهنية (علماء) لقاء ممارستهم نشاطاتهم وفق معاييرها وقيمتها المهنية الخاصة بصفتهم جماعة أو مؤسسة علمية ، والتي لا يكون المرء عالماً إلا بها. وربما كان غياب هذا الدور في الثقافة العربية الإسلامية سبباً من أسباب تخلف الإنسان والمجتمع ومن ثم تخلف العلم عامة والعلوم الإنسانية والاجتماعية خاصة ، ومن منظور العلاقة الجدلية بين المعرفة والسلطة ، فمن المحتمل أن غياب دور العلماء وتهميش قيمتهم ومكانتهم الاجتماعية في المجتمعات العربية الإسلامية التقليدية بالقياس إلى الحضور الطاغي لفئات اجتماعية أخرى أمثال: المشتغلين في مجالات الايديولوجيا السياسية والسلطة والفقهاء ووعاظ السلاطين والعسكريين وشيوخ القبائل وزعماء الطوائف وغيرهم من النخب التقليدية الذين مازالوا يشغلون ادوارا اجتماعية باللغة التأثير والنفوذ ويتمتعون بقيمة ومكانة اجتماعية عالية ومقدرة خير تقدير ، في حين ان المشتغلين بالمعرفة العلمية والمؤسسات الأكاديمية مازالوا يعانون من عدم الاعتراف بدورهم الاجتماعي والمهني. وهذا يعبر عن تدني الوعي العام بقيمة الإنسان وحقوقه الأساسية بوصفه معياراً وهدفاً وغاية للتنمية المستدامة ، كما أشار امارتيا صن "أن حرية الإنسان هي الغاية والهدف الأسمى لكل تنمية ممكنة ، ذلك أن الحرية تعني المقدرة على الفعل والاختيار و التفكير والإبداع" ( امارتيا ، صن ، التنمية الحرة ، مجلة عالم المعرفة الكويتية ، العدد312 ص45) وحينما يصبح العلم مؤسسة اجتماعية مستقلة كما كانت الجمعية الملكية للعلوم التي تأسست في لندن عام 1645م. وهي أول مؤسسة علمية رسمية وأكاديمية العلوم في باريس ، عام 1662م ، فضلا عن المؤسسات الجامعية فهذا معناه مرحلة حاسمة في نشوء وازدهار الدور الاجتماعي للنشاط العلمي .

ثالثاً. مدخل مؤسسة العلم ، مع مأسسة العلم ظهر مفهوم الجماعة العلمية بصفتهما وحدة معيارية ؛ إذ لا يكفي أن ندعي أننا علماء حتى يتم الاعتراف بنا بصفتنا علماء. أن تكون عالماً يعني أن تنتهي إلى إطار اجتماعي متشكل من مجموع الفاعلين المشتغلين في النشاط العلمي ؛ أي ( الجماعة العلمية) بمعنى الانتماء إلى (نسق اجتماعي): مؤسسة محددة ، يمكن تمييزها عن بقية المؤسسات الاجتماعية. ويعني ثانياً أن يتم اختيارك وإدماجك في نسق يقيم فاعلوه علاقات ترابط وفق طرائق تتوافق مع مبادئ مهنية معيارية مخصوصة ، وهو يعني أخيراً أنك موضوع لمراقبة اجتماعية ، داخل المؤسسة ، وأن عليك إتقان الدور الاجتماعي المقدر إيجابياً في الجماعة العلل. وقد ترسخت المهنة الأكاديمية منذ أن تحولت إلى مؤسسة

اعتبارية مستقلة فيما عرف بـ(الجامعة)؛ إذ اعتبرت المؤسسة المتحدة Universities من الناحية القانونية جماعة لها شخصية قانونية تختلف عن أعضائها فرادى، إذ كانت الجامعات منذ نشأتها في العصر الوسيط تتمتع بقدر كبير من الحرية والاستقلالية القانونية والمالية والإدارية، وكانت الحرية الأكاديمية هي السمة المميزة للجامعات، وهذا ما جعلها تتمتع (بحرمة) شبه مقدسة من الانتهاكات والح ويؤكد جينز بوست "أن العلماء في جامعة باريس كانوا مع حلول سنة 1215م على أبعد تقدير، قد تبلور وجودهم على شكل هيئة تدعى (هيئة الأساتذة والعلماء بوسعها أن تضع القوانين وأن تنفذ الالتزام بها)" (توبي أ. هف، 2000ص 157) أن تكون عالماً يعني أن تنتمي إلى إطار اجتماعي متشكل من مجموع الفاعلين المشتغلين في النشاط العلمي؛ أي (الجماعة العلمية) بمعنى الانتماء إلى مؤسسة محددة، يمكن تمييزها عن بقية المؤسسات الاجتماعية هذا أولاً، وبمعنى ثانياً؛ أن يتم اختيارك وإدماجك في نسق يقيم فاعلوه علاقات ترابط وفق طرائق تتوافق مع مبادئ مهنية معيارية مخصصة، وهو يعني ثالثاً؛ أنك موضوع لمراقبة مهنية اجتماعية داخل المؤسسة وأن عليك إتقان دورك الاجتماعي المهني المقدر إيجابياً في الجماعة العلمية (ميشال دوبوا، المرجع السابق ص113) وبمعنى إجمالاً؛ اعتراف المجتمع بالوظيفة الخاصة للنشاط العلمي وبقيمه الاجتماعية، وموافقة المجتمع تشكيل مجال مهني لضبط أدوار الفاعلين فيه بما يحقق غايات ذلك النشاط ويصون استقلاليتهم. والأكاديمية تعني حرية التفكير والتعبير والاختلاف والتعليم وأن هيئة التدريس في الجامعة تتمتع بحق تدريس ما تعتبره صحيحاً وأنه ليس هناك قيود على ما يقوله الأستاذ أو يكتبه أو ينشره. ويرتكز هذا الحق على قدسية الحقيقة العلمية، من ناحية، ومسؤولية المدرس في معرفة هذه الحقيقة وحقه في نقدها أو مناقشتها، دون إي قيود، من ناحية أخرى. ونعتبر حرية الجامعة واستغلالها من التقاليد التي ورثتها الجامعات الحديث والمعاصرة عن جامعات العصر الوسيط إذ أن الحرية هي الشرط الجوهري لنمو العلم والفكر العلمي، " وحاجة العلم إلى الحرية، مثل حاجة النباتات التي تنمو في البيوت الزجاجية إلى الشمس والأكسجين، أما إذا طليت النوافذ بالسواد كما في الحروب، فلا تنمو إلا الأعشاب الطفيلية الضارة، والإبداع العلمي يتببس في البيئات الاستبدادية والتسلطية" (ماكس بيروتي، ضرورة العلم 1999، ص7).

رابعاً. معايير المجال العلمي أو (خليفة العلم) حسب بوتون، ويعني ذلك النسق المركب من القيم والمعايير التي يلتزم بها الفاعلون العلميون بعدها أمور محظورة أو مفضلة أو مسموح بها، فهي تكتسب مشروعيتها من القيم المؤسسية وتتعزز بتشجيع السلوك النمذجي والمثل العليا للتميز والجدارة والجودة. ويعود الفضل إلى عالم الاجتماع الأمريكي روبرت ميرتون بصياغة أربعة مقومات أساسية للمعرفة العلمية هي: 1- العالمية، بمعنى أن الاكتشافات والنظريات العلمية يجب أن يحكم عليها بمعايير إنسانية عالمية محايدة، بمعزل عن المرجعيات الهوياتية الشخصية والجمعية للعلماء الذين يجب أن يسمح لهم بممارسة الخطاب العلمي بحرية وشفافية تامتين دون أية إكراهات أو ضغوط واقعية أو رمزية، سياسية أو اجتماعية أو دينية.. الخ. 2- الجماعية، يجب أن نكون مكتشفات البحث العلمي ملكاً للإنسانية كلها، وأن يتم تأمين نشر المعلومات والنتائج وتبادلها بسلاسة وإنسيابية وشفافية كاملة. 3- التجرد، بمعنى متابعة البحث عن الحقيقة العلمية لذاتها ومن أجل ذاتها دون التأثير بالأهواء الشخصية أو المواقف والاتجاهات والغايات الإيديولوجية أو المصالح السياسية أو غيرها. 4- الشك المنظم، بمعنى عدم التسليم بأية حقائق أو معتقدات مسبقة، وإخضاع

كل شيء للنقد والتمحيص (ميشال دوبوا، المرجع السابق، ص 134) بما فيها تلك الدعاوى الخاصة التي تصدر عن مؤسسات تحظى بالاحترام والإجلال، فالعلم عدو كل السلطات بما في ذلك سلطة المؤسسة العلمية ذاتها، "إذ لا حاجة لأن تكون مهذباً في العلم، بل أن كل ما عليك فيه أن تكون على حق" (ماكس بيروتي، المرجع السابق، ص 5).

بالنظر إلى تلك المداخل النقدية، يمكننا تعيين واقع العلوم الإنسانية والاجتماعية في راهنتها ومالاتها المستقبلية ولعله من المهم الإشارة إلى كتاب توني أ. هب، بعنوان: فجر العلم الجديد: الإسلام-العرب والصين، بوصفه مثلاً معبراً عن الاتجاه النقدي الجديد في سوسولوجيا العلم المعاصرة، فضلاً عن كونه يتصل بالمسألة التي تهمننا هنا أقصد مسألة العلم وسبل نهوه وتقدمه، والسؤال الذي ناقشه، هب هو: لماذا ازدهر العلم الحديث في الغرب وأخفق في الإسلام والصين؟ مستلهما مداخل المنظور السوسولوجيا الجديد في مقاربتة إذ كتب تحت عنوان (مشكلة العلم العربي) ما يلي: "لمشكلة العلم العربي بعدان على الأقل، يتصل أحدهما بعجزه عن إنجاب العلم الحديث، ويتصل الثاني باضحلال الفكر والممارسة العلميين في الحضارة العربية الإسلامية بعد القرن الثالث عشر. وعلى الرغم من أن تراجع الحياة الفكرية بعد العصر الذهبي مسألة ذات أهمية كبيرة لسكان الشرق الأوسط في أيامنا هذه فإنها تقع خارج حدود هذه الدراسة التي تهتم بالعلم العربي من القرن الثامن حتى آخر القرن الرابع عشر الميلادي. ربما كان أرقى علم في العالم متفوقاً بذلك على العلم في الغرب والصين. كان العرب في كل حقول العلم.. في طليعة التقدم العلمي...إذ أن ما حققه العرب يثير الإعجاب إلى حد يدعو للتساؤل عن السبب الذي منعهم من اتخاذ الخطوة الأخيرة باتجاه الثورة العلمية الحديثة؟ ويضيف "كان العرب قد وصلوا إلى حافة أعظم ثورة فكرية حدثت في التاريخ، ولكنهم رفضوا الانتقال من العالم المغلق إلى الكون اللانهائي (حسب تعبير Koyre كويري). وبما أنهم عجزوا عن اتخاذ هذه الخطوة الخطيرة في بداية العصر الحديث، فإن البلاد الإسلامية لا تزال تتمسك بالتقاويم القمرية" (توبي أ. هب، المرجع السابق، ص 65). وفي سياق تناوله للبنى الثقافية والمؤسسية التي حالت دون مقدرة العلم العربي على اتخاذ تلك الوثبة الحاسمة من الباراديم التقليدي المغلق إلى الباراديم الحديث الجديد توصل هب إلى نتائج بالغة الخطورة والأهمية اليكم بعضها:

1- لم يكن لعلماء الطبيعة العرب دور معترف به اجتماعياً وثقافياً وسياسياً يوازي دور الفقهاء من حيث السلطة والنفوذ، بل كانت بنية الفكر والعواطف في الإسلام في القرون الوسطى بشكل عام ذات طبيعة جعلت طلب العلوم الوضعية والعقلية وعلوم الأولين أمراً يثير الشكوك ويجلب لأصحابها كثيراً من المتاعب والتهمة الخطيرة على حياتهم (توبي أ. هب، المرجع السابق، ص 73).

2- كانت سلطة الفقهاء وسطوتهم شاملة بحيث لم يتركوا شيئاً للعلماء والفلاسفة ليقولوه، بل إن الفلاسفة وعلماهم الإنسانيات لم يكن لهم وظيفة ودور معترف بهما في المجتمع، ومن ثم لم تكن لهم حماية، إذا ما أردوا التعبير عن آرائهم بشأن القضايا الفكرية بحرية، كمسألة خلق العالم، والعلية الطبيعية، والحرية الإنسانية، وما إذا كان بإمكان الإنسان الوصول إلى المبادئ الأخلاقية عن طريق الرؤية العقلية بعبارة توماس كون (توبي أ. هب، المرجع السابق، ص 86).

3- غياب البنية المؤسسية القانونية؛ أي عدم وجود الجماعات ذات الشخصية القانونية الاعتبارية المستقلة في الحضارات العربية الإسلامية؛ إذ لم تكن مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي مؤسسات قانونية مستقلة، بل كانت المدارس ملحقه بالمساجد، وكانت المدارس مكرسة لتعليم علوم الدين والحساب، وتستبعد العلوم الطبيعية، فضلاً عن أن المدارس كانت مؤسسات خيرية وفقاً دينياً تنفذ رغبات وأهداف أصحابها الدينية وغير الدينية، كما أن نظام التعليم كان يعتمد على الصفة الشخصية، وكان الشيخ أو الفقيه هو الذي يمنح الإجازة لتلاميذه، ولم تكن الشهادة أو الإجازة تمنح من قبل جماعة أو مؤسسة مستقلة لا شأن لها بالأمور الشخصية كما كان عليه النظام في الجامعات الأوروبية القروسطية. ولما كان التعليم في حقل العلوم الطبيعية يجري خارج المدارس الرسمية، فقد كان التخصص في علم من العلوم الأجنبية يقتضي السفر مسافات شاسعة بحثاً عن علماء متخصصين في علوم الأولين غير المرغوب فيها طبعاً. ولا شك إن البنية الشخصية المهيمنة في مختلف مجالات حياة المجتمع العربي الإسلامي قد عاقت نمو فكرة المؤسسة المستقلة وعرقلت نشوء معايير العلم الموضوعية والشمولية والعالمية والتراكمية، بل عرقلت نشوء الجامعة بوصفها مؤسسة حرة ومستقلة، يقول (هف): "إن الولايات القانونية في العالم الإسلامي لم تنشأ مطلقاً لأن المسلمين كلهم أعضاء في الأمة الواحدة ولا يجوز فصل المسلمين إلى جماعات يتميز بعضها عن بعض شرعاً" (تويي. هب، المرجع السابق، ص 129).

4- غياب فكرة العقل والعقلانية؛ إذ إن مصادر الشرع هي القرآن الكريم، والسنة، والإجماع، والقياس، وهذا ما أفضى إلى التخلص من العقل بوصفه مصدراً من مصادر التشريع، وقد أدى التضيق على العقل إلى إنكار النظرة العقلانية إلى الطبيعية؛ أي دراستها بوصفها موضوعاً قابلاً للفهم والسيطرة، كما أن مفهوم العقل الذي شاع عند المسلمين ليس العقل الفعال عند أرسطو، ولا (النور الداخلي) عند فلاسفة النهضة، بل يطلقون كلمة العقل على الأفكار التي يؤمن بها عامة الناس. ويرى فضل الرحمن أن "اللاهوت احتكر في نهاية المطاف حقل الميتافيزيقيا كله وأنكر على الفكر الخالص حق النظر نظرة عقلانية في طبيعة الكون وطبيعة الإنسان، لكن العلم الحديث لم يكن له أن يظهر ويزدهر دون توافر أطر ميتافيزيقية عامة ومعترف بها تقوم على فرضيات عن انتظام العالم الطبيعي وخضوعه لقوانين معينة وعلى الإيمان بقدرة الإنسان على فهم البنية الكامنة في الطبيعة وفهم القوانين التي تتحكم في الكون والحياة والإنسان واستيعابها والتنبؤ بنتائجها والسيطرة عليها، وربما هذا هو ما قصده ماكس بيرونتر بقوله: "أنه لا يزال هناك ما يقال بشأن اكتشاف السبب في أن هناك آخرين عميت بصيرتهم عن التقاط ما حاولت الطبيعة أن تقوله لهم، على الرغم من أنهم في الظاهر كانوا قادرين على ذلك" (ماكس بيرونتر، المرجع السابق، ص 57) ويخلص (هف) إلى القول: "لقد ضيق مهندسو الشريعة واللاهوت في الحضارة العربية الإسلامية القدرات العقلية عند الإنسان ورفضوا فكرة الفاعلية العقلية التي تتميز بها جميع بني البشر لصالح الرأي القائل إن على الإنسان أن يسير على نهج السلف وأن يتبع التقليد، وإن الأسلاف لم يتركوا شيئاً للإخلاف. أما الأوروبيون القروسطيون فقد وضعوا تصوراً للإنسان والطبيعة كان فيه من العقل والعقلانية ما جعل النظرات الفلسفية واللاهوتية مجالات مدهشة من مجالات البحث التي كانت نتائجها لا هي بالمترقعة ولا بالتقليدية (قاسم لمحشبي، 2006م ط1، ص 76). وهكذا ينبغي أن نفهم أن أهمية العلم لا تمكن في جانبه المعرفي فحسب، بل وفيما يفعله من تغيرات

جوهرية في حياة الناس الاجتماعية الثقافية ، وليس بمقدور أحد إنكار " أن العلم غير أنماط علاقاتنا ومعارفنا ومواقفنا من سلوك الإنسان وقيمه وأحل بالتدرج الرؤية والعقل محل القسوة والتحامل والخرافة ، وقد نعى هذا التغيير نمواً بطيئاً جعله بحاجة إلى أن يعلمه كل جيل للجيل الذي يليه بوصفه قيماً وتقاليداً ثقافية يجب أن تتوارث وتتهذب إنسانياً عبر تعاقب الأجيال ومن دون ذلك تكون أجسام الناس وحدها هي التي تنطلق بالطائرات والصواريخ أما عقولهم فترتد إلى العصور الوسطى(ماكس بيرونتر ، المرجع السابق ، ص 15).

بحمد الله تعالى وتوفيقه أوشكت هذه الرحلة الفكرية المضنية والممتعة معاً على الانتهاء ، وكل ما نرجوه هنا والآن هو أن نكون قد استطعنا إثارة اهتمام الزملاء والزميلات الكرام بشأن مشكلة العلوم الإنسانية وسوسولوجيا العلم المعاصر ، التي لا ندعي الإحاطة الشاملة بأبعادها المتشعبة. ونجمل الخلاصة بالاتي:  
أولاً. أن نمو وتقدم العلم والمعرفة العلمية عامة والعلوم الإنسانية والاجتماعية تحديداً يتطور ويكتسب صيغاً ومستويات مختلفة في السياقات التاريخية والثقافية والاجتماعية المتغيرة ، وهذا ما يستدعي معالجة المسألة من منظور سوسولوجيا العلم المقارن.

ثانياً. أن حجم ونوعية المشكلات الإنسانية والاجتماعية التي أفرزتها المتغيرات التاريخية والحضارية العالمية المتسارعة اليوم ، تستدعي الحاجة الملحة إلى ردم الهوة الشاسعة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ، والنظر إلى المشكلات الراهنة والمستقبلية ومواجهتها وبحثها بصيغة تكاملية للمعرفة العلمية ورؤية عقلانية نقدية.

ثالثاً. أن الطبيعة التكاملية للمعرفة العلمية بجناحيها؛ العلوم الطبيعية والتقنية والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، ليست مسألة منهجية ونظرية ، بل باتت تشكل اليوم ضرورة حيوية للحضارة الإنسانية المعاصرة ، حضارة الموجة الثالثة ، في عالم بات شديد التداخل والتواصل والتفاعل في الإنفوسفير( الغلاف المعلوماتي) الذي يشكل الواقع الإنساني بعد انكماش الزمان والمكان ، على نحو لم يشهد له التاريخ مثيل.  
رابعاً. أن التعرف على حقيقة وضعنا العلمي المهني والأكاديمي والثقافي لا يمكن له أن يكون ممكناً بدون معرفة المثل العليا والنماذج المعيارية للمؤسسات المشابهة المعترف بها عالمياً ، إذ لا وجود لمعايير محلية أو خاصة لقياس وتقييم جودة العلم ومؤسسته.

خامساً. أثبتت التجربة التاريخية المعاصرة ، بما شهدته من مشكلة اجتماعية وثقافية خطيرة وكارثية ، وأهمها ، مشكلة التطرف والإرهاب والعنف المقدس ، أن الفصل بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية أو بين العلم والثقافة ، في الجامعات العربية والإسلامية يعد أحد العوامل التي أفرزت الميول المتطرفة والقناعات الإرهابية عند طلاب التخصصات العلمية الطبية والهندسية والتقنية ، التي تركز ثقافة العقل الهندسي ، في النظر الى العالم ، من منظور أحادي البعد(أسود أبيض ، حقيقة وخطأ). إذ أن وظيفة العلوم الإنسانية والاجتماعية ليست معرفية فحسب بل وتنويرية تنموية ثقافية باللغة الأهمية والحيوية في ترشيد السلوك وتهذيب القيم.

#### المصادر والمراجع

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، دار العودة ، بيروت ، 1981.  
ابن منظور، محمد بن مكرم ، لسان العرب، جز10، دار صادر ، بيروت، 2003ط5.

- أيان كريب ، النظريات الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ، ترجمة محمد حسين علوم ، مجلة عالم المعرفة الكويتية العدد 244 أبريل 1999 .
- بالاندية ، جورج ، في الطريق إلى القرن الواحد والعشرين .. التيه ، ترجمة ، محمد حسن إبراهيم ، دمشق وزارة الثقافة ، دراسات فكرية 6 ، 2000م ، ط1.
- بوبر ، كارل ، أسطورة الإطار ، تحرير مارك أنوتونو ، ترجمة يماني طريف الخولي ، مجلة المعرفة الكويتية العدد 292 مايو 2001م ، ط1.
- بول ، أزمة المعرفة التاريخية : فوكو وثورة في المنهج ترجمة ، إبراهيم فتحي ، دار الفكر للدراسات القاهرة ، 1993 ، ط1.
- بورديو ، بيير ، بعبارة أخرى: محاولة باتجاه سوسولوجيا انعكاسية، ترجمة أحمد حسان ، ميريت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، 202 ، ط1.
- بوسينو ، جيوفاني ، نقد المعرفة في علم الاجتماع ، ترجمة محمد عزب صاصيلا ، المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت ، 1995 ، ط1.
- بينيت ، طوني واخرون ، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ، ترجمة ، سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010 ط1.
- تارلاشاه ، جون برينان ، إدارة الجودة في التعليم العالي. منظور دولي عن التقويم المؤسسي ، ترجمة دلالة بنت منزل النصر- معهد الإدارة العامة ، السعودية الرياض 2007م ، ط1.
- تريفور ، بنش ، دور الجماعات العلمية في تنمية العلوم ، ترجمة محمد أمين سليمان ، مجلة العلم والمجتمع ، اليونسكو فبراير 1990..
- جيدنز ، انتوني ، قواعد جديدة لمنهج في علم الاجتماع ، ترجمة محمد محي الدين المجلس الأعلى للثقافة ، 2000 ، ط1.
- دلوز ، جيل ، المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة فوكو — ترجمة ، سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1987 ط1.
- ربول ، اوليفيه ، فلسفة التربية ، ترجمة ، جيهان نعمان ، دار عويدات ، بيروت \_ باريس ، 1986 ، ط3.
- صبور ، امحمد ، المعرفة والسلطة في المجتمع العربي: الأكاديميون العرب والسلطة ، سلسلة اطروحات الدكتوراه 18 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، اكتوبر 2001 ، ط2.
- صن ، امارتيا ، التنمية الحرة: مؤسسات حرة وإنسان متحرر من الجهل والمرض والفقر ، مجلة عالم المعرفة الكويتية ، العدد 312 عطاس ، سيد فريد ، تعريف الخطابات البديلة وأنواعها ، مجلة إضافات ، العدد التاسع ، الجمعية العربية لعلم الاجتماع ، شتاء 2010 ، بيروت .
- فرانسوا ، شاتلبه ، ايديولوجية الحرب والسلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1981.
- فروند ، جوليان ، علم الاجتماع عند ماكس فيبر ، ترجمة تيسير شيخ الأرض ، وزارة الثقافة دمشق 1976 ، ط1.
- بورديو ، بيير ، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت ، 2009م ط1 .
- كون ، توماس ، بنية الثورات العلمية ، ترجمة: حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، 2007م ط1.
- لوتشيانو فلوريدي ، الثورة الرابعة ؛ كيف يعيد الغلاف المعلوماتي تشكيل الواقع الإنساني ، ترجمة ، لؤي عبدالمجيد السيد ، مجلة عالم المعرفة ، عدد 452 ، 2017 ، ط1.
- ماشيري ، بيار ، كونت الفلسفة و العلوم ، ترجمة ، سامي أدهم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت 1994 ط 1.
- ماكس بيروتيو ، ضرورة العلم : دراسة في العلم والعلماء ، ترجمة وائل اتاسي ، سلسلة عالم المعرفة الكويتية 245 ، مايو 1999.
- ماهر عبد القادر محمد علي ، فلسفة العلوم ج 2 ، المشكلات المعرفية ، دار النهضة العربية بيروت ط1 ، 1984 .
- المحشي ، قاسم عبد ، فلسفة التاريخ في الفكر الغربي المعاصر: أرنولد توينبي موضوعا، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، 2006م ط1.
- المحشي ، قاسم ، في دور حارس البوابة ، ومعايير التحكيم العلمي في الوطن العربي ، 2017 ، شبكة ضياء .
- ميشال ، دوبوا ، مدخل إلى علم اجتماع العلوم ، ترجمة ، سعود المولى ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2008 ، ط1.
- ميشيل ، تومبسون واخرون ، نظرية الثقافة ، ترجمة ، علي سعيد الصاوي ، سلسلة عالم المعرفة الكويتية ، عدد 223 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يوليو 1997م.



- نادر ، العساوي ، مبادئ فلسفة الفهم، أسس العلوم الإنسانية عند دالتاي ، 2011 النت ، جوجل .  
نظرية الثقافة ، مجموعة من الكتاب ، ترجمة ، علي سيد الصاوي ، عالم المعرفة 223 ، 2014م الكويت ط1.  
هاسكرت ، س.ه.نشأة الجامعات في العصور الوسطى، ترجمة جوزيف نسيم يوسف ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة 1984م  
ط1.  
هف ، توبي ، فجر العلم الحديث ، الإسلام — الصين الغرب ، ترجمة محمد عصفور مجلة عالم المعرفة الكويتية ، العدد 260 ،  
أغسطس 2000 م .  
هوكس ، ديفيد ، الإيديولوجية، إبراهيم فتحى (مترجم) (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 2000 ط1.  
هيرنز ، غودموند وآخرون ، الفجوات المعرفية: تقرير اليونسكو العالمي للعلوم الاجتماعية لعام 2010 ، النت، جوجل ، موقع  
منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.  
هيمور ، تيدور ، تأملات حول التاريخ والمؤرخين عرض وتحليل مصطفى العبادي ، مجلة عالم الفكر الكويتية المجلد العشرون..  
العدد 1 يونيو 1989.  
وليامز ، ريموند ، الكلمات المفتاحية : معجم ثقافي ومجتمعي ، ترجمة ، نعيمان عثمان، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي  
للترجمة 980 ، القاهرة . 2005 ، ط1.  
ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، جوجل.  
يان سبورك ، أي مستقبل لعلم الاجتماع؟ في سبيل البحث عن معنى وفهم العالم الاجتماعي ، ترجمة ، حسن منصور الحاج ،  
دار كلمة والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ابو ظبي \_بيروت 2009 ط1  
يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين ، الأصول — الحصاد — الآفاق المستقبلية ، مجلة عالم المعرفة الكويتية  
العدد 264 ، ديسمبر 2000 م .  
يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية: تقنيها وإمكانية حلها، دار الثقافة، القاهرة، 1990 ط1.  
Raymon Aron - Les étapes de la pensée sociologique — Ed Tel Gallimard — 1996 — pp 86-87  
—Sorokin, Pitrim A ,Social and Cultural Dynamics (1985 ed.) (New Brunswick, NJ : Transaction  
Publishers), 1957 ,P 228-35229

## التجديد الترابي: باراديكوم جديد في العلوم الاجتماعية

### Territorial innovation: a new paradigm in social sciences

ابنأي سعيد

طالب باحث في الدكتوراه ، شعبة الجغرافيا

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة القاضي عياض-المغرب

#### تقديم:

في الواقع ، تشكل دراسة التجديد فرصة مناسبة للشروع في دراسة دقيقة للتجديد في التصور العلمي الحديث وكذلك لمعالجة ومواجهة التحولات السوسيو اقتصادية الناشئة والتغيرات البيئية والانتظارات القوية من الجانب المؤسساتي ، العلمي ، السوسيو اقتصادي والسياسي وبالتالي إعادة دراسة مسارات التغيير عبر الزمن.

هكذا يسعى هذا المقال إلى معالجة وتحليل باراديكوم<sup>1</sup> التجديد الترابي الذي يطرح إشكالا عميقا للدراسات الاجتماعية ومدى قدرتها على الإجابة عن الإشكالات المطروحة ، ليس فقط من وجهة نظر إبستمولوجية ولكن أيضا من خلال قدرة الترابيات على إنتاج الجديد وتبني مشروع ترابي مجدد يعكس التوافق في الرؤى والتشاور بين مختلف الفاعلين بغض النظر عن اختلاف منطقتهم وتوجهاتهم ، وبالتالي يسعى الى خدمة خصوصيات هذا المجال ويطمح لتحقيق التنمية الترابية.

إن البعد المحلي للتجديد فتح النقاش نحو إشكالية جغرافية جديدة ، تنخرط في مقاربات براكماتية وبنائية ، من خلال العلاقة بين مفهومي التراب والتجديد. وذلك من خلال اعتبار أهمية تأثيرات التراب في التجديد. وهكذا يشكل موضوع التجديد الترابي حقلًا معرفيًا جديدًا طرح الإشكاليات الجغرافية حول الديناميات والتحولات التي يشهدها المجال الترابي في مستوياته المتعددة ، ولطرح القضايا الجوهرية ليس فقط بالنسبة للباحثين الجامعيين ولكن كذلك بالنسبة لمختلف السياسات العمومية والفاعلين.

من هذا المنطلق نسعى من خلال هذا المقال الى دراسة مفهوم التجديد الترابي من خلال أهميته في تطور العلوم الاجتماعية المعاصرة لاسيما الجغرافيا لمعالجتها القضايا الراهنة بالتراب والمجتمع.

<sup>1</sup> يمكن تعريف "الباراديكوم" (باللاتينية: Paradigma) بأنه النموذج الفكري. وقد ظهرت هذه الكلمة منذ أواخر الستينات من القرن العشرين في اللغة الانجليزية لتشير إلى نمط تفكير ضمن أي تخصص علمي أو موضوع متصل بنظرية المعرفة. وهذا المفهوم أدخله الفيلسوف "طوماس كون" ، والباراديكوم هو انجاز علمي مميز يصح نموذجا جديرا بالمحاكاة من جانب باحثين آخرين. يقول عبد الفتاح أبو العز في كتابه: "قضايا المنهج في العلوم الإنسانية المعاصرة": "هو مجموعة متناسقة من المفاهيم تسود خلال عصر ما ، مشكلة ألقها الذهني. ويتطور الباراديكوم بالتراكم إلى أن يفصل عنه الواقع وتحدث أزمة معرفية تتيح الفرصة لظهور وتبلور باراديكوم جديد ، بشكل قطعية نهائية مع الباراديكوم القديم. ويصحح ما كان مركزيا للباراديكوم القديم من قيم معرفية ومفاهيم ، محيطيا للباراديكوم الجديد والعكس بالعكس".

1. التجديد، مفهوم متعدد المعاني والمرجعيات يعتبر مفهوم التجديد من أكثر المفاهيم التي تناولتها التيارات الثقافية والفكرية المختلفة، وقد انعكس هذا على المفهوم ذاته من حيث معناه ودلالاته. إذ يرجع أصل هذا المصطلح باللاتينية إلى (latin: innovatio) ويعني خلق شيء جديد، كما ورد عند (Peter Drucker, 1986) "التجديد هو تصور وإنجاز شيء جديد، غير معروف" بطريقة تسمح بإنشاء المساهمات الاقتصادية الجديدة والتوفيق مع العناصر القديمة.

والتجديد في اللغة العربية من أصل الفعل "تَجَدَّدَ" أي صارَ جَدِيدًا، جَدَّدَهُ أي صَيَّرَهُ جَدِيدًا وكذلك أَجَدَّهُ واستَجَدَّهُ. ومن خلال هذه المعاني اللغوية، وبناء على ذلك، فإن عملية التجديد تعتبر ضرورة لإعادة التأهيل. وهي تشير إلى التغيير الجذري والانقلاب في وضعية المجتمع.

من هذا المنطلق، يمكن القول إن مفهوم التجديد يرتكز على مبادئ أساسيين:

-يرتبط التجديد بمنظور التكيف في إطار غياب العلاقة الواضحة بين الثابت والمتغير، إذ تعتبر كل قيمة قابلة للتغير والتحول وعلى الإنسان أن يستجيب لهذه التغيرات بما يسمى التكيف.

-يعني مفهوم التجديد، تجاوز الماضي من خلال الانقلاب والتغيير الجذري في وضعية المجتمع.

هكذا، يرتبط مفهوم التجديد بمجموعة من المفاهيم النظرية المرتبطة بالتأصيل النظري للمفهوم. أما على مستوى المفاهيم الحركية المتعلقة بالممارسة الفعلية لعملية التجديد والتي تُوحي بالدينامية، فإن التَجَدُّد والتَّجْدِيد في قضايا الفكر كما هو الحال بالنسبة للتَغْيِير والتَّغْيِير في قضايا الاجتماع. وبالتالي فإن التجديد إذا هو خطة وافية فردية أو جماعية لوضع هذا التَجَدُّد ضمن منظور معقول ومنسق.

فالتجديد ليس بظاهرة عصرية، بل تعتبر ظاهرة قديمة يقدم الإنسان، هذا الأخير يتجه دائما للبحث عن طرق جديدة لتحسين استعمال الأشياء والحصول على حلول لمختلف المشاكل. لكن ظهور مفهوم التجديد في العلوم الاجتماعية هو حديث، يرجع إلى عقد الثمانينيات من القرن العشرين، من خلال ظهور النموذج الخطي للتجديد والذي يفيد أن التجديد هو نتيجة تطور مراحل منظمة. وهكذا فإن التجديد يتميز بمجموعة من المميزات:

-فهو مسلسل معقد، بمعنى أنه لا يتخذ تطورا خطيا.

-مسلسل تعاوني.

-ومسلسل نسقي ومحلي.

2. التجديد في العلوم الاجتماعية: يعتبر مفهوم التجديد من المفاهيم الأكثر حضورا في وقتنا الحالي، وهو يرتبط بالاقتصاد وتبني المجتمع لمشاريع التنمية. حيث شهد القرن الماضي وبداية الألفية الثالثة مجموعة من التحولات المهمة على المستوى التكنولوجي، السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي وأيضاً الثقافي. وبالتالي أصبح الحديث عن التجديد كُحركاً لتنمية المجتمع. لكن السؤال الذي يطرح نفسه، هو مقارنة العلوم الاجتماعية (السوسيولوجيا، الاقتصاد والجغرافيا)، لتحليل مسار هذا التجديد؟ وقبل الإجابة عن هذا التساؤل لا بد من الإشارة أنه لتحليل ومعالجة هذه الظاهرة، سنقوم بدراسة المقالة والتراب لفهم القوى المُشاركة في إنتاج الجديد.

إذا كان مفهوم التجديد يقود إلى التسويق لترويج منتج جديد، فإن البعض يعتبره مقارنة تنطلق من الاختراع (البعد التقني) وتنتهي بمحاكاة المجتمع لهذا التجديد. وإذا كان التجديد يتميز بإنتاج الجديد (منتج، تنظيم، أنشطة)، فإن دراسته العلمية لا تركز فقط على تقديم متميز لتاريخ التكنولوجيا والممارسات الاجتماعية، ولكن أيضا تعتمد على دراسة المسارات التي من خلالها يتم إنتاج وبناء التغيرات. وفي هذا الإطار فإن توضيح المقاربات العلمية، خاصة العلوم الاجتماعية بما فيها الجغرافيا التي هي موضوع تخصصنا، في معالجة مسار هذا التجديد.

حسب كتاب أسلو (OCDE، 1997، 2)، ارتبط مفهوم التجديد في بدايته الأولى بتطوير المقاولات، بالتكنولوجيا، بالبحث وباقتصاد المعرفة. إذ يعتبر التجديد التكنولوجي أساسا في عالم الشركات والسوق. لكن هذا المفهوم لم يعد يقتصر على تنمية المقاولات، بل أصبح يهتم أيضا بالمجتمع بمختلف مكوناته<sup>3</sup>، الأمر الذي انبثق عنه مفهوم التجديد المجتمعي والتراخي.

إن هذه المفاهيم هي ليست جديدة، ذلك أن الاهتمام بمفهوم التجديد في الميدان المجتمعي والتراخي عرف توسعا كبيرا خلال العقدين الأخيرين، خاصة من طرف علماء الاجتماع والمسؤولون عن التنمية.

## 2.1 من التجديد التكنولوجي إلى التجديد التراخي

1.1.2 التجديد والمقولة: يعتبر الاقتصاد الكلاسيكي المقولة في قلب التجديد وهي بذلك تمتلك أكبر الموارد لإبداع أشكال جديدة، من خدمات ومنتجات للاستجابة لتنوع الأسواق. في هذا السياق، أصبحت أشكال التنظيم المقاولاتي تتغير لخلق مناخ ملائم لإنتاج الجديد، الذي أصبح أساس اقتصاد المعرفة.

وخلال عقد الثمانينات من القرن الماضي، ظهرت عدة تغيرات تميزت بانفتاح العلوم المعقدة، وكذا تقوية القطاع الثالث واقتصاد الخدمات. حيث أصبحت القدرة على التكيف ترتبط بالقدرة على تجديد التنظيمات التي تنخرط في مسار ديناميكي لخلق خدمات جديدة. وفي إطار المنافسة الاقتصادية العالمية، وما صاحب ذلك من تغيرات طرأت على مستوى الإنتاج من خلال تقوية مفهومي التسيير والتسويق الاستراتيجي. ومن أكثر التعاريف تداولاً لمفهوم التجديد من الجانب الاقتصادي هو تعريف ShumpeterJoseph (1934)، والذي يعتبر التجديد هو:

-تقديم منتج جديد، أو سمة جديدة لهذا المنتج؛

-تقديم مسار إنتاجي جديد، أو تحسين تسويق هذا المنتج؛

<sup>2</sup>حسب كتاب أسلو، الذي يعتبر كمرجع في تحديد مفهوم التجديد، تم تحديد أربع أشكال أساسية للتجديد، وهي كالتالي: \* تجديد المنتج: أي جلب منتج أو خدمة جديدة والتي تم تحسينها بواسطة التكنولوجيا أو تحسين المواد المكونة أو المندمجة لاعتبار منتج جديد. \* تجديد المسار: هذا المفهوم يستعمل عند الحديث عن مجالات الإنتاج والبرامج المستخدمة بهدف نقص مصاريف الإنتاج/التوزيع وبالمقابل الزيادة في جودة هذين العاملين الأخيرين. \* التجديد في التسويق: بمعنى استعمال طريقة تسويق غير مستعملة من قبل، ينتج عنها تغيرات في المنتج، على مستوى الشكل، طريقة التغليف وغيرها، على مستوى قنوات البيع، التحفيز والتمويل. \* التجديد في التنظيم: يهتم بمختلف التغيرات الإيجابية على مستوى إنتاجية الشركة. وكذا التعديلات التي تمس العلاقة مع الزبائن والمسؤولون المشاركون في عملية/ أو مسار الإنتاج.

<sup>3</sup>Référentiel d'évaluation de l'innovation sociétale et territoriale, Avril 2009. (Cette étude est co-financée par l'Union Européenne). (DIAC-T-ARF). 27p

-افتتاح سوق جديدة ؛

-الحصول على منابع جديدة للتزود بالمنتجات ؛

-تبني شكل تنظيمي جديد ؛

أما التعريف الأكثر استعمالا حاليا هو التعريف المشتق من كتاب أوسلو ، والذي يعتبر بمثابة قاعدة منهجية لهذا المفهوم ، وهو كالتالي: "التجديد هو تطبيق لمنتوج جديد أو تحسينه ، أو مسار جديد ، منهجية جديدة في التسويق ، أو طريقة جديدة في تنظيم ممارسات التعاملات".

2.1.1 من المقالة إلى التراب: يعتبر مفهوم التجديد من المفاهيم التي انتقلت من فلسفة المقالة كالحكمة والتسويق وغيرها إلى باراديكم علوم التراب. إذ أن المقاربة المجالية للتجديد تشكل موضوع العديد من الأبحاث لفهم الأبعاد الزمنية لهذه الظاهرة ، حيث أن قراءات مختلفة عند الحديث عن طبيعة العلاقات بين النظام التجديدي وجغرافية الأماكن والأنشطة الاقتصادية الجديدة. فمثلا نظرية الأماكن المركزية (لكريستالر، 1933) في الاقتصاد المجالي والجغرافيا الاقتصادية توضح الدور الرئيسي لتفاعلات القرب من خلال العلاقات بين المركز والهامش والتي تهتم الأماكن والتجديد ، حيث أن مركزية الأنشطة ، الأشخاص والتبادلات حول المدن الكبرى تجعل منها أماكن مركزية تساهم في دينامية السوق وتسمح للهوامش لتستفيد وتستغل.

ابتداء من الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي ، ظهر مفهوم "النماذج الترابية للتجديد" وهو اسم يستعمل لينعت نماذج التجديد الجهوي ، حيث الدينامية المحلية المؤسساتية تلعب دورا مهما. وبالتالي فإن التجديد المقاولاتي لا يتحدد فقط من خلال القدرات الفردية للشركات ولكن أيضا من خلال سلوكيات الفاعلين السوسيو اقتصاديين والمؤسساتيين وكذلك من خلال السياسات والموارد والمبادرات المنبثقة التي تشكل إطارا للتنمية.

3.1.2 التجديد والتراب: أية علاقة؟: أصبح موضوع التجديد من المواضيع الأكثر إثارة في العلوم الاجتماعية خلال أواسط القرن العشرين. إذ أن عولمة الاقتصاد (بالرغم من أن الظاهرة تهتم أيضا الثقافة والسياسة) تؤدي إلى إنشاء نظام تنافسي عالمي قوي يفرض على المقاولات والترابات أن تكون في الموعد. وبالتالي يصبح مفهوم التجديد هو العامل الحاسم لتقوية المنافسة وتطوير الترابات واندماجها في الفضاء العالمي ، الذي يتميز بعدم التوازن وسرعة التغيير. في هذا السياق ، تتشكل المجالات المحلية والجهوية حيث تتركز مواهب ومهارات المجتمع أمام مواجهات تحديات جديدة. وهكذا فإن التجديد هو عامل مهم في الدينامية الاقتصادية وأيضا في التنمية الترابية ، بل أكثر من ذلك أصبح التراب يشكل في آن واحد ، مُستقبل لتأثيرات العولمة وكذلك مُرسِل للاستجابات لهذه التحديات.

يفهم من التجديد في نطاقه الواسع ، على أنه القدرة على خلق وإدماج معارف. وبالتالي يعتبر عاملا أساسيا في القدرة التنافسية لدرجة أنه يسمح ليس فقط بزيادة الإمكانيات الإنتاجية ولكن أيضا بالمساهمة في استعمال معقلن للموارد.

وكما سبقت الإشارة، فإنه خلال فترات طويلة، ارتبط مفهوم التجديد بالتكنولوجيات الجديدة، حيث تم التركيز فقط على التجديد المقاولاتي، باعتباره يرتبط بعوامل داخلية ترتبط بالشركة. لكن خلال السنوات الأخيرة، بدأت تظهر رؤية جديدة حول التجديد، باعتباره ظاهرة اجتماعية ومجتمعية ذات طابع جماعي وليس فردي كما كان يُعتقد من قبل. ومن ثم، أصبح التركيز حول قدرة مختلف الأوساط الترابية على إنتاج واستعمال المعارف وأفكار جديدة تسهل إيجاد حلول جادة. وهذا يسمح بإدماج تصورات مثل التجديد الترابي، التجديد الاجتماعي، أوساط مُجددة، الترابات الذكية. وفي هذا السياق، نميز بين:

-التجديد الترابي: يرتبط بمفاهيم التنمية المستدامة، بتشكيل الترابات وبشبكات التواصل التي تساهم في تنافسية المجالات وخلق تنمية اقتصادية جديدة. وهكذا يتبين أن التجديد الترابي يُمس جميع المبادرات المرتبطة بالتراب والتي تحمل صفة التجديد أو تخرج عن نطاق المعتاد بهذا التراب.

-التجديد المجتمعي: يرتبط بسلوكات الفاعلين في المجتمع سواء أفراد أو جماعات، من خلال السياسات المجتمعية. هذا التجديد المجتمعي يمكن أن يساهم في إعادة تحريك الأفكار المتواجدة من خلال تبنيها ثم تصديرها لترابات جديدة<sup>4</sup>.

بناء على ما سبق، يتبين أن التجديد المجتمعي يظهر في ميدان العمل، في ظروف الحياة والتراب ويساهم في التمييز بين ما هو خاص وعام، بين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية، وبين ما هو محلي وشمولي. وهكذا يتم فهم هذين المفهومين بشكل عام، حيث يلاحظ ارتباط وثيق بين التجديد المجتمعي والتجديد الترابي.

على المستوى الإجرائي، يمكن القول إن التجديد الترابي يعتبر دعامة أساسية لتنمية تراب معين وله دور متميز من خلال خلق أشكال مجتمعية جديدة. ولهذا السبب يتم تجميع هذين المفهومين الترابي والمجتمعي في شكل واحد وداخل نفس الهدف الاستراتيجي. إذ أن تحديد مفهوم التجديد المجتمعي والترابي يستجيب لحاجة ما، وفهم واقع معقد، والهدف هو محاولة جلب عناصر الإجابة لهذه الحاجة والأخذ بالاعتبار هذا التجديد المجتمعي والترابي.

إن مفاهيم التجديد (المجتمعية، الاجتماعية والتكنولوجيات) هي معقدة، يجب الكشف عنها بدقة لتجنب الخلط، وهكذا نميز في مفاهيم التجديد بين:

-التجديد التكنولوجي.

ومن جهة أخرى، التجديد المجتمعي والترابي، فكل تجديد هو مجتمعي، بمعنى له علاقة بالمجتمع. يمكن القول أن، " التجديد الترابي هو بناء أصيل، يتموقع في الزمان والمجال، وبالتالي فهو ذو بُعد زمني وبُعد ترابي. هذه التجديدات المجتمعية لها مجموعة من المخرجات، من أهمها التجديدات ذات الطبيعة الاقتصادية والاجتماعية. وإذا كان التجديد الاقتصادي هو تمييز اقتصادي وظهور أفكار جديدة تهتم الإنتاج

financée par l'Union-Référentiel d'évaluation de l'innovation sociétale et territoriale, Avril 2009. (Cette étude est co<sup>4</sup> Européenne). (DIACT-ARF). 27p

والخدمات وتضم التجديد التكنولوجي للمواد والعمليات وأيضا التجديد المؤسسي والتسويق ، فإن تجديد المجتمع يضم مقاربة جديدة ، تهم ممارسة أو منتج جديد يستجيب لمشكل اجتماعي<sup>5</sup>.

### 3. التجديد في خدمة التنمية الترابية المستدامة

كما سبقت الإشارة ، إن التجديد يحمل بُعدا زمكانيا ، فهو يتأسس دائما من قدرات التكيف للفاعلين المحليين من أجل الإجابة على أسئلة خاصة. وهكذا فالتجديد هو مُتجذر في التراب والزمان ، حيث أن التجديد يفيد معرفة الإجابة في ظرف ما لمشكل ما. ومفهوم التنمية المستدامة والذكاء الترابي مرتبطان بشكل قوي حول مفهوم التجديد الاجتماعي ، حيث أن الذكاء الترابي يتمحور كأساس للتجديد الاجتماعي لتراب محلي وبالتالي يصبح هذا الذكاء الترابي أداة في خدمة الفاعلين من أجل التنمية الترابية المستدامة.

والجدير بالذكر ، أن التجديد في مجال التنمية الترابية والاجتماعية لا يجب أن يؤخذ في الاعتبار كنهاية في حد ذاتها ، بل وسيلة من أجل الفعالية وتطور المجتمع ومسار لإنتاج التنمية المستدامة. وهذا نظرا لعدة أسباب ، نذكر منها:

-إن التجديدات ليست بالضرورة هي الحلول المتكيفة من خلال الفعالية للإجابة على مشكل اجتماعي ، حيث أن هذه التجديدات قد تنطوي على أخطار غير فعالة.

-إن جلب واستيراد التجديدات الفعالة من أجل تراب معين أو واقع ما ، من تراب آخر أو وضعية مشابهة ، ذلك أن الحكم المسبق حول الطبيعة "المُجَدِّدة" للمشاريع هي تبقى دائما ذاتية في السياق المجتمعي والتراب ، على عكس المجال التكنولوجي.

-يظهر من خلال الفاعلين ، أن التنمية المستدامة هي تصور مندمج في أبعاد التجديد المجتمعي والترابي.

### خاتمة:

إن دراسة مفهوم التجديد في العلوم الاجتماعية كمشروع وبناء جماعي واجتماعي أو كمسلسل نسقي مركب ومعقد يقودنا الى تناول أبعاد التراب التي تنخرط في مسار ديناميكي للتفاعلات ، حيث تحظى المقاربة المجالية للتجديد بأهمية بالغة في الاقتصاد المجالي والجغرافيا الاقتصادية.

بناء على ما سبق ، يتبين أن التجديدات هي مرة ذات طابع اقتصادي ومرة أخرى ذات صفة اجتماعية. حيث نشوء ديناميات تجديدية تستجيب لحاجة ما ، وهذه الحاجة قد تتبلور في أزمة التراب. هكذا نفهم التجديد الترابي كعامل في التغيير الاجتماعي ، كمقاربة جديدة ومُجددة ومحاولة لتحقيق التنمية المحلية ، لا سيما أن الحياة السياسية في وقتنا الراهن تعاني من أزمة صامتة في ظل احتقان اجتماعي متصاعد ، الأمر الذي يستدعي بلورة رؤية جماعية مشتركة وتبني مقاربات تجديدية والنسج بوعي جديد ومجدد من شأنه إعادة النظر في النموذج التنموي المعتمد الذي لم يعد قادرا على تلبية المطالب الاجتماعية والاقتصادية المتصاعدة.

Séminaire d'échange et de valorisation des travaux des réseaux ruraux régionaux du réseau rural Français.<sup>5</sup>

« Innovation territoriale », Atelier5 : Comment favoriser l'innovation territoriale ? 15 Novembre 2011 ; Paris. 28p

## قائمة المراجع:

- سعيد ابناي ، أيت نصير مريم (2018)، "التجديد الترابي: هل هو ضرورة أم صدفة في الذكاء الترابي وخلق المشاريع؟ مجلة الاستراتيجية والتنمية، المجلد 08. عدد خاص بالمنتدى الدولي الخامس للبحث العلمي. ص 136-148.
- Bertacchini Y., (2004) ; « Le territoire, une entreprise d'intelligence collective à organiser vers la formation du capital formel local ». *Communication et organisation*. 25 | 2004 : Les vallées : sens, territoires et signes. Consulté le 01 Novembre 2018.
- Courlet C., El Kadiri N., Fejjal A., Jennan L., (2013) ; « Le projet de territoire comme construit d'acteurs et processus de révélation des ressources : l'exemple marocain ». *GéoDév.ma*. Vol 1.
- Sous la direction de : Glon E & Pecqueur B., (2016) ; « Au cœur des territoires créatifs » Préface de Guy Di Méo. Collection « Espace et Territoires ». Presse Universitaire de Rennes.
- Janin C., et all., (2011) ; « L'ingénierie, signe d'intelligence territoriale ? Paris, Economica-Anthropos, 142p
- Moulin F., (2003) ; « Innovation et invention comparaison du point de vue juridique ». 20p. <hal-00451615. Soumis le 29 Janvier 2010.
- Manuel d'Oslo., (2005) ; « La Mesure des activités Scientifiques ; Principes Directeurs proposes pour le recueil et l'interprétation des données sur l'innovation Technologiques ». 3rd édition ; Commission Européenne. Eurostat. 188p.
- Robic M-C., (1982) ; « Cent ans avant Christaller... Une théorie des lieux centraux ». *L'Espace géographique*. Vol. 11, No. 1, pp. 5-12.
- Séminaire d'échange et de valorisation des travaux des réseaux ruraux régionaux du réseau rural Français., 2011 ; « Innovation territoriale », Atelier5 : Comment favoriser l'innovation territoriale ? 15 Novembre 2011 ; Paris. 28p.



## كتب علم التفسير المعاصرة دراسة مقارنة

د. عمر عبد الوهاب الكحلة

قسم علوم القرآن ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الموصل - العراق

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة والسلام على نبي هذه الأمة وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .

وبعد

اختلف المؤلفون في كتابتهم لهذا الموضوع حتى أنه أصبح كل مؤلف يختلف عن المؤلف الآخر من ناحية المواضيع التي تناولها ، ومن حيث ترتيب تلك المواضيع ، وإن فكرة هذا البحث تقوم على دراسة كتب تناولت دراسة علم التفسير ومناهجه ، ووقع الاختيار على ست كتب منها وهي :

-التفسير والمفسرون للذهبي .

-أصول في التفسير لمحمد صالح العثيمين .

-المبادئ العامة لتفسير القرآن لمحمد الصغير .

-دراسات في التفسير والمفسرون للدكتور عبد القهار داود .

-تطور تفسير القرآن قراءة جديدة للدكتور محسن عبد الحميد .

-بحوث في أصول التفسير ومناهجه لفهد الرومي .

وفيما يلي تعريف بمفردات هذه المصادر وترتيبها لها ومنهجيتها في دراستها في المبحث الأول ، ثم طرح تلك المواضيع وبيان من قام بذكرها وأين ذكرها في المبحث الثاني ، هذا وانوه أن كل الكتب المذكورة . التي هي مجال الدراسة . هي كتب مهمة وأساسية في علم التفسير . لذا وقع اختيارنا عليها . ولا يقدر فيها أي شيء ولا في مؤلفيها ، فهم علماء أجلاء تعلمنا من كتبهم ومصنفاتهم ، وتربينا على أقوالهم وأرائهم ، والبحث إنما ينصب على المنهجية والترتيب ليس إلا . ويبقى ذلك وجهات نظر ، غايتها الأولى والأخيرة تقريب هذا العلم الجليل لطلابه بأفضل صورة وبأفضل بيان ، لذا سيكون كلامنا موجه لمنهجية هذه الكتب لا إلى مؤلفيها ، ونسأل الله أن يرحم الجميع في الدنيا والآخرة .

المبحث الأول : تعريف بهذه الكتب وبمفرداتها ومنهجيتها والملاحظات عليها .

أولاً : التفسير والمفسرون للذهبي : هو كتاب مهم في بابه ، لكنه أراه . من وجه نظري . قد أطل في بعض المسائل ، ففي التعريف بالتفسير في الإصطلاح ذكر ستة تعاريف :

ثم بعد ذلك بدأ في المبحث الثاني بالحديث عن تفسير القرآن بغير لغته أو الترجمة التفسيرية للقرآن ، وأرى أن هذا الموضوع لا بد أن يؤخر ؛ لأن يدرس في بداية هذا العلم .

وأما المبحث الثالث فجعله على شكل سؤال وهو (هل تفسير القرآن من قبيل التصورات أو من قبيل التصديقات) ، وكان هذا المبحث نصف صفحة .

وأما الفصل الأول من الباب الأول فقد تحدث فيه عن التفسير في عهد النبي والصحابة معا ولم يفصل بينهما ، والأصح أن يتحدث عن كل واحد منهما بمبحث منفصل.

وعند حديثه عن مصادر الصحابة ذكر أن المصدر الثاني هو النبي . صلى الله عليه وسلم . ، لكنه لم يكتف بذكر أقوال الرسول بل فصل الحديث في هذا ، فتحدث عن الوضع على رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، وهل تناول الرسول تفسير القرآن كله بالبيان ، وما المقدار الذي بينه للصحابة . وأرى أنه لو جعل هذا في مبحث خاص لكان أولى .

ثم درس في الفصل الثاني (المفسرون من الصحابة) والصواب . كما أراه . أن يجعل هذا الموضوع في الفصل الذي تحدث عن التفسير في عهد الصحابة ؛ لأن يفصل عنه بفصل منفصل عنه .

هذا ولم يكن تقسيمه للفصول تقسيما دقيقا ، فكان كل من الفصل الأول والفصل الثاني يحتوي على (26) صفحة والفصل الثالث صفتان ونصف الصفحة ، والفصل الرابع صفحة ونصف ، وهذا خلل في التنظيم أو المنهجية .

وفي الباب الثاني فصل الحديث عن التفسير في عصر التابعين بثلاثة فصول وصل عدد صفحاتها (30) صفحة ، وجاء في الفصل الرابع وهو الأخير من الباب متحدثا عن الخلاف بين السلف في التفسير أقل من ست صفحات ، وهذا الموضوع لا بد من التفصيل فيه وبيان الأسباب والأمثلة لكنه اختصره ولا أعلم لماذا !! وعند حديثه عن التفسير بالمأثور وبعد أن عرفه وتكلم شيئا عنه بما يقارب أربع صفحات بدأ بالحديث عن أسباب الوضع أو الضعف في هذا النوع من التفسير ، ثم بعد أكثر من (35) صفحة تكلم عن أشهر كتب التفسير بالمأثور ، وكان . حسب ما أراه . أن يقدم الحديث عن هذه الكتب .

كما أنه لما تحدث عن التفسير بالمأثور لم يقدم تمهيدا يبين فيه أن التفسير على نوعين إما بالمأثور وإما بالرأي ، بل مباشرة دخل بالموضوع .

وعند حديثه عن التفسير بالرأي تحدث عن العلوم التي يحتاج إليها المفسر ، وأرى أن هذا الموضوع . أي العلوم . يكون مقدما فتلك العلوم يحتاج إليها كل من تصدى للتفسير سواء أراد أن يفسر القرآن أو أراد أن يفهمه .

وتحدث أيضا عن مصادر التفسير وكذلك الأمور التي يجب على المفسر أن يتجنبها في التفسير ، وكل ذلك أراه أن يكون مقدما ويكون في بداية أو صدارة الكتاب .

وفي الفصل الرابع تناول الحديث عن تفسير الفرق المبتدعة ، وأكمل الحديث عن ذلك في الجزء الثاني ، لكنه لم يقسمه إلى أبواب ولا إلى فصول ، لكن في تفسير الصوفية الفصل الرابع ، ولم يسبقه أي فصل ، ثم ذكر الفصل السادس ولم يذكر الفصل الخامس ، وهذا لا أراه دقيقا في المنهج والترتيب وكان يكون أفضل لو جعل حديثه عن تفسير هذه الفرق في باب واحد وجعله على فصول ، كل فرقة لها فصل خاص بها .

ثانيا . أصول في التفسير لمحمد صالح العثيمين: وهو كتاب مفيد ، ومن الملاحظات على هذا الكتاب أنه قدم الحديث عن القرآن ، ولا أجد لذلك داعيا فهو يتحدث عن التفسير لا عن علوم القرآن .

فأطال في الحديث عن معنى القرآن لغة وشرعا ثم أخذ يتحدث عن نزول القرآن وأول ما نزل منه ثم بين أن نزوله ابتدائي وسببي وبين فوائد معرفة أسباب النزول وتحدث عن قاعدة (عموم اللفظ وخصوص السبب) ثم

المكي والمدني وفوائده وبيان الحكم من نزوله مفرقا ثم تحدث عن كتابته وجمعه وكل ذلك آراه زائد لا علاقة له بالتفسير وقد أخذ من حجم الكتاب ثلثه حيث كان مجموع الكتاب (64) صفحة وتناول الحديث عن القرآن بـ (22) صفحة.

وبدأ بالحديث عن التفسير بدون تقسيمات ، وبين معنى التفسير لكنه لم يذكر معنى التأويل ، وبعد ذلك مباشرة شرح الواجب على المسلم في تفسير القرآن.

ثم أفرد الحديث عن الاختلاف الوارد في التفسير بالمأثور من دون أن يعرف معنى التفسير بالمأثور أو يبين أنه أحد أقسام التفسير ، وبعده أخذ يتحدث عن ترجمة القرآن ، ثم عاد فتكلم عن المشتهرين بالتفسير من الصحابة وأيضا المشتهرين من التابعين ، وأرى أن الأولى كان أن يقدم هذا الموضوع على ترجمة القرآن ، ثم عاد فرجع يتحدث عن علوم القرآن فتحدث عن المحكم والمتشابه وموقف الراسخين من العلم والزائغين من المتشابه ، وما هي أنواع المتشابه وبيان الحكم في هذا النوع ، ثم أخذ يتحدث عن ظاهرة التعارض في القرآن ، وكل هذا أيضا لا علاقة له بالتفسير ثم تحدث عن القسم والقصص وتكرارها والاسرائيليات والضمير والاتفات وكلها مواضيع علوم القرآن ، فكان كتابه قريبا لعلوم القرآن أكثر منه للتفسير.

ومن دراسته للمحكم والمتشابه وباقي المواضيع إلى نهاية الكتاب كان ما بين صفحة 40 وحتى صفحة 62 ، فكان مجموع ذلك (22) صفحة ، فلم يدرس التفسير إلا في 16 صفحة هي من صفحة 23 وحتى صفحة 40 ، أي أقل من ثلث الكتاب.

ثالثا. المبادئ العامة لتفسير القرآن لمحمد الصغير: وهذا الكتاب يأتي في الأهمية بين هذه الكتب الستة بالمرتبة الثانية فقد احتوى على مادة مهمة وشاملة وتفصيل ، وكانت الدراسة فيه دراسة منهجية أفضل من كل الدراسات التي هي محل البحث ، إذ قام بتعريف التفسير وبين الفرق بينه وبين التأويل ثم تحدث عن آداب المفسر ثم مصادر التفسير ثم مناهج التفسير ثم مراحلها. وان كنت أرى أن يقدم المراحل على المناهج ، ثم درس في الباب الثاني من الكتاب دراسة موضوعية لسورة الزخرف.

رابعا. دراسات في التفسير والمفسرون للدكتور عبد القهار داود: من عنوان الكتاب نفهم أن الدكتور عبد القهار لم يكن يريد أن يذكر كل ما يتعلق بالتفسير والمفسرين ، وإنما ذكر شيء منه فقال (دراسات) فنجد بعض المسائل لم يتناولها ومسائل أخرى تناولها بصورة موجزة ، والدكتور عبد القهار قام في هذا الكتاب بتعريف التفسير والتأويل لكنه لم يضع عنوانا لذلك فقال التفسير في اللغة لكنه لم يقل التفسير في الاصطلاح ، وكذلك التأويل لم يذكر لا لغة ولا اصطلاحا ولا عنوانا للفرق بينهما مع أنه بين الفرق.

ثم بعد ذلك تحدث عن فهم الرسول للقران دون أن يذكر أنه باب أو فصل أو محث ، والصواب أن يكون محثا من مباحث مراحل التفسير التي درسها بعد ذلك. ثم تناول المدارس التفسيرية وكان حديثه عنها مختصرا جدا ، فتحدث عنها بورقة واحدة فقط.

ثم بعد ذلك تحدث عن ترجمة القرآن وأطال في ذلك ، ولا أجد مكان ذلك مناسبا ، فلو أخره كان أولى ، ثم عاد فذكر عنوانا (المفسرون من الصحابة) وكان الأولى أن يقدم هذا عند الحديث عن المرحلة في عصر الصحابة.

ثم درس تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسنة دون أن يضع عنوانا كأن يكون المنهج السليم في التفسير ، واكتفى بهذين فقط .

ثم درس التفسير بالمأثور والتأويل بالرأي ولم يذكر تعريفا للتفسير بالمأثور ، ومزج الحديث عن المأثور والرأي في حديثه عن المأثور ، والأولى تأخير ذلك .

ثم ذكر تفسير ابن كثير ولم يبين أن هذا مثال للتفسير بالمأثور. وكان حديثه عن المفسرين غير ملتزم بمنهج معين أحيانا يطيل وأحيانا يختصر. ثم جاء إلى التفسير بالرأي كذلك لم يوضح تعريفا له ثم ذكر تفسير القرطبي ولم يبين انه مثال للتفسير بالرأي وعند حديثه عن القرطبي لم يبين سنة ولادته ووفاته وشيوخه .

وعند حديثه عن الكشاف لم يذكر سنة وفاته والنسفي لم يذكر سنة ولادته وعند حديثه عن تفسير الطبري لم يذكر اسم الطبري كما فعل بالتفاسير السابقة وكذلك لم يذكر سنة ولادته ووفاته .

ثم بعد ذلك ذكر ما يحتاجه المفسر لكتاب الله وأرى أن هذا يكون في بداية الكتاب أولى ثم درس سورة النور ولم يبين سبب ذلك أو سبب اختياره لهذه الصورة دون غيرها ولا أعلم ما الغاية من دراستها في كتاب يتضمن علم التفسير وليس التفسير .

**خامساً. تطور تفسير القرآن قراءة للدكتور محسن عبد الحميد:** هذا الكتاب مهم جدا ألفه الدكتور لطيفة معينة من القراء. كما يتضح ذلك من أسلوبه ومنهجيته . وهم أصحاب الاختصاص في هذا المجال ، لذا نجده لم يتناول فيه تعريف التفسير بل بدأ أول ما بدأ به هو تفسير الرسول ثم الصحابة ثم حركة التدوين وفي الفصل الآخر درس مدارس المنهج الأصولي ، وفي الفصل الثالث المنهج الفلسفي ثم العرفاني فهو كتاب ليس لطالب العلم المبتدئ ، بل هو لذوي الاختصاص فقد درس مسائل يراها مهمة دون غيرها من المسائل المتعارف عليها .

**سادساً. بحوث في أصول التفسير ومناهجه لفهد الرومي:** أرى أن هذا الكتاب أفضل الكتب من حيث المادة والمنهجية والترتيب . لكنه أضاف بعض المواضيع أجدها زائدة لا يحتاجها المفسر بصورة مباشرة . فتناول تعريف التفسير ثم الفرق بينه وبين التأويل ثم تعريف أصول التفسير وغايته وفائدته وموضوعه ثم نشأته في عهد الرسول وفي عهد الصحابة وفي عهد التابعين وعهد التدوين ثم اختلاف المفسرين وأساليب التفسير وطرقه ومناهجه لكن هاهنا وقع في تكرار في حديثه عن طرق التفسير فذكر التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي عند حديثه عن مناهج التفسير .

وأيضاً التفسير العقلي ثم إعراب القرآن وغريبه والوجوه والنظائر والقواعد المهمة التي يحتاج إليها المفسر وأهم المؤلفات في دراسة التفسير وهذا الكتاب أجده أفضل هذه الكتب من ناحية التنظيم والترتيب والمادة التي جمعها .

**المبحث الثاني: المفردات التي درست في هذا العلم وبيان الصواب فيها**

**أولاً. تعريف التفسير لغة واصطلاحاً والتأويل والفرق بينهما:** وهذا الموضوع لا بد أن يكون أول المواضيع وقد فعل ذلك الذهبي ومحمد الصغير ودكتور عبد القهار العاني وفهد الرومي ، وهذا هو الصواب ، لكن ابن عثيمين جعله متأخراً وقدم عليه الحديث عن القرآن ، ولم يتطرق إليه دكتور محسن عبد الحميد .

ثانياً: مراحل التفسير: تناول المؤلفون هذا الموضوع فالذهبي جعل المرحلة الأولى في عهد النبي والصحابة ، فجعلهما في موضوع واحد. وقد أطل الحديث في هذا النوع ، وأحياناً يكرر ما يقوله من ذلك ما قاله في الصفحة (34) من الجزء الأول (( تفاوت الصحابة في فهم القرآن )) ثم في صفحة (55) من الجزء نفسه جعل عنواناً ( تفاوت الصحابة في فهم معاني القرآن )، ثم تحدث عن مرحلة التابعين والمدارس التي قامت فيه وجعلها المرحلة الثانية للتفسير. وجعل المرحلة الثالثة من مرحلة التفسير في عصور التدوين وجعل على خمس خطوات.

أما ابن عثيمين في كتابه أصول في التفسير فقد اختلف في حديثه عن هذا الموضوع عن الكتب الأخرى فقد أدخل فيه مباحث علوم القرآن في مقدمة حديثه فتكلم عن القرآن ونزوله وأول ما نزل وآخر ما نزل وأسباب النزول والمكي والمدني وكتابته وجمعه في (22) صفحة وكما هو معلوم أن كل ذلك من علوم القرآن وليس من التفسير وإنما حديثه عن المراحل فلم يذكر اسم المراحل وإنما عنون الموضوع (المشتهرون بالتفسير من الصحابة) ثم عنوان آخر (المشتهرون بالتفسير من التابعين) وضمن هذا الموضوع ذكر المدارس دون ذكر لفظة مدارس وإنما قال (أهل مكة ، أهل المدينة ، أهل الكوفة) في حديث مختصر لم يتجاوز ثلاثة أسطر. وأما كتاب دراسات في التفسير والمفسرين للدكتور عبد القهار العاني فقد درس تفسير الرسول قبل حديثه عن مراحل التفسير فجعله منفصلاً عنها وبدأ المراحل من عهد الصحابة ولم يشع الموضوع ولم تكن دراسته ذات منهجية صحيحة فهو يقول ((اعتاد المؤلفون في تصنيفهم لعصور التفسير أن يجعلوا عصر النبي صلى الله عليه وسلم مع عصر الصحابة رضي الله عنهم والأولى أن نميز عصر النبي . صلى الله عليه وسلم . عن غيره ))<sup>(1)</sup>. وهذا الكلام سليم وجيد أن يفصل مرحلة الرسول عن مرحلة الصحابة لكنه هو نفسه لم يتحدث عن عصر الرسول سوى سطرين دون عنوان فقال بعد النص السابق ((إذ انه يمتاز بالرجوع إلى القرآن والسنة النبوية وخالصة ذلك كله وحي منزل من الله تعالى ولم يكن من الصحابة اجتهاد إلا ندرة اجتهادها قضاة الامصار أو من كان في غزوة ولم يكن الرسول . صلى الله عليه وسلم . قريبا منه)).

وهذا الكلام يتحدث فيه عن تفسير الصحابة وليس تفسير الرسول فهو أيضاً جعلهم عصراً واحداً وعندما تحدث عن عصر الصحابة جعله موضوعاً فرعياً في حين عندما تحدث عن عصر التابعين جعله في مبحث لكن ذلك المبحث لم يتجاوز الورقة فلم يكن بمنهجية دقيقة فضلاً عن انه لم يتناول أسماء الصحابة ولا التابعين ولا المدارس التي عنون لها المبحث وكان مخالفاً لما يراه غيره من المفسرين حيث قال ((سار أكثر الباحثين في التفسير ومراحله إلى الكتابة عن مدارس تفسيرية في عهد التابعين وقد اثبتوا في بحوثهم ما يوحي أن أساس هذه المدارس علم الصحابة الذين تفرقوا ، ونحن لا ننكر وجود مثل هذه المدارس ولكننا نفي أن تكون وراء الصحابة مما يكون أساس لهذه المدارس واختلاف أصحابها في فقه معين أو اعتماد أصل من أصوله ولم

تكن هذه المدارس قد تميزت تمييزا واضحا من حيث المنهج إلا في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث ((2).

أما كتاب تطوير تفسير القرآن للدكتور محسن عبد الحميد فتناوله في بداية كتابه في الفصل الأول ، وتحدث عن تفسير الرسول ثم تفسير الصحابة ، وتحدث في ذلك عن المدارس التفسيرية ، ثم تحدث عن حركة التدوين .

أما فهد الرومي فتحدث عن ذلك معنونا ذلك بـ (نشأت التفسير علم التفسير ومراحل) وجعل المرحلة الأولى في عهد الرسول . صلى الله عليه وسلم والثانية في عهد الصحابة وذكر أن منهجهم ثلاثة أسس: القرآن ، وأقوال الرسول ، والاجتهاد بينما ذكر الآخرون أن منهجهم أكثر من ذلك وذكر في هذه المرحلة حديثه عن المدارس التفسيرية ثم تحدث عن التفسير في عهد التابعيين وفي ذلك أعاد فذكر أسماء أشهر المفسرين من التابعيين فلو أخرج الحديث عن المدارس ها هنا كان أولى والمرحلة الرابعة التفسير في عهد التدوين وذكر أهم المؤلفات من كتب بالمأثور ومن كتب بالرأي وكان الأولى حذف ذلك لأنه قد ذكره عند حديثه عن التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي وتحدث عن هذه الكتب بالتفصيل في آخر ما تحدث عنه من المواضيع تحت عنوان (أهم المؤلفات في التفسير ومناهجه ) وكان الأولى أن يذكر عند حديثه عن المأثور والرأي ويجعل الحديث في موضع واحد وليس مكرر في ثلاث مواضع .

ترجمة القرآن: أرى أن هذا الموضوع ليس من مواضيع التفسير وإنما هو من مواضيع علوم القرآن لكن الذهبي ذكره في مقدمة الكتاب في البحث الثاني بعد بيان معنى التفسير معنونا له بي (تفسير القرآن بغير لغته) وأما ابن عثيمين فتناول هذا الموضوع لكنه لم يقدمه بل جعله بعد حديثه عن الاختلاف في التفسير بالمأثور في الصفحة (31) وأما محمد الصغير فلم يتناول هذا الموضوع في كتابه وأما عبد القهار فذكره بعد حديثه عن المراحل التفسيرية وقد توسع فيه نوعا ما فتناوله فيما يقارب (18) وأما دكتور محسن عبد الحميد فلم يتطرق إلى هذا الموضوع أيضا وكذا فعل فهد الرومي .

واجب العرب في تعليم العربية لغيرهم من الأعاجم: الذهبي لم يتناول هذا الموضوع وكذلك ابن عثيمين ومحمد الصغير وإنما ذكره دكتور عبد القهار العاني كما لم يذكره أيضا دكتور محسن عبد الحميد وفهد الرومي لأنهما لم يتناولوا موضوع الترجمة أساسا .

تفسير القرآن بالقرآن: تناول الذهبي هذا الموضوع ضمن حديثه عن مصادر الصحابة للتفسير أما ابن عثيمين فذكر ذلك لكنه لم يعنونه بهذا العنوان وإنما جعله ضمنا عند حديثه عن المرجع في تفسير القرآن وهذا ما أراه هو الصواب وكذا فعل محمد الصغير فقد تناوله عند حديثه عن المنهج القرآني وقال إن اصح الطرق هو هذا الطريق أما دكتور عبد القهار فقد جعله موضوعا منفصلا لذاته ولم يبين إن هذا هو أحد أفضل الطرق في التفسير وأما دكتور محسن عبد الحميد فقد تحدث عن هذا الموضوع عند حديثه عن مصادر تفاسير الصحابة وكذا فعل الرومي فقد جعله أحد المناهج أو الأساس الأول في منهج الصحابة في تفسيرهم .

تفسير القرآن للسنة: تناول الذهبي هذا الموضوع عند حديثه عن مصادر التفسير لدى الصحابة بعنوان (المصدر الثاني: النبي. صلى الله عليه وسلم). أما ابن عثيمين تحدث عنه عند حديثه عن المرجع في التفسير النقطة الثانية معنوناً لها (كلام رسول الله. صلى الله عليه وسلم. فيفسر القرآن بالسنة) وأما الصغير فذكره بعنوان (المنهج الأثري) وأما دكتور عبد القهار فتناوله بهذا العنوان وأما محسن عبد الحميد تحدث عنه عند حديثه عن مصادر تفسير الصحابة بعنوان السنة النبوية وأما الرومي فتناوله باعتباره الأساس الثاني الذي يقوم عليه تفسير الصحابة بعنوان (تفسير القرآن بأقوال الرسول. صلى الله عليه وسلم).

التفسير بالمأثور: تناوله الذهبي في الفصل الأول من الباب الثالث وقد أطل الحديث فيه حتى أوصله إلى أكثر من (80) صفحة، حيث تحدث عن أسباب الضعف في هذا التفسير ثم ذكر أشهر كتبه، وجعل من ضمنها تفسير الطبري.

أما ابن عثيمين فلم يتناول الحديث عنه وعن تعريفه بل مباشرة تحدث عن الإختلاف الوارد فيه دون أن يقدم أي تمهيد للموضوع، واكتفى بالحديث عن ثلاثة أقسام لتلك الإختلافات.

أما الصغير فلم يعنون حديثه بهذا الموضوع بهذا الاسم وإنما ذكر أشهر كتب التفسير بالمأثور بعد حديثه عن المنهج الأثري، وجعل أوله تفسير الطبري.

وأما دكتور عبد القهار العاني فتناول هذا الموضوع لكنه لم يكن دقيقاً بالمنهج فذكر أولاً (التفسير بالمأثور والتأويل بالرأي) وتحدث عن القسمين باختصار، وذكر بعد ذلك تفسير ابن كثير كمثال على التفسير بالمأثور، ثم عاد فتحدث عن التفسير بالرأي أو التأويل، وجعل تفسير الطبري مثالا عليه، فكان الأولى أن يؤخر حديثه عن التفسير بالرأي إلى هذا الموضوع.

وأما دكتور محسن عبد الحميد فلم يتناول هذا الموضوع علماً أن هذا الموضوع من أهم موضوعات علم التفسير.

وأما فهد الرومي فقد تحدث عنه لكنه لم يكن منهجه في دراسته منظماً، فهو لما تحدث عنه أخذ يتحدث عن التفسير بالرأي. كما فعل العاني. وبين أقسامه وحكمه ثم عاد فرجع بالحديث عن التفسير بالمأثور وبين نشأته وأسباب الضعف فيه، وذكر أهم المؤلفات ومن ضمنها تفسير الطبري، فكان الأولى أن يقدم هذا على حديثه عن التفسير بالرأي؛ لأنه موضوع واحد. ثم رجع فعاد وكرر عن منهج التفسير العقلي.

والصواب في دراسة هذا الموضوع أن يجمع كل ما له علاقة به في مبحث واحد ثم بعد ذلك ينتقل إلى القسم الثاني وهو التفسير بالرأي.

التفسير بالرأي: تناول الذهبي في هذا الموضوع في الفصل الثاني من الباب الثالث.

أما ابن عثيمين فلم يتطرق لهذا الموضوع مع أنه من المواضيع الأساسية في هذا العلم.

وأما الصغير فتناوله بعنوان (منهج الرأي)، لكنه تحدث عن أقوال العلماء في موضع آخر ألا وهو الآداب الفنية.

وأما دكتور عبد القهار فتناوله بعنوان (التفسير بالرأي أو التأويل) دون أن يذكر أنه فصل أو أنه مبحث أو مطلب، ثم ذكر أدلة المانعين وأدلة المعجزين لهذا النوع من التفسير.

وأما دكتور محسن عبد الحميد فلم يتناول هذا الموضوع.

وأما الرومي فتناوله وجعله القسم الثاني من أقسام طرق التفسير وتحدث عن أقسامه المحمود وحكمه والمذموم وحكمه ، ثم تحدث عن مناهج التفسير مقدما الحديث عن التفسير بالمأثور . كما ذكرنا . ثم التفسير الفقهي فالتفسير العلمي فالتفسير العقلي ، وقال ويسمى هذا اللون من التفسير (التفسير بالاجتهاد) و (التفسير بالرأي) و (التفسير بالدراية) و (التفسير بالعقل) ثم تحدث عن نشأته واختلاف العلماء فيه وأدلة كل فريق ، وكان الأولي أن يقدم هذا الحديث عند حديثه في أول الأمر عن التفسير بالرأي عند حديثه عن طرق التفسير . ما يحتاج إليه المفسر: تناوله الذهبي عندما تكلم عن التفسير بالرأي بعنوان (العلوم التي يحتاج إليها المفسر). أما ابن عثيمين فلم يذكر هذه العلوم ، وإنما تحدث عن واجبات المسلم في تفسير القرآن بفقرة صغيرة جدا ، ذكر أن على المسلم أن يشعر نفسه حين يفسر القرآن بأنه مترجم عن الله ، فلم يتناول ما ذكره غيره من العلوم التي يحتاج إليها المفسر .

أما الصغير فتناول هذا الموضوع بعنوان مختلف ذكره بعنوان (الأدب الفنية) وجعله الأدب الثالث لأدب المفسر التي أولها الأدب الموضوعية وثانيها النفسية ، فقال الأدب الفنية: هي مجموعة الفنون والعلوم والطاقت التي يتدرج بها المفسر لخوض التفسير لكنه قبل أن يذكر تلك العلوم تحدث عن أقوال العلماء في التفسير بالرأي فالبعض قبله وآخر منعه ، ثم ذكر جملة من العلوم التي يجب ضبطها لتأمل القرآن ، وكان الأولي أن يكون حديثه عن التفسير بالرأي عندما حديثه عن منهج الرأي .

أما العلوم التي ذكرها فقد اعتمد على ما ذكره الإمام علي ، وهي خاصة بالقرآن فقط ، ولم يذكر العلوم الأخرى المساندة له .

أما دكتور عبد القهار فقد تناول هذا الموضوع بعد دراسته للتفسير بالرأي ، وذكر تسعة شروط قال أنها يجب أن تتوفر لدى المفسر .

أما دكتور محسن عبد الحميد فخلا كتابه عن هذا الموضوع ، وكذا خلا كتاب فهد الرومي من هذا الموضوع . والصواب أن يذكر هذا الكتاب في نهاية الكتاب أو نهاية المواضيع فيكون كأنه نتيجة للمفسر بعد أن فهم تاريخ التفسير ومراحل وأنواعه وأقسامه .

#### خاتمة:

بعد ما عرضناه توصلنا إلى أن أفضل الكتب الستة التي كانت مجال البحث والتي درست هذا العلم من حيث المنهجية والترتيب وشمول المفردات هو كتاب (بحوث في أصول التفسير ومناهجه) للدكتور فهد الرومي مع أن فيه بعض المواضيع التي أراها هي أقرب لعلوم القرآن أكثر من قريبا لعلم التفسير أو أن بعضها زائد لا يتعلق بعلم التفسير مباشرة . وان كان له علاقة بالتفسير كحديثه عن غريب القرآن أو إعراب القرآن .

وختاما نوجه ههنا المواضيع التي لا بد من دراستها وترتيب تلك المواضيع لمن أراد أن يصنف كتابا في علم التفسير كي يكون كتابه شاملا لكل ما له علاقة بهذا الموضوع ويكون ذا فائدة في بابه فأقول المفردات هي كما يلي:

التفسير لغة واصطلاحا .

التأويل لغة واصطلاحا .

الفرق بينهما .



مراحل التفسير .

مرحلة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

مرحلة الصحابة .

مرحلة التابعين وأشهر المدارس التفسيرية .

مرحلة التدوين .

أقسام التفسير .

التفسير بالمأثور .

أشهر كتب هذا النوع .

التفسير بالرأي .

أقوال العلماء فيه .

أشهر كتب هذا النوع .

أفضل الطرق في التفسير .

آداب المفسر .

شروط المفسر .

قواعد يحتاج إليها المفسر .

اختلاف المفسرين .

الوجوه والنظائر .

أنواع التفسير .

قائمة المصادر

-دراسات في التفسير والمفسرين: تأليف الدكتور عبد القهار داود عبد الله العاني ، الأستاذ المساعد بكلية الشريعة ، جامعة بغداد ، مطبعة أسعد ، بغداد ، 1987.

-تطوير تفسير القرآن قراءة جديدة: تأليف الدكتور محسن عبد الحميد ، أستاذ التفسير في جامعة بغداد ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة .

-التفسير والمفسرون: تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي ، وزير الأوقاف السابق ، دار الحديث ، القاهرة ، 1426 هـ . 2005م .  
-أصول في التفسير: بقلم محمد صالح العثيمين ، المدرس بكلية الشريعة في القصيم ، أشرف على تحقيقه قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، 1422 هـ . 2001م .

-المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: الدكتور محمد حسين علي الصغير ، أستاذ الدراسات القرآنية في جامعة الكوفة ، دار المؤرخ العربي ، بيروت . لبنان . الطبعة الأولى ، 1420 هـ . 2000م .

بحوث في أصول التفسير ومناهجه: تأليف أ . د . فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، أستاذ الدراسات القرآنية ، كلية المعلمين بالرياض . مكتبة التوبة ، الطبعة الرابعة ، 1419 هـ .

أهمية الطريقة المباشرة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها  
The importance of the direct method of teaching Arabic to non-native speakers

أ.عصام محمد المشهراوي  
المركز القومي للبحوث- فلسطين

مقدمة

للغة العربية منزلة خاصة في قلوب المسلمين سواء أكانوا من الناطقين بها أو من غير الناطقين بها ، وتلك المنزلة هي نتاج تشريف الله - عز وجل - لهذه اللغة بأن جعلها لغة كتابه خاتم الكتب السماوية الذي أرسل به محمداً - صلى الله عليه وسلم - للناس كافة ، وحفظها بحفظه لكتابه الكريم ، وجعلها باقية ببقائه ، فإن اختلفت لغات المسلمين وأعراقهم فقد وحدت اللغة العربية كل من قال: لا إله إلا الله ، محمداً رسول الله ، ولهذا شرع المسلمون منذ البعثة وانتشار الإسلام في أرجاء الأرض حتى وقتنا الحاضر في تعليم العربية لغة دينهم وكتابتهم ورسولهم وأصحابه ، حتى أن السواد الأعظم من المسلمين الذين لم تكن العربية لسانهم الأم قد وصل إلى درجة التأصيل لعلوم العربية ، علاوة على التأليف في العلوم المختلفة بها .

وفي هذا العصر أقبل المسلمون من غير الناطقين بالعربية على تعليم أبنائهم اللغة العربية في المراكز والجامعات والمدارس الرسمية وغير الرسمية للحفاظ على دينهم وتراثهم الإسلامي .

وتعد اللغة العربية من أكثر اللغات سعة وثراءً في مفرداتها ومعانيها ، وهناك أهمية كبيرة لتعليمها على المستوى العالمي من أجل إحداث التأثير والتأثر وتبادل الخبرات والثقافات .

واللغة تعتبر من أهم المعايير التي تقاس بها فاعلية الأمم في مضمار التقدم ، والتأثير والتأثر . وبقدر ما لهذه اللغة من أصالة وحيوية وانتشار وقدرة على مسايرة العصر والتعبير عما يجد فيه من معاني وعلوم ومصطلحات ؛ بقدر ما يكون لأصحاب هذه اللغة من مكانة ودور عظيم في مضمار التقدم الحضاري بشتى نواحيه .

ولقد اهتمت الأمم بلغاتها ، وحرصت كل الحرص على تطورها ونشرها خارج المتكلمين بها ، وذلك من أجل نشر ثقافتها وما خلقت من حضارة ، ومن أجل تعريف الآخرين بما تحمله هذه اللغة من فكر وعمل يترتب عليه رغبة في الاتصال بأصحابه ، والتعاون معهم ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً . (الحافظ عبد الرحيم الشيخ ، 2006م) .

وقد أوضح الحافظ عبد الرحيم الشيخ (2006) أن "اللغة العربية هي اللغة المشتركة الوحيدة بين دول العالم العربي والإسلامي والإفريقي التي يزيد عددها على ثمانين دولة" ، وبالتالي هي لغة الدين والثقافة والحضارة والتاريخ والأدب . إن اللغة وسيلة حساسة من وسائل الاتصال بين الناس جميعاً . والبشرية أحوج ما تكون إلى هذا الاتصال وتدعيمه ، كي ترقى بأدبها وإنسانيتها لتعيش في حب وخير وسلام ، وكي تودع إلى غير رجعة وسائل التفاهم الممقوتة المتمثلة في مختلف أسلحة التدمير الرهيبة .

من هنا كان حرص الأمم على انتشار لسانها ، وعلى عالميته ، وعلى تداوله في المنتديات والمحافل الدولية . وقد امتد هذا الحرص إلى الحد الذي جعل كثيراً من الأمم تلجأ إلى تعليم صفوف من أبنائها السنة الأمم الأخرى ، ليزداد التفاهم على المصالح ، والترابط في المواقف ، والتعاطف في طرح المشكلات ، مع البحث عن الحلول المناسبة لها .

نشر اللغة إذن مسؤولية قومية ، والرغبة في اكتشاف لغات الآخرين مسؤولية قومية أخرى ، ومن هنا كان تعدد تجارب تعليم لغتنا على أرضنا ، وعلى أرض الآخرين .

إن الأمة العربية في حاجة لأن يُعرف لسانها عند الآخرين ، كي يفهم الآخرون ما يجري على أرضنا . والآخرون يحملون الحاجة نفسها ، من أجل الاتصال والتفاهم والمصالح . ومن هذا المنطلق القومي كثرت معاهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على أرضنا ، وكثرت أيضاً خارج الحدود في الجامعات المختلفة ، وألفت فيها الكتب الكثيرة هنا وهناك . (أحمد سمير بيبرس ، عبد الله سويد ، 1984) .

هناك إشكاليات تتعلق بعملية التعلم والتعليم ، وقد قام علماء اللغة والتربية ، وعلماء علم اللغة النفسي والاجتماعي وغيرهم بدراسة الظاهرة اللغوية من أجل الوصول إلى أسس الطرق في تعليم العربية. وتمثل عملية التعلم والتعليم في أربعة أوجه: الأهداف ، وطرق التدريس ، والمناهج التعليمية ، وطرائق التقويم. (خالد حسين أبو عمشة ، عوني الفاعوري ، 2013). وستتطرق لموضوع الأهداف لما له من أهمية في الوصول إلى الطريقة المناسبة في تعليم العربية لغير الناطقين بها. الأهداف: إن أهداف تعليم اللغة العربية تختلف مع تعليمها لغير الناطقين بها. والهدف في مجال التربية يُقصد به الوصف الموضوعي الدقيق لأشكال التغيير المطلوب إحداثها في سلوك الطالب بعد مروره بخبرة تعليمية معينة. (رشدي أحمد طعيمة ، 1989).

قال هندام وجابر (1987): "يستهدف التعليم تغيير الأفراد على نحو ما ، فيضيف معرفة إلى ما لديهم من معارف ، ويمكنهم من أن يؤدوا مهارات لم يكونوا قادرين على أدائها بدونه ، ويساعدهم على تقنية فهم واستبصار وتدوق معين". إن الهدف يتوقف على الدوافع التي تدافع الفرد في تعلم اللغة العربية. لأن معنى الدوافع على رأي رشدي أحمد طعيمة (1989): "هي قوة نفسية داخلية تحرك الإنسان للإتيان بسلوك معين لتحقيق الأهداف". وهناك نتائج البحث الذي قام به محمد كامل الناقه (1983) ، أن "أهم العوامل التي تدفع غير الناطقين باللغة العربية لتعلمها هي: الرغبة في دراسة الدين الإسلامي.

-الرغبة في دراسة الثقافة العربية وأحوال البلاد العربية.

-الرغبة في مواصلة الدراسة والتخصص في علوم اللغة".

مما يجب أن يكون واضحاً ومحددأ في عملية التعليم والتعلم الذي يقوم به المتعلم والمعلم هو الأهداف أو الأغراض ، ولا بد لكل من المتعلم والمعلم أن يوجهوا أنشطتهم للحصول على الأهداف المخططة. لذلك فإن الهدف في منظور عملية التعليم يلعب دوراً مهماً ؛ وهو الخطوة الأولى في تصميم الخطوات التعليمية. أي برنامج تعليمي فعال لا بد أن يكون له أهداف واضحة ومحددة المعالم ، والأهداف هي صمام الأمان ، وهي أولى مدخلات العملية التعليمية.

فالأهداف تلعب دوراً كبيراً ، إذ أنها بمثابة التغيرات التي نتوقع أن يحدثها المنهج في شخصيات التلاميذ. فالهدف هو وصف للتغيير المتوقع حدوثه في سلوك المتعلم نتيجة لتزويده بالخبرات التعليمية وتفاعل مع المواقف التعليمية المحددة. الهدف مرتبة بالسلوك ، ولكنهما متلازمان ، فالسلوك يتبع الهدف ، والأهداف هي المدخلات والسلوك المخرجات لهذه العملية أو نواتجها. (فوزي طه إبراهيم ، رجب أحمد الكلز ، 2000).

ومن هنا نجد الربط واضحاً بين تحديد الأهداف وتطوير المنهج المناسب للعملية التعليمية. يقول يحيى هندام وجابر عبد الحميد جابر (1987): "الوظيفة الأساسية لتحديد الأهداف هي تحديد الاتجاه الغالب على البرامج التعليمية والنواحي التي تؤكد عليها ، والأهداف في هذا المستوى تحدد ما يمكن أن يوصف بأنه فلسفة تربوية".

يتضح مما سبق لنا أنه لا بد من وجود الهدف أو الغرض من عملية التعليم حتى يمكننا اتخاذ المنهج المناسب ، إذ أن "الأهداف الواضحة معيار ومقياس في تقويم فعالية العملية التعليمية ، كما أن الأهداف الواضحة تساعد المدرس في تصميم عملية التعليم بما فيها من المادة والطرق التدريسية والاستراتيجية والوسائل والموارد التعليمية". (Wina Sanjaya, 2007) وعلى شكل متقارب بما سبق من دور الهدف في التربية ، قال محمد مجاور وفتحي الديب (1987): أن "الأهداف التربوية تؤدي وظائف على درجة عالية من الأهمية ، فهي تساعد في دعم الفلسفة التربوية ، وتساعد في تحديد أوجه النشاطات المعينة في عملية التعليم".

بناء على ما سبق يمكن القول أن الهدف أمر ضروري في تعيينه وتحديده قبل القيام بالتعليم. وكل شيء من العمليات التعليمية تتعلق كثيراً بالأهداف أو الأغراض التعليمية المصممة. إذ أن وضوح الأهداف التعليمية تساعد على اختبار الوسائل والطريقة المناسبة للوقوف على مدى تحقيق هذه الأهداف.

مشكلات تعليم العربية لغير الناطقين بها: الواقع إن هناك مشكلات متعددة تتعلق بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. ولو أمكن دراسة كل من هذه المشكلات دراسة علمية كان ثمة نهوض بمستوانا اللغوي وارتقاء به؛ ومن بين هذه المشكلات التي سنتعرض لها في هذا المقال هي تخلف طرائق تدريس اللغة؛ إذ ما يزال أغلب مدرسي اللغة العربية يعتمدون الطريقة الإلقائية في شرح دروسهم، تلك الطريقة التي يكون المتعلمين فيها سلبيين منفعلين لا يشاركون إلا لماماً في الوصول إلى الحقائق والمعلومات، علماً أن التقدم العلمي في ميدان علم النفس والتربية أشار إلى الآثار السلبية المترتبة على اتباع هذه الطريقة في التعليم من حيث إنها تعود المحاكاة العمياء من غير فهم، وإن كل معرفة لا يبذل المتعلم فيها جهوداً في سبيل الحصول عليها تبقى مزعجة في الذهن.

وهذه الطريقة الإلقائية يتبعها مدرس القواعد عندما يقرر القاعدة مباشرة من غير استقراء في الوصول إليها، كما يتبعها مدرس الأدب عندما يصدر الأحكام والحقائق قبل دراسة النصوص وتحليلها، ومدرس التعبير يقف خطيباً وواعظاً والطلبة واجمبون سلبيون. وهذا السلوك من التعليم تجاوزه الزمن، فالمدرسون في الأمم الحية يخلقون المواقف الإيجابية في التدريس، بحيث يشارك الطلبة مشاركة فعالة وينحصر دور المعلم في المراقبة والتقييم، وقد يستبد الحماس ببعض المعلمين بدافع الغيرة على اللغة إلى استهجان لغة المتعلمين مما يولد في نفوسهم الإحساس بالضيق والنفور من اللغة والضعف فيها، وهذا يؤدي في كثي من الأحيان إلى:

-عدم القدرة على فهم الجملة العربية.

-عدم القدرة على التحدث بالعربية.

-عدم القدرة على مواصلة التحدث بالعربية.

-عدم القدرة على فهم القرآن وكتب التراث.

وقد رأى الباحث أنه من أهم الأسباب التي تؤدي إلى تلك المشكلات ما يرجع إلى طرق التعليم والمنهج، مثل الاعتماد على الترجمة وعلى التلقين وذاكرة الطالب. وهذا ما حدا بالباحث بالتعرض للطريقة المباشرة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ودراستها حتى يستنى لنا الوصول بالطلاب إلى أعلى درجة من درجات الاستيعاب للنصوص العربية وفهم مقاصدها من ناحية، والتمكن من التحدث باللغة العربية بالدرجة المطلوبة من ناحية أخرى.

**مفهوم طريقة التدريس:** يمكن الوقوف على مفهوم الطريقة من خلال الإشارة إلى بعض المصطلحات التي ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً، وهي تأتي بالتسلسل الهرمي التالي:

المدخل أو المذهب ( Approach ): وهو مجموعة من الافتراضات المتعلقة بعضها ببعض، وتعالج طبيعة تعليم اللغة وتعلمها. الطريقة ( Method ): وهي الخطة العامة لعرض المادة اللغوية بصورة منتظمة، لا تتناقض أجزاءها وتبني على مدخل معين. الأسلوب ( Technique ): وهو تطبيقي، وهو ما يأخذ مكانه فعلاً في حجرة الدراسة. ويتمثل في خدعة (Trick) معينة، أو اختراع معين تستخدم لتحقيق غاية مباشرة. ويجب أن يتناغم الأسلوب مع الطريقة والمدخل على السواء.

والطريقة في إطار هذه التعريفات هي الخطة العامة المستمدة من نظريات وافترضات معينة لتعليم اللغة وتعلمها، والتي يتبعها المعلم في تقديم المواد اللغوية ويطبقها في عملية تعليمية في حجرة الدراسة من خلال إجراءات صافية تنطبق عليها. وطرائق تعليم اللغات الأجنبية كثيرة ومتعددة يختلف بعضها عن بعض باختلاف المداخل (Approaches) التي تستند إليها، والأساليب (Technique) التي تُنفذ بها عملية التعليم. وليس ثمة من هذه الطرائق طريقة مثلى وكاملة، تناسب كل الظروف التعليمية، وتخلو من العيب والقصور. إلا أن هناك طريقة سيئة، قليلة النفع، وأخرى فاعلة مؤثرة في العملية التعليمية. (نصر الدين إدريس جوهر، 2012)

**أسس ومعايير اختيار الطريقة:** ينبغي على معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها ألا يتقيد بطريقة معينة، وإنما ينتقي ما يناسب الموقف التعليمي الذي يجد نفسه فيه. كما يمكنه أن يلجأ إلى عدة أسسوهو يختار طريقة التدريس المناسبة، مثل: المجتمع الذي تدرس فيه العربية كلغة ثانية، وأهداف تدريس العربية كلغة ثانية، ومستوى الدارسين وخصائصهم، واللغة القومية للدارسين، وإمكانات تعليم اللغة، ومستوى اللغة العربية المراد تعليمها؛ فصحي، عامية... إلخ. كما أن هناك عدة معايير

ينبغي أن يتم في ضوءها اختيار الطريقة، مثل؛ أن تقدم الطريقة كافة الوحدات اللغوية الجديدة في سياقات ذات معنى تجعل تعلمها ذا قيمة في حياة الدارس، وأن تهيئ الفرصة لأقصى شكل من أشكال الاتصال بين المعلمين، وأن توظف المحتوى اللغوي الذي سبق تعلمه في محتوى لغوي جديد، وأن تقدم هذا المحتوى الجديد متصلاً بسابقه، وأن تقدم المحتوى اللغوي الجديد بشكل يسمح لكل طالب كقدر أن يستفيد. فإن الطريقة الجيدة هي التي لا يضيع فيها حق الفرد أمام تيار الجماعة، وأن تتوفر نماذج جديدة يمكن محاكاتها في تعليم اللغة، وأن تتنوع أساليب عرض المحتوى اللغوي الجديد، وأن فيها يتفاعل كل من المعلم والمتعلم والمواد التعليمية في إطار الظروف والإمكانيات المتوفرة في حجرة الدراسة، وأن تعطي لكل متعلم الفرصة للممارسة الفعلية للمحتوى اللغوي الجديد تحت إشراف وضبط، وأن يتمكن المتعلم من إظهار أقصى درجات الاستجابة عنده، ومن تنمية قدرته على التوجيه الذاتي. (نصر الدين إدريس جوهر، 2012).

أنواع طرق التدريس الشائعة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: يرى علماء تعليم اللغات أنه لا توجد طريقة مثالية وأخرى خاطئة، إذ أن كل هدف تناسبه طريقة معينة. يقول الحافظ عبد الرحيم الشيخ (2006): "مناسبة الطريقة للهدف يتوقف على إمكانات المعلم والمتعلم والمادة التعليمية والبرنامج والوسائل المتاحة".

إن طرائق تعلم اللغات الأجنبية كثيرة ومتعددة؛ منها القديم ومنها الحديث، وبعضها تختلف عن بعضها كلياً، وبعضها تشارك مع الأخرى في الأهداف. ومنها طريقة النحو والترجمة، والطريقة المباشرة، والطريقة السمعية الشفوية، والطريقة الانتقائية. وستتناول في السطور التالية ما نرى أنه أشيع هذه الطرق وأهمها في مجال تعليم العربية لغير الناطقين بها، وهي الطريقة المباشرة، مبيناً الملامح العامة لها وجوانب القصور فيها.

**الطريقة المباشرة ( Direct Method ):** كان ظهور الطريقة المباشرة رداً على طريقة القواعد والترجمة التي كانت لا تنبني على أية نظرة علمية للغة، والتي تقتصر إلى أي أساس منهجي في أساليبها. وتسمى هذه الطريقة أحياناً بالطريقة الطبيعية لتعليم اللغة، وهي المبادئ التي تقول إن اللغة الأجنبية يمكن تعلمها بأسلوب طبيعي يتعلم به الطفل لغته الأم. يقول أحمد بيبرس وعبد الله سويد (1984): "إن التعامل المباشر مع العبارة العربية يزيل غربة أصواتها عن الأذن، ويسقط الحاجز النفسي الذي يقيمه الفرد عندما يبدأ في تعلم لغة جديدة. إنه يتعلم اللغة وينغمس في أصواتها، مما يغرس الثقة في نفسه، فيحاول بعد ذلك أن يلتقط منها ما يستمع إليه، سواء في الشارع أو من الإذاعة أو من الأشرطة المسجلة". ومن ثم فتعليم اللغة الأجنبية لا يتم بالضرورة من مدخلات الترجمة، إذ أن تعليم معاني كلماتها يمكن أن يتم من خلال التمثيل والحركة والصور واستخدامها بصورة عفوية في حجرة الدراسة.

انتشرت فكرة الطريقة المباشرة في القرن العشرين عندما ازدهر ميدان التربية. وقد أشار أصحاب هذه الفكرة إلى أن الناطقين بغير العربية يمكنهم فهم اللغة عن طريق الاستماع بكمية كبيرة منها، وتعلم الكلام عن طريق المحادثة وربطها بمناسبات ومواقف. أي "مجموعة من المحادثات الشفوية القصيرة، التي يستعملها الناس في حياتهم اليومية، بحيث يشعر المردد لها بأنها تسد حاجة ضرورية له في الحياة، كما أنها تشبع رغبته في الاتصال بالناس، والتعامل معهم" (أحمد بيبرس، عبد الله سويد، 1984).

وقد لاحظوا أن هذه الطريقة هي التي كان يتعلم بها الطلاب لغتهم الوطنية، كما أنها كانت الطريقة التي يتعلمون بها اللغة الثانية بدون صعوبات كثيرة عندما ينتقلون إلى بيئة أخرى.

ولقد قامت حركة تجميع وتطوير في وقت ما للطرق الشفوية والطبيعية، وأدت إلى تشكيل طريقة جديدة هي ما سميت بالطريقة المباشرة التي تعتمد على الربط بين الكلمات وجمل اللغة الأجنبية وبين الأشياء والأحداث بدون أن يستخدم المدرس أو التلاميذ لغتهم الوطنية. وقد استفادت هذه الطريقة من ثلاثة طرق؛ الطريقة السيكلوجية والطريقة الصوتية والطريقة الطبيعية. (الحافظ عبد الرحيم الشيخ، 2006).

وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها اتصالياً نشأ رغبة في التركيز على الاتصال والتواصل الإنساني بدلاً من الاهتمام بتدريس القواعد، باعتبار أن اللغة هي أفضل وأهم وسيلة اتصال بين البشر، وفي معرض ذلك يقول خالد حسين أبو عمشة (2018): لم يكن التحول الذي شهدته سبعينيات القرن الماضي تحولاً في الاستراتيجيات بقدر ما هو تحول في الفلسفة والرؤية والمبادئ

والمنطلقات في منظومة تعليم اللغات الأجنبية. وقد جاء هذا التحول استجابة لتطورات اللغويات التطبيقية وتغير منظوراتها نحو اللغات البشرية ، حيث إن تعلم اللغة العربية بشكل ناجح يكون حين يستند إلى التواصل في سياقات طبيعية حقيقية ذات مغزى ومعنى. فحين يكون الاتصال طبيعياً فإن الاستراتيجيات الطبيعية في اكتساب اللغة سوف يتم تفعيلها وتنشيطها واستخدامها مما يمكنهم من اكتساب اللغة. ويمكن القول بأن تعليم اللغات الأجنبية اتصالياً جاء حصيلة لتوحيد جهود اللغويين والمربين الذين لم يشعروا بالرضا من نتائج طريقة القواعد والترجمة ، والسمعية الشفوية في تعليم اللغات الأجنبية. ويقوم تعليم العربية اتصالياً على محاكاة مواقف الحياة الحقيقية حيث يضع مدرس العربية سيناريو يتوقع أن يواجهه متعلم العربية في حياته الحقيقية ، عكس الطريقة السمعية الشفوية التي تقوم على الإعادة والتكرار.

#### من أهم ملامح الطريقة المباشرة:

يتم التعليم في حجرة الدراسة فقط باللغة الهدف دون استخدام لغة أخرى.  
لا تُعلم من المفردات والجمل إلا التي تستخدم في الحياة اليومية.  
تقديم المهارات الشفوية الاتصالية تقديماً متسلسلاً ومتدرجاً تدور حول تبادلات السؤال والجواب بين المعلمين والدارسين في صفوف صغيرة ودروس مكثفة.  
تعليم النحو بأسلوب استقرائي.  
تقديم النقاط الدراسية الجديدة شفويًا.  
تعليم الكلمات المحسوسة عن طريق التمثيل والمدلولات والصور. أما الكلمات المجردة فيتم تعليمها عن طريق ترابط الأفكار.  
تعليم كل من مهارتي الكلام والاستماع.  
التركيز على صحة النطق والقواعد النحوية.  
العلاقة بين المعلم والمتعلم علاقة تبادلية. المعلم يدير الفصل ولكن التعامل بينه وبين المتعلمين ثنائي الطرف ، إذ أنه قد يجري من المعلم إلى المتعلمين ، وقد يجري عكس ذلك.(نصر الدين إدريس جوهري ، 2012).

#### مزايا الطريقة المباشرة:

هذه الطريقة تركز على الاستخدام الفعلي للغة بدلاً من مجرد النصوص الجامدة في الكتاب ، وذلك من خلال تقديم مواقف لغوية حية يستطيع الدارس من خلالها فهم المفردات والكلمات ، إذ أن "التعامل مع العبارة العربية السهلة — والبسيطة في الوقت نفسه — يدخل في وجدان الدارس جوهري هذه اللغة التي تعتمد على الإعراب في جرسها وإيقاعها. فلا يأتي وقت ينفر فيه الدارس من علامات الإعراب ، لأن هذه العلامات قد استقرت عنده حقيقة محسوسة ، لا يستغني عنها في المستقبل ، فيسكن أواخر الكلمات في العبارة الواحدة".(أحمد سمير بيبرس ، عبد الله سويد ، 1984).  
تستخدم هذه الطريقة الحوار ، والسرد القصصي كأساس لتعليم المهارات اللغوية المختلفة. "وبذلك ينصرف الدارس في المحادثات الشفوية إلى ولاء واحد ، وهو التركيز على الأذن ، عندما ينطق له الأستاذ العبارات الواردة في المحادثات ، ثم عندما يطلب من دارسين ترديد حوار المحادثات شفويًا في قاعة الدرس بصورة منتظمة"(أحمد سمير بيبرس ، عبد الله سويد ، 1984)  
يُعزى لهذه الطريقة فضل شيوع استخدام الوسائل التعليمية في تعليم اللغات الأجنبية. كما أنها تعد أول طريقة تدريس تستند إلى نظرية لغوية علمية ، إذ إنها تستند إلى افتراض أن تعلم اللغة الأجنبية يمكن أن يتم بنفس الأسلوب الذي يتعلم به الطفل لغته الأم ، الأمر الذي أدى إلى اعتمادها على الاستماع والكلام في تعليم اللغة الأجنبية.(نصر الدين إدريس جوهري ، 2012).

#### عيوب الطريقة المباشرة في تعليم العربية لغير الناطقين بها:

تهتم هذه الطريقة بمهارة الكلام على حساب المهارات اللغوية الأخرى.  
عندما لا تستخدم هذه الطريقة اللغة الأم في تعليم اللغة الأجنبية ؛ فإن كثيراً من الجهد يبذل وكثيراً من الوقت يضيع. ولو استخدمت هذه الطريقة اللغة الأم بشكل محدود لتوفر كثير من الجهد وكثير من الوقت ، الأمر الذي أدى إلى اتهامها بأنها أبعد الطرق عن كونها مباشرة.

إن استبعاد هذه الطريقة للأحكام النحوية من التعليم يحرم المتعلم من إدراك ماهية القوالب النحوية التي تنتظم فيها كلمات اللغة لتكوين الجمل.

إنها تسمح للطلاب بحرية الكلام والتعبير في مواقف مخططة أحياناً مما يترتب عليه انطلاق غير محمود. ومن ذلك أن يخلط الطالب بين لغته الأولى والثانية فينسخ تراكيبه اللغوية المألوفة في لغته بمفردات من اللغة الجديدة.

إن استخدام هذه الطريقة قاصر على المراحل الأولى ، لأنها غير فعالة إذا ما استخدمت لتعليم اللغة في المراحل المتقدمة. ليس كل معلم يستطيع استخدامها ، إذ لا بد له أن يكون ذا ثروة لغوية فائقة في اللغة الجديدة.

إن إغفال هذه الطريقة لمبدأ الترجمة سبب من أسباب عدم الاتصال بالتراث ، وعدم قدرة الطالب على ترجمة آداب الشعوب ونقل ثقافتها. (نصر الدين إدريس جوهر ، 2012).

ورغم تلك الانتقادات والعيوب التي لا تخلو منها أي طريقة ، إلا أن الطريقة المباشرة التي تعتمد على المحادثة أولاً والوسائل السمعية البصرية ناجحة ؛ بحيث تجعل الطلاب يتمكنون من التعبير عما في أنفسهم بسهولة ويسر ، وتربي لديهم الملكة والمقدرة على التحدث أولاً والكتابة بالعربية بطلاقة ثانياً. حيث أن المحادثات تدفع بالدارس إلى التعامل المباشر مع العبارة العربية ، وفيها يمارس الدارس اللغة العربية بالطريقة التي يمارسها بها الناطقون بهذه اللغة أو بصورة قريبة من ذلك ، مما يدفع بقدرة الطالب على فهم اللغة العربية عندما يستمع إليها ، وتنمي قدرته على النطق الصحيح للغة العربية والتحدث مع الناطقين بالعربية حديثاً معبراً في المعنى ، سليماً في الأداء.

وإذا أخذنا في استكمال ملامح الطريقة المباشرة نجد أن القواعد فيها لا تُدرس بشكل صريح وبالطريقة القياسية ، كما في طريقة الترجمة. ولكنها تُعلم من خلال الممارسة ومن خلال عمليات الاستدلال والاستنباط.

والقراءة في هذه الطريقة تقوم على أساس أن يبدأ الطلاب قراءة الموضوعات التي تدور حول الأشياء التي ناقشوها شفويًا. ويقوم المعلم في كثير من الأحيان بإعداد الطلاب لقراءة قطع مختارة عن طريق مناقشة سابقة لكلمات وجمل جديدة في مواقف جديدة.

ويمكن أن يلخص الباحث نتيجة المقال بأن الغرض الأساسي من تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عبر الطريقة المباشرة هو أن يستطيع الدارس أن يعبر عن نفسه تعبيراً كاملاً صحيحاً وواضحاً باللسان أو بالقلم ، وأن يفهم ما يسمع وما يقرأ ، وأن يشارك في التفكير فيما حوله بقدر ما يسمع به.

#### المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم ، فوزي طه والكلمة ، رجب أحمد. (2000). المناهج المعاصرة. ط1. نور الإسلام. الإسكندرية.
- 2- أبو عمشة ، خالد حسين والفاغوري ، عوني. (2013). "تعليم العربية للناطقين بغيرها مشكلات وحلول". مجلة دراسات الجامعة الأردنية. عمان. 3(32) 488-3.
- 3- أبو عمشة ، خالد حسين. (2018). المغني في تعليم العربية للناطقين بغيرها. ط1. أصوات للدراسات والنشر. غيرسون. تركيا.
- 4- بيبرس ، أحمد سمير وسويد ، عبد الله. (1984). العربية لغير العرب. ط2. الدار العربية للكتاب. ليبيا-تونس.
- 5- جوهر ، نصر الدين إدريس. (2012). "طرق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها". <http://Lisanarabi.nett1>
- 6- الشيخ ، الحافظ عبد الرحيم. (2006). مبادئ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. ط1. جدار للكتاب العالمي. عمان. الأردن.
- 7- طعيمة ، رشدي أحمد. (1989). تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهج وأساليبه. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو. الرباط. المغرب.
- 8- مجاور ، محمد صلاح الدين والديب ، فتحي عبد المقصود. (1987). المنهج المدرسي أسسه وتطبيقاته التربوية. ط7. دار القلم. الكويت.
- 9- الناقة ، محمد كامل. (1983). أساسيات اللغة العربية للأجانب. مطبوعات معهد الخرطوم الدولي. الخرطوم. السودان.
- 10- هندام ، يحيى وجابر ، جابر عبد الحميد. (1987). المناهج أسسها- تخطيطها- تقويمها. ط3. دار النهضة العربية. القاهرة.
- 11- Sanjaya, Wina. (2007). Strategi Pembelajaran Berorientasi Standar Proses Pendidikan. Kenkana Prenada Media Group. Jakarta. Cet. Ke-3.

## أثر الجغرافية في الوحدة الحضارية والسياسية لبلاد وادي الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد Geographical Effects in Mesopotamia Civilization and Political Unity Through Third

Millennium B.C.

أ.د جميل موسى النجار

كلية التربية- الجامعة المستنصرية- العراق

لعبت العوامل الجغرافية ، المتمثلة بطبيعة الأرض والمناخ ووفرة المياه ، دوراً أساسياً في تكوين حضارة ذات سمات وخصائص متميزة في جنوب وادي الرافدين منذ فجر العصور التاريخية(ول ديورانت ، 2001 ، ص23). وأصبحت ، من ثم ، تلك العوامل بوتقة للتوحيد الحضاري الرافديني لجنوب الوادي مع وسطه وشماله لتماثل الطبيعة الجغرافية أو تطابقها غالباً في الجنوب والوسط والشمال. ومازالت تلك الحضارة الرافدينية تزدهر منذ انبثاقها بريادتها وبريقها في العالم القديم ، وبوحدتها ونسبتها إلى (بابل) غالباً ، وهي مركز الوادي وقلبه ، حتى في أوقات التشرذم السياسي وتعدد الكيانات السياسية الرافدينية ، وفي ذروة القوة السياسية لأشور الشمالية التي كانت تهرع " باستمرار الى الاستنجاد بمواردها الحربية قبل أي شيء في سبيل الوفاء بواجبها ، باعتبارها الحافظ على تخوم العالم البابلي ضد سكان الجبال الهمج [كذا] في زاجروس... وطوروس " (آرنولد توينبي ، 1961 ، ص 106) ، على حد وصف آرنولد توينبي وعلى وفق ما يقرره توينبي أيضاً ، كان هذا (العالم البابلي) امتداداً للحضارة السومرية(آرنولد توينبي ، 1961 ، ص50) ، أو ما يطلق عليه اسم (المجتمع) السومري ، حيث يتماهى عنده هذا الاسم مع مصطلح (الحضارة) في دراسته للتاريخ العام(Universal History) ، ونظريته في نشأة الحضارات ، المعروفة بالتحدي والاستجابة(Chollende and Response) ، والتي تمخضت عنها تلك الدراسة. وقد اتضحت معالم الحضارة السومرية مع انبثاق فجر العصور التاريخية في النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد في جنوب بلاد وادي الرافدين ذي الطبيعة السهلية الوفيرة المياه ، والتي كان منجزها السياسي (الدولة العالمية) المتمثلة بامبراطورية (سومر وأكد)(آرنولد توينبي ، 1961 ، ص48) التي قامت في جنوب الوادي ووسطه. وهي الحضارة التي تعدّ " أول ما عرف في التاريخ من حضارة واسعة شاملة فذة ، وهي من أعظمها إبداعاً وإنشاءً"(ول ديورانت ، 2001 ، ص14). وفي الوقت الذي كانت فيه الحضارة المصرية القديمة ، التي عاصرت في نشأتها في جنوب وادي النيل الحضارة السومرية التي قامت في جنوب وادي الرافدين ، تمثل المجتمع الحضاري المصري " الذي لم يكن له (آباء) ولم يخلف ذرية"(آرنولد توينبي ، 1961 ، ص51) على حد قول توينبي ، كان المنجز الحضاري الرافديني في الوقت نفسه يشهد تعدداً في ألوان عطائه وتكاملاً في مسيرته ، انطلاقاً من جنوب الوادي ، ثم في وسطه وشماله فيما بعد. ويبدو أن الأصل السومري كان له في تلك المسيرة(آباء) رافدينيون ، كما يرى كثير من الباحثين (طه باقر ، 2012 ، ص82) ، يجعلون من حضارة وادي الرافدين ، بجذورها وامتداداتها في سومر وبابل وأشور ، أقدم منجز حضاري في التاريخ البشري.



وقد لعبت طبيعة الأرض الخصبة ووفرة المياه على امتداد بلاد وادي الرافدين دوراً أساسياً في انتشار حضارة سومر نحو شمالي الوادي حتى بعد اضمحلال الشأن السياسي للسومريين، حيث " انتقلت حضارة المدين الجنوبية الى الشمال على طول مجرى الفرات ودجلة حتى وصلت الى بابل وآشور، ... وكان أساس هذه الثقافة [= الحضارة] هو تربة الأرض التي أخصبها فيضان النهرين السنوي " (ول ديورانت، 2001، ص 23). وبذلك كانت التربة الخصبة ووفرة المياه والطبيعة الجغرافية المشتركة لمعظم أجزاء بلاد وادي الرافدين، تشكل منذ فجر العصور التاريخية ملامح بلاد موحدة تتميز بسماتها الجغرافية عن البلاد المحيطة بها ذات الطبيعة الجبلية والصحراوية التي شكلت فيها الجبال، لاسيما في المنطقة الشرقية والشمالية الشرقية، حدوداً طبيعية فرضت واقعاً جعل منها تحوماً سياسية تفصل بلاد وادي الرافدين عن جوارها الشرقي والشمالي شأنها شأن الصحراء التي تفصلها عن الغرب والجنوب. ولترسم تلك الطبيعة الجغرافية المشتركة طريق بناء حضارة واحدة تتسم بالثراء والريادة، وتسير بالبلاد نحو صناعة تاريخ خاص بها لا يتماهى إلا مع نفسه، متميزاً عن تواريخ الأمم المجاورة، حتى في حال تشرذم البلاد السياسي وتعدد الكيانات المستقلة أو شبه المستقلة فيها. على أن عوامل عديدة أخرى، كان في مقدمتها العامل التجاري، لعبت دوراً مهماً بعد ذلك في ترسيخ وحدة بلاد الرافدين، وتضافرت مع العوامل الجغرافية على صهرها في بوتقة كيان حضاري واحد، ويسرت سبل توحيدها السياسي من خلال توسيع نظام دولة المدينة في أول الأمر، فقد سعت دويلات المدين السومرية إلى توسيع حدودها السياسية بغية التحكم بطرق التجارة التي تربط جنوب الوادي مع شماله، فضلاً عن توسيع نطاق تجارتها لتمتد إلى خارج بلاد وادي الرافدين عبر الصحارى والجبال المحيطة بها، "وقد بلغت هذه العملية أوجها في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد" (ماكس مالوان، 2001، ص 17) بالتزامن مع نجاح لوكال زاكيري (2400-2370 ق.م) آخر حكام فجر السلالات، ومن ثم سرجون الأكدي (2371-2316 ق.م) في بسط سيطرتها على جنوب ووسط وشمالي الوادي، وتوحيد البلاد تحت حكم نظام سياسي واحد.

وظل عامل التجارة وحرية حركتها وتأمين طرقها يمثل بعد ذلك حافزاً لتوحيد بلاد الرافدين خلال حقبة تعدد حكوماتها وأنظمتها السياسية، ويرسخ حالة الوحدة فيها حينما تتوحد سياسياً. واستمر تأثير هذا العامل مع استمرار الحاجة إلى التجارة، لها تجلبه للبلاد من مواد أولية تفتقر إليها كالأخشاب وأحجار البناء والمعادن والأحجار الكريمة (طه باقر، 2012، ص 41، 317)، وسواها مما يستلزمه اطراد نموها العمراني والحضاري بوجه عام، وإن كان على التجارة الخارجية أن تحتاز مخاطر الطرق الصحراوية والجبلية وعقبات الممرات الجبلية الضيقة والصعبة (ماكس مالوان، 2001، ص 18) التي تفصل الوادي عن جواره الجغرافي والسياسي. وفي إطار أهمية هذا العامل نجد أن الملك الآشوري ايلوشوما، وهو من الملوك المهمين في جداول الملوك الاشورية، قام بالتدخل بقوة في شؤون بابل بغرض الحفاظ على سلامة الطرق التجارية بين شمال الوادي ووسطه وجنوبه وبين بلاد عيلام، على اعتبار أن أور هي "الميناء الرئيسي لكل بلاد وادي الرافدين" (حسين أحمد سلمان، 2008، ص 248). وقد كتب الملك الآشوري ايلوشوما، الذي حكم كما يبدو في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، في هذا الشأن، ما نصه: " لقد مكنت حرية تنقل الأكديين وأولادهم ونقلت لهم النحاس، وثبتت حرية هجرتهم واستيطانهم في المناطق ... وفي أور ومدينة نيبور ومدينة أوام ومدينة كيسمار ومدينة دير إلى مدينة آشور" (حسين أحمد سلمان، 2008، ص 248). ويشير النص الى أن الملك الآشوري هذا " قد

أجبر يسمح-دكان [ = اشمی - دكان 1953-1935 ق.م] ملك آيسن المعاصر له ، الذي كان مسيطراً على نقر وأور ، على منح الأكديين حرية الدخول والمتاجرة مع هاتين المدينتين إضافة الى آشور "(حسين أحمد سلمان ، 2008 ، ص248).

وهكذا .. ما أن " وافى عام 1800 ق.م حتى نمت التجارة نمواً جعل الانفصال بين المدن أمراً مستحيلاً ، فنشأت منها جميعاً ( امبراطوريات ) استطاعت فيها شخصية قوية عظيمة أن تخضع المدن والملوك - الكهنة لسلطانها ، وأن تؤلف من هذه المدن وحدة سياسية واقتصادية" (ول ديورانت ، 2001 ، ص26). وقد ظلت كل من آشور وبابل معنية حتى وقت متأخر باستقرار الأخرى بسبب خطوط التجارة(هاري ساكر ، 2009 ، ص229). ومن ثم فان التجارة ، فضلاً عن ذلك ، عملت على مزج ثقافات وفنون مجتمعات بلاد وادي الرافدين الشمالية والوسطى والجنوبية ، وذلك في مناطق طرقها الرئيسية ، لاسيما الممتدة مع شواطئ نهرى دجلة والفرات من نينوى حتى أقصى جنوب الوادي (ول ديورانت ، 2001 ، ص308)، الأمر الذي جعل منها ومن طبيعة الوادي وانتشار الأنهار وتفرعاتها فيه ، تنحو بالبلاد نحو مسار تاريخي وحضاري معين تغلب عليه صفة الحضارة الواحدة والتاريخ المشترك دون سواه من المسارات .

وكان هذا المسار التاريخي والحضاري لبلاد وادي الرافدين ، بجنوبها ووسطها وشمالها ، والذي كانت تحدوه كما اتضح لنا عوامل الجيوبولتيكا والتجارة وسواها من عوامل أمنية وإستراتيجية ، يمتد منذ أن اتضحت معالمه في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد على مساحة من الأرض سهلية في معظمها ، محاطة بتضاريس جغرافية جبلية وصحراوية تفصل بينها وبين البلاد المحيطة بها. فقد كانت جبال زاكروس وطوروس تمثل الحدود الطبيعية لبلاد وادي الرافدين مع جوارها الشرقي والشمالي ، حيث مثلت زاكروس الحد الذي يفصل بين الهضبة الإيرانية ووادي الرافدين (ميثم عبد الكاظم النوري ، 2018 ، ص50) من جهة الشرق والشمال الشرقي ، وهو الحد الذي يظهر " التناقض الحاد بين الطبيعة الجغرافية لبلاد الرافدين وإيران"(ماكس مالوان ، 2001 ، ص22). وشكلت جبال طوروس الحاجز الطبيعي بين وادي الرافدين وهضبة آسيا الصغرى من الجهة الشمالية للوادي ، وهي جبال تتسم بارتفاعاتها الشاهقة وصعوبة اجتيازها. كذلك فقد فصلت الصحارى بين وادي الرافدين والبلاد الواقعة إلى الغرب والى الجنوب منها ، بما يجعل منها حاجزاً طبيعياً يفصل تلك البلاد عنها.

وببلاد وادي الرافدين القديمة عرفت ، على أساس جغرافي أيضاً " بأنها أرض الإقليم الذي يسيطر عليه نهرا دجلة والفرات"(ماكس مالوان ، 2001 ، ص2)، وتلك(السيطرة) لا بد لها أن تكون ، بطبيعة الحال ، على الأراضي السهلية دون سواها من الأراضي المرتفعة والصحراوية. وهي البلاد التي أطلق على الجزء الأوسط والشمالي منها الكُتاب اليونان والرومان المصطلح الجغرافي بلاد ما بين النهرين(Mesopotamia) بين القرنين الثاني والرابع قبل الميلاد ، والذي اتسعت دلالاته بعد ذلك لتشمل الوادي بأكمله.. شماله ووسطه وجنوبه ، وليكون إسم ( ما بين النهرين)، منذ أن ترجمت التوراة من اللغة اليونانية إلى اللغات الأوربية والى يومنا هذا ، إسماً عند الغربيين لبلاد وادي الرافدين بأكملها(طه باقر ، 2012 ، ص23-25).

من جانب آخر ، فان بلاد وادي الرافدين ، التي حددنا ملامح طبيعتها الجغرافية الواحدة وتميزها عن طبيعة البلاد المجاورة ، نشأت فيها خلال تاريخها القديم كيانات سياسية كانت تتوحد أحياناً وتستقل بذاتها في

أحيان أخرى لتشكيل كيانين أو ثلاثة. ويبدو أن الطبيعة الجغرافية السهلية للبلاد، فضلاً عن العوامل التي أشرنا إليها، قد شكلت عاملاً من عوامل قيام دولة واحدة تغطي مساحتها أرض الوادي بأكملها لعدم وجود حواجز طبيعية تحول دون توسيع حكام وملوك البلاد لنفوذهم ونشر سلطانهم على وادي الرافدين من شماله إلى جنوبه. ولم تكن جغرافية الوادي تحدها لوحدها مسيرة الوحدة السياسية الرافدينية التي نجحت محاولات تحقيقها مراراً على مدى تاريخ البلاد القديم منذ أن انطلقت في عصر فجر السلالات واتضحت معالمها بعيد انتصاف الألف الثالث قبل الميلاد في توحيد لوكال زاكيري وسرجون الأكدي لشمال الوادي مع وسطه وجنوبه، بل كانت دوافع الوحدة السياسية تتمثل فيما يبدو، في مؤشرات واقعية أخرى .. اجتماعية واقتصادية وثقافية، ذلك أن روح التعاون الاجتماعي والتآزر بين المجموعات البشرية التي عاشت في وادي الرافدين، وهي الروح التي يتصف بها عادة سكان الوديان والسهول أكثر مما يتصف بها سواهم، كانت من عوامل إيجاد فضاء أرحب لتلك المجموعات التي مهدت الطبيعة السهلية للوادي آليات تواصلها وتعاونها في زراعة الأرض وشق قنوات الري والتبادل التجاري، وفي مجال المشتركات الدينية والحضارية ودرء الخطر الخارجي القادم من وراء الوادي، كيما تنضوي في كيان سياسي موحد.

ويمكن القول إن محاولات بسط السيطرة على الجغرافية الطبيعية الواحدة لبلاد وادي الرافدين، المتمثلة بالسهول والهضاب والمناطق شبه الجبلية، وتوحيدها في كيان سياسي واحد، قد بدأت في عصر فجر السلالات الثاني الذي افتتح بحكم سلالة كيش الأولى عقب الطوفان مباشرة في حوالي 2800 الى 2600 قبل الميلاد، إذ يرجح الباحثون في تاريخ العراق القديم وحضارته أن الملك (ميسلم) الذي حكم كيش خلال ذلك العصر، كان يشمل حكمه أراضي بلاد وادي الرافدين بأكملها (طه باقر، 2012، ص 338). كما يرجح أن لقب ( ملك كيش) الذي أضيف عليه وعلى ملوك كيش قد استخدم من قبل عدد من الملوك القدامى من بعده، ذلك أن هؤلاء " قد اتخذوا لقب (ملك كيش) إشارة الى اتساع سلطانهم السياسي في البلاد" (طه باقر، 2012، ص 336). فقد اتخذ حاكم لجش، على سبيل المثال، لنفسه لقب ( ملك كيش) " رمزاً لاتساع سلطته السياسية، حيث ضم بعد ذلك ماري وسوبارتو" (حسين أحمد سلمان، 2008، ص 14).

وقد تعدى نفوذ الملك لوكال زاكيري آخر حكام فجر السلالات (2400- 2370 ق. م) نطاق بلاد وادي الرافدين، فامتد حكمه من البحر الأسفل (الخليج العربي) الى البحر الأعلى (المتوسط) (حسين أحمد سلمان، 2008، ص 15). وتأكيدياً لسيطرة ملوك أكد على أراضي بلاد وادي الرافدين بأكملها، فضلاً عن البلاد الخارجية التي أخضعوها لحكمهم، أضفى سرجون الأكدي مؤسس السلالة الأكديّة، - أو حفيده نرام سين (2291- 2255 ق. م) - على نفسه لقب ( ملك الجهات الأربع) (طه باقر، 2012، ص 23)، في إشارة إلى إخضاع بلاد وادي الرافدين، وكذلك العالم القديم المعروف في عهده لحكمه وسيطرته. وظلت هذه التسمية التي تشير إلى خضوع جميع بلاد الرافدين لنظام سياسي واحد واتساع السلطة السياسية الرافدينية الى خارج البلاد، حتى الاحتلال الإخميني لها في سنة 539 ق. م، وإن تعددت في بعض الأحيان الكيانات السياسية فيها، وخضع بعضها للآخر خضوعاً مباشراً أو غير مباشر. فقد تطور مصطلح ( ملك الجهات الأربع) وتوسعت دلالاته " في العصور المتأخرة لاسيما لدى الملوك الآشوريين الى معنى ( ملك العالم) .." (طه باقر، 2012، ص 336).

وتألفت بلاد وادي الرافدين، أو كما أسماها اليونان والرومان ببلاد ما بين النهرين، من "آشور في الشمال وبابل في الجنوب سوية" (جورج كونتينو، 1979، ص11). وبابل (Babylonia) وآشور (Assyria) هما مصطلحان سياسيان وجغرافيان معاً، يرجح أن أول من وضعهما في موضع الاستعمال هو المؤرخ اليوناني هيروdotس (484-425 ق.م) الملقب بأبي التاريخ (طه باقر، 2012، ص23). وكان هيروdotس يريد من تسميته لوادي الرافدين باسم (بلاد آشور وبابل) الرقعة الجغرافية التي تشغلها بلاد وادي الرافدين أو ما بين النهرين من شمالها الآشوري إلى وسطها وجنوبها البابلي باعتبار أنهما منطقة جغرافية واحدة تشكل إقليمياً جغرافياً تابعاً في عهده للحكم الأخميني. "وقد استعمل هيروdotس لفظتي بلاد آشور وبابل كمداوليين لمنطقة واحدة بقوله: في بلاد آشور كثير من المدن أشهرها في هذا الوقت بابل" (سامي سعيد الأحمد، 1991، ص120).

والجغرافية الواحدة لبلاد وادي الرافدين التي أشار هيروdotس إلى أنها تألفت من أراضي آشور وبابل، كانت تدفع فيها مقومات الوحدة الجغرافية وعواملها باتجاهات تكامل حضارتها ووحدتها حتى في حالات انشطار نظامها السياسي إلى شمالي وجنوبي، ذلك "أن النهرين نفسيهما يفيضان على أرض المملكتين [آشور وبابل] ويغذيانهما ونظام الجسور والقنوات بعينه كان يسيطر فيهما على ما زاد من مياه النهرين، والشواذيف [النواعير] ذاتها كانت ترفع المياه من المجاري المنخفضة لتروي الحقول التي تزرع نفس القمح والشعير والذرة الرفيعة والسمسم" (ول ديورانت، 2001، ص278). ومما هو جدير بالذكر أن آشور نشأت في عهدها الأخير (911-612 ق.م) "حول أربع مدائن ترويهما مياه نهر دجلة وروافده، وهيا آشور...، واربلا وهي إربل الحالية، والكلكخ وهي الآن نهرود، ونيوى" (ول ديورانت، 2001، ص265). وكانت هناك مدن أخرى في نطاق بلاد وادي الرافدين تدخل ضمن بلاد آشور منذ العصر الآشوري القديم في مفتتح الألف الثاني قبل الميلاد، مثل ارباخا (كركوك) ودهوك وسنجار (طه باقر، 2012، ص555). ومن ثم نجد أن وحدة جغرافية بلاد وادي الرافدين قد تمخضت عن حضارة جمعت البلاد من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها تحت لوائها، وتحكمت في مسيرتها وصورها تاريخها. وهي الحضارة التي عرفت بالحضارة الآشورية البابلية (Assyrio-Babylonia Civilization)، أو حضارة ما بين النهرين (Mesopotamia Civilization)، "وهي تعني حضارة واحدة... عاشت مميزة زهاء ثلاثة آلاف سنة أو يزيد، ورغماً عن الغزوات التي تعرضت لها أو الدماء الجديدة التي غدتها فإنها ظلت دائماً محتفظة بالطابع الذي كان يميزها عن الحضارات الأخرى" (صلاح رشيد الصالحي، 2017، ج1، ص19).

وكان من الطبيعي لهذه الحضارة الرافدينية المزدهرة أن تجذب إلى أرضها السكان من البلاد المجاورة لها، لاسيما من الجبال الشرقية والشمالية الشرقية المحاذية لها ومن وراء الصحارى الواقعة إلى الغرب والجنوب منها، لغناها بالموارد الطبيعية والمياه واعتدال مناخها وتقدم منجزها الحضاري. فكان أن وفدت عليها الموجات البشرية من تلك المناطق الفقيرة نسبياً منذ عصور ما قبل التاريخ، كالساميين الذين هاجروا إليها من شبه الجزيرة العربية عبر سورية غالباً، والأقوام الهندو أوروبية التي جاءت إليها من الشرق والشمال الشرقي (طه باقر، 2012، ص35-36). وتتميز الهجرات الوافدة على بلاد وادي الرافدين من الجبال الشرقية والشمالية باستمرارها لحقب زمنية طويلة على الرغم من وقوف ملوك البلاد وحكامها، وبخاصة الآشوريين

منهم ، بوجهها ، ووعورة الحواجز الجبلية التي تجتازها الأقوام المهاجرة وقلة المجازات الصالحة للعبور فيها ، مثل مجاز ( كيله شين ) الذي يفصل بين بلاد الرافدين وجوارها الشرقي الشمالي والشمالي معاً طه باقر ، 2012 ، ص 43).

فقد كانت جغرافية بلاد الرافدين السهلية ، ومازالت ، تفرض واقعاً يتميز بدوره المهم في التحكم في مفاصل تاريخها وحوادثه ، وهو حاجة هذه الجغرافية الى دفاع مستمر عنها ضد المخاطر التي تتهددها من الجوار الجغرافي ، ويتمثل هذا الواقع أيضاً في أن الجبال تمثل لها حاجزاً طبيعياً منيعاً ومركز دفاع متقدم لصد تلك المخاطر لابد له من أن يكون حاجزاً سياسياً تنتهي عنده حدود البلاد (ويلسون نانائيل هاول ، 2006 ، ص 24). ويمكن القول إن هذه الإستراتيجية الدفاعية تحولت إلى دفاع متقدم يجتاز حدود الوادي ، ويؤسس للدولة العالمية التي عرفها العالم طوال حقب العصر القديم حتى تقسيم الإمبراطورية الرومانية وسقوط عاصمتها الغربية روما في سنة 476 م لتكون آخر الدول العالمية في التاريخ القديم ، فقد توسعت الدول التي قامت في بلاد وادي الرافدين إلى خارج حدود الوادي ، كما اتضح لنا ، في عهود السومريين والأكاديين الأوائل.. لوكال زاكري وسرجون الاكدي ، ومن ثم في عهود البابليين والآشوريين والكلدانيين ، فوصلت إلى عيلام وأرمينيا وهضبة الأناضول وسورية (الكبرى) ومصر ، حيث حكمت هذه البلاد ، أو أجزاء منها ، لحقب معينة من قبل البابليين والآشوريين والكلدانيين بشكل مباشر أو عن طريق وكلائهم من الحكام المحليين(عبد العزيز صالح ، 2012 ، ص 828).

على أن التوسع السياسي الرافديني خارج بلاد وادي الرافدين ، والهجرات التي كانت تقد على البلاد على الرغم من وعورة الحواجز الجبلية ووقوف الحكام بوجهها ، وتوسع التجارة الخارجية(ماكس مالوان ، 2001 ، ص 14-15) الذي يتمخض عن نشر نفوذ البلاد السياسي وسلطتها خارج نطاق الوادي ، كان يؤدي باضطراد على مرّ العصور وتعاقبها إلى إثراء الحضارة الرافدينية ، وتطوير منجزها الحضاري الذي اكتسب طابعاً خاصاً تمتع بالقدرة على صهر كل الثقافات الأخرى في بوتقته على الرغم من أن تلك الهجرات ، لاسيما القادمة من وراء الجبال ، كانت تسبب له الفوضى والخراب في كثير من الأحيان.

#### قائمة المراجع

- أرنولد توينبي(1961) ، مختصر دراسة للتاريخ ، ط1 ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، مصر .  
-جورج كونتينو(1979) ، الحياة اليومية في بابل وأشور ، دار الرشيد ، بغداد العراق .  
-حسين أحمد سلمان(2008) ، كتابة التاريخ في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسماة ، ط1 ، دار الكتاب ، بغداد ، العراق .  
-سامي سعيد الأحمد(1991) ، العراق في كتابات اليونان والرومان ، مجلة الاستشراق ، العدد 5 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق .  
-صلاح رشيد الصالحي(2017) ، دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق .  
-طه باقر(2012) ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط2 ، دار الوراق ، بغداد ، العراق .  
-عبد العزيز صالح(2012) ، الشرق الأدنى القديم ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، مصر .  
-ماكس مالوان(2001) ، حضارة عصر فجر السلاط في العراق ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق .  
-ميشم عبد الكاظم النوري(2018) ، التنافس الروماني الساساني 426-476م ، ط1 ، مكتبة عدنان ، بغداد ، العراق .  
-ه.و.ف. ساكر(2009) ، البابليون ، دار الكتاب ، الجديد المتحد ، بيروت ، لبنان .  
-ول ديورانت(2001) ، قصة الحضارة ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، مصر .  
-ويلسون نانائيل هاول(2006) ، الكرد والاتحاد السوفيتي ، دار الثقافة والنشر الكردية ، بغداد ، العراق .

## الخطاب السياسي في مجتمع التغيرات الحادة

ترامب..... وهم الخطاب وحقيقة التضليل

### Political discourse in the society of sharp changes

#### TRUMP... Illusion of discourse and the truth of disinformation

د.مصطفى البورويطي

الكلية متعددة التخصصات: أسفي ، جامعة القاضي عياض: مراكش/المغرب

حسب المقام التداولي ، الذي يتراوح بين الشفهي والكتابي ، تتلون المعرفة الأدبية. غير أنها لا بد أن تمر عبر قنوات معرفية توصل للقارئ المعارف والتجارب والصور أيضا. في هذا الاتجاه يظل الخطاب رصيذا معرفيا نحو التواصل لبناء مجتمع إنساني. فمن بين أهم القنوات والجسور ، التي يشيد عليها الإنسان صرحه التواصل نجد الخطاب.

أضحى الخطاب يُوظف ، بغزارة ، في النصوص الحجاجية والإقناعية بغية استمالة المتلقي وإقناعه. وتبعاً لذلك ، فالخطاب هو جزء لا يتجزأ من المعرفة الأدبية. انبثق من اللسانيات الحديثة ، متجاوزا الجملة. يمكن تحليله وفق مقاربات عديدة: المقاربة السيميائية واللسانية والنفسية والتداولية والمقاربة الاجتماعية – الثقافية الاقتصادية ومدرسة فرانكفورت.

على هذا الأساس ، سأتناول في هذا البحث مفهوما أصبح يفرض نفسه على الساحة الفكرية ؛ الخطاب باعتباره محورا انبثق من اللسانيات الحديثة . أصبح له في الفكر المعاصر معنى يختلف إلى حد كبير عن معناه القديم.

هذا المبحث يقتضي مني الوقوف على الجانب النظري والتطبيقي. سأشدد في الجانب النظري على تحديد مفهوم الخطاب. لماذا نتج خطابا؟ وما هي دوافعه؟ وما أسبابه؟ وما علاقته بالسلطة؟ وما هي وظيفته؟ وما علاقته بالتواصل؟ وما هي الظروف التي تتحكم في إنتاجه وسياقات مقاماته؟

بالنسبة إلى الجانب التطبيقي ، سأتناول خطاب دولان ترامب ، وتفكيكه لإدراك ما يخفيه ، خاصة أن الخطاب السياسي هو أداة للسلطة لها له من دور في تسيير الأمور وتوجيهها. فالخطاب لا بد من تفكيكه وتحليله لإبراز لغة الخطاب السياسي. سأركز على خطاب جاء مغايرا للمتوقع ، كون ترامب تبنى خطاب غير تقليدي ؛ أكد منذ بداية ترشحه أنه لا يخوض حملة انتخابية ، بل يقود «حركة» جديدة في المجتمع الأمريكي ترفض سيطرة المؤسسات السياسية الرسمية.

اقتصرت اللسانيات منذ نشأتها على دراسة اللغة ، محاولة طيلة تاريخها الإلهام بجميع القضايا في مجالاتها وذلك من داخل الدرس اللساني نفسه ، أي البحث اللساني الذي يتناول قضايا لسانية خالصة من دراسة الصوت والصرف والدلالة والتركييب بهدف ضبط قواعد الاشتغال فيها. لكن مع مرور الوقت ، انتقلت اللسانيات إلى ما هو خارج الدرس اللساني مثل التداولية (pragmatique) . هكذا تجاوزت مفهوم الجملة المتمثلة في تحليلات سوسير ، الذي اعتمد في مقاربتة للمعرفة الأدبية دون اللجوء إلى ما هو خارج نصي ،

وتشومسكي ، الذي اقتصر على التفسير ، لتبحث فيما هو أوسع وأرحب منها ، إنه النص والخطاب ، مستفيدة في ذلك من نظريات ومناهج مختلفة.

لذلك فإن ما سنتناوله في هذه الدراسة هو لفت انتباه إلى نوع من أنواع الخطاب ؛ إنه الخطاب السياسي الذي يعتبر أنسب الخطابات الذي يمكن تحليله وفق مقاربات عديدة: منها المقاربة السيميائية واللسانية والنفسية والتداولية والمقاربة الاجتماعية – الثقافية الاقتصادية ومدرسة فرانكفورت التي توصلت إلى الحصول على الإجابة عن العديد التساؤلات المهمة عن كيفية التواصل.

فالمنهج السيميائي يعتبر مدخلاً منهجياً ثرياً خصباً لتحليل الخطاب ، لأنه يطارده المعنى. كما أن المدخل اللساني يتم فيه تحليل النسق اللساني le système linguistique في جميع مستوياته الناتجة عن هذه المستويات ؛ فلا بد أن تُختار الكلمات بعناية وتُرَكَّب في نسق بما يتناسب مع النسق المرافق للغة. فاللغة هي التي تمنح الخطاب هويته ، وهي أساس وجود وضمان تداوله واستهلاكه.

المدخل النفسي تتجلى أهميته في كون الخطاب السياسي يركز على المتلقي ، فيعمل على استمالته بأن يتسلط على الحساسية المتأثرة لديه ، ويهيمن على أفق انتظاره.

المقاربة التداولية تجاوزت المفاهيم اللسانية التقليدية مثل الجملة... التي كانت سائدة في الفترة الممتدة بين سوسير وتشومسكي في اللسانيات البنوية الوصفية والتفسيرية ؛ بمعنى أنها تعدت دراسة اللغة باعتبارها نسق لساني إلى دراسة أفعال الكلام Les actes de paroles ، وأشكال الإقناع والتأكيد في اللفظ والكلام لتشمل شروط تحقيق الخطاب الإقناعي وتحليله. كما تركز الدراسات التداولية على مفهوم المقام الذي تحدث فيه الخطابات. ونشير هنا إلى أن المدخل التداولي يتأسس على المقتضيات التواصلية والسيميائية ويتداخل معها. إن التداول هو في الحقيقة التواصل الفعال الذي يعبر عن الغرض ويبلغ المقصود بسهولة ويسر. تستدعي التداولية الإجابة عن أسئلة هامة مثل: من يتكلم ؟ ومع من ؟ وماذا يقول ؟ وكيف يتكلم عن مسألة ويقصد مسألة أخرى غيرها ؟

" الخطاب " مصطلح كباقي المصطلحات المعرفية ، ثمة علاقة وطيدة بين الأصل اللغوي والمفهوم (التصور الذهني). ففعل ( خطب ) من الجذر ( خ ط ب ) وخطب الناس وفيهم وعليهم ، أي ألقى عليهم حُطبة. وخطبهن مخاطبا وخطابا: كالمه وحادثه ، أي وجه إليه كلاما ، وقد قيل قديما: خاطبه في الأمر حدثه بشأنه (ابن منظور، المعجم الوسيط ، خطب ). أما أصل المصطلح الأجنبي فهو (discours) وأصلها اللاتيني (discursus) : وتعني الجري هنا وهناك ، كما أنها تعبر عن " الجدل " .

مصطلح خطاب أصبح له في الفكر المعاصر معنى يختلف إلى حد كبير عن معناه القديم. الخطاب القديم مجرد قول أو تقرير ، أما الخطاب الذي أصبح في الفكر المعاصر ، فهو القول الذي يقصد به المرسل التأثير والتغيير ، وبهذا القصد يستخدم اللغة التي تتحول من قول إلى فعل ( سأناقش لاحقا علاقة الخطاب باللغة والمعنى ، ثم علاقة الخطاب بالسياسة ). هكذا ، لم يعد الخطاب محصورا في تراكيب أو كلمات مكتوبة أو ملفوظة تقدم معان حرفية ودلالات مباشرة ، وإنما يتجاوزها إلى إشارات وعلامات (signes) ودلالات وإيحاءات اجتماعية وسياسية.

بما أن موضوعي يتعلق بالخطاب السياسي: فهو يعنني بالفكرة أكثر من عنايته بالألفاظ وهو نوعان: خطاب الكلمات وخطاب البنية؛ فخطاب الكلمات هو استخدام اللغة المشتركة بين المرسل والمرسل إليه، على المرسل أن يوضح رسالته وأن يتناسب الموضوع مع المرسل والمرسل إليه حتى تتحقق وظيفة التواصل التي تكمن في التأثير والإقناع. أما خطاب البنية فهو الصيغة اللغوية التي يستخدمها المرسل، حيث لا يشكل الوضوح الهدف الأساسي للخطاب، بل يسعى إلى تعميم وتضبيب الرسالة عن طريق خلق الصيغ اللغوية المضادة والمليئة من أجل قطع الطريق على الجدل والعقل والمنطق. هدفه الأساسي ليس الحوار وإنما الانصياع (محمد عكاشة، د.ت، ص 326). إن معنى كلمة خطاب هو إنشاء شأن أو عرض. الخطاب له قدرة تعبوية ويؤثر في السامعين، لذلك أصبح يقترن بالسلطة بالنفوذ والسلطة والرغبة (ميشيل فوكو، 2012، ص 17).

لم يشر الأوائل من اللسانيين المحدثين (دي سوسير، ياكبسون، هلمسليف) إلى مفهوم الخطاب. فبول ريكور لم ينطلق من الصفر. بل أسس انطلاقاً من البنيوية لمفهوم جديد للغة والخطاب (Paul Ricœur 1969, P.35). فقد استخدم مفهوم الخطاب عوضاً عن الكلام، واستبدل ثنائية دي سوسير للسان / الكلام بثنائية اللسان / الخطاب. وريكور من ناحيته يضع الخطاب بدلاً من الكلام، ليس ليؤكد خصوصية الخطاب فحسب، بل ليفرق بين علم الدلالة والسمياء؛ لأن السيمياء في رأيه تدرس العلاقة، بينما علم الدلالة يدرس الخطاب أو الجملة.

ورغم أن العديد من الدارسين يجعل من مصطلح الخطاب مرادفاً للنص، باعتبارهما يحيلان إلى ممارسات خطابية، فإن بين هذا وذاك تباينات مفهومية؛ ذلك أن النص والخطاب، حتى وإن كانا يشكلان نقطة التقاء العديد من فروع المعرفة الإنسانية، فإنه من غير المنطقي اعتبارهما مصطلحين يدلان على نفس المفهوم، وإلا كان وجود أحدهما أمراً لا مبرر له. للوقوف على التباينات التي أفترض وجودها بين النص والخطاب، ارتأيت أن أتناول مفهومهما فلسفياً عند بول ريكور.

**مفهوم النص عند بول ريكور:** يقول بول ريكور: «لنُسَمَّ نَصاً كل خطاب ثبتته الكتابة» (بول ريكور، 2004، ص 95). لكن هذا التعريف يجعل الكتابة مؤسسة للنص، وي طرح إشكال: علاقة النص بالكلام؟ فإذا كان الكلام عند دو سوسير هو «تحقق اللغة في خطاب ما» (بول ريكور، 2004، ص 95)، فإن «كل نص هو في موقع إنجاز للكلام» (نفس المرجع، نفس الصفحة)، وتعتبر الكتابة، بذلك، تالية للكلام، أو هي كلام مثبت؛ ويحلُّ التثبيت بالكتابة محل الكلام، لأن ما «أُثبت بالكتابة (...) خطاب، كان بإمكاننا أن نقوله» (بول ريكور، 2004، ص 96)؛ ومنه نخلص إلى أن النص هو تدوين للخطاب. فالكتابة «إنجاز شبيه بالكلام، مواز للكلام، إنجاز يحتل مكانه ويحجبه، لذا قلنا إن ما يأتي إلى الكتابة، هو الخطاب، بصفته نية في القول، وأن الكتابة تسجيل مباشر لتلك النية، حتى وإن كانت الكتابة قد بدأت، تاريخياً ونفسياً، بتسجيل علامات الكلام تخطيطاً. وتحرر الكتابة هذا، الذي يضعها موضع الكلام هو شهادة ميلاد النص» (بول ريكور، 2004، ص 96).



إن النص فلسفياً ، عند بول ريكور يأخذ مكان الكلام مروراً بالكتابة. فبالكتابة نُعَبَّرُ من كلام كان بالإمكان قوله إلى كلام مُثَبَّت في نص ؛ بمعنى أن النص هو خطاب مكتوب ، وهو ما يشكل إضافة نوعية لمفهوم النص لسانياً بإيراد معطى الكتابة حدّاً فاصلاً بينه وبين الخطاب.

حسب بول ريكور «يعتبر الخطاب نفسه ، من جهة ، بمثابة حدث: أي أن شيئاً ما يحدث عندما يتكلم أحدنا» (بول ريكور ، 2004 ، ص 71). وعند القول بأن الخطاب حدث ، فإن ذلك يعني أنه يتحقق زمنياً ؛ ويحيل إلى متكلّمه ، أي على مرجعيّته ؛ ويتضمن عالمين: عالم المتكلم وعالم المخاطب ؛ إلا أن هذه السمات التي تجعل منه حدثاً «لا تظهر إلا في حركة إنجاز الكلام في الخطاب ، في تفعيل قدرتنا اللسانية في الإنجاز» (بول ريكور ، 2004 ، ص 72). إن سمة الخطاب الأصلية والأولية هي أنه «مكون من مجموعة من الجمل التي يقول فيها شخص ما شيئاً لشخص آخر بصدد شيء ما» (بول ريكور ، 2004). فبينما «تُوقَف اللسانيات البنوية نفسها على وضع الكلام والاستعمال بين قوسين ، ترفع نظرية الخطاب القوس وتطرح وجود لسانيتين تقومان على قوانين مختلفة. فإذا كانت العلامة (الصوتية والمعجمية) وحدة أساس اللغة ، فإن الجملة هي وحدة أساس الخطاب» (بول ريكور ، 2004 ، ص 71). إن الخطاب بمعنى الحدث يشير إلى الاستعمال الذي عُبِّرَ عنه بالإنجاز ، كما أنه مرتبط بمقصود المتكلم وبموضوع الكلام ، وحال المخاطب أيضاً. كما أنه يعتمد الجملة وحدة أساسية ، وهو عكس اللغة فعل غير قابل للانقسام إلى علامات إنه «التجلي المنفصل للغة» (بول ريكور ، 2004 ، ص 144) ، باعتباره مرتبط بمرجع فوق لساني للملفوظات. تتحكم فيه ظروف إنتاجه وسياقات مقاماته الاجتماعية والثقافية.

في مؤلف آخر ، يقول: «يتطلب الخطاب إشارتين أساسيتين هما الإسم والفعل (...). ارتباطهما وحده هو الذي يحقق الرابطة الإسنادية التي يمكن أن تُسمى خطاباً» (بول ريكور ، 2006 ، ص 24). والمعنى المستفاد هنا ، أن الخطاب هو ناتج العلاقة الإسنادية بين الفعل والإسم. وانطلاقاً من تمييز دوسوسير بين اللغة والكلام ، يمكن القول «إن الخطاب هو الواقعة اللغوية» (بول ريكور ، 2004 ، ص 34) ، و«إذا تحقق الخطاب كله بوصفه واقعة ، فُهم الخطاب كله بوصفه معنى» (بول ريكور ، 2004 ، ص 38) ؛ ومعنى الواقعة أن شخصاً ما يتكلم ، والمعنى ما يعنيه هذا المتكلم ، أي ما يقصد أن يقوله.

الخطاب ، إذن ، حدث ناتج عن تفعيل القدرة اللسانية ، أي واقعة لغوية ، ترتبط باللسان في حالة تحقق ، أي في حالة إنجاز واستعمال ، وهو بذلك يحيل إلى مرجع فوق لساني للملفوظات. إنّ كل ما قيل ، في تقديري ، لا يخرج عن كون الخطاب هو: اللغة في حالة استعمال ، وهو ذات المفهوم الذي يأخذه الخطاب لسانياً.

يبدو أن مفهوم النص عند بول ريكور لا يعدو أن يكون كلاماً مكتوباً ، بمعنى أن النص يأتي مرادفاً للخطاب ، الفرق بينهما هو أن الأول مرتبط بالكتابة ، أي أنه خطاب مثبت بالتدوين ؛ والثاني مرتبط بالقول. لكن الأمر قد لا يستقيم إذا ما اختزلنا رؤية بول ريكور للنص وجعلناه مرادفاً للكلام / الخطاب ، لأننا حين نعتبر ، وفق منظوره ، الخطاب حدثاً وواقعة لغوية ، أي إنجازاً وتفعيلاً للقدرة اللسانية ، بمعنى: اللغة في حالة استعمال ، أو الملفوظ في علاقة بظروف إنتاجه ، حين نعتبر الخطاب كذلك ، يصعب أن ننحو هذا النحو في جعل النص مرادفاً للخطاب ، حتى مع وجود حدّ الكتابة والتدوين ، لأن سياق النص [هذا الخطاب المكتوب] ، وظروف

إنتاجه، ومحيطه الثقافي والاجتماعي، ومجموع المؤشرات غير اللغوية المرتبطة بالمتكلم والمخاطب، هي معطيات يصعب تجاهل كونها ذات أثر فاعل في مقصود الكلام، أي في الخطاب، وهي، أيضا، معطيات يصعب إثباتها كتابة داخل النص بنوع من التطابق التام مع واقعة الكلام في سياق مقامه التواصلية. الخطاب قد يتعدد بتعدد النصوص المكونة له، خصوصا إذا ما أدركنا أن الخطاب هو التصور المجرد العام بينما النص هو المتحقق الفعلي له.

الخطاب هو عبارة عن إيصال رسالة ما عبر لغة شفافة من المرسل إلى المرسل إليه، فهو تواصل لغوي لكن على نطاق واسع. الخطاب لا يتشكل من أكثر من جملة، لأن صياغة عدد من الجمل بصورة اعتباطية لا يصنع خطابا، بل يصنع "اللاخطاب". الخطاب يتكون من جمل متناسقة ومنتظمة وتراكيب لغوية لكي يصبح نصا مفهوما. "فأي نسق من الجمل لا بد أن يترابط لكي يصنع خطبا" (ميشيل فوكو، 2012، ص 30). وبما أنه عبارة عن جمل، فهذه الأخيرة تنتج عناصر رئيسية لهذا الخطاب فهي تتكون من: مرسل/باعث/متكلم يبعث نصا (الرسالة/الخطاب) يتلقاها المرسل إليه/المتلقي/المستمع. الرسالة هي قول يفترض وجود متكلم ومستمع، والمتكلم قصده هو التأثير في المستمع. الخطاب يتسم بصفة الاتصال والتأثير فهو لا يتحقق إلا بالغة ومن خلالها.

الخطاب يتجاوز حدود اللغة المنطوقة؛ ليضم تحت أحضانه كل ما نعبر به عن أنفسنا للآخرين، وعلى ما يعبرون لنا به عن أنفسهم. فيؤكد لدينا لغنين منطوقة وغير منطوقة، ونوعين مباشر وغير مباشر، فيتنوع الخطاب بذلك من خطاب ثقافي، تربوي، سياسي، اقتصادي، أدبي. والشرط الأول من الخطاب ليؤدي دوره على أكمل وجه الحوار، توفّر التبادل الكلامي، بالإضافة إلى النسق والترتيب، فهو نشاط إنساني بالغ الأهمية. يجب أن نعتز بصعوبة الحصول على معنى بسيط وواضح للخطاب. إذ إنه نظام غامض ليس لصعوبته وإنما لتلاعب اللغة فيه، فهو السهل الممتنع، وعلينا أن نجعل مفهوما جامعا مانعا له. ولعل ميشال فوكو عبر عن هذا الرأي بقوله: "هو مصطلح لساني، يتميز عن النص والكلام وغيرها بشكله لكل إنتاج ذهني، سواء أكان شعرا أو نثرا أو شعرا، منطوقا أو مكتوبا، فرديا أو جماعيا، ذاتيا أو مؤسسيا، في حين أن المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد، وللخطاب منطلق داخلي وارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها أو يحمل معناها أو يميل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما" (نفس المرجع، ص 9). والخطاب أيضا عملية عقلية منظمة متسقة منطقيا، أو عملية مركبة من سلسلة من العمليات العقلية الجزئية أو تعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ والقضايا التي يرتبط بعضها ببعض كما يرى فوكو. ولم يعد الخطاب طريقة للتعبير أو حديثا متساوقا، أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة، أو تحليلا لذات واعية تتأمل وتعرف وتعبر، وإنما أصبح إمكانا وشرط وجود ونظاما، وأصبح حقلًا متمفصل فيه الذوات، ومجموعة علاقات تجد فيها مركزا لها وهذا التحول في أقاويل البشر، وبعد رائده ميشال فوكو الذي كان أول من أنشأ نظرية في وصف المقال في ميدان مستقل.

لماذا ننتج خطبا؟ وما هي دوافعه؟ وما أسبابه؟. الإجابة تتمثل فيما يلي:

الخطاب سبيل للتعبير عن الذات وتحقيقها وتطورها.

التحاور، وجود الإنسان واستمراره يتم من خلال التخاطب الذي ينتج عنه إما التلاقي أو انفور.

التخاطب يكتشف المجهول ويكشف الحقيقة.

فهذا الخطاب في حاجة كما عند فوكو إلى بلاغة قول وإلى خطيب ضلع في فهم القضايا والتعبير عنها ، ولا بد أن يكون خطابه أكثر انسيابا وتدققا. كما أن الطلاقة من صفات العمل الإبداعي ، كما عليه أن يعبر بعمق عن انتمائه إلى القضية التي يدافع عنها ، أو إلى من يمثلهم أو ينوب عنهم. فهو ثمرة اجتماع عناصر الخطاب ( المرسل ، المرسل إليه ، السياق ) من خلال هذا الكائن تبرز الأدوات اللغوية والآليات الخطابية المنتقاة ، ووظيفة الخطاب هي التفاعلية والتعاملية ووظيفة اللغة تداولية ؛ وهذه الوظيفة تعميمية إعلامية ، ووظيفة اللغة الأساس هي وظيفة إعلامية (عبد الهادي الشهري ، 2004 ، ص 20).

الخطاب السياسي يختلف عن باقي الخطابات الأخرى ( الديني ، النسائي ، الثقافي ، الإشهادي...)، فلغته لغة تواصلية ، يخلو من اللغة الإبداعية. هذا لا يعني أن اللغة سلسة ، ولا تحتاج إلى تأمل أو فك شيفرة ، بل الخطاب السياسي يتميز بالجمال الدلالي والتأملات ، والغموض والإيهام. ولعل طبيعة النص السياسي كطبيعة بعض الخطابات تحتاج إلى فهم وتأويل ، كما تحتاج إلى متلق بارع من خلال الاستدلال المنطقي ، كما أننا لا ندرك ما يرمي إليه المخاطب تماما. ونعد الخطاب السياسي نصا: موضوعه الفائدة أو الخسارة ، ووظيفة هذا النص الحض أو التحذير أو التعبئة ، وانفعاله الخوف أو الأمل ، وزمن هذا النص المستقبل ، وقد يشتمل هذا الخطاب السياسي على كل تلك النصوص من خلال التناص كما يرى رولان بارث أن كل نص هو تداخل بين النصوص.

يتميز الخطاب السياسي عن باقي الخطابات: إذا كان النص الشعري يُوجّه إلى العموم ، والخطاب الإشهادي كذلك ، يلجأ إلى الإقناع والإمتاع والاحتفال ، فإن الخطاب السياسي تناظري يعرف من هو المرسل إليه. المخاطب يكون حاضرا في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب ، وهذا ما يسهم في حركية الخطاب ، ويمنحه أفقا لممارسة اختيار استراتيجية خطابه ، وإبراز قدرة المرسل.

وكل نص يمتلك دلالة ومغزى بداخله ليوصل إلى المتلقي ما يريد ، كما يحتوي كل نص/خطاب مهما كان شكله خاصة الخطاب السياسي ، على جدلية الظاهر/الباطن ، والدلالة/المغزى ، هذه الجدلية لا بد من وجودها داخل النص الخطابي ، فهي عبارة عن جدلية ثنائية تحتل مكنون الخطاب السياسي. فالنصوص عبارة عن لغم غامض ، علينا تفكيكها لإدراك ما يخفيه المنتج للخطاب ، فتتعدد القراءات لنص واحد. فالنص كبنوة لغوية ، وتفسير اللغة لا يتم إلا بواسطة لغة أخرى.

#### عناصر الخطاب:

المرسل / المخاطب: المحور في إنتاج الخطاب. وهو أيضا سارد ، لأن السرد لا يوجد إلا بوجود سارد. الرسالة: النص الكلامي/الشفوي: تتوجه إلى المخاطب ، تمثل الشيفرة التي يفكك المستقبل رموزها ليتعرف على ما يريد المرسل إيصاله.

المرسل إليه/ المستقبل/المخاطب: هو الذي يتوجه إليه الخطاب الذي يعمل على فك رموزه. المرسل قد يكون مرسلًا إليه ، والمرسل إليه قد يكون مرسلًا ، هذا التناظر الخطابي قد يكون بين الأشخاص ، فالمتكلم لا بد له من سامع ، وهذا السامع قد يتكلم فلا بد له من سامع ( المتكلم الأول ).

فهناك استراتيجية الخطاب لإرسال هذا الخطاب ( المناسبة ). المرسل يراعي المناسبة لإنتاج خطابه لأن له دور محدد في إنجاح عملية التواصل. ولأجل المتلقي تحدث التنوعات والتلونيات والتحويلات في أشكال التعبير وبناء ودلالاتهن وتغيير الأساليب والصيغ وطرائق التعبير.

**علاقة الخطاب باللغة والمعنى:** اللغة ظاهرة معقدة يصعب تعريفها. فلغموض اللغة ولصعوبتها لا يمكن الإلهام بها والإحاطة بها، فيمكن وصفها " أداة " يستعملها الناس للتعبير عن حاجاتهم كما يرى ابن جني. فمادتها الأساسية الصوت، فهي أداة للتواصل. فما المقصود بالتواصل؟

التواصل نقل خبر أو إشارات بين شخصين أو مجموعتين، أحدهما يكون باثا للرسالة والثاني مستقبلا لها ومفككا لشفيرتها.

ليس بإمكاننا أن نتحدث عن كل شيء، الخطاب مرتبط بالسياسة، فهو إنتاج مراقب ومنتقى ومنظم من خلال إجراءات تحد من مخاطره وسلطاته. الخطاب موضوع الرغبة والسلطة المتصارع من أجلهما. ويلاحظ أن مناطق الخطاب منها ما هو مفتوح والبعض الآخر ممنوع ( الرغبة، الجنس، السلطة) (ميشيل فوكو، 2012، ص9-8).

اللغة تختلف في خطاباتها حسب المشكل أو الموضوع المراد إرساله، فالجوهر الهادي هو الذي يحدد رسم الخطاب أو مخططه ( الهادة ) ليحدد بعدها نوعية الخطاب: نفسي، ثقافي، ثوري، تربيوي، سياسي، شعري، ...

ويقرر أتوسير أن الكلمات في الصراع السياسي والإيديولوجي والفلسفي، هي أسلحة ومتفجرات أو مهدئات، أو سهام. فالخطاب يعد شكلا من الأشكال الخاصة للإيديولوجية (ديان مكدونيل، 2001، ص110). اللغة تُشكّل وتوضع في القالب المستهدف تبعا للموقف الذي نريد التعبير عنه، فنحن إذن نتلاعب بالعبارات والألفاظ. " فالخطاب ليس إلا لعبة، لعبة كتابة في الحالة الأولى، ولعبة قراءة في الحالة الثانية، أما الثالثة فلعبة تبادل " (ميشيل فوكو، 2012، ص33).

تُحدّد اللغة ببلاغة الخطاب، أي مراعاة فن القول لتصل إلى عقل المتلقي. الخطاب لعبة كما قلت سابقا ومن ثم لعبة تفسير هذه الكلمات؛ السياسي (الزعيم) لكي يقنع لا بد له من الغموض للحفاظ على مكانته. فكلما كان هذا الغموض والإيهام فيه كان هذا الخطيب سياسيا محنكا. الكلمات تغير معناها من خطاب إلى آخر، وإن الخطابات المتصارعة تتطور حتى إن كانت هناك لغة يفترض أنها مشتركة. ليست اللغة هي ما يحدد معاني الكلمات والعبارات في الخطابات، بل نوعية الخطاب هي التي تفرض على الكلمات معانيها " فالكلمات تغير معناها وفقا للمواقف " (ديان مكدونيل، 2001، ص113). كما أن اللغة التي تمتاز بالاختراق والتجاوز والتدمير التي لها أثرها في الخطاب الذي يعكس المعيارية والنظام والمؤسسة، فعماده الطابع العقلاني.

**أهمية المعنى في توجيه المعنى السياسي:**

الخطاب هو أداة للسلطة لها له من دور في تسيير الأمور وتوجيهها، فهناك خطاب سائد و خطاب مضاد. الخطاب سلطة ارتبط بالسياسة وارتبطت بالسلطة بالخطاب.

ميشال فوكو لا يفصل بين الخطاب والسلطة. من هنا جاءت أهمية هذا الخطاب، فهل هذا يعني أن الخطاب سلطة، وأن ما وضعه فوكو ليس الخطاب، بقدر ما مضمونه المتمثل في الممارسة السلطوية. الخطاب ينقل

السلطة، ينتجها، يقويها، لكنه أيضا يلغمها، يفجرها، يجعلها هزيلة، ويسمح بالغاؤها كما يرى فوكو. من هنا تظهر العلاقة الوطيدة بين الخطاب والسياسة من جهة والخطاب والسلطة من جهة أخرى في توجيه الخطاب للمعنى السياسي وللممارسة السياسية. فلا سلطة إلا سلطة الخطاب، فهو الذي يفرض سلطته على الآخرين. الخطاب سلطة قائمة بذاتها، يؤسس لوجوده المستقل، يملك القوة، بهذا يخيف المؤسسات، نرى ذلك جليا في المجتمع الغربي عن طريق مراقبة الخطابات، وغالبا بعدم نشرها (منعها) إذا كان الخطاب موجها ضدهم، أو لإكساب الرأي عندهم لمصلحة الخطاب، فيتم تبني مختلف الإجراءات حفاظا على أمن مجتمعهم حين سماع مثل هذه الخطابات، فهي خطابات رهيبية (ميشيل فوكو، 2012، ص 8) تثير الذعر في الذات السلطوية. ويبرز الخطاب على أنه المدار الحاسم للسلطة، وقد يكون هذا الأمر الذي جعله يندرج ضمن دائرة المنوعات أو المحرمات (tabous)، ووضع الحواجز بين الخطابات وبين السلطة والرغبة.

#### علاقة اللغة بالسياسة:

اللغة أداة تواصل، والسياسة سلوك، وكلها لها تأثير وتأثر، فهي منظومة يؤثر بعضها في بعض. الخطاب والسياسة ليس بالموضوع الجديد، فوقشت منذ أرسطو في مؤلفيه "السياسة" و"الخطابة". اللغة التي تؤدي أدوارا مختلفة هي حتما سياسة، لأنها تتجاوز مراحل التخاطب العادين، وتعد سلاحا من أخطر الأسلحة للسيطرة على الأفكار: قد تساهم في صنع الشرعية للنظام السياسي، وقد تثير الحرب. السياسة لعبة أو تلاعب بالكلمات. فوصول السياسي إلى السلطة يتم من خلال تلاعبه بالكلمات وتوظيفه الذكي لها للاستيلاء على المتلقي.

من خلال علاقة اللغة بالسياسة وأهمية الاتصال السياسي يتبين لنا أن الاتصال/اللغة تصبح خطابا: بث للرسائل التي لها أثر. الخطاب السياسي يتعامل مع المشكلات الكبرى للحياة العامة. اللغة السياسية يجب أن تكون مصوغة بشكل ملائم لإيصال المعنى، كما قال العرب "لكل مقام مقال"، أو كما قال أرسطو "لا يكفي أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال، بل يجب أن يقوله كما ينبغي". من هنا تأثر اللغة تأثيرا في فهم الحقائق والأفكار وتفسيرها.

نستنتج من كل هذا أن خصائص اللغة السياسية هي مضمون الخطاب الذي يتعلق بقضايا معينة، ثم مرسله الذي يصنع الحدث، ثم انتشاره فيؤثر إذا انتشر انتشارا ساحقا ليصل إلى أكبر عدد من المتلقين، وتصيح بذلك الرسائل/الخطابات شعارات يعتنقونها، وقد تمثل لهم مخطط حياة، وقد تعقد ندوات من أجل هذه الرسائل/الخطابات، وأخيرا متلقي الخطاب الذي هو المستهدف.

اللغة السياسية وسيلة مناسبة للتحكم وتدعيم النظام السياسي القائم، وتحقيق الأهداف الإستراتيجية للأحزاب والحكومات ووسائل الإعلام، والسياسيون عبر سيطرتهم على الخطاب السياسي يتحكمون في الناس، ولا يحتاجون إلى "العنف الجسدي" لتحقيق هذا التحكم، بل باللغة السياسية، وغالبا ما نقول بالدارجة "جيه غير بالسياسة" التي تقصد بها كلاما منمقا جميلا حلوا ناعما لكسب وده. السياسي قد يتحكم في "المعلومات" إما بتجاوزه وإخفاء أخطائه، أو بإخفاء إنجازات معارضيته أو خصومه ليحافظ على صورته. فيتلاعب بالكلمات من خلال الأجوبة التي يقدمها، وذلك بأسلوب غامض، وقد يتحدث كثيرا ولا يقول شيئا. فالسياسي المحنك يستطيع من خلال مهاراته الخطابية يستطيع أن يجعل المتلقي يغفل عن كونه يتحاشى

أسئلته الحقيقية. وقد لا يدلي بمعلومة مهمة أو محددة، فنرى سياسي أو مجموعة من السياسيين لهم لازمة محددة يرددونها باستمرار، فجعل المتلقي في حيرة من أمره، ماذا يريد هذا السياسي إبلاغه.

إن الألفاظ تدل على الأشياء، والعلاقة بين الرمز والمرموز إليه هي علاقة وطيدة قد تمثل سهاما نافذة في جعبة السياسي. لكن كلما كانت هذه الألفاظ والرموز بسيطة ومختصرة، يزيد انتشارها وتأثيرها. فالشعارات مثلا تعد من أسهل العبارات حفظا وأعمقها أثرا في نفس المتلقي، من بينها " أمة عربية واحدة " و "حرية التعبير لا حرية التدمير". فهذه اللغة تدفع المتلقي إلى تغييرات حاسمة بأسلوب المناشدة والاستمالة. كما نلاحظ عند السياسيين حضور بعض الكلمات فيعترفون عن سوء بعض الأوضاع بكلمة " نعم " ويستدركون هذا الأمر ب " ولكن ". كما تظهر في الخطاب كلمات تدغدغ مشاعر المواطنين بكلمات " رومانسية " لاستمالة عقولهم إلى مستقبل بعيد المدى في تحقيقها.

وظائف اللغة السياسية: نشر المعلومات، هي أهم وظيفة توضح طبيعة السياسة إما بطريقة مباشرة أو ضمنية. ترتيب الأولويات، تتجلى في التركيز على قضايا معينة تؤثر على اهتمام المتلقي.

التفسير والربط، قد يجذب المرسل المخاطب في قضايا معينة ويفسرهما ويربطها في إعلانات لتشدد بها سيفعل من أوجه هذه الوظيفة، توظيف أحداث تاريخية، أو نصوص دينية، أو أقوال مأثورة لتسويق أفعال أو مبادرات سياسية.

تصور المستقبل والماضي، تستخدم في برنامج الانتخابات، يجنح إليها السياسي بلغة باهرة لإثارة المشاعر والاستشراف على المستقبل الجديد، فينظر بعين التشاؤم إلى ماضي الفساد والدمار وينظر بعين التفاؤل والإصلاح على المستقبل، وأن الشمس لا بد أن تشرق يوما، وأن المستقبل أمامه ليضع المتلقي أمام التغييرات والإصلاح الذي سيحدثه.

الحث على العمل، هذه الوظيفة تتم بالإعلانات والاستمالات وعن طريق الرسائل المقنعة بالمناشدة وبعض الكلمات التي تحرك الإنسان.

اللغة = الاتصال، هذا الاتصال ( السياسي ) يتكون من رموز، رموز سياسية تمنح اللغة ثوبا جديدا مختلفا عن أي ثوب آخر، فهي تلك الأفعال والكلمات والصور والأحداث التي تبرر إما الولاء أو الخلاص منه. الرمز لا يصبح ذا مغزى إلا إذا كان يحمل معنى محددًا يشترك فيه أفراد المجتمع.

الدراسة التطبيقية: أحل في هذا المبحث خطاب دولاند ترامب. ويهمني في تطبيق الخطاب بلاغة الخطاب وقوته في الدفاع عما يرمي إليه من مطالب، فهو يتمثل بالفعل الفردي لتملكه هذه اللغة التي يدخل بها الكلام؛ إذ إن الخطاب هو المكان الذي يتكون فيه فاعله، ومن خلاله يبني الفاعل هذا العالم الخطابي ويبني ذاته أيضا، فهنا ازدواجية ما بين الفاعل وهو المنتج وما بين الناتج عنه ( الخطاب ذاته ). ودرجة مستوى تلاعبه بالكلمات ومدى إقناعه للمتلقي، فالخطاب لا بد له من شفرة، هذه الشفرة الدلالية علينا فكها وتحليلها لإبراز لغة الخطاب السياسي الذي يختلف عن التخاطب العادي أو اللغة الأدبية. وسنأخذ فاعل الخطاب على أنه هو مصدر الخطاب، فنعرفه من خلال نصه الخطابي — أي بالكيفية التي يقدم بها نفسه في الخطاب - دائما كما يعرفها المحللون.

لو حاولنا تمثيل وجود الأدب لها لمسانه إلا بوجود قارئ للنص. النص وجود مبهم لا يتحقق إلا بوجود القارئ، لأن الأدب النقاء القارئ بالنص. يقاس هذا الكلام على الخطاب السياسي كونه نصا وفي حاجة إلى قارئ، فالخطاب مبهم ولولا وجود المستمع يكون عديم الفاعلية.

وفي ظل عدم القدرة على تطوير أيديولوجيات جديدة، أو برامج توازن ما بين القيم الغربية فيما يتعلق بحقوق اللاجئين، والموقف الأخلاقي، كما الهواجس الأمنية والاقتصادية، ونمط الحياة، فكان لا بد من اللجوء إلى خلق مبدأ مضاد، ينهض على نبد الآخر والانغلاق والبحث عن المصلحة الخاصة، والتضحية بالقيم، كون الأمر يتعلق بالوجود. وهكذا بات العالم طافحا بالكراهيات والمنازع العرقية والطائفية، كما الخطابات الأيديولوجية المتطرفة بوصفها خيارا للحماية، وصون المكتسبات، ما أدى إلى ظهور نمط جديد من القادة كدونالد ترامب، الذي قدم خطابا واضحا، أو عبارة أخرى قدم أفكاراً «مسكوتاً عنها» بصوت مرتفع، وبنسق بلاغي (ديماغوجي) على الرغم من أنه يتناقض مع الادعاءات القيمة.

لقد تمكن ترامب من تقديم خطاب مغاير للمتوقع، فقد ذهب الرجل في اتجاه آخر، ولعل هذا تحقق نتيجة عوامل تتصل بتربيته الشخصية، ووضوحه وصراحته الصادمتين، وهي سمات لا يفضلها الساسة، ولكن الأهم من ذلك الخطاب المباشر الذي جاء نتيجة تمرس الرجل بالإعلام، لقد أدرك ترامب أن البشر لم يعودوا يصدقون الإعلام، كما أنهم لم يعودوا يرغبون بالمزيد من الخطابات الدبلوماسية لكونها تكوينات زائفة لذوات مأزومة، ملّت من الادعاء. وبهذا فإن الإعلام - بما في ذلك مواقع التواصل الاجتماعي- ما هي إلا أنساق من الوعي المنتقى بعناية، حيث يمكن أن تظهر عكس ما تبطن، فالتقنية وقيم العولمة لم تجلب المزيد من قيم الحرية والعدالة، كما أنها لم تحقق ثورة قيمية، بل على العكس من ذلك أسهمت في المزيد من سوء الفهم، علاوة على كونها أطلقت المكنون اللاواعي في الأمم.

إن المتأمل في وسائل التعبير العام، سيجد أنها لم تكن في يوم ما من الأيام حقيقية، فهي نشأت في الأصل للتعبير عن الزيف وطمس الحقيقة. ومع تقدم الزمن، وظهور الطباعة كما الصحف والراديو والتلفزيون أضحت هذه الوسائل أداة بيد الحكومات، من أجل تكريس التعبئة والهيمنة على العقول (الإعلام التقليدي). وهذا بالتحديد ما أتقنه ترامب الذي أدرك أن المؤسسة الرسمية أضحت جزءاً لا يتجزأ من وهم الإعلام، ولهذا اتجه لمخاطبة غرائز البشر.. هواجسهم.. خوفهم من الآخر، الخوف على أرزاقهم ومعيشتهم، بل وجودهم الذي بات مهدداً من الآخرين. لقد استطاع أن يخترق قيماً واهية من الادعاءات الزائفة لا توجد حقيقة إلا في أدبيات الغرب، في حين أن السواد الأعظم من الغربيين يتوجس من الآخر، علاوة على النزعة المتعالية القائمة على التفوق والاختلاف العرقي، لقد استفاد من غباء الإعلام بنمطيه الكلاسيكي والجديد، فكلاهما أوهم العقل البشري بأنه حر، وبأنه من خلال هذه المنصات يمكن أن نحدث تغييراً.

لقد أكد ترامب منذ بداية ترشحه للرئاسة أنه لا يخوض حملة انتخابية، وإنما يقود «حركة» جديدة في المجتمع الأمريكي ترفض سيطرة المؤسسات السياسية الرسمية المسماة The Political Establishment على حياة الناس، وأن هذه الحركة تهدف إلى تمكين المواطنين الأمريكيين العاديين الذين لم يعد أحد يلتفت لرغباتهم، وتحريرهم من سطوة هذه المؤسسات، التي - على حد قول ترامب في أكثر من مناسبة - «لا تخدم إلا مصالحها الشخصية»، وقد اتهم ترامب المؤسسات السياسية - التي كان يرى هيلاري كلينتون الممثل

الأمثل لها - بالفساد وبالفسل في تحقيق مطالب الجماهير ، وقال إنه سيسعى لاستبدال هذه المؤسسة الفاسدة بحكومة جديدة يتحكم فيها الشعب الأمريكي ، وهو يقول إن رئاسته الولايات المتحدة ليست مجرد فترة رئاسية جديدة ، وإنما هي «نقطة فارقة في تاريخنا ، ستحدد ما إذا كان لهذا الشعب أن يتحكم في حكومته» ، كما قال: «إن هذه الانتخابات ستحدد ما إذا كنا أمة حرة حقاً ، أم أن لدينا مسمى الديمقراطية فقط ، في الوقت الذي نتحكم في حياتنا مؤسسات عملاقة توجه السياسة لها يخدم مصالحها وحدها وليس مصالح الشعب.. هذه هي الحقيقة وانتم تعلمونها وأنا أعلمها وهم يعلمونها والعالم أجمع يعلمها».

ولم يفلت الإعلام الأمريكي من هجوم ترامب باعتباره إحدى المؤسسات الداعمة للمؤسسة السياسية الحاكمة ، حيث قال للجماهير صراحة إن «الإعلام الأمريكي لم يعد يعمل وفق الاعتبارات الصحفية ، وإنما هو يعمل تنفيذاً لأهداف سياسية ، وأن له أجندة سياسية واضحة ، وهذه الأجندة لا تخدم مصالحكم وإنما تخدم مصالحهم هم ، ولخدمة هذه المصالح فهم يكذبون ويكذبون ويكذبون».

وأوضح ترامب أنه قد آن الأوان لتحرير البلاد من قبضة جميع تلك المؤسسات الفاسدة ، وأن «الجماهير وحدها هي القادرة على أن تستعيد منهم بلادنا مرة أخرى».

إن هذا الخطاب لترامب هو سر شعبيته التي أهلته للفوز على منافسته الممثلة لهذه المؤسسات . وقد وجدنا ترامب الآن يبني حملته الانتخابية كلها على كشف هذه المؤامرة التي تحيكها مؤسسات الحكم الأمريكية ، دون أن يتهمه أحد بالسقوط ضحية لنظرية المؤامرة ، بل وجدناه يحصل على تأييد الجماهير التي وجدت فيه تعبيراً عما تعاني منه ، وتحقيقاً للثورة على تلك المؤامرة ، وهو ما لم تجده في أي من المرشحين السابقين .

لقد تبنى ترامب خطاب غير تقليدي عكس منافسته هيلاري كلينتون . لهذا ركز الإعلام على فجاجة خطاب ترامب وفظاظته ، الأمر الذي فسره القائلون بانحيازه من زاوية أنه يهدف إلى تنفير الناخب منه . ولكن الواقع أن ترامب قصد أن يكون خطابه على هذا النحو ، بل تعمد المبالغة في ذلك لاجتذاب الناخبين الأكثر غضباً على المؤسسة الأمريكية التقليدية .

قدم ترامب نفسه للناخبين على أنه صاحب «عقلية كابوي» الذي سينقذ البلاد والعباد ، وأنه بديل للطبقة الحاكمة «الفاصلة» في واشنطن ، كما وصفها . وربما هذا ما جعله يحظى بثقة فئة من مواطنيه ، يساورهم قلق من ضعف أداء النخبة فوجدوا فيه بديلاً . ولقد استهان المراقبون بنبرة ترامب المتعالية ، المليئة بالكراهية والعنصرية ، وتوجيه التهديد والوعيد في كل اتجاه ، حتى أنهم لم يأخذوا على محمل الجد بعض ما قاله . وعُرفت عنه حالة الغطرسة والمواقف الحادة . ورفع شعار «إعادة المجد والهيبة لأمريكا» . وقد رسم الإعلام له صورة بغیضة جعلت المراقبين يستبعدون فوزه . وقد وعد ببناء جدار يعزل بلاده عن المكسيك ، ودعا الى منع المسلمين من دخول البلاد ، واتخذ مواقف ضد المهاجرين ، وضد النساء ، ما أثار مخاوف داخلية وخارجية .

خطاب ترامب أحدث صدمة لا تزال قاسية في القارة العجوز- أوروبا - التي تخشى أن يتمرد الناس عليها مثلما تمرد الأمريكيون على المؤسسات الأمريكية .

جاء ترامب بخطاب جريء تعبوي يكمن في الرسالة التي حملها شعار حملته الانتخابية الذي يقول: «سوف نجعل أمريكا عظيمة مجدداً» (make America great again) . إنها الأنا الجماعية التي تخفي الذات الفردية ، كما أن لها صداها في التفاف أكبر عدد ممكن من الناس .



وصل هذا الخطاب الساحر إلى قلوب وعقول الملايين من أبناء الشعب الأمريكي وخصوصاً المهشين بعيداً عن صخب السياسة الأمريكية، لأنها لمست مزيجاً من مشاعر الخوف على بلدهم وإحياء أمل تجديد الحلم الأمريكي أن تبقى الولايات المتحدة «سيدة العالم» رغم ذلك يبقى السؤال الأهم: هل يستطيع ترامب أن يحقق هذا الحلم؟

حرص ترامب على أن يكون عند مستوى هذا السؤال التحدي في «خطاب النصر» الذي أعلنه فور علمه بنبأ فوزه الانتخابي عندما بعث برسائل طمأنة لمعارضيه بالداخل ورسائل تصالح مع العالم الخارجي.

خاتمة:

هكذا يبدو للدارس أن الخطاب، الذي أصبح يفرض نفسه على الساحة الفكرية، أصبح له في الفكر المعاصر معنى يختلف إلى حد كبير عن معناه القديم. مفهوم يندرج ضمن التواصل بمفهومه الواسع، يوصل للقارئ المعارف. أضحى يُوظَّف بغزارة في النصوص الحجاجية والإقناعية بغية استمالة المتلقي وإقناعه. وتبعاً لذلك، فالخطاب هو جزء لا يتجزأ من المعرفة الأدبية. انبثق من اللسانيات الحديثة، التي تجاوزت مفهوم الجملة المتمثلة في تحليلات سوسير الذي اقتصر على الوصف، والذي اعتمد في مقارنته للمعرفة الأدبية دون اللجوء إلى ما هو خارج نمي، وتشومسكي الذي اقتصر على التفسير، هكذا انتقلت اللسانيات من الجملة التي طوقت الدرس اللساني لتبحث فيما هو أوسع وأرحب منها؛ إنه النص والخطاب، مستفيدة في ذلك من نظريات ومناهج مختلفة.

قائمة المراجع:

- بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، مكتبة دار الأمان، مطبعة الكرامة، الرباط، ط 1، 2004
- بول ريكور، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2006
- ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية المصرية، ط 1، 2001
- عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقارنة لغوية تداولية- دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، طرابلس، ط 1، 2004
- محمد عكاشة، الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الإتصال، دار الطباعة للنشر الإسلامية، القاهرة، د.ت.
- ابن منظور: لسان العرب، المعجم الوسيط، دار المعرف، د.ت.
- ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، لبنان، ط 3، 2012
- Paul Ricœur : Le conflit des interprétations, essais d'herméneutique, Ed, Seuil, paris, 1969.

## الهرمنيوطيقا وقراءة التراث في الفكر العربي المعاصر ، حسن حنفي و نصر حامد أبو زيد نموذجا

د. زينب بومهدي ، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر

د. جميلة بسو ، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر

### مقدمة:

... يعد الفهم حاجة إنسانية عامة يسعى من خلالها الإنسان إلى إستنتاج النص وفك رموزه ، مهما كان النص أدبيا أو فلسفيا أو دينيا وما هذا الإستنتاج إلا وظيفة تضطلع بها الهرمنيوطيقا ؛ ولقد تأسس المشروع الهرمنيوطيقي في أوروبا في بدايته الأولى على قاعدة الرغبة في فهم النص الديني ، لتنتقل فيما بعد إلى فهم النص الإنساني ، وانتقلت الهرمنيوطيقا كمنهج إلى العالم العربي مثلما إنتقلت مناهج فلسفية غربية أخرى كالمناهج الفينومينولوجي والبنوي والتفكيكي وغيرها كثير وجاءت المحاولة من قبل المفكرين العرب المعاصرين لتطبيق هذه المناهج كل حسب توجهاته الفكرية ومنطلقاته الفلسفية ، وكانت الهرمنيوطيقا أو التأويل أحد هذه المناهج التي تم الإعتماد عليها في قراءة التراث العربي والديني على وجه التحديد من خلال ثلة من المفكرين ، ونسعى من خلال بحثنا هذا إلى الكشف عن تطبيق المنهج الهرمنيوطيقي في الفكر العربي المعاصر من خلال قراءة التراث الديني ، كما تروم هذه القراءة أيضا إلى تفحص المدونة النقدية الحداثية العربية من خلال نموذجين هما نصر حامد أبو زيد و حسن حنفي ، ولهذا حاولنا في هذا المقال الإفتتاح على العديد من المفاهيم حتى نجيب على الإشكالية التي فرضها علينا الموضوع ألا وهي: ما المقصود بالهرمنيوطيقا؟ وما المقصود بالتراث؟ وكيف تم تطبيق الهرمنيوطيقا في دراسة التراث في الفكر الإسلامي؟ كيف قرأ كل من نصر حامد أبو زيد و حسن حنفي التراث العربي الإسلامي إنطلاقا من إعتمادهما الهرمنيوطيقا كمنهجها؟.

### 1. في ضبط المفاهيم القاعدية :

#### 1.1 - مفهوم الهرمنيوطيقا :

...لا يتحدد أي مفهوم أو مصطلح معرفي ولا يمكن ضبطه ضبطا دقيقا إلا بالعودة إلى المعاجم اللغوية ومصطلح الهرمنيوطيقا يتطلب هو بدوره العودة إلى هذه المعاجم المتخصصة في ذلك ، ولهذا يرجع المعجميون كلمة هرمنيوطيقا Hermenutics إلى اللفظ اليوناني hermeneuein وهو فعل يدل على عملية كشف الغموض الذي يكتنف شيئا ما (فرناد هالين و شوبر ويخن ، 1998 ، 73) ؛ ومن اللفظ الإغريقي تم اشتقاق الكلمة الإنجليزية hermenutics والتي أصبحت تعرف في إطار البحث الأكاديمي العربي بالهرمنيوطيقا ، فالهرمنيوطيقا لفظ كان يعني عند اليونان فن التأويل ، كما تستخدم الهرمنيوطيقا ككلمة مرادفة للتأويل التي تخص النظام والإشكاليات والمناهج التي لها علاقة بتأويل النصوص ونقدها ، وتستعمل الهرمنيوطيقا خصوصا في معرض الأعمال الثرية والشعرية من أجل الإشارة إلى مجموع مشاكل القراءة والفهم الخاصة بهذه الأعمال ، وتستعمل كذلك فيما يخص جميع درجات الأعمال الفنية والسرديات الأسطورية والأحلام ومختلف الأشكال الأدبية واللغوية معا.

...ورغم أن مصطلح الهرمنيوطيقا لم يعرف إلا في القرن السابع عشر مع دانهاور Johann Dannhauer إلا أن هذا المصطلح قد عرفت منابعه في الفلسفة اليونانية ، فالهرمنيوطيقا لفظ كان يعني عند اليونان فن التأويل ، فالشعراء عند أفلاطون يؤولون الآلهة مثلما يفعل الكهان الذين تتحدث الآلهة على سنتهم ، وعليه فأفلاطون يرى أن الشعراء هم مؤولون ، ووسطاء لهؤلاء الوسطاء بمعنى هم بدورهم مؤولي المؤلفين ، وهنا يستخدم أفلاطون كلمة تأويل بمعنى تفسير كلمات الآلهة كما ينظر إلى الشعراء على أنهم مفسروا و مترجمو الآلهة وعند أرسطو تؤول اللغة الأفكار مساهمة في تجسيدها (محمد المتقن ، 2004 ، ص 26) ؛ غير أن أرسطو إستخدم التأويل بمفهوم مختلف عما إستخدمه أفلاطون "ففي رسالته عن التأويل peri harmonias يعرف أرسطو التأويل بأنه إقرار أو إعلان énonciation قد يومية هذا التعريف إلى الإتجاه الأول للمعنى ( يقول أو يعلن ) ، غير أن المتعمق في النص لن يخفى عليه الإتجاه الثاني أيضا فالهرمنيوطيقا عند أرسطو تشير إلى العمل الذي يقوم به الذهن إذ يضع العبارات التي تتصل بصدق شيء ما أو كذبه ، التأويل بهذا المعنى هو العملية الأولية للفكر إذ يصوغ حكما صادقا عن شيء ما" (عادل مصطفى ، 2007 ، ص 44) ؛ وهذا ما يؤكد عليه حسن حنفي إذ يرى أن " لفظ الهرمنيوطيقا لفظ يوناني - بيرى هرمنياس . وضعه أرسطو جزءا من أجزاء المنطق ويعني به قضية العبارة وهذا الكتاب الثاني من كتب المنطق بعد كتاب المقولات ؛ أي كيف يمكن تفسير العبارة" (حسن حنفي ، 2003 ، ص 315).

...لقد أولصنا البحث وتقصي الجذر اللغوي لهذا المصطلح إلى مسألة مهمة وهي أنه يتم الربط بين مصطلح الهرمنيوطيقا وبين إسم الإله هرمس Hermes إله الكلمة عند اليونان أو إله نقل الرسائل عندهم ، فكلمة هرمنيوطيقا كما سبق وأن قلنا هي مشتقة من الفعل اليوناني Hermene ، والذي يعني عملية التفسير ( التفسير كفعل ) ومعناه الإسمي Hermenia أي التفسير " وتتضمن الأشكال المختلفة لهذه الكلمة تهييم شيء أو ظرف يلفه الغموض " (أحمد واعظي ، 2003 ، ص 13) ؛ وإلى هرمس يرجع اليونانيون إكتشاف اللغة والخط باعتبارهما وسيلة نقل الأفكار وإيصالها للآخرين ، هرمس إذن هو رسول آلهة الألب " والذي كان بحكم وظيفته يتقن لغة الآلهة ويفهم ما يجول بخاطر هذه الكائنات الخالدة ، ثم يترجم مقاصدهم وينقلها إلى أهل الفناء من بني البشر " (عادل مصطفى ، 2007 ، ص 24) ؛ وتطلعنا الميثولوجيا اليونانية وخاصة كتاب الإلياذة والأوديسة لهوميروس أن هرمس كان يقوم بنقل رسائل الإله زيوس وهو كبير آلهة اليونان إلى غيره من الآلهة وحتى البشر ، فهو ينزل إلى مستوى أدنى من مستواه و يعبر بذلك " البون الفاصل بين تفكير الآلهة وتفكير البشر " (عادل مصطفى ، 2007 ، ص 24).

...أعتبر هرمس في الفكر اليوناني بمثابة الجسر الرابط بين الإله زيوس و باقي الآلهة من جهة وبين الآلهة والبشر من جهة ثانية ، فهو من يقوم بشرح وتفسير رسائل الآلهة وهذا بتحويل مضمونها وماهيتها لأنها تفوق قدرة البشر وهم غير قادرين على فهمها ، وهذا التحويل هدفه تمكين البشر من فهم وإدراك فحواها " وتجتمع مواهب هرمس في سمتين إثنين الأولى هي الوساطة بين طرفين والثانية هي القدرة على إستخدام الحيلة في الوصول إلى الهدف ، وكلاهما ضروري في عملية كشف الغموض التي يدل عليها اللفظ الإغريقي Hermeneuein فالغموض لابد أن يكشف من خلال وسيط ، وهو يتطلب إستخدام أدوات غير مألوفة كتلك التي إستخدمها هرمس " (أحمد زايد ، 1991 ، ص 229).

...إذن إرتبط إسم الإله هرمس في الفكر الفلسفي المعاصر بالأهداف الأساسية للتأويل أو الهرمنيوطيقا ومن هنا رأى البعض من الدارسين أن " البناء الثلاثي لعملية التفسير شاهد صدق على هذا الاشتقاق ، وعلى العلاقة بين كلمة هرمنيوطيقا وهرمس الإله ناقل الرسائل لدى اليونانيين فكل شرح أو تفسير لابد له من ثلاث أركان أو أضلاع :

العلامة أو الرسالة أو النص الذي يلزمه الفهم و التفسير  
واسطة الفهم ، أو المفسر ( هرمس )

يصال فحوى النص ومعانيه إلى المخاطبين " (أحمد واعظي، 2003، ص14).

...إنطلاقا من هنا ولما كانت الهرمنيوطيقا وباعتبارها فن الفهم وتأويل النصوص فإن خصائصها مماثلة لخصائص الإله هرمس فالهرمنيوطيقا هرمسية قلبا وقالبا رغم أنها كمفهوم عرفت إتساعا في القرن الثامن عشر والقرن العشرين لتشمل مناهج فهم النصوص الدينية وكذا الإنسانية ، إلا أن اللفظ بقي يشير إلى التفسير الذي يضطلع بكشف شيء مخفي ومستور ، شيء مضر باطن في قلب النص يجعل القارئ يحاول جاهدا كشفه وإيضاحه ؛ ولقد استخدم أفلاطون Platon مصطلح هرمينيا Hermeneia في محاورة "أيون" وأيون هو شاب يقوم بتلاوة أشعار هوميروس ، وهذا من خلال تجويده والتلاعب بطبقات صوته فيصل بذلك المعنى إلى من يستمع إليه أكثر مما يدركه أو يفهمه وهنا تصح وظيفة هذا الشاب قريبة جدا إلى وظيفة هرمس (عادل مصطفى ، 2007 ، ص36).

...تميز هرمس بقواه وقدرته الخارقة التي مكنته من الربط بين عالمين مختلفين بين العالم الإلهي والعالم البشري ، وأن يعبر بكلمات مفهومة ينقلها إلى البشر ، وهنا كانت مهمة هرمس هي مد جسور التواصل بين هذين العالمين المتباعدين ، ويأتي هيدغر في كتابه " في الطريق إلى اللغة " ليؤكد تلك الصلة الوثيقة بين معنى الهرمنيوطيقا وبين شخصية هرمس لأن هذا الأخير هو رسول الآلهة ، كما أن الرسالة التي يحملها ليست بالرسالة العادية لأنه يحمل الخبر الصاعق والنبأ الجلل والتأويل في أسى معانيه هو أن تكون ذو قدرة عالية على فهم هذه الأنبياء المقدورة ، ومن ثم تصبح أنت نفسك رسول الآلهة تماما مثل هرمس (عادل مصطفى ، 2007 ، ص 28)؛ فهيدغر يستعمل لفظة Hermeneutics بدل إستعماله لمرادفات أخرى كلفظة Interpretation وهذا راجع إلى كون مشروعه الفلسفي قائم على محاولة لإستعادة فهم الوجود وإسترداد الوعي به ، فهو يرى أننا قد فقدناه في هذا الزمن الحديث ، بل هو مفقود منذ زمن أفلاطون وأرسطو .

...إذا انتقلنا إلى فيلسوف هرمنيوطيقي آخر وهو غادامير سنجده يرى أنه يوجد نوع من الإلتباس في الربط بين لفظ الهرمنيوطيقا والإله هرمس إذ يقول : " نجد في الإستعمال القديم للفظ نوعا من الإلتباس ، فقد أعتبر هرمس Hermes رسول الآلهة إلى البشر كما أن الأوصاف التي دلّ عليها هوميروس تظهر غالبا أنه [ أي هرمس ] يبلغ حرفيا وينجز كاملا ما أوكل إليه بتبليغه ... لا توجد دون شك أي صيغة لفك التقارب بين فن التأويل والفن التكني (هانز غادمار ، 2006، ص61،62) من هذا التحليل يحاول غادامار أن يؤكد على أن الهرمنيوطيقا تدل على التفسير .

## 1. 2. مفهوم التراث:

...قبل إبراز استخدام المنهج الهرمينيوطيقي في دراسة التراث في الفكر العربي المعاصر وجب علينا تحديده لغويا، إذ كلمة تراث هي كلمة حديثة الإستعمال؛ فلقد إستخدمت بشكل واسع في القرن العشرين خاصة بعد هزيمة 1967، وهو التاريخ الذي يعتبره الكثير من الباحثين يؤرخ للنهضة العربية الثانية أو " النهضة الثانية " كما يحلو للبعض تسميتها، والذي إتسم بالإهتمام البارز بقضية التراث فما مفهوم التراث لغة ؟  
...إن لفظ " التراث " في اللغة العربية وفي المعاجم العربية في مادة " و. ر. ث " وتجعله المعاجم القديمة مرادفا للإرث والميراث " ورث : الوارث صفة من صفات الله عز وجل ، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم ، الله عز وجل يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، أي يبقى بعد فناء الكل ويفنى من سواه " (ابن منظور، ص4808) . ...كما تطلق على ما يرثه الإنسان من والديه من مال وحسب " ولقد وردت كلمة تراث في القرآن مرة واحدة في سياق قوله تعالى " كلا بل لا تكرمون اليتم ، ولا تحاضون على طعام المسكين ، وتأكلون التراث أكلا لها ، وتحبون المال حبا جما " (سورة الفجر الآية 17-20) ولقد فسر الزمخشري عبارة "أكلا لها" هي الجمع بين الحلال والحرام " (محمد عابد الجابري، 1991، ص22)، أي معنى الآية أنكم تأكلون حقكم وحق غيركم . ولقد ورد أيضا كلمة " ورث فلان المال ، ومنه ، وعنه – (يرثه) ورثا ، وارثا وورثة ، ووراثة: صار إليه ماله بعد موته. ويقال: ورث المجد وغيره ، وورث أباه ومجده - ومنها جاء - توارثوا الشيء: ورثه بعضهم عن بعض ، الإراث " (مجموعة من المؤلفين ، ص 1065 ). أي المعنى الوارد هنا هو ما ذكر أنفا ، حول انحصار المعنى حول الإرث

...إذن فالتراث لغة هو ما يرثه الإبن من أبيه من مال وحسب أو ما يرثه الورثة من البيت من مال " ولعل لفظ تراث هو أقل هذه المصادر إستعمالا وتداولاً عند العرب الذين جمعت منهم اللغة ، ويلتمس اللغويون تفسيراً لحرف (التاء) في لفظ (تراث) إلى أصله (واو) وعلى هذا يكون اللفظ في أصله الصرفي (وراث) ثم قلبت الواو تاء لثقل الضمة على الواو " (محمد عابد الجابري، 1991، ص22).

...ولقد ورد في قوله تعالى في سورة مريم عن دعاء زكريا في الآية 6 ﴿ فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ أي يبقى بعدي ، فيصير له ميراثي قال ابن سيدة: إنها أراد يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة ولا يجوز أن يكون خائف أن يرثه أقرباؤه المال ، فالمال لا قدر له عند الأنبياء حتى يتنافسوا فيه ، وأيضا جاء في القرآن ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾ سورة فاطر: الآية 32 فالمقصود هنا وراثة الاعتماد والأبمان بالكتب المنزلة قبل القرآن " (أكرم ضياء العمري ، 1986 ، ص 26-27).

...كما " ووردت كلمة تراث في السنة بمعنى الميراث كما جاء في الدعاء (ولك ربي تراثي)، وحديث الثناء على المؤمن العابد قليل الحظ من الدنيا ففي آخره (وكان عيشة كفافاً فعجلت منيته ، وقلت بواكيه وقلّ تراثه) قال الإمام أحمد: تراثه: ميراثه " (أكرم ضياء العمري ، 1986 ، ص26) .

...كما ورد في الحديث النبوي الشريف " عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: بعث مربع الأنصاري إلى أهل عرفة فقال: إثبتوا على مشاعركم هذه ، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم ، قال أبو عبيدة: الإرث أصله من الميراث إنما هو ورث فقلبت الواو ألفا مكسورة لكسرة الواو فكأن معنى الحديث: أنكم على بقية من ورث إبراهيم الذي ترك الناس عليه بعد موته وهو الإرث " (ابن منظور ، ص4809) .

...وأما مصطلح التراث كما ورد في الحضارة الغربية فهو ترجمة وتعريب لكلمة Heritage ومعناها الميراث سواء تعلق الأمر بأمور مادية أو روحية (التراث الاجتماعي، الثقافي.. الخ)؛ أي إنتقال التراث الثقافي من جيل إلى جيل، فكل جيل يورث الجيل الذي يليه إسهاماته الفكرية وعاداته وتقاليده؛ أي هي " إرث ثقافي ضخم يرجع إلى ماضي سحيق، وبعضها الآخر ذات إرث خفيف غير عميق لا يكاد يرجع إلى عدة قرون، كما تطلق الكلمة على التراث الاجتماعي ذلك لأنه يتخلص في ثقافة مدخرة متراكمة عن الأجيال المختلفة " (مجموعة من المؤلفين، 1975، ص 139).

## 2 الهرمنيوطيقا و تطبيقاتها في العالم العربي

### 2.1 نصر حامد أبو زيد و قراءة التراث

...جاء سؤال التأويل ومن ثم القراءات التأويلية للتراث في العالم العربي معبرا عنها بشكل واضح منذ سقوط خطاب النهضة في ستينيات القرن المنصرم ممثلة هذه القراءات في خطاب نصر حامد أبو زيد ومحمد أركون وحسن حنفي ومفكرين آخرين، إذ عمل نصر حامد أبو زيد على تأليف دراسات عديدة منذ مطلع الثمانينيات من القرن العشرين وتخصيص فصلا كاملا في كتابه إشكاليات القراءة و آليات التأويل لعرض نظرية الهرمنيوطيقا وجذورها التاريخية، وهذا بتسيخه سلطة العقل في جميع مجالات الحياة سواء كانت اليومية أو الفكرية منطلقا في ذلك من الأساس الأتي "سلطة العقل، السلطة التي يتأسس على الوحي ذاته العقل لا بما هو آلية ذهنية صورية جدلية، بل بما هو فعالية إجتماعية تاريخية متحركة، هذه السلطة قابلة لخطأ الدرجة قادرة على تصويب أخطائها والأهم من ذلك أنها وسيلتنا الوحيدة للفهم " (نصر حامد أبو زيد، 2007، ص 108).

كانت البداية في مشروع نصر حامد أبو زيد الفكري هي ضرورة التمييز بين التأويل و التفسير، حتى يثبت أن التأويل الذي تعتمده التأويليات المعاصرة غير التفسير فهو يقر أن التفسير يهتم بالجوانب الخارجية للنص القرآني في حين يدخل التأويل في باب الإجتهد لأن التفسير ومن ثم المفسر يعتمد على الرأي والإستنباط لأن " التفسير يبدو خاصا بالجوانب العامة الخارجية للنص، مثل العلم بأسباب النزول والقصص والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ، وهي كلها علوم نقلية تعتمد على الرواية عند القدماء، ولا مجال فيها للاجتهد سوى الترجيح بين الروايات أو محاولة الجمع بينهما وليست الإشارة إلى العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمفسر، هنا إشارة إلى الجوانب الدلالية إجتهادية للمفسر دور في تحديدها بل إشارة إلى العلم بما قاله القدماء حول هذه القضايا، إن علم التفسير يبدو ومن خلال هذا الحصر علما يجمع كل العلوم المهمة للتأويل الذي يمثل جهد المؤول في صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني وعلى هذا يكون التفسير جزءا من عملية التأويل ويكون العلاقة بينهما علاقة الخاص بالعام من جهة أو علاقة النقل بالإجتهد من جهة أخرى " (نصر حامد أبو زيد، 2014، ص 233).

...إنطلاقا من هنا جاءت محاولة أبو زيد لبلورة نظرية في التأويل وهذا في الثقافة العربية، وذلك بقراءة النص القرآني وتقريبه من مقولات العقل، وعليه يعتقد أبو زيد بضرورة إنتاج المعنى الإنساني للخطاب القرآني، فالتأويل في نظره ممكن في حالة واحدة وهي إعادة التفكير في القرآن وتحويله بعد ذلك من مجرد نص إلى خطاب " ومن ثم فالنص القرآني باعتباره تراثا إسلاميا معرفيا يكبر كلما إبتعدنا عن عهد الرسالة لأن تطبيق

منهج التأويل على هذا النص يسهم في إنزال المزيد من الآيات القرآنية مفهوما التي تعالج المستجدات والمستحدثات التي يفرضها تقدم الحياة" (نصر حامد أبو زيد، 2006، ص13).

...لم يكن إنشغال نصر حامد أبو زيد منصبا حول قراءة النص القرآني فقط بل عمل على إعتقاد آليات الهرمنيوطيقا وأدواتها الحديثة والمعاصرة في قراءة كل الخطاب الديني المتمثل في علم الكلام وكذا علوم أصول الفقه والتفسير وكذا علوم القرآن وحتى التصوف، أو بعبارة أدق جاءت قراءة أبو زيد معتمدة النظرة الكلية لا الجزئية لما أطلق عليه إسم النص الديني الإسلامي؛ وحينما سلب أدواته التأويلية في قراءة النص القرآني ودراسته كان يسعى من وراء ذلك إلى تحقيق هدفين أعلن عنهما في كتابه الإشكالي: مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، الهدف الأول تمثل في إعادة ربط الدراسات القرآنية بمجال الدراسات الأدبية والنقدية بعد أن انفصلت عنها في الوعي الحديث والمعاصر نتيجة لعوامل كثيرة أدت إلى الفصل بين محتوى التراث وبين مناهج الدرس العلمي، وصارت الدراسات الإسلامية نتيجة لذلك مجالا حائرا بين التخصصات الأكاديمية" (نصر حامد أبو زيد، 2014، ص18).

...وعليه فالنص القرآني في القراءة التي قدمها أبو زيد قابل للقراءة باعتباره نص لغوي وهذا من حيث البناء والتركيب والدلالة كما أنه نص مرتبط بسياقات تاريخية لا يمكن فهمه إلا من خلالها رغم أنه "قد يقال إن النص القرآني نص خاص، وخصوصيته نابعة من قداسته والوهية مصدره، لكن رغم ذلك يظل نصا لغويا ينتمي لثقافة خاصة" (نصر حامد أبو زيد، 2014، ص18)؛ نظر أبو زيد للنص القرآني باعتباره خطابا وحتى وإن كان هذا الخطاب إلهي فهذا لا يمنع من تحليله، كما أن مصدرته الإلهية لا تنفي عنه صفة النص اللغوي وإرتباطه بالزمان والمكان التاريخي وحتى الاجتماعي، ولكن يبقى في نظر أبو زيد أن "ما هو خارج اللغة وسابق عليها - أي الكلام الإلهي في إطلاقيته - لا يمت لنا نحن البشر بصلة، بالإضافة إلى أننا لا نمتلك الأدوات المعرفية ولا الإجرائية لإخضاعه للدرس لذلك لا يمكننا إنتاج خطاب علمي حوله، وأي حديث عن الكلام الإلهي خارج اللغة من شأنه أن يجذبنا شئنا أم أئينا إلى دائرة الخرافة والأسطورة" (نصر حامد أبو زيد، 2014، ص92).

...ومن خلال هذه القراءة يصل أبو زيد إلى مجموعة نتائج مترابطة فيما بينها هي بمثابة حقائق معرفية - جاء التأكيد عليها في كتابه: النص والسلطة والحقيقة - هذه الحقائق هي ثلاث: تمثلت الحقيقة الأولى في أن اللغة لا يمكن لها أن تؤدي وظيفتها التواصلية خارج بنيتها الأوسع، وهي بنية الثقافي / الاجتماعي وعليه لا نستطيع بشكل من الأشكال حصر الدلالة في المنطوق الملفوظ فقط، بل هي تتعدى ذلك لتشمل المسكوت عنه في كل جوانبه ومستوياته؛ أما الحقيقة الثانية فهي متعلقة بعملية القراءة، فالقراءة التي لا تأخذ بعين الاعتبار مستويات السياق فهي لا تخرج عن إطار القراءة الإيديولوجية النفعية المفرضة، أما الحقيقة الثالثة التي يؤكد عليها أبو زيد هي أن القراءة ليست مجرد سياق إضافي خارجي يضاف إلى النص لأن نصية النص لا تتحقق إلا من خلال فعل القراءة، ومن هنا تصبح تعددية الفهم والتأويل كامنة في بنية النص لا مضافة إليه (نصر حامد أبو زيد، 2006، ص109-111).

...كان هذا الهدف الأول الذي سعى أبو زيد إلى تحقيقه لكن لا تكتمل القراءة ولا تتكامل إلا بتحقيق الهدف الثاني والمتمثل في القراءة التاريخية للنص الديني باعتباره أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة "

لم تلق كاملة ونهائية في لحظة واحدة بل هي نصوص لغوية تشكلت خلال فترة زادت على العشرين عاما " (نصر أبو زيد، 2014، ص25)؛ هذه الفترة الطويلة هي بمثابة الدليل على أن للنص تاريخا هو تاريخ الدعوة المحمدية وهنا يقدم لنا أبو زيد ثلاث أدلة حتى يؤكد تاريخية النص القرآني ومن ثم ضرورة قراءته من هذا المنطلق وهذه الأدلة يعود نصر حامد أبو زيد ليستخرجها من النص القرآني في حد ذاته هذه الأدلة هي : أسباب النزول ، والمكي والمدني ، والناسخ والمنسوخ.

...ففي أسباب النزول يؤكد لنا أبو زيد مسألة ذات أهمية كبيرة وهي أن " الحقائق الإمبيريقية المعطاة عن النص تؤكد أنه نزل منجما على بضع وعشرين سنة ، وتؤكد أيضا أن كل آية أو مجموعة من الآيات نزلت عند سبب خاص إستوجب إنزالها وأن الآيات التي نزلت ابتداء - أي دون علة خارجية - قليلة جدا وقد أدرك علماء القرآن أن السبب أو المناسبة المعينة هي التي تحدد الإطار الواقعي الذي يمكن فهم الآية أو الآيات من خلاله ، أو بعبارة أخرى أدرك علماء القرآن أن القدرة على فهم دلالة النص لا بد أن تسبقها معرفة بالوقائع التي أنتجت هذه النصوص " (نصر حامد أبو زيد، 2014، ص 97)؛ من هنا تصيح مع أبو زيد أسباب النزول هي السياق الاجتماعي للنصوص وعليه يمكن معرفة هذه الأسباب كما يمكن بلوغها من خارج النص ومن داخله أيضا " إن تحليل النصوص وإكتشاف دلالتها عملية معقدة لا يجب أن تسير في إتجاه واحد من الخارج إلى الداخل أو من الداخل إلى الخارج ، بل يجب أن تسير في حركة "مكوكية" سريعة بين الداخل والخارج " (نصر حامد أبو زيد، 2014، ص111) .

...أما فيما يخص الدليل الثاني والمتمثل في المكي والمدني نشأ هذا العلم عند المسلمين للتمييز بين فئتين من السور والآيات تنتمي إلى فترتين تدخلان في تشكيل النص القرآني ويأخذ أبو زيد التفرقة الشائعة بين المكي من القرآن والمدني منه كدليل ثاني على أن هذه التفرقة لم تكن مجرد تفرقة مكانية بقدر ما كانت " تفرقة بين مرحلتين [ كما أنه ] ليس لذلك من دلالة سوى أن النص ثمره للتفاعل مع الواقع الحي التاريخي(نصر حامد أبو زيد، 2014، ص75)؛ وعليه حسب أبو زيد هذه التفرقة و التسمية لا يجب أن تشير إلى المكان فقط بقدر ما هي إشارة إلى تفرقة بين مرحلتين "فالمكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم المدينة ، عام الفتح أو عام حجة الوداع أم يسفر من الأسفار " (نصر حامد أبو زيد، 2014، ص77) . أما فيما يخص عملية الإنتقال من مكة إلى المدينة المنورة لم يكن مجرد إنتقال من مكان إلى آخر بقدر ما كان تحول مس الوحي إذ تحول إلى رسالة ، والرسالة في نظر أبي زيد تعني فيما تعنيه بناء إيدولوجية المجتمع الجديد .

...في حين أن الدليل الثالث الذي إستند إليه أبو زيد فهو ما تعلق بالناسخ والمنسوخ التي يقر بها علماء القرآن إذ قام هذا العلم بناء على التغير في الأحكام القرآنية نتيجة إبدال نص بنص مع الإبقاء عليهما ، إستنادا إلى الآيات القرآنية من سورة النحل " فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين هم به مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مُفْتَرٍ بل أكثرهم لا يعلمون. قل نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ . ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين " (الآية 97-103من سورة النحل). ويعتبر نصر حامد أبو زيد أن علم الناسخ و المنسوخ " أكبر دليل على جدلية العلاقة بين الوحي والواقع " (نصر



حامد أبو زيد، 2014، ص117)؛ كما يذهب إلى إعتبار أن ظاهرة النسخ قد أثارت إشكاليتين في وجه الفكر الديني رغم أنه يتجنب مناقشتها والخوض فيها "الإشكالية الأولى: كيف يمكن التوفيق بين هذه الظاهرة بما يترتب عليها من تعديل للنص بالنسخ والإلغاء، وبين الإيمان الذي شاع واستقر بوجود أزل للنص في اللوح المحفوظ؟ والإشكالية الثانية التي تثيرها ظاهرة النسخ هي إشكالية جمع القرآن" (نصر حامد أبو زيد، 2014، ص117). ويرى أبو زيد أن وظيفة النسخ وإستبدال نص بنص ومن ثم إبطال حكم بحكم جاء بغية التدرج في التشريع خطوة خطوة، والتدرج يعود إلى أن النص "من حيث كونه وحيا إنطلق من حدود مفاهيم الواقع، فلا شك أنه في تطوره كان لابد أن يراعي هذا الواقع... فالتغير صفة ثابتة في الواقع لازمة له من حيث هو حركة مستمرة سيالة دافقة" (نصر حامد أبو زيد، 2014، ص120)؛ وهذا ما تم التعبير عنه من قبل علماء القرآن و لكن بلغة ومفاهيم عصرهم .

...إذن يؤكد لنا أبو زيد أن العلوم القرآنية الثلاث - علم أسباب النزول، علم المكي والمدني، علم النسخ والمنسوخ - والتي أخذها كأدلة أن القدماء من العلماء قد أدركوا أنه هناك علاقة قائمة ما بين الواقع التاريخي والنص الديني فجاءت قراءتهم على هذا الأساس، وهذا لا يمنع أن يعمل المعاصرون من الباحثين والفلاسفة من قراءة النص الديني قراءة تاريخية معتمدة على آليات وأدوات معاصرة هي آليات الخطاب والهرمنيوطيقا .  
...ينطلق نصر حامد أبو من مجموعة قضايا فلسفية حتى يثبت أن النص القرآني هو نص تاريخي فهو يأخذ مسألة القدرة الإلهية وكذا الفعل الإلهي، فالقدرة الإلهية مطلقة وهي بذلك غير متناهية في حين أن الفعل الإلهي متناهي ومن ثم فهو غير دائم، رغم أن هذا الفعل مصدره الله وعليه فالأفعال هي متعلقة "بالعالم الممكن وحتى وإن كان مصدرها وجذر فاعليتها كامنا في القدرة المطلقة، وهي من حيث التعلق بالممكن التاريخي تظل محايدة للتاريخ، وأول الأفعال الإلهية إيجاد العالم، إخراجها من ظلمة العدم إلى نور الوجود" (نصر حامد أبو زيد، 2006، ص68).

...إذن تبني نصر حامد أبو زيد موقف المعتزلة القائل بخلق القرآن وكان الهدف من هذا التبرني وإتخاذ هذا الموقف من أجل تأكيد فكرة تاريخية النص الديني، وعليه إذا كان العالم محدث سيكون القرآن بذلك محدث ومن هنا يأتي إنكاره لأولية النص القرآني، ورغم أن قضية خلق القرآن والتي أثارها المعتزلة قد أحدثت في وقتها تلك الضجة الفكرية فإن نصر حامد أبو زيد قد إعتد على هذا الموقف لتأكيد فكرته حول تاريخية النص لأنه وحسب وجهة نظره "حدوث القرآن وتاريخية الوحي هو الذي يعيد للنصوص حدوثها ويطلق للمعنى الديني بالفهم والتأويل من سجن اللحظة التاريخية إلى أفاق الإلتحام بهموم الجماعة البشرية في حركتها التاريخية" (نصر حامد أبو زيد، 2006، ص68).

...في كتابه النص والحقيقة والسلطة يحاول أبو زيد أن يشرح كيف أن المعتزلة إعتبرت أن القرآن مخلوق محدث إنطلاقا من إعتباره ليس صفة من صفات الذات الإلهية القديمة، فالقرآن الكريم كلام الله و الكلام فعل وليس صفة والكلام من هذه الزاوية ينتمي إلى مجال "صفات الأفعال" الإلهية و بذلك فهو لا ينتمي إلى مجال "صفات الذات" والفرق الحاصل بينهما عند المعتزلة يكمن في أن صفات الأفعال هو مجال يمثل المنطقية المشتركة بين الخالق والعالم، في حين مجال صفات الذات يمثل منطقة التفرد وكذا الخصوصية للوجود الإلهي في ذاته فمثلا صفة العدل الإلهي لا يمكن فهمها إلا في سياق وجود مجال لتحقيق هذه الصفة،

وهذا المجال هو العالم وهنا فقط - مجال صفات الأفعال - ينتهي الكلام والذي يفترض وجود المخاطب الذي يوجه إليه الكلام ، وعليه إذا وصفنا الله عز وجل بأنه متكلم منذ الأزل والذي يقصد به أن كلامه قديم فهذا يعني أن الله كان يتكلم دون وجود من يخاطبه وهذا راجع إلى أن العالم كان لا يزال في العدم وهذا يتنافى مع الحكمة الإلهية ، أما صفات الذات فهي لا تحتاج لوجود العالم وهذه الصفات هي القدرة الأزلية وكذا الحياة فالله في نظر المعتزلة عالم لنفسه ، قادر لنفسه ، قديم لذاته ، حي لذاته ، ومن هذه الصفات الأربعة أوجد العالم لأنه لولا الحياة والقدم والعلم والقدرة لما وجد العالم .(نصر حامد أبو زيد ، 2006 ، ص 68)

...يعد نصر حامد أبو زيد من أهم المفكرين العرب المعاصرين الذين شددوا على ضرورة قراءة النص القرآني في تاريخيته ، والمقصود هنا هو ربط التنزيل بالمكان والزمان وكذا الحدث ، إنها دعوة إلى ضرورة فهم النص القرآني وعدم عزله عن ظروف التنزيل ومعرفة العلاقة بين الأحكام القرآنية والحالات التي وردت فيها ؛ فالقرآن وكما يرى أبو زيد قد " نزل مستجيبا لحاجات الواقع وحركته المتطورة خلال فترة زادت على العشرين عاما " (نصر حامد أبو زيد ، 2014 ، ص 75) ؛ إذن علينا أن نتخلى عن فكرة تعالي النص الديني - والمقصود هنا القرآن - والقول أن أحكامه مطلقة صالحة لكل زمان وكل مكان هذا ما عمل على تحويل النص الديني إلى تعاليم مقدسة لا يمكن بأي شكل من الأشكال المساس بها أو إعادة قرائتها للأفكار لها ظروف أنتجتها أو بالأحرى " إن للأفكار تاريخا وحين يتم طمس هذا التاريخ تتحول تلك الأفكار إلى عقائد فيدخل في مجال الدين ، ما ليس منه ويصبح الإجهاد البشري ذو الطابع الأيديولوجي نصوصا مقدسة ، هكذا يتحول النسبي إلى مطلق والبشري إلى إلهي والنقد إلى كفر بواح ، وكثيرة في تاريخ ثقافتنا العربية الإسلامية هي الأفكار التي أنتجتها عقول بشرية ولكنها تحولت بفضل التكرار والترديد ، الذي من شأنه أن يخفي غيرها من الأفكار ، ولو بالتشويه إلى عقائد لا يمكن المساس بها " (نصر حامد أبو زيد ، 2008 ، ص 19) .

...أعتبرت محاولة نصر حامد أبو زيد في تأويل التراث محاولة لتأسيس تاريخية لبنية الخطاب الديني وهذا بغية الكشف عن طبيعة القراءات الأيديولوجية للنص القرآني ، إنطلاقا من قراءة تحليلية نقدية معتمدة بالأساس على منهجية تحليل الخطاب وكذا مناهج السيميولوجيا وحتى المناهج الأخرى المعتمدة في مجال الدراسات الإنسانية ، وهذا بغية تقديم رؤية معاصرة للفهم القرآني إنطلاقا من التاريخية كمبدأ إفتتح أبو زيد إشكالية الأفعال والصفات وكذا إشكالية خلق القرآن باعتبارها إشكالية إرتبطت بالتراث الإسلامي الكلامي والفكر الإعتزالي بصفة خاصة معتبرا أن "القدرة الإلهية مطلقة لا حدود لها على الإطلاق بحكم أنها صفة من صفات الذات الأزلية القديمة هذا من ناحية ، ولكنها - القدرة - من جهة أخرى تمثل الإمكانيات غير المتناهية للأفعال ، والتي ليس من الضروري أو اللازم أو الحتم أن تتحقق أي تنتقل من الإمكانية إلى الفعل هذه التفرقة بين القدرة بوصفها مجموعة الإمكانيات القابلة للتحقق نظريا ، وبين الفعل بوصفه التحقق العيني للقدرة ، هي القدرة التي أقرها العلماء المسلمون في مقولة هامة من مقولاتهم وهي ليس كل مقدور محتم الوقوع إذا كانت القدرة الإلهية مطلقة ، فإن مقدوراتها من الأفعال كذلك لا تتناهى ولكن العالم متناه من حيث بنيته في الزمان والمكان وهذا دليل على أن إمكانات القدرة الإلهية لا تتطابق مع الأفعال بأي معنى من المعاني " (نصر حامد أبو زيد ، 2006 ، ص 70 ، 71) .

...ولهذا إعتبر الكثير من الدارسين أن ما قام به أبو زيد ما هو إلا دعوة إلى ضرورة السعي العلمي الجاد والأصيل من أجل قراءة علوم القرآن قراءة متزامنة مع العصر وهنا تأتي فكرته في نزع صفة القداسة عن كل ما هو تراث ولهذا سيعمل أبو زيد على الدعوة إلى ضرورة وضع النص الديني - والمقصود هنا القرآن والحديث - في السياق التاريخي للفاعلية الاجتماعية وكذا البشرية التي يتوجه إليها هذا الخطاب ، وهذا ما يستدعي مسبقا الإقرار بأن الخطاب الحق في فهمه وهذا على ضوء المعطيات الثقافية والتاريخية للحظة النزول أي نزول الوحي أي إخضاع النصوص الدينية للتاريخية (نصر حامد أبو زيد، 2014، ص، ج)؛ رأى أبو زيد أنه من بين الأسباب التي عملت على تحنيط النص الديني هذا التحنيط الذي سيعمل بدوره على حصر كل الحياة في المجتمع الإسلامي فيما يعرف أو يسمى بالعقل الفقهي هذا العقل الذي دشنه الإمام الشافعي من خلا تأسيسه " سلطة للنصوص تشمل نطاقاتها سائر مجالات الحياة الاجتماعية والمعرفية ، بعد ما قام الشافعي بتحويل النص الشارح إلى الأصلي ، وأضفى عليه كما يقول أبو زيد درجة المشروعية نفسها ثم وسع مفهوم السنة بأن ألحق به الإجماع ، كما ألحق به العادات وقام بربط الإجهاد / القياس بكل ما سبق ربطا محكما ، ما يعني في التحليل النهائي وفق أبو زيد تكبيل الإنسان بإلغاء فعاليته وإهدار خبرته ، والسعي إلى المحافظة على المستقر و الثابت وتكريس الماضي بإضفاء طابع ديني عليه " (نصر حامد ، 2014 ، ص د - هـ) .

...أكد نصر حامد أبو زيد أن هذه النظرة التي جمدت النص ومن ثم عملت على تقديسه كانت عاملا مساعدا على شيوع ظاهرة التزمّت والأصولية التي عرفتها المجتمعات العربية الإسلامية ، التي عملت بشكل كبير على إنتشار الجماعات السلفية المتطرفة هته الجماعات التي عرفت في الكثير من الأحيان بإسم الإرهاب الذي يعمل بكل الوسائل على تأويل بعض الآيات القرآنية تأويلا إيديولوجيا يخدم أغراض شخصية ، ولهذا كان لابد من إعادة قراءة النص الديني قراءة منفتحة على آليات الخطاب والتأويل .

...يمكن القول في الأخير أن عملية قراءة التراث عند نصر حامد أبو زيد هي قراءة نقدية مرتبطة أساسا بالتأويل ، وعليه لا تقف إشكاليات القراءة عند حدود إكتشاف الدلالات في سياقها التاريخي والثقافي والفكري فقط بل تتجاوزها إلى محاولة إدراك المغزى المعاصر للنص التراثي ، وهذا في أي مجال معرفي كان ليتم من وراء ذلك تحقيق الوعي العلمي بالتراث ، كل هذا لا يكون إلا إذا كان هناك إبتعاد كلي عن القراءات الإيديولوجية وهذا ما تم توضيحه مسبقا .

## 2.2 - حسن حنفي والتفسير الهيرمينوطيقي للتراث:

...يعرف حسن حنفي التراث بأنه "كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة ، فهو إذا قضية الموروث ؛ وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على العديد من المستويات " ، فالتراث إذن هو كل ما وصلنا من أسلافنا من إنتاج فكري ومادي حسب تعريف حسن حنفي ، لكنّه يضيف " قضية معطى حاضر على العديد من المستويات " (حسن حنفي، 1994، ص13) ، فماذا يقصد بذلك؟ .

...يقصد بذلك أنّ التراث ليس مخزونا ماديا في المكتبات والمتاحف ، وليس كيانا نظريا مستقلا بذاته ، وليس ماضيا عتيقا لا صلة له بالحاضر ، بل هو مخزون نفسي يوجه سلوك الجماهير ؛ فدراسة التراث إذن ليست "دراسة للماضي العتيق فحسب ، الذي ولى وطواه النسيان ، ولا يزار إلا في المتاحف ولا ينقّب عنه إلا علماء الآثار ، بل هو أيضا جزء من الواقع... ومازال التراث القديم بأفكاره وتصوراته ومثله ، موجها لسلوك الجماهير

في حياتهم اليومية؛ أمّا بعاطفة التقديس في عصر لا يسلك الإنسان فيه إلا مادحا أو بالارتكاز على ماض زاهر، تجد فيه الجماهير عزاء عن واقعها المضي؛ ولهذا السبب يعنون كتابه - الذي خصصه لدراسة الجهة الأولى وهي دراسة التراث ب "التراث والتجديد" (حسن حنفي، 1994، ص13)، فتحليل التراث هو تحليل لعقليتنا المعاصرة وبيان أسباب عجزها.

...وكلمها أوغلنا البحث في القديم وفككتنا رموزه، أمكننا حلّ عقد وطلاسم الحاضر وأمكنا إبراز مواطن القوة لتأسيس نهضتنا المعاصرة، فالتراث دراسة للماضي لكن من منطلق متطلبات الواقع، وبهذا سيتمّ بالتغيير والتجديد؛ إذن يهدف حسن حنفي من خلال مؤلفه " التراث والتجديد" إلى تغيير الواقع من خلال دراسته للتراث ليس بالانفصال عنه، لأنّ ذلك غير ممكن فلا يمكن سلخ الذات عن أصلها وجذورها، ولكن بالوقوف على الجانب الإيجابي في التراث وتوظيفه في الواقع بشكل يجعله نقطة الإنطلاقة نحو التطور والتقدم والنهوض من جديد.

...فدراسة التراث لا تعني " حدوث قطيعة أو انفصال حضاري، بل تعني استمرار الحضارة ولكن على-أسس جديدة - من إحتياجات العصر" (حسن حنفي، 1994، ص17)؛ وبهذا نقضي على مظاهر التطرف باسم التراث، ونضع حدًا بذلك لمن ينصّبون أنفسهم أوصياء على تراث الأمة؛ مندفعين بحميّة دينية وإيمانا أعمى ونقضي أيضا على من يستخدمون التراث لمصالحهم الخاصة وتبرير هزائمهم، كأن توظف شعارات الصّوفية (الصبر مفتاح الفرج)، (توكلنا على الله)، بأسلوب سلبي لتبرير هزائمنا، فنرمي بأخطائنا على عاتق الزمن ونحوّل القضاء والقدر، أعباء أخطائنا ونقف وقفة العاجز الضّعيف الذي لا يرى فضائله إلا في كونه صاحب حقّ ضائع .

...إنّ إعادة بعث التراث هنا، لا تتعدى مجرد إعادة طبع المؤلفات القديمة في طبعات عدّة لتبرير ظروف معيّنة، دون مراعاة لمتطلّبات الواقع، فإذا كنا نعاني من هزيمة نشرت كتب التصوف تعويضا عن الهزيمة، وإذ قيل أنّ إبتعادنا عن الدّين هو سبب هزيمتنا نشر " الكتاب والسنة في طبعات مذهبة، منمّقة، مزركشة لزيادة ثروة التّجار ولتبرّك بها النّاس وهم في بيوتهم" (حسن حنفي، 1994، ص12) .

...وبدلا من أن نعوص في أعماق هذا التراث، ونحتوي الإيجابية منه، ونوظفه لتغيير واقعنا، نجعله أداة لتبرير أخطائنا بفهم سطحي للأمر؛ أي: نستخرج من التراث ما يدعّم فساد الواقع، لا ما يدفع عنه الفساد ويدفعه لتغيير، لا يكتفي حسن حنفي بمهاجمة الدّراسات السّلبية للتّراث والمطالبة برفع الوصاية عنه، بل يعتبر دراسته قضية وطنية، يجب أن يؤمن بها الجميع، لأنّ فيها خلاص الأمة فتراثنا " القديم ليس قضية دينية لانطباعه بصيغة دينية... ولكنه قضية وطنية تمسّ حياة المواطنين و تتدخل في شقاؤهم أو سعادتهم" (حسن حنفي، 1994، ص17) .

...فالكلّ مسؤول عن هذا التراث وعن حمايته مثلما هو مسؤول عن حماية وطنه، فهو ذاكرة هذه الأمة وروح هذا الشّعب، لذلك يعتبر التراث غير دين، لأنّ الدين جزء من التراث وليس هو التراث بعينه، لذا نجد حسن حنفي يستخدم كلمة " التراث" بدلا من كلمة "الدّين".

...والرجوع لدراسة التراث، لا يعني في أيّ حال من الأحوال الإنشغال والإبتعاد عن الحداثة والمعاصرة، وإنمّا تدعيما لها بشكل صحيح، فتغيير واقعنا يجب أن يكون بنقد الذات داخليا لا بنقدها وبمقارنتها

السطحية مع الآخر، أو بالإتباع الأعمى وإنما إتخاذ المنهج الصحيح السوي لتغيير الواقع المضني . نفس الموقف يشير إليه محمد عابد الجابري في مقدمة كتابه "التراث و الحداثة"، إذ يعتبر أنّ الحداثة "لا تعني رفض التراث والقطيعة مع الماضي بقدر ما تعني الإرتفاع بطريقة التعامل مع التراث على مستوى ما نسميه بالمعاصرة، أعني مواكبة التقدّم الحاصل على الصّعيد العالمي" (محمد عابد الجابري، 1991، ص 16).

...ويعتبر بذلك الفهم الخاطئ للاهتمام بالتراث، إنّما هو متولد من اعتبار تراث الحضارة الإسلامية مجرد بضاعة تنتمي إلى الماضي، وأنّ بروز اهتمام المثقفين بهذا التراث إنّما يعود إلى نكسة 1967، وهذا الاهتمام سيعرقل تطور الأمة، لأنه ابتعاد عن الحداثة، لهذا يسمى هذا نوع من الفهم بالفهم (التراثي للتراث)، لهذا يدعوا إلى تصحيح المفاهيم؛ فالحداثة ليست مواكبة الحداثة الأوروبية واتخاذها أصلا لنا بالرغم من كونها تمثل حادثة عالمية، لكن هذا لا يعني التّقدم وإنّما التّبعية العمياء الجوفاء التي تكتفي بالقشور دون اللّباب، والحداثة هي إعادة بناء فكرنا وأحوالنا وفق متطلبات الواقع، أي بالإنّظام في الواقع وإعطاء الأولوية للواقع.

...إن حسن حنفي لا يعني بدراسته للتراث دراسة تراث الأنا فقط، وإنما دراسة تراث الحضارة الغربية أيضا لأنه أصبح جزءا من تراثنا وبشكل وعينا، فوعينا " القومي يسير على قدمين : الأولى طويلة قوية ورفيعة نظرا لأننا نجهل تراثنا القديم، والثانية قصيرة ومتورمة " (حسن حنفي، 2006، ص13)، ويقصد بها الحضارة الغربية وبالنسبة إليه، إن الإمتزاج الحاصل بين الحضارتين الغربية والإسلامية في وعينا الحاضر يجعله يشكل تراثا واحدا يوجه وعينا " فكلاهما " تراث، تراث الأنا أو تراث الآخر، قال إبن تيمية أو قال ماركس، قال الغزالي أو قال جون ستوات ميل " (حسن حنفي، 2006، ص 12).

...إن دراسة التراث هو مطلب " لتحقيق التجانس الحضاري لشعب من الشعوب " (حسن حنفي، 1994، ص20)؛ فدراسة التراث بهذا المفهوم، هو مرحلة ضرورية من أجل تحديد موقعنا وموقفنا من ما نواجهه في الواقع، إذ " قضية التراث والتجديد هي إذن الكفيلة بإظهار البعد التاريخي في وجداننا المعاصر، واكتشاف جذورنا في القديم حتى يمكننا الإجابة على سؤال : في أي مرحلة من التاريخ نحن نعيش ؟، وحتى نعود إلى تطورنا الحضاري الطبيعي، فتحل مشكلة الجمود والتوقف من ناحية، وتحل مسألة التقليد من ناحية أخرى " (حسن حنفي، 1994، ص 20).

...ولقد أولى حسن حنفي إهتماما كبيرا بنظرية التفسير أو الهرمينوطيقا كمنهج لدراسة التراث والتي خصص لها أبحاثا وكتابان هما " الاجتهاد الكلامي " وهو عبارة عن مجموعة مقالات لحسن حنفي ومجموعة من المؤلفين، وكتاب " ظاهريات التأويل " وهو من جزئيين ولا يكتف حسن حنفي هنا بدراسة التأويل والهرمينوطيقا فقط، بل حاول تطبيقها على دراسة النصوص المقدسة سواء على الإنجيل كما فعل في الجزء الثاني من هذا المؤلف، أو من خلال إستثمار هذا المنهج في دراسة فكرنا التراثي، إذ نجده ينادي بضرورة إعادة الإعتبار للواقع المعاش، وبالتالي ضرورة " تأويل المباحث القديمة إبتداء من حاجيات العصر، أو تأويل العصر الحاضر إبتداء من المواقف الفعلية والمواقع من خريطة العمل الاجتماعي، بل والموقف السياسي الذي هو المعبر الفعلي على مستوى الممارسة العلمية للموقف الاجتماعي العام " (حسن حنفي، 1981، ص456)؛ لكن المنهج الذي يصرح به حسن حنفي لا يلمسه جل الباحثين، إذ أغلب الباحثين خاصة المراجع التي

استخدمناها في بحثنا هذا ، أن هناك تعدد في المناهج التي يستخدمها حسن حنفي ، ولهذا نجد أن هناك اختلاف في عدم الإتفاق بين الباحثين حول المنهج الذي يعتمد عليه حسن حنفي .

...إن حسن حنفي يزوج بين المنهج الظاهراتي والتأويل في دراسة النص الديني ، بل ويعتبر هذه المزاجية ضرورية لتفسير الظاهرة الدينية وتأويلها ؛ إذ " تظهر جدوى تطبيق المنهج الظاهراتي في الظاهرة الدينية بوضوح في ظاهريات التأويل ، فالنص المقدس هو الأساس الواقعي والموضوعي للظاهرة الدينية ، ويصبح الطرف الموضوعي للشعور ، وتظهر مشكلة الصحة التاريخية للنص المقدس للمرة الأولى بعد ظهوره كموضوع أولي في ظاهريات التأويل " (حسن حنفي ، 2013 ، ص 535)

...ويعتبر حسن حنفي " علوم القرآن ليست علوما مقدسة بل تبين الحوامل اللغوية والثقافية والاجتماعية والزمنية والمكانية للوحي " (حسن حنفي ، 2013 ، ص 21) ، فتأويل وتفسير النص القرآني لا يمكن أن يكون له معنى إلا إذا تم الرجوع إلى الواقع لتفسير النص وفق هذه العوامل ، وحتى وإن أعتبر الوحي مقدسا فإن " الوحي المقدس هو العلم الإلهي وحده قبل التدوين ومنذ تدوينه في اللوح المحفوظ بغض النظر عن لغته أصبح مدونا في اللغة والزمان والمكان " (حسن حنفي ، 2013 ، ص 21) ، أي بعد تدوينه تحول إلى نص أدبي يخضع لضوابط اللغة ولتطور الأحداث الزمنية والمكانية .

...وعليه فإن تأويل النص الديني لا يمكن أن يكون تأويلا صحيحا إلا إذا ربط بالواقع ، ذلك أن الوحي له صلة وطيدة بالواقع وتطور الأحداث ؛ إذ " لا نزول بلا سبب فالوحي نداء للواقع واستجابة له " (حسن حنفي ، 2013 ، ص 83) ، ولهذا يجب إعطاء الأولوية للواقع على الفكر أثناء التأويل ؛ من خلال التركيز على أسباب النزول (الزمان) والبيئة الاجتماعية (المكان) وتفاعل ذلك من خلال التفسير والرواية إلى جانب حامل اللغة .  
...وعموما فإن حسن حنفي إستخدم عدة مناهج لدراسته للتراث ، ولم يكتف بمنهج واحد ، إذ في بعض أقوله يظهر تأثيره بهيجل وذلك من خلال قوله " في حقيقة الأمر الفكر هو الواقع ، والواقع هو الفكر ، وليس لأحدهما أولوية زمنية على الآخر ، أو أي نوع من الأولوية من حيث الشرف والقيمة ، الفكر واقع متحرك ، والفكر واقع مرئي ، وكل ما لا يتحقق في الواقع لا يكون إلا هوى أو إنفعالا ذاتيا ، وكل واقع لا يتحول إلى فكر يكون واقعا صامتا أو واقعا ناقصا " (حسن حنفي ، ص 398) .

...لكن الذي يلتمس هذه المثالية الهيجلية في قوله ، يلتمس نقيضها المهادي في إهتمامه بالفكر الماركسي ، وإهتمامه بنشأة الأفكار من خلال دراسة وبيان منشئها الاجتماعي والإقتصادي والسياسي ، أي الإهتمام بالأصول المادية للأفكار ، هذا التناقض بين المثالية والمادية لا نستنتجه وحسب ، بل يصرح به حسن حنفي في قوله " أنا ماركسي ولكن ماركسي شاب ، يعني ذلك أنني ما زلت أعرف أن الإنتقال من هيجل إلى فيورباخ ، والإنتقال من فيورباخ إلى ماركس ، هو النقلة الحقيقية لمجتمعنا " (حسن حنفي ، 1983 ، ص 17) .

...إلى جانب ما ذكرناه آنفا فإنّ هناك من يعتبر دراسته حسن حنفي للتراث كانت بمنهج بنيوي ، ذلك أنّه نظر إلى التراث على أنه بنية واحدة ، وهذا الرأي نجده عند جورج طرابيشي إلى جانب محمود إسماعيل الذي يصرح بذلك بقوله " إذا كان البعض يذهب إلى أن منهج حنفي هو الفينومينولوجيا إلا أنه أقرب إلى المنهج البنيوي لو شئنا رد المنهج إلى مدرسة بعينها " (محمود إسماعيل ، 1993 ، ص 34)

خاتمة :

..إستطاعت الهرمنيوطيقا أن تقطع أشواطاً من التحول الذي مسها كمنهج، فبعد أن كانت مرتبطة بالدوائر اللاهوتية وإنطلقت مسيرتها منها إنتقلت إلى مجال أوسع من ذلك وهذا مع التطور الفكري والعلمي، حيث إستطاعت أن تتجاوز هذا المجال إلى دوائر أوسع معبرة عن هذا التحول في العقل التأويلي الذي أصبح يهتم بما يشغل الفلسفة الحديثة والمعاصرة، إذ إنتقلت من مجال النص الديني إلى مجال العلوم الإنسانية مع شلاير ماخر ودلثاي وصولاً إلى غادامير وبول ريكور فطرحت أفكاراً جديدة حول ماهية الفهم الإنساني كما أنها أوجدت تحديات في وجه الفلاسفة وحتى النقاد الأدبيين، لنجد أنفسنا نحن العرب والمسلمين نستعين بهذا المنهج لقراءة التراث عامة والنص الديني بصفة خاصة غير أن ما حدث عندنا كان مختلفاً تماماً عما حدث في الغرب فالهرمنيوطيقا كما ذكرنا سابقاً إنطلقت في أواخر القرن السابع عشر من مجال الدراسات اللاهوتية للعهد القديم والحديث إلى مجال الدراسات الإنسانية وكذا النقد الأدبي في حين بدأت عربياً من مجال النقد الأدبي لتصل فيما بعد إلى النص الديني مع مفكرين أمثال ناصر حامد أبو زيد و حسن حنفي و محمد أركون.

#### قائمة المراجع :

- ابن منظور، لسان العرب، ج 6، محمد احمد حسب الله وآخرون، دار المعارف، بيروت.  
أحمد واعظي(2003)، ماهية الهرمنيوطيقا، مجلة المحجة، العدد 06، لبنان.  
أحمد زايد(1991)، الهرمنيوطيقا وإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية، حولية كلية الإنسانيات و العلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد الرابع عشر.  
أكرم ضياء العامري(1986)، التراث والمعاصرة، سلسلة كتاب الأمة، قطر.  
حسن حنفي(1981)، دراسات فلسفية، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة.  
حسن حنفي(1994)، التراث والتجديد، ط 4، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت.  
حسن حنفي(1988)، مالعقيدة إلى الثورة، ج 1، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت.  
حسن حنفي (1983)، من بيروت إلى النهضة: أسئلة و اختيار، مجلة الثقافة الجديدة العدد 29، الدار البيضاء.  
حسن حنفي(2003)، مجلة قضايا إسلامية معاصرة " كتاب الاجتهاد الكلامي"، ط 1، دار الهادي للطباعة و النشر، بيروت.  
حسن حنفي(2013)، من النقل إلى العقل ج1- علوم القرآن، ط 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.  
حسن حنفي(2013)، تأويل الظاهريات، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة.  
حسن حنفي(2006)، مقدمة في علم الإستغراب، ط 3، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.  
عادل مصطفي(2007)، فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامر، رؤية للنشر والتوزيع.  
فرناد هالين و شوبر ويخن(1998)، من الهرمنيوطيقا إلى التفكيكية، ترجمة: عبد الرحمان بوعلي، مجلة المملكة العربية السعودية، عدد 4 يونيو.  
محمد المتقن(2004)، في مفهوم القراءة و التأويل، مجلة عالم الفكر، أكتوبر، ديسمبر، العدد 2، مجلد 33 الكويت.  
محمود إسماعيل(1993)، الإسلام السياسي بين الأصوليين والعلمانيين، ط 1، مؤسسة الشراع، الكويت.  
محمد عابد الجابري(1991)، التراث والحداثة، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

مجموعة من المؤلفين ، المعجم الوسيط ، ج 2 ، ط 3 ، مجمع اللغة العربية ، الجزائر.  
مجموعة من المؤلفين(1975) ، معجم العلوم الإجتماعية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة.  
نصر حامد أبو زيد(2014) ، مفهوم النص : دراسة في علوم القرآن ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي و مؤسسة  
مؤمنون بلا حدود ، الدار البيضاء ، المغرب.  
نصر حامد أبو زيد(2006) ، النص و السلطة و الحقيقة: إرادة المعرفة و إرادة الهيمنة ، ط 5 ، المركز الثقافي  
العربي ، الدار البيضاء المغرب.  
نصر حامد أبو زيد(2007) ، نقد الخطاب الديني ، ط 3 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب.  
نصر حامد أبو زيد(2001) ، إشكاليات القراءة و آليات التأويل ، ط 6 ، الدار البيضاء ، المغرب.  
نصر حامد أبو زيد(2008) ، الخطاب و التأويل ، ط 3 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب.  
هانز غادمار ، فلسفة التأويل(2006) ، الأصول المبادئ الأهداف ، ترجمة: محمد شوقي الزين ، ط 2 ، دار  
الاختلاف الجزائر .



## اقتصاديات الجنوب بين اتجاهات تطوّر التعاون جنوب- جنوب ورهانات تشكّل الجغرافيا الجديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية

South economics between the trends of South-South cooperation development and the  
challenges of the formation of a new geography of international economic relations

د.محمد يعقوبي ، كلية العلوم الاقتصادية وعلو التسيير ، جامعة البليدة2-الجزائر

### مقدمة:

يعتمد تقسيم العالم إلى شمال وجنوب بشكل كبير على الواقع الاقتصادي لدوله ، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفرق بين دول تتميز بأداء متطور في مؤشرات الاقتصادية تتموقع جلفها في شمال الكرة الأرضية ، ودول تتميز بتخلف هيكلي في اقتصادياتها تشغل معظمها النصف الجنوبي للكرة الأرضية. ونتيجة لهذا نجد أن دول الجنوب تتميز بالعديد من الخصائص الاقتصادية والاجتماعية عن دول الشمال ، جعلت منها تابعة اقتصاديا للبلدان المتقدمة لفترة طويلة من الزمن .

وبذلك نجد أن التعاون جنوب- جنوب يشير إلى مختلف نشاطات التعاون بين الدول النامية ، والتي تهدف إلى الوصول لتحقيق تضامن في مختلف المجالات مثل التجارة ، الاستثمار ، التعاون المالي والتكنولوجي ، وغيرها من مجالات التعاون. وقد عُرف التعاون جنوب- جنوب كوسيلة فعالة لتدعيم مقومات التكامل الإقليمي وتحت الإقليمي ، يهدف السماح بانتقال الموارد وتقاسمها بين الدول الأقل نموا وتحقيق الاستغلال الأمثل لها ، وهو بذلك يستجيب لوجوب ترشيد استعمال الموارد في إطار يسمح بتحسين التفاوض والتشاور على المستوى الإقليمي والدولي ، وتعزيز انتقال الموارد المالية والبشرية والتقنية إلى مناطق الحاجة إليها.

وقد دفعت الشروط والنتائج السلبية للتقسيم الدولي التقليدي للعمل بدول الجنوب إلى البحث عن تنمية اقتصادياتها وتطويرها ، وهذا من خلال تبنيها لسياسات اقتصادية فعالة ، مما جعل العديد منها تحقق تحسنا معتبرا في أداء مؤشرات الاقتصادية. فمنذ منتصف الثمانينات بدأت بعض الأقطاب الاقتصادية تظهر في دول الجنوب مثل دول جنوب شرق آسيا ، وبعض دول أمريكا اللاتينية ، وهذا ما دعم التوجه نحو تعميق العلاقات جنوب- جنوب ، وتقويتها في مختلف المجالات والفروع الاقتصادية. وبهذا فقد ساعدت مبادرات التعاون بين دول الجنوب على دعم التبادل التجاري فيما بينها ، وأصبحت العديد من بلدان الجنوب تعمل على تقوية علاقاتها النقدية مع بلدان جنوبية أخرى. وقد قادت هذه الارتفاعات بعض الدول النامية إلى الرقي باقتصادياتها إلى مرتبة الاقتصاديات الناشئة مثل الصين والهند في آسيا وجنوب إفريقيا في إفريقيا ، والبرازيل في أمريكا اللاتينية ، والتي أصبحت تحتل مراكز متقدمة في التصنيف الاقتصادي الدولي مقارنة ببعض اقتصاديات الشمال ، وهو ما بوأها لأن تحتل مكانة مهمة ضمن الجغرافيا الجديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية.

مشكلة البحث:

نحاول من خلال هذه الدراسة إبراز أهمية ومكانة التعاون جنوب- جنوب كاستراتيجيه من استراتيجيات التعاون الدولي المعروفة في خدمة أهداف التنمية في دول الجنوب ، في ظل التغيرات الحديثة التي طرأت على النظام الاقتصادي الدولي ، والتي أفرزت جغرافيا جديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية.

#### أهمية البحث:

تتأتى أهمية هذا البحث من نقطتين أساسيتين ، تتمثل الأولى في ضرورة متابعة التحسن الملحوظ في درجات التعاون الاقتصادي بين دول الجنوب ، والنتائج عن تحسن معدلات أدائها الاقتصادي في السنوات الأخيرة ، مما أدى إلى تشكل جغرافيا جديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية. أما الثانية ، فتشقت من خلال معاينة العجز الواضح لميكانيزم التعاون شمال- جنوب عن تحقيق مساعدة دول الجنوب في الوصول لأهدافها التنموية ، مما جعلها تبحث عن سبل وآليات لتعزيز تعاونها البيئي من أجل الاستفادة من الفرص والمقومات التي تمتلكها بشكل أفضل.

أهداف البحث: نسعى من خلال هذه الدراسة إلى الوصول إلى تحقيق النقاط المستهدفة التالية:

- معاينة الخصائص المميزة لاقتصاديات الجنوب وتحديد مفهوم ميكانيزم التعاون جنوب- جنوب ؛
- إبراز التحولات الحقيقية في جغرافيا العلاقات الاقتصادية الدولية ومكانة دول الجنوب منها ؛
- التعرف على مكانة التعاون الاقتصادي جنوب- جنوب ضمن الهيكل الجديد لعلاقات التعاون الدولي.

محاور البحث: لقد ارتأينا تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة محاور كما يلي:

المحور الأول: ماهية اقتصاديات الجنوب والتعاون جنوب- جنوب ؛

المحور الثاني: اتجاهات تشكل الجغرافيا الجديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية ؛

المحور الثالث: معالم التعاون جنوب- جنوب في ظل الهيكل الجديد للعلاقات الاقتصادية الدولية.

المحور الأول: ماهية اقتصاديات الجنوب والتعاون جنوب- جنوب

تعتبر تسمية الشمال والجنوب ذات أبعاد جغرافية وسياسية أكثر منها اقتصادية ، فنجد أن شمال الكرة الأرضية يتميز بخصائص طبيعية مختلفة عن تلك التي يتميز بها جنوبها ، كما أن المواقف السياسية المرتبطة بالتجاذبات الدولية تكاد تكون مختلفة تماما عن دول الجنوب. ومن هذا المنطلق فقد تشكلت بعض التسميات التي قسمت العالم إلى مجموعات معينة على أساس مواقعها الجغرافية ومواقفها السياسية ، فأطلق العالم الأول على الدول الرأسمالية ، والعالم الثاني على الدول الشيوعية أو الاشتراكية ، والعالم الثالث على الأقطار التي كانت مستعمرة ثم نالت استقلالها. ويمثل أسلوب التعاون الاقتصادي جنوب- جنوب أحد الفرص المتاحة للدول النامية من أجل الاندماج في الاقتصاد العالمي ، والاستفادة المتبادلة من المزايا التي تمنحها المقومات الاقتصادية لدول الجنوب. وفي هذا الإطار يتميز ميكانيزم التعاون جنوب- جنوب بالعديد من الخصائص المختلفة عن ميكانيزم التعاون شمال- جنوب ، ولذلك تتخذ العديد من الدول النامية كأسلوب مكمل ومعوّض لنقائص علاقاتها مع الدول المتقدمة.

أولا. تعريف اقتصاديات الجنوب وموقعها الجغرافي: ظهر مفهوم الجنوب سنة 1959 كمصطلح مدعم لمفهوم دول العالم الثالث الذي اخترع عام 1952 ، إلا أن الاهتمام الأكبر بتقسيم العالم إلى شمال وجنوب كان من طرف السياسي الألماني "ويلي براند *Willy BRANDT*" الذي كان مستشارا لألمانيا الاتحادية سابقا ، حيث

قام بنشر تقرير اللجنة المستقلة لمسائل التنمية الدولية بين الشمال والجنوب سنة 1970 بعنوان "نحو عمل مشترك لتنمية العالم الثالث"، وأشار فيه إلى الفجوة الكبيرة التي تفصل الشمال عن الجنوب من خلال خريطة للعالم ظهر فيها خط مقسم من الغرب إلى الشرق محاذيا في غالبه لدائرة العرض 30 درجة شمالا جاعلا من أمريكا الشمالية وأوروبا الوسطى وروسيا وأستراليا ونيوزلندا شماله ومناطق العالم الأخرى جنوبه. وناقش هذا التقرير نتائج هذا التقسيم حيث تضمن الدول الصناعية إضافة إلى دول واقعة تحت خط الاستواء (أستراليا ونيوزلندا)، بينما يتكون جنوبه من دول نصف مصنعة كالبرازيل والمكسيك والصين، ودول نامية مثل شمال إفريقيا ودول فقيرة مثل وسط وجنوب إفريقيا وبعض الجزر الفقيرة مثل المالديف. ويعتقد بعض الاستراتيجيين أن تلك الخريطة التي طرحها التقرير تجسد الاهتمام الحديث بمشكلات العالم الثالث وبقائه تابعا للعالم المتقدم، وقد كان هذا التقسيم الجغرافي نتاجا لبعض الاعتبارات الاقتصادية وغيرها في ذلك الوقت ثم صار أساسا للتقسيم الحالي، غير أن الدراسات الحديثة أثبتت كثيرا من الفوارق الطبيعية والبشرية بين الشمال والجنوب حيث تم إبراز بعضها بوصفها معايير للتفريق بين الشمال والجنوب، وتعد تلك الأشياء في الحقيقة من الميزات الطبيعية التي يتسم بها كل من الشمال والجنوب وفقا لعوامل محلية مؤثرة في واقع كل من العالمين مع وجود تأثيرات خارجية ملحوظة (مصطفى محمد علي، 2011، ص 410-411).

ويشير الشمال (*North*) حسب هذا التصنيف إلى مجموعة الدول المتقدمة تكنولوجيا الغنية بثرواتها الرأسمالية، وتسمى كذلك بلدانا متقدمة (*Developed*) وأكثر تقدما (*More developed*). والجنوب (*The south*) بوصفه مصطلحاً دولياً يعني الدول الفقيرة أو الأقل تقدماً (*Less Developed*) التي حظيت كذلك بأسماء عديدة مثل بلدان تمر بمرحلة نمو (*Undeveloped*) كذلك البلدان النامية (*Developing*) والبلدان المتخلفة (*Underdeveloped*) كما تسمى العالم الثالث (*The third world*). وعلى هذا المعنى ينقسم العالم كله بين شمال غني وجنوب فقير، وقد تم اعتماد تقسيم غير جغرافي المعنى أي أن التقسيم وضع دولة في جنوب العالم ضمن دول الشمال الغني وهي استراليا، لكن ذلك التقسيم نفسه أضحى غير مواكب بمعنى أن أية دولة ما بإمكانها أن تصبح ضمن دول الشمال الغني المتقدم إذا أجرت الإصلاحات التحديثية اللازمة في المجتمع والسياسة والاقتصاد، كما يمكن أن تكون دولة أخرى عكس ذلك إذا انتكست، وذلك بغض النظر عن الموقع الجغرافي لها. (مصطفى محمد علي، 2011، ص 408)

ثانياً. مفهوم التعاون جنوب- جنوب ومبادئه: لقد تصاعدت أهمية أسلوب التعاون جنوب- جنوب في الاقتصاد العالمي بشكل كبير، خاصة خلال السنوات الأخيرة، ولذلك فقد كان موضوعا للعديد من الدراسات الاقتصادية والعلمية، وأعطيت له بالتالي العديد من التعريفات، يمكن ذكر أهمها فيما يأتي:

أوردت الوثيقة الختامية لمؤتمر نيروبي لعام 2009 الأساس المنطقي للتعاون فيما بين بلدان الجنوب والمبادئ التي يقوم عليها والجهات الفاعلة الرئيسية فيه، على النحو التالي: "إن التعاون فيما بين بلدان الجنوب مسعى مشترك لشعوب وبلدان الجنوب، مستمد من الخبرات المشتركة والمشاعر المتبادلة، ويستند إلى أهدافها المشتركة وإلى التضامن فيما بينها، ويسترشد، في جملة أمور، بمبادئ احترام السيادة الوطنية وتولي البلدان زمام أمورها بنفسها، دون فرض أي شروط. وينبغي ألا ينظر إلى التعاون فيما بين بلدان الجنوب

بوصفه مساعدة إنمائية رسمية ، بل هو شراكة بين أطراف متساوية تقوم على التضامن ، ويشمل التعاون فيما بين بلدان الجنوب نهجا يتسم بتعدد أصحاب المصلحة يضم المنظمات غير الحكومية والقطاع الخاص والمجتمع المدني والأوساط الأكاديمية وغيرها من الجهات الفاعلة التي تسهم في مواجهة تحديات التنمية وتحقيق أهدافها بما يتماشى مع استراتيجيات وخطط التنمية الوطنية" (Nations Unis, 2012, p4).

ويشير التعاون جنوب- جنوب إلى أنشطة التعاون بين الدول النامية من أجل تحقيق التضامن في عدد معين من المجالات مثل التجارة ، الاستثمار ، التعاون المالي ، التقني والتكنولوجي وتقاسم المعارف ، السياسات وأحسن الممارسات. (UN LDC IV, OHRLLS, 2011, p3).

ويعرف كذلك على أنه: التعاون المشترك للدول النامية ، الموجه لخدمة تنميتها المستقلة ، وتحقق من خلاله تعاونا تقنيا واقتصاديا ، وهذا ارتكازا على تعاونها المتبادل ( Agence Japonaise de Coopération Internationale, 2005, p5).

وتعرفه الأمم المتحدة على النحو التالي: "هو عملية يسعى من خلالها بلدان ناميان أو أكثر إلى تحقيق أهدافهما الفردية و/أو المشتركة في مجال تنمية القدرة الوطنية ، عن طريق تبادل المعارف والمهارات والموارد والدراسة التقنية ، ومن خلال اتخاذ إجراءات جماعية إقليمية وأقاليمية ، بما في ذلك إبرام شراكات تشمل الحكومات والمنظمات الإقليمية والمجتمع المدني والأوساط الأكاديمية والقطاع الخاص ، لما فيه فائدة فردية و/أو مشتركة فيما بينهما داخل المناطق وفيما بينها" (الأمم المتحدة ، 2012 ، ص6).

ولقد عرف التعاون جنوب- جنوب كوسيلة فعالة للتعاون من أجل تقوية جهود التكامل تحت الجهوي والجهوي ، والاستخدام الأمثل للموارد في فائدة الدول الأقل نموا. ويستجيب أيضا إلى وجوب عقلنة استخدام الموارد ، بما يسمح بتحسين التوافق على المستوى تحت الجهوي ، الجهوي والدولي ، والتوجيه الأحسن للموارد المالية ، الإنسانية ، التنظيمية والتقنية إلى مكان حاجة إليها (Espace de solidarité saharienne-SolArid, 2005, p3).

ويهدف التعاون جنوب- جنوب في مجال التنمية إلى ضمان مبادئ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ، المساواة بين الشركاء في التنمية واحترام استقلاليتها ، السيادة الوطنية ، تنوع الثقافات والهوية المحلية. ويلعب بذلك دورا مهما في التعاون الدولي من أجل التنمية ، ويمثل مكملا جوهريا للتعاون شمال- جنوب (The reality of aid, 2010, p2).

ومن خلال هذه التعريفات الموضوعية ، يمكن القول أن التعاون جنوب- جنوب هو أسلوب مكمل لميكانيزمات التعاون الدولي المختلفة ، ويشمل مختلف نشاطات التعاون الجهوي بين الدول النامية ، في مجال التجارة ، الاستثمار ، التكنولوجيا ، وغيرها من المجالات الاقتصادية. وذلك بهدف الاستفادة المثلى من الموارد والمزايا التي تحتوي عليها الدول النامية ، واستخدامها في تحقيق تنميتها الاقتصادية ، في إطار من احترام لسيادتها واستقلالها ومقوماتها الثقافية والمجتمعية.

ويرتكز التعاون جنوب- جنوب على العديد من النقاط ، والتي تمثل في مجموعها المبادئ العامة المتفق عليها لهذا الأسلوب على المستوى الدولي. وحسب الأمين التنفيذي لمجموعة 77 "مراد أحميا" فإن التعاون جنوب- جنوب يرتكز على عاملين رئيسيين هما (M. Mourad AHMIA, 2005, p21):

-يمثل التعاون جنوب- جنوب مسعى مشتركا لدول الجنوب ، مؤسس على أهداف تخدم التنمية ، ويعتمد على الشراكة ، التضامن ، الاستقلال الجماعي ، إضافة إلى احترام السيادة الوطنية ؛  
-التعاون جنوب- جنوب لا يحل محل التعاون شمال- جنوب ، ولا يجب أن يحلّ ويقمّم على أساس معايير العلاقات شمال- جنوب.

وقد أقر الإعلان الوزاري للمؤتمر السنوي الثالث والثلاثون لوزراء خارجية الدول الأعضاء في مجموعة 77 والصين ، المنعقد بنيويورك بتاريخ 25 سبتمبر 2009 ، في فقرته السبعون (70) المبادئ العامة للتعاون جنوب- جنوب في النقاط التالية:

-التعاون جنوب- جنوب مسعى مشتركا لشعوب ودول الجنوب ، ويجب أن يكون كتجربة لتحقيق التضامن جنوب- جنوب وإستراتيجية للاستقلال الاقتصادي والاعتماد على النفس ، وهذا بالارتكاز على الأهداف المشتركة والتضامن بين دول الجنوب ؛

-التعاون جنوب- جنوب وأجندته يجب أن يتم إعدادها من طرف دول الجنوب ؛  
-التعاون جنوب- جنوب لا يجب لأن ينظر إليه على أنه بديل عن التعاون شمال- جنوب ، كما أن تقوية التعاون جنوب- جنوب لا تقاس بتراجع أهمية العالم المتقدم في مساعدة البلدان النامية ؛  
-التعاون بين دول الجنوب لا يجب أن يحل محل وقيم بنفس المعايير المستعملة في تحليل وتقييم العلاقات شمال- جنوب ؛

-المساهمة المالية للدول النامية يجب أن لا ينظر إليها على أنها مساعدة تنموية رسمية من طرف هذه الدول إلى دول أخرى من الجنوب ، فهي مجرد تجارب للتضامن والتعاون ، ولدتها تجارب التشارك والانسجام ؛

-التعاون جنوب- جنوب هو أجندة تنموية تعتمد على شروط وأهداف تحمل خصوصية المفهوم التاريخي والسياسي للدول النامية وحاجياتها وآمالها ، ويستحق التعاون جنوب- جنوب انفصالها والترويج لاستقلالها ؛  
-التعاون جنوب- جنوب يعتمد على قاعدة عريضة قوية وأصيلة من الشراكة والتضامن ؛

-التعاون جنوب- جنوب يعتمد على المساواة الكاملة ، الاحترام المتبادل والمنفعة المشتركة ؛  
-التعاون جنوب- جنوب يحترم السيادة الوطنية في إطار من تقاسم للمسؤولية ؛

-التعاون جنوب- جنوب يكافح من أجل الاستفادة المتعددة الأطراف ، من خلال الترويج لنشاطات وتحديات التنمية ؛

-التعاون جنوب- جنوب يروج ويساعد على تبادل أفضل الممارسات بين الدول النامية ، في إطار سعيها المشترك لتحقيق أهدافها التنموية العريضة (ويشمل كافة أوجه العلاقات الدولية وليس فقط الاقتصاد التقليدي ومناطق التكنولوجيا) ؛

-التعاون جنوب- جنوب يعتمد على الاعتماد على النفس الجماعي للدول النامية ؛  
-التعاون جنوب- جنوب يسعى لتمكين الدول النامية من لعب دور أكثر حيوية في السياسة الدولية وصنع القرار ، من خلال مساندة جهودها لتحقيق استمرارية النمو ؛

-أسلوب ميكانيزم الترويج للتعاون جنوب- جنوب يعتمد على التعاون والتكامل الثنائي ، تحت الجهوي ، الجهوي وفوق الجهوي ، إضافة إلى التعاون متعدد الأطراف.

ثالثاً. **دوافع التوجه للتعاون جنوب- جنوب:** تحث الدول النامية من خلال تسيير مشاريع وخطط تعاونها مع دول الجنوب الأخرى عن مواجهة المشكلات التي تعاني منها، على مستوى العديد من المجالات الاقتصادية، والتي تعيق قدرتها على تحقيق نتائج جيدة على مستوى أداء اقتصادها الكلي. ولذلك فإن هناك العديد من الأسباب التي تدفعها إلى تعميق تعاونها الاقتصادي المتبادل، نذكر منها ما يلي:

تحقيق التنسيق في مجال السياسات والقوانين: حيث تتمكن الدول النامية من خلال هذا الميكانيزم من ممارسة سياسات موحدة ومتشابهة في مختلف القطاعات الاقتصادية، وهذا خدمة لهدف زيادة قدراتها الإنتاجية، ورفع عوائدها، وكفاءة استغلال مواردها المتاحة.

**الولوج إلى الأسواق الدولية:** يمكن التعاون جنوب- جنوب الدول النامية من الوصول إلى الأسواق الدولية وبناء قدرات تصديرية في قطاعات حيوية وجديدة للسلع أو الخدمات. وقد أصبحت بعض الدول النامية فاعلا مهما في الأسواق الدولية لبعض القطاعات، حيث وصلت إلى نسبة 30% من الصادرات العالمية لأكثر 20 مجموعة سلعية حيوية.

**تقوية التعاون والتكامل الجهويين:** حيث يساهم أسلوب التعاون جنوب- جنوب في تفعيل التجارة الجهوية والتكامل الاقتصادي بين الدول النامية، بما يعمل على رفع القدرات الإنتاجية والمالية لهذه الدول.

**استغلال مزايا التجارة الإقليمية:** وهذا من خلال الترويج للتجارة والاستثمار الإقليميين بين دول الجنوب، ويساهم بذلك النظام العام للتفضيلات التجارية بين الدول النامية في زيادة درجة تطور المبادلات التجارية والنقدية بين دول الجنوب.

**تحقيق الاكتفاء في مجال السلع والخدمات:** وهذا من خلال تمكين المنتجين في دول الجنوب من تحقيق إدارة جيدة لمنتجاتهم وتبادلها، ورفع مساهمتهم في عرض السلع والخدمات على مستوى أسواق الدول النامية. ويوفر التعاون جنوب- جنوب انخفاضا في القيود التسويقية لمختلف السلع والخدمات، وتنسيقا بين السياسات الاقتصادية التي تؤثر على تبادل المنتجات بين دول الجنوب وتحقيق الاكتفاء منها بأقل التكاليف.

**تخفيض تكاليف التبادل بين الدول النامية:** حيث يساعد تقارب مستويات النمو بين دول الجنوب (عكس الفرق الشاسع بين الدول المتقدمة والنامية) على تشجيع المبادلات التجارية بينها، ووضع نظام فعال للتجارة البينية، وتخفيض تكاليف التجارة الخارجية.

**تعزيز التعاون في مجال حماية البيئة:** حيث يقوم ميكانيزم التعاون جنوب- جنوب على التكامل بين دول نامية تعاني من آثار بيئية كبيرة ناتجة على تركيز مبادلاتها التجارية مع الدول المتقدمة، مما يساعد على وضع وتنسيق أنظمة سلامة بيئية، وتعزيز التعاون الجهوي في مكافحة الآثار البيئية السلبية للمبادلات التجارية بين دول الجنوب.

وعلى الرغم من الإيجابيات الكثيرة للتعاون جنوب- جنوب، إلا أنه يؤخذ عليه العديد من النقاط التي يتنافى وجودها، عند اعتماد هذا النوع من التعاون بين الدول النامية، مع مصالحها العامة. فمن بين معوقات التعاون جنوب- جنوب هو أنه يكون له نتائج محدودة بالنسبة للدول النامية الكبرى، ونتيجة لذلك فإن الفوائد الناتجة عنه لا تقسم بالتساوي بين دول الجنوب، وهذا ما جعل العديد من هذه الدول تخرج بنتائج سيئة من هذه التجربة، وهو ما ساهم في رفع الفوارق في الدخول بينها. ولذلك، فمن الواجب على الدول

النامية الكبرى أن تتقاسم معارفها وتجاربها مع أقل أجزاء العالم النامي نموًا، وبالتالي فإن الدول الأقل نموًا تحتاج المزيد من المشاركة في مبادرات التعاون جنوب- جنوب (Peter ROSSEEL et ALL, 2004, p19). ومن جهة أخرى فإن العلاقات شمال- جنوب تشهد تغيرًا، ولا يزال للشمال الأولوية على مستوى العلاقات الاقتصادية الدولية. حيث أن التفاوت بين الاقتصاديات النامية والمتقدمة كبير جدًا، وهذا يعني أن التقارب بينها لا زال يحتاج لفترة طويلة، وينعكس هذا على عدد من المتغيرات، كمستويات الدخل، حجم العمليات الاقتصادية، أنماط التخصص والعديد من العوامل الهيكلية والمؤسسية. ونتيجة لذلك فإن التعاون جنوب- جنوب لا يمكن أن يكون بديلاً عن التعاون شمال- جنوب.

### المحور الثاني: اتجاهات تشكّل الجغرافيا الجديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية

لقد ساهمت التطورات المختلفة التي شهدتها البيئة الاقتصادية الدولية في بلورة نظام اقتصادي عالمي ذو خصائص مختلفة، يتسم بالتطور والتغير المستمر، ويحتوي على أنماط جديدة لتقسيم العمل الدولي، ويتجه نحو المزيد من الاعتماد المتبادل. وتتزايد فيه مكانة التكتلات الاقتصادية، والشركات المتعددة الجنسيات في تسيير الشؤون الاقتصادية الدولية، ناهيك عن انخفاض تكاليف وصول المنتجات والمعلومات إلى مختلف مناطق العالم، نتيجة لثورة تكنولوجيا المعلومات، وضخامة وسائل التواصل بين أفراد المجتمع المختلفة. **أولاً. المعالم الأساسية للجغرافيا الجديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية:** ويتميز النظام الاقتصادي العالمي الجديد بالعديد من المميزات، التي تعكس التطور الذي وصل إليه الفكر الاقتصادي في تسيير الشؤون الدولية، ومن بينها نذكر ما يلي (عبد المطلب عبد الحميد، 2003، ص48-59):

**وجود أنماط جديدة من تقسيم العمل الدولي:** يتسم النظام الاقتصادي العالمي الجديد بوجود أنماط جديدة من تقسيم العمل الدولي، وقد ظهر ذلك واضحاً في طبيعة المنتج الصناعي، حيث لم يعد في إمكان دولة واحدة مهما كانت قدرتها الذاتية أن تستقل بمفردها بصنع هذا المنتج الصناعي، وإنما أصبح من الشائع اليوم أن نجد العديد من المنتجات الصناعية مثل السيارات والأجهزة الإلكترونية والحاسبات الآلية وغيرها، يتم تجميع مكوناتها في أكثر من دولة بحيث تقوم كل واحدة منها بالتخصص في صنع أحد هذه المكونات فقط. ويرجع ذلك من ناحية إلى ثورة المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا، ومن ناحية أخرى إلى تعاضد دور الشركات المتعددة الجنسيات. لذلك اتسم النظام الاقتصادي العالمي الجديد بظهور أنماط جديدة لتقسيم العمل لم تكن معروفة، حيث كانت الصورة التقليدية لتقسيم العمل الدولي تتمثل في تخصص بعض البلدان في المواد الأولية والتعدينية والسلع الغذائية، وتخصص بلاد أخرى في المنتجات الصناعية، وكان الافتراض أن البلاد النامية تتمتع بميزة نسبية في النوع الأول، بينما تتمتع البلاد المتقدمة بميزة نسبية في السلع الصناعية.

**تزايد التكتلات الاقتصادية والترتيبات الإقليمية الجديدة:** لعل الاتجاه إلى تكوين التكتلات الاقتصادية العملاقة بين مجموعة من الدول التي تتوافر فيها عدد من المقومات المتجانسة اقتصادياً، وثقافياً وحضارياً وتاريخياً، والتي تربطها في النهاية مصالح اقتصادية مشتركة، هي من أهم الخصائص المميزة للنظام الاقتصادي العالمي الجديد، أضف إلى ذلك وارتباطاً به وجود ترتيبات إقليمية جديدة في إطار هذا الاتجاه،

وفي إطار السعي إلى تعميق المصالح الاقتصادية المشتركة للدول المكونة لهذه الترتيبات الإقليمية ، وربطها بالترتيبات الاقتصادية العالمية التي تشكلت أو تشكلت.

وجود ملامح هيكلية جديدة للنظام الاقتصادي العالمي الجديد: حيث أصبح تقسيم الدول في ظل النظام العالمي الجديد لا يخضع للنظام القديم ، أي وجود دول متقدمة ودول نامية فقط أو غنية وفقيرة فقط ، بل أصبحت الهيكلية الجديدة للنظام الاقتصادي العالمي الجديد تستوعب التقسيمات والتكوينات التالية:

مجموعة الدول الأعلى تطورا *Highly developed* ، وهي على وجه التحديد الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية وشمال شرق آسيا (اليابان) ، وتعتبر البلدان الأعلى دخلاً؛

-البلاد النامية والساعية على طريق النمو *Developing* ، وتشمل البلاد حديثة التصنيع في شرق آسيا (بالإضافة إلى الصين) وبعض دول أمريكا اللاتينية ، وتعتبر فئة "الدخل المتوسط" في العالم ؛

-البلاد المتخلفة اقتصادياً ، وهي ما يمكن أن يعبر عنها بالبلاد الأقل نمواً *(LDCS) Less developed* ، وتقع ضمن الشريحة الدنيا من فئة الدخل الأوسط والشريحة العليا من فئة الدخل المنخفض ؛

-البلاد المتأخرة اقتصادياً *Backworld* وتنقسم من ناحيتها إلى قسمين:

-أقل البلدان نمواً *Least developed* ، وتقع تقريبا ضمن الشريحة الوسطى من الفئة منخفضة الدخل.

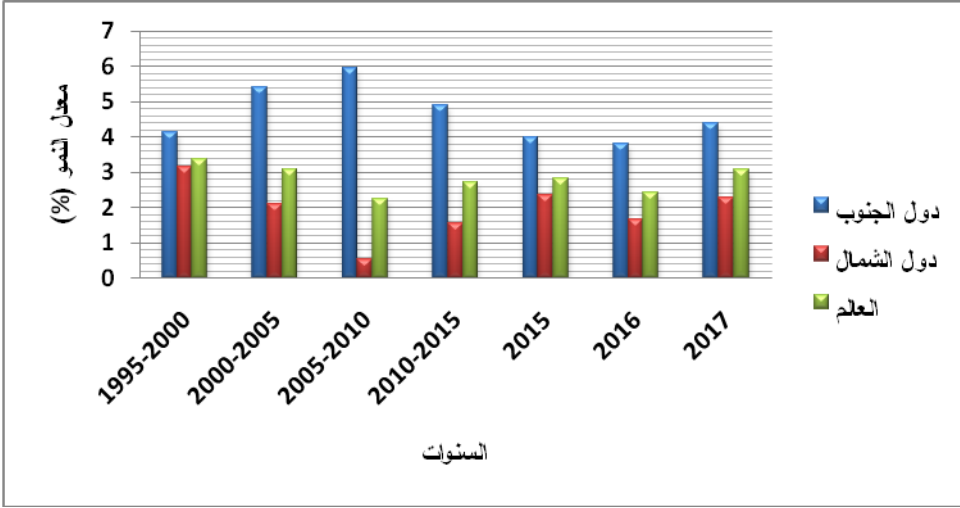
-وفي أدنى القاع يوجد القسم الذي نسميه أقل البلدان نمواً *Least Less developed countries* ، وهي الشريحة الدنيا من الفئة منخفضة الدخل ، وتشمل الأجزاء الأشد فقرا من العالم الثالث.

ثانياً. موقع اقتصاديات الجنوب من الجغرافيا الجديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية: تتميز الجغرافيا الجديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية بالخصوص بنمو حصة الجنوب في هيكل المبادلات الدولية ، بحيث ساعدت التغيرات الحديثة التي حصلت على مستوى البيئة الاقتصادية الدولية دول الجنوب على تسهيل عملية الاندماج في الاقتصاد العالمي ، وصناعة دور فعال لها على مستواها. ونستطيع قراءة هذا التطور في مكانة دول الجنوب في الاقتصاد الدولي من خلال معاينة أداء متغيراتها الاقتصادية مثل الناتج المحلي والتدفقات التجارية والنقدية الداخلة والخارجة.

**1. تطور معدلات النمو في اقتصاديات الجنوب:** تميزت النواتج المحلية لمعظم الدول النامية بارتفاع مستمر خلال السنوات الأخيرة ، حيث تبنت سياسات اقتصادية فعالة ساهمت في رفع قدراتها الإنتاجية في مياديها الريادية ، مستفيدة من التطورات التي حصلت على مستوى طرق وتكنولوجيات الإنتاج على المستوى العالمي ، ومن تعاونها الاقتصادي مع الدول الأخرى ، وخاصة الدول المتقدمة. ويمكننا تبين تطور معدل النمو في الدول النامية مقارنة مع أداءها العالمي من خلال الشكل رقم (1).

الشكل رقم (1): تطور معدلات نمو الناتج المحلي لدول الجنوب مقارنة مع الأداء العالمي





المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على بيانات مأخوذة من قاعدة بيانات منظمة الأونكتاد على شبكة الانترنت  
[.https://unctadstat.unctad.org](https://unctadstat.unctad.org)

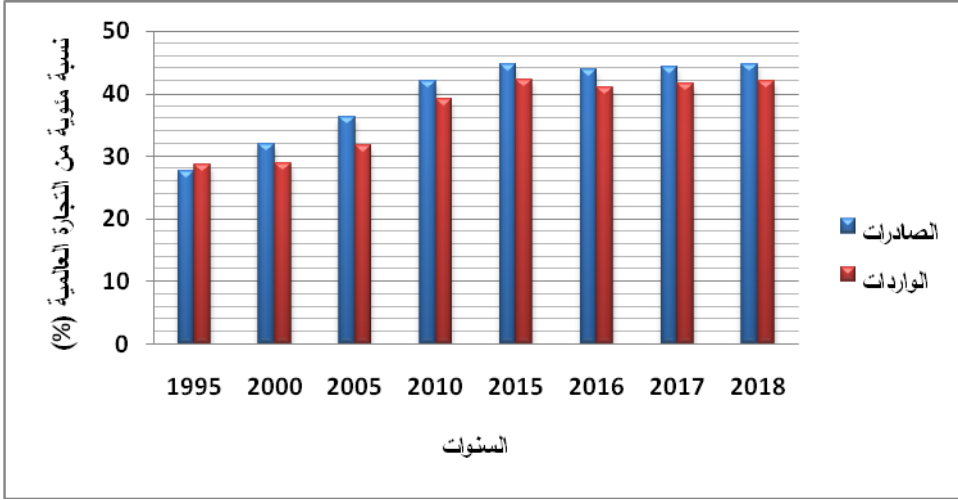
من خلال هذا الشكل يتبين لنا أن دول الجنوب حققت معدلات نمو مرتفعة مقارنة بمعدلات النمو العالمية والمعدلات المسجلة في الاقتصاديات المتقدمة منذ فترة التسعينات إلى غاية سنة 2017. كما يلاحظ أنه على الرغم من تراجع معدلات النمو على المستوى العالمي خلال الفترة 2010-2005 إلا أن اقتصاديات الجنوب حافظت على وتيرة تصاعدية في نمو نواتجها المحلية، وحققت أعلى معدل خلال الفترة المدروسة بأكثر من 6%، ثم تراجعت بعد ذلك بفعل تراجع النمو العالمي الناتج أساسا عن مخلفات الأزمة المالية العالمية لسنة 2008.

2. تطور حصة اقتصاديات الجنوب من التجارة العالمية: إن بروز بعض الأقطاب الاقتصادية المهمة بين دول الجنوب جعل منها فاعلا رئيسيا في الاقتصاد الدولي، وعنصر مؤثرا في صناعة جغرافيا التجارة الدولية. حيث حققت معظم بلدان الجنوب تحسنا ملحوظا في حجم وهيكل علاقاتها التجارية مع العالم الخارجي، بشكل جعل من بعضها منافسا حقيقيا لاقتصاديات الشمال على مستوى الأسواق الدولية للسلع والخدمات.

حصة اقتصاديات الجنوب من تجارة السلع العالمية: لقد انعكست التطورات المعتبرة على مستوى القواعد الإنتاجية لاقتصاديات الجنوب على علاقاتها التجارية مع العالم الخارجي، حيث أصبحت بعض الدول النامية أقطابا تجارية مهمة على المستوى العالمي، وتحسنت مكانتها ودورها في بناء العلاقات التجارية الدولية سواء من حيث القيمة أو الهيكل.

ويمكن إبراز حصة صادرات وواردات دول الجنوب من التجارة السلعية العالمية الإجمالية من خلال الشكل الموالي:

الشكل رقم (2): تطور حصة دول الجنوب من الصادرات والواردات السلعية العالمية



المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات مأخوذة من قاعدة بيانات منظمة الأونكتاد على شبكة الانترنت

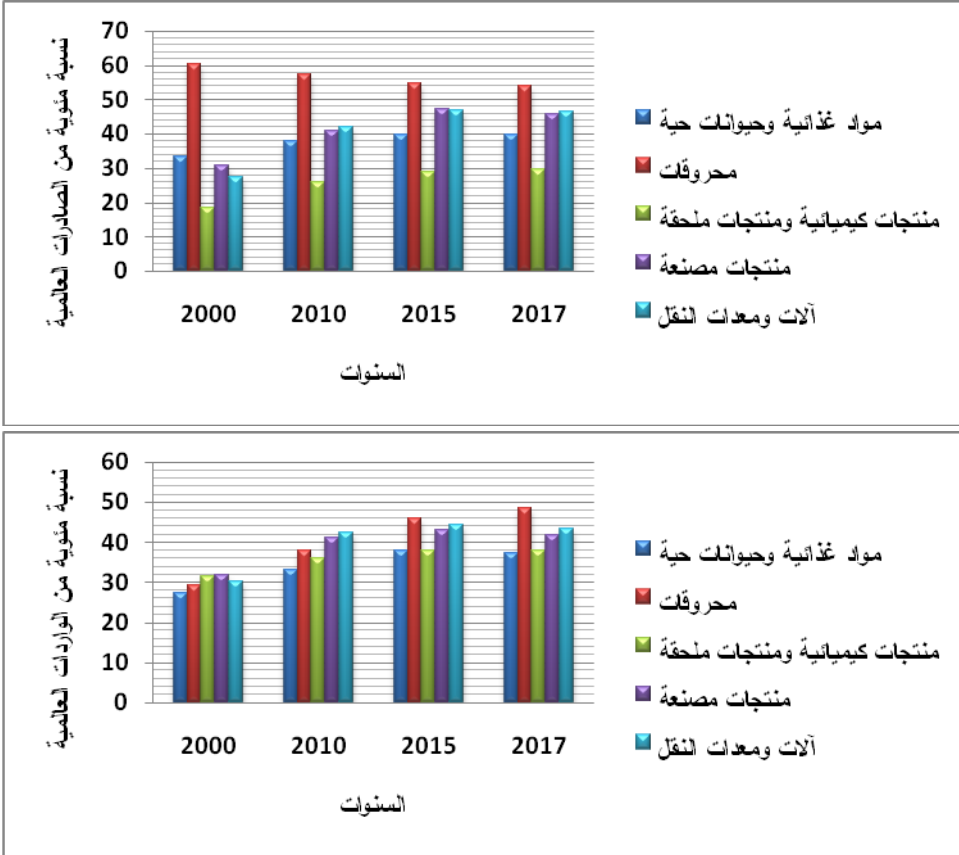
[.https://unctadstat.unctad.org](https://unctadstat.unctad.org)

يلاحظ من خلال هذا الشكل البياني التطور المعبر الذي حققته حصة بلدان الجنوب من التجارة العالمية منذ منتصف التسعينات ، فبعد أن كانت لا تتعدى حصتها 30% بالنسبة للصادرات والواردات سنة 1995 ، ارتفعت بشكل مستمر لتصل إلى أعلى قيمها سنة 2015 بأكثر من 44% بالنسبة للصادرات و42% بالنسبة للواردات ، ولم تنخفض تحت مستوى 40% منذ تلك السنة. ويعزى هذا التحسن المضطرب في نسبة مساهمة بلدان الجنوب في التجارة العالمية إلى ظهور أقطاب اقتصادية ناشئة في العالم النامي ، مثل الصين ، البرازيل ، كوريا الجنوبية ، .. الخ ، والتي ساهم ارتفاع معدلات نمو اقتصادياتها التي حققتها في رفع قيمة صادراتها ، وزيادة حجم متطلباتها وحاجياتها الاقتصادية على المستوى العالمي .

ولم يكن تطور حصة دول الجنوب في التجارة العالمية على مستوى القيمة الإجمالية فحسب ، وإنما من حيث الهيكل كذلك ، فمن خلال ما يلاحظ في الشكل رقم (3) يتبين أن نسبة مساهمة بلدان الجنوب في أهم مكونات التجارة العالمية ارتفعت بصورة ملحوظة خلال الفترة الممتدة من 2000 إلى 2017 . فبالنسبة للصادرات ، ومع استثناء قطاع المحروقات التي انخفضت حصتها ، فقد حققت القطاعات الأخرى ارتفاعات مهمة ، كانت أبرزها الآلات ومعدات النقل التي ارتفعت حصة دول الجنوب من صادراتها من 27.4% إلى أكثر من 46% بين سنتي 2000 و2017 ، وكذا المنتجات المصنعة التي انتقلت نسبتها من قرابة 31% إلى أكثر من 45% بين نفس السنتين . أما بالنسبة للواردات ، فقد حققت نسبة مساهمة دول الجنوب في مختلف ميادين التجارة الدولية ارتفاعات معتبرة ، وعلى الأخص المحروقات التي ارتفعت حصة وارداتها منها من حوالي 29% إلى أكثر من 48% وكذا الآلات ومعدات النقل التي انتقلت نسبتها من حوالي 30% إلى أكثر من 43% بين سنتي 2000 و2017 . ويرجع هذا دائماً إلى ظهور أقطاب اقتصادية بين دول الجنوب ، والتي حققت معدلات

نمو مهمة في معظم مبادئها الاقتصادية ، ساهمت من خلالها في رفع حصتها في مختلف مكونات التجارة الدولية.

الشكل رقم (3): تطور هيكل الصادرات والواردات السلعية لاقتصاديات الجنوب



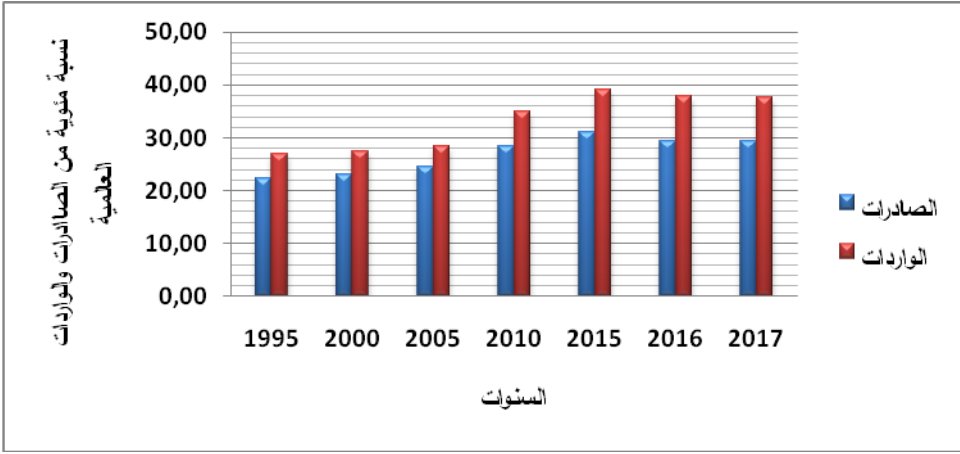
المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات مأخوذة من قاعدة بيانات منظمة الأونكتاد على شبكة الانترنت

<https://unctadstat.unctad.org>

حصة اقتصاديات الجنوب من تجارة الخدمات العالمية: تمثل المنتجات الخدمية جانبا مهما من التجارة العالمية ، حيث ارتفعت قيمها بصفة كبيرة في السنوات الأخيرة ، وخاصة تلك المتعلقة بالخدمات التي تتطلب مهارة ومعرفة تكنولوجية عالية ، ولذلك تعتمد عليها العديد من الدول ، وخاصة المتقدمة ، في رفع مداخيلها ، وفي صنع مكانة لها على مستوى النظام التجاري الدولي.

وبالنسبة لدول الجنوب ، فإن النمو الملحوظ لاقتصادياتها خلال السنوات الأخيرة مس كذلك قطاع الخدمات ، وأصبحت العديد منها تعتمد عليه في اختراق الأسواق الدولية ، وتحسين أداء مبادلاتها الخارجية. ويمكن إبراز تطور حصة بلدان الجنوب من تجارة الخدمات العالمية من خلال الشكل الموالي:

الشكل رقم (4): تطور حصة دول الجنوب من الصادرات والواردات الخدمية العالمية

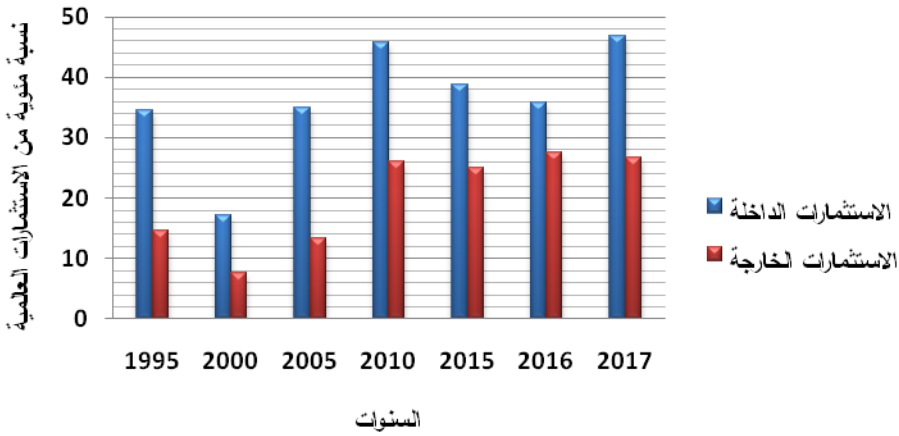


المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات مأخوذة من قاعدة بيانات منظمة الأونكتاد على شبكة الانترنت  
<https://unctadstat.unctad.org>

يبين الشكل رقم (4) التطور الملحوظ الذي حققته دول الجنوب في مجال مبادلاتها الخدمية مع العالم الخارجي منذ منتصف التسعينات ، حيث انتقلت حصة صادراتها الخدمية في الصادرات العالمية الإجمالية من حوالي 22% سنة 1995 إلى حوالي 29% سنة 2017 ، في حين انتقلت حصة الواردات من حوالي 27% إلى أكثر من 37% بين نفس السنتين. وبالتالي يمكن القول أن قدراتها الإنتاجية والتصديرية في قطاع الخدمات قد تطورت بشكل لافت ، إلا أنها لا تزال في تبعية لدول الشمال في هذا القطاع ، وهو ما تبرزه ارتفاع حصة وارداتها بالنسبة لصادراتها الخدمية.

**3. تطور حصة اقتصاديات الجنوب من التدفقات النقدية العالمية:** نتيجة لنتائجها الجيدة التي حققتها على مستوى أداءها الاقتصادي الكلي ، وتحسن بيئة أعمالها بشكل لافت ، فقد أصبحت العديد من دول الجنوب خلال السنوات الأخيرة مقصداً للتدفقات النقدية الدولية في شكل استثمارات مباشرة أو غير مباشرة. ولم يقتصر الأمر على جذب الاستثمارات الأجنبية فقط ، بل باتت بعض الدول النامية مصدراً مهماً لرؤوس الأموال على المستوى الدولي.

ويمكن توضيح تطور دور اقتصاديات الجنوب في العلاقات النقدية الدولية من خلال الشكل الموالي:  
الشكل رقم (5): تطور حصة دول الجنوب من الاستثمارات الأجنبية المباشرة العالمية الداخلة والخارجة



المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على بيانات مأخوذة من قاعدة بيانات منظمة الأونكتاد على شبكة الانترنت

<https://unctadstat.unctad.org>

يلاحظ من خلال هذا الشكل الارتفاع المعتبر في حصة دول الجنوب من الاستثمارات الأجنبية المباشرة الداخلة خلال الفترة المبيّنة، حيث ارتفعت من حوالي 34.5% سنة 1995 إلى قرابة 47% سنة 2017، وقد كان لتدفقات الاستثمارات الأجنبية إلى الخارج نفس الأداء، حيث ارتفعت نسبتها من أكثر من 14.5% إلى ما يفوق 26.5% بين نفس السنتين، إلا أن قيمها تبقى ضئيلة مقارنة بالاستثمارات الأجنبية المباشرة الداخلة. وتدلل هذه الأرقام بشكل واضح على تحسن مكانة بلدان الجنوب بشكل لافت في هيكل العلاقات النقدية الدولية.

**المحور الثالث: معالم التعاون جنوب- جنوب في ظل الهيكل الجديد للعلاقات الاقتصادية الدولية**  
ساهمت التغيرات التي عرفتها البيئة الدولية في تحسين وضعية بلدان الجنوب في جغرافيا العلاقات الاقتصادية، حيث استفادت هذه البلدان من التطورات الحاصلة في استراتيجيات التصنيع العالمية في استغلال مقوماتها الإنتاجية بشكل أمثل، وبذلك حققت تطورات معتبرة في أداءها الاقتصادي وأصبحت كذلك عنصرا فاعلا في الاقتصاد العالمي. وقد اعتمدت غالبية دول الجنوب في استراتيجيتها الهادفة للاندماج في الاقتصاد العالمي على تعميق علاقاتها الاقتصادية مع دول الجنوب الأخرى، تقاديا للعراقيل التي تواجهها عند محاولة اختراق أسواق الدول المتقدمة، حيث أن أسواق الجنوب تعطي فرصا أكبر للتنافس بالنسبة لمنتجات الدول النامية، وتوفر البيئة الملائمة لتغلغل المؤسسات الأجنبية وتواجدها على مستواها. وبذلك فقد انتعشت العلاقات الاقتصادية جنوب- جنوب وتشعبت مجالاتها، وغدت تمثل حصة معتبرة من المبادلات الاقتصادية الإجمالية للدول النامية، وأصبح التعاون الاقتصادي جنوب- جنوب إطارا دوليا معروفا لتعزيز النمو الاقتصادي بالدول النامية والحفاظ على استمراريته. ومن أجل قراءة نمو التعاون الاقتصادي بين دول الجنوب، يجب متابعة التغيرات التي حصلت على مستوى علاقاتها الاقتصادية الدولية مقارنة مع

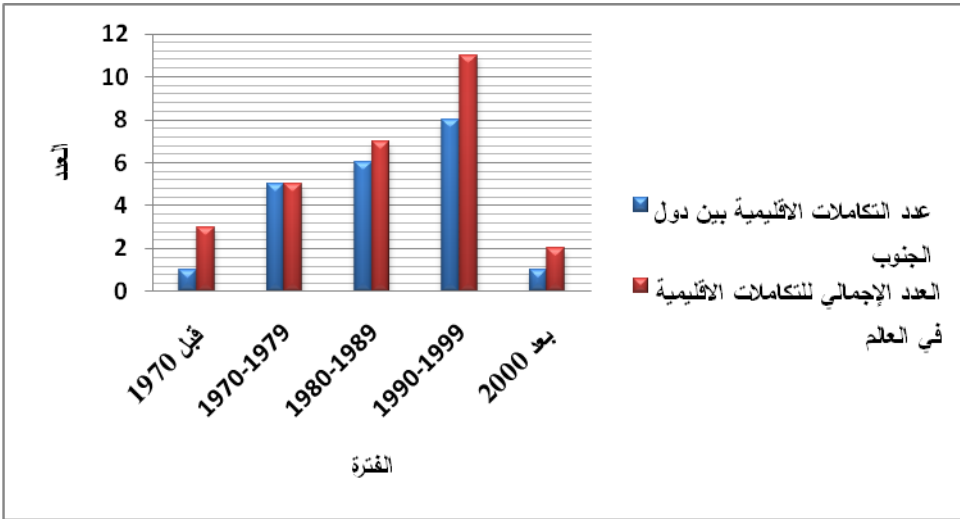
التغيرات الحاصلة على مستوى البيئة الاقتصادية العالمية ، والتي ساهمت في تعزيز ترابطها البيئي ، ومن ذلك نذكر المعالم التالية:

#### أولاً. تزايد التكاملات الإقليمية بين دول الجنوب

تعتبر التكاملات الاقتصادية الإقليمية إحدى الاستراتيجيات المفيدة ضمن مسعى دول الجنوب لتقوية روابطها الاقتصادية البيئية ، حيث توفر الفضاء الملائم لتبادل واستغلال مقومات وموارد الدول النامية في ظل تحقق المنفعة المشتركة ، واحترام السيادة الوطنية لبعضها البعض. ولذلك فقد توجهت العديد من الدول النامية للدخول في تكاملات جهوية مع جيرانها من الدول النامية ، أو فوق جهوية مع بلدان أخرى تنتمي لباقي مناطق العالم النامي ، وذلك من أجل التكتل فيما بينها في مواجهة تحديات الاقتصاد العالمي المفروضة من طرف الدول المتقدمة ، وتسهيلاً لعملية الاندماج السليم فيه .

ويمكن إبراز تطور عدد التكاملات الإقليمية بين الدول النامية مقارنة مع العدد الإجمالي لها في العالم خلال الشكل الموالي:

الشكل رقم (6): تطور عدد التكاملات الإقليمية بين دول الجنوب



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على: United Nations: UNCTAD Handbook of statistics. New York and Geneva, 2013, p-p : 19-22.

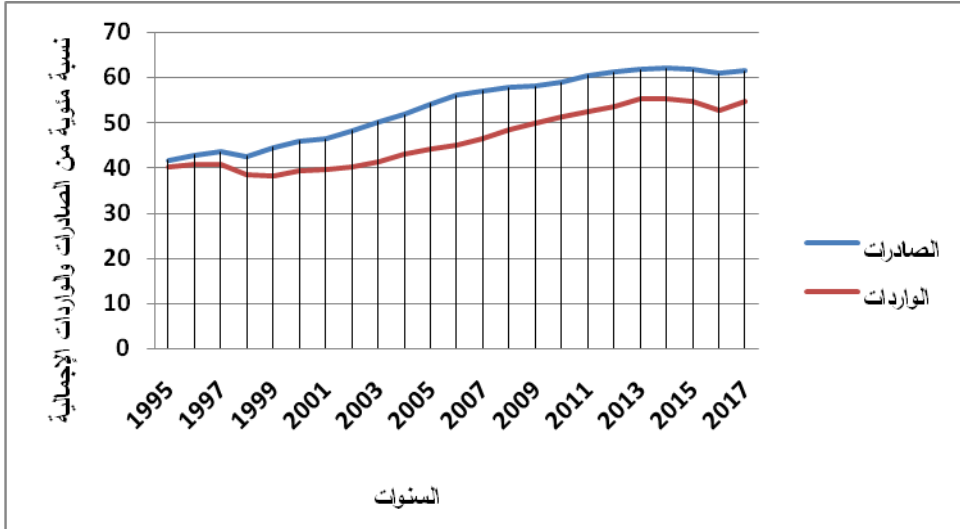
يلاحظ من خلال هذا الشكل أن تجارب التكامل الجهوي وفوق الجهوي بين دول الجنوب مثلت الحصة الأكبر من العدد الإجمالي من تجارب التكامل على المستوى العالمي ، حيث أنه من أصل 28 تكاملاً تحقق 21 منها بين بلدان الجنوب. كما يلاحظ كذلك أن توجه دول الجنوب نحو التكامل فيما بينها تزايد خلال فترة التسعينات ، حيث سُجل خلال هذه الفترة أكبر عدد من تجارب التكامل الجهوي وفوق الجهوي بثمانية (8) تجارب ، وهو ما يمكن إرجاعه إلى أن سنوات التسعينات عرفت تطورات معتبرة في اقتصاديات دول الجنوب ، مما دفعها إلى البحث عن تحالفات اقتصادية دولية تضمن لها استثمارية نموها الاقتصادي ، من خلال توفير

الفضاء الملائم لتبادل السلع والخدمات التي تنتجها وتستهلكها، بعيدا عن الشروط التجارية وغير التجارية التي تفرضها استراتيجيات التعاون مع الدول المتقدمة.

ثانيا. ارتفاع حجم التجارة جنوب- جنوب: تعتبر التجارة الخارجية من أهم المجالات التي تبحث الدول النامية على تقوية تعاونها البني على مستواها، وهذا نتيجة لما تمثله كميدان اقتصادي يعزز فرص فتح الأسواق الخارجية لمنتجات المؤسسات المحلية، مما يساعد على تنويع سلة صادراتها الخارجية، ويساهم في رفع متحصلاتها واحتياطياتها من العملات الأجنبية، وترقية البنية الهيكلية لاقتصادياتها. وقد حققت الدول النامية معدلات نمو جيدة خلال العقد الأخير للقرن العشرين، وهو ما انعكس على تجارتها الخارجية التي عرفت ارتفاعا لافتا في قيمتها وهيكلها. ونظرا لسعيها المشترك من أجل تطوير بنيتها الإنتاجية والتقليل من تبعيتها المستمرة للدول المتقدمة، فقد زادت من اعتمادها المتبادل على بعضها البعض، وأعطت دفعة قوية لتعاونها التجاري جنوب- جنوب الذي يلي احتياجاتها الداخلية، ويخدم استراتيجياتها نحو اختراق الأسواق الدولية والاندماج في الاقتصاد العالمي.

وعليه فقد أصبح التبادل التجاري بين دول الجنوب سمة أساسية من سمات الهيكل الجديد للعلاقات الاقتصادية الدولية، وخاصة مع ظهور بعض الأقطاب الاقتصادية في العالم النامي، والتي أصبحت شريكا تجاريا مهما على المستوى العالمي، وفاعلا رئيسيا في النظام التجاري العالمي، وهذا من خلال ارتفاع حجم صادراتها ووارداتها، وتنوع بنيتها واتجاهها الجغرافي. ومن خلال تتبعنا لتطور التجارة الخارجية للدول النامية، يمكننا ملاحظة التحسن الكبير في حجم وهيكل المبادلات التجارية جنوب- جنوب سواء بالنسبة للصادرات أو الواردات.

الشكل رقم (7): تطور حصة اقتصاديات الجنوب من الصادرات والواردات الإجمالية لدول الجنوب



المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على بيانات مأخوذة من قاعدة بيانات منظمة الأونكتاد على شبكة الانترنت

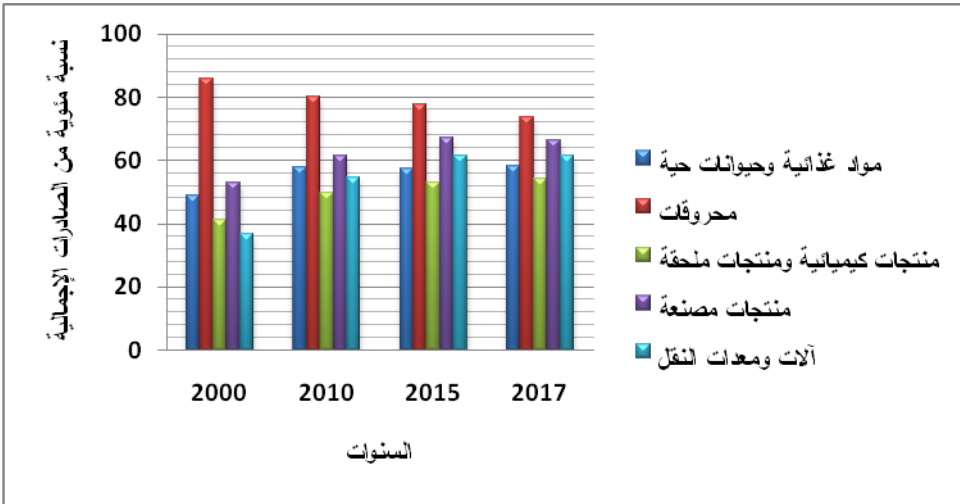
<https://unctadstat.unctad.org>

يلاحظ من خلال هذا الشكل أن حصة بلدان الجنوب في التجارة الخارجية الإجمالية لها عرفت تحسنا مستمرا منذ منتصف التسعينات. حيث انتقلت نسبة صادرات الجنوب الموجهة لاقتصاديات الجنوب الأخرى من 41.65% سنة 1995 إلى 61.42% سنة 2017، وهو ما يمثل ارتفاعا معتبرا في قيمة الصادرات جنوب- جنوب. وقد ترافق هذا التحسن مع تحسن مقابل في قيمة الواردات جنوب- جنوب، حيث ارتفعت نسبة مساهمة اقتصاديات الجنوب في الواردات الإجمالية لبلدان الجنوب من 40.06% سنة 1995 إلى 54.63% سنة 2017.

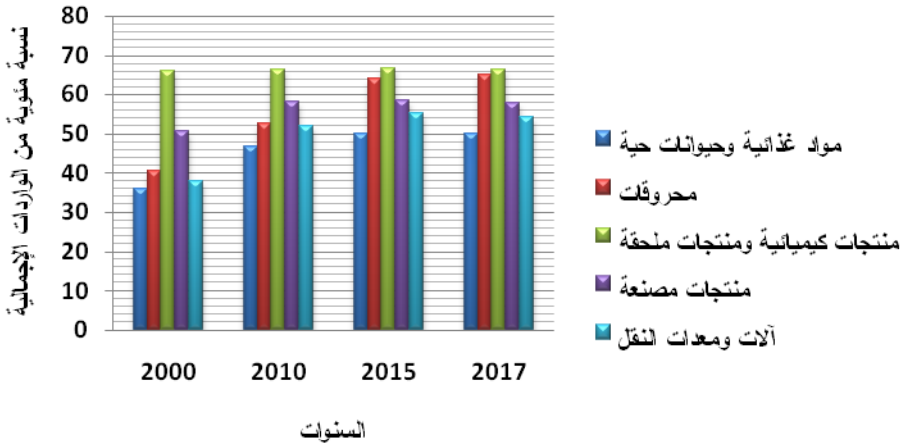
وتدل قراءة هذه البيانات على الزيادة المستمرة، خلال السنوات الأخيرة، لأهمية التجارة جنوب- جنوب مقارنة مع التجارة شمال- جنوب، حيث أصبحت دول الجنوب تمثل أسواقا مهمة لبعضها البعض تساهم في زيادة كفاءة أداء تجارتها الخارجية، وقد تزايدت هذه الأهمية بشكل كبير في العشرية الأخيرة، وخاصة مع تزايد هزات اقتصاديات الشمال المتتالية، إضافة إلى بروز العديد من اقتصاديات الجنوب كأقطاب مهمة تسعى لتوسيع دائرة صادراتها ووارداتها البينية.

وعلى صعيد التطورات الهيكلية تبرز تغيرات مهمة في حصة اقتصاديات الجنوب في التجارة العالمية لبعضها البعض على مستوى أهم المكونات السلعية، وهو ما نبينه من خلال الشكل رقم (3).

الشكل رقم (8): تطور هيكل الصادرات والواردات جنوب- جنوب







المصدر: من إعداد الباحث اعتماداً على بيانات مأخوذة من قاعدة بيانات منظمة الأونكتاد على شبكة الانترنت  
<https://unctadstat.unctad.org>

فبالنسبة للصادرات الإجمالية الموجهة لدول الجنوب، ومع استثناء منتجات المحروقات التي انخفضت حصتها منها من 85.82% إلى 73.63% بين سنتي 2000 و2017، فقد حققت المجموعات السلعية الأخرى ارتفاعات مهمة، كانت أبرزها الآلات ومعدات النقل التي ارتفعت حصة اقتصاديات الجنوب من صادراتها العالمية الموجهة لدول الجنوب من 36.67% إلى أكثر من 61.35% بين نفس السنتين. أما بالنسبة للواردات الإجمالية لدول الجنوب، فقد حققت نسبة مساهمة اقتصاديات الجنوب في مختلف أهم ميادين الاستيراد لدول الجنوب ارتفاعات معتبرة، وعلى الأخص المحروقات التي ارتفعت حصتها منها من 40.61% إلى 65.12% وكذا الآلات ومعدات النقل التي انتقلت نسبتها من 37.95% إلى 54.38% بين سنتي 2000 و2017. وتدل قراءة هذه البيانات على الزيادة المستمرة، خلال السنوات الأخيرة، لأهمية التجارة جنوب- جنوب مقارنة مع التجارة شمال- جنوب، حيث أصبحت دول الجنوب تمثل أسواقاً مهمة لبعضها البعض تساهم في زيادة كفاءة أداء تجارتها الخارجية. وقد تزايدت هذه الأهمية بشكل كبير في السنوات الأخيرة، وخاصة مع تزايد هزات اقتصاديات الشمال المتتالية، إضافة إلى بروز العديد من اقتصاديات الجنوب كأقطاب تجارية مهمة في العالم النامي، تحقق معدلات نمو جيدة في معظم ميادينها الاقتصادية، وتسعى لتوسيع دائرة صادراتها و وارداتها البنينية، ورفع حصتها في مختلف مكونات التجارة الدولية.

ثالثاً. تزايد حجم التدفقات النقدية بين اقتصاديات الجنوب: يساهم الاستثمار الأجنبي المباشر في عملية التنمية من خلال إدخال تقنيات حديثة في العمليات الإنتاجية، مما يسمح من جهة بتدعيم القاعدة الإنتاجية بسلع جديدة، ويعطي للدولة المستقبلية له فرصاً أكبر لتحقيق الاندماج السليم في الاقتصاد العالمي، ومن جهة أخرى، فإنه يوفر للدولة التي يتوفر أعوانها على فوائض مالية تحقيق الاستغلال الأمثل لرؤوس أموالها، بتوظيفها في الخارج بشكل يعود بالنفع على اقتصادها المحلي. وقد ساهمت التطورات الأخيرة في البيئة الاقتصادية الدولية في جعل العديد من الدول النامية مصدراً مهماً من مصادر الاستثمارات الأجنبية، وخاصة

البلدان ذات الاقتصاديات الناشئة والبتروولية. إضافة إلى هذا فقد ساعدت أوضاعها الاقتصادية المستقرة نسبيا، وتوفرها على العديد من المقومات الاقتصادية والاجتماعية الإيجابية، على تسويقها كدول جيدة من حيث مناخها الاستثماري. ولذلك فقد أضحت الاستثمارات الأجنبية الداخلة والخارجة من هذه الدول إلى الاقتصاديات المتقدمة أو النامية منها تشكل عمودا مهما من أعمدة بناء جغرافيا العلاقات الاقتصادية الدولية الجديدة، وعليه يولي إليها اهتمام أكبر في الوقت الراهن أكثر من أي وقت مضى.

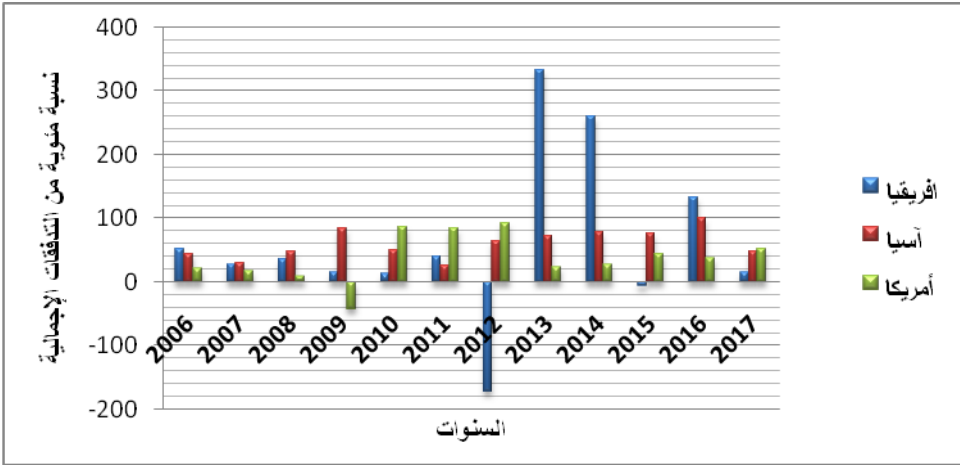
وعلى أرض الواقع يمكننا تتبع التطورات الأخيرة في التدفقات النقدية الأجنبية بين بلدان الجنوب من خلال تحليل نسبة مساهمة اقتصاديات الجنوب في عمليات الدمج والاستحواذ على الحدود وكذا مشاريع الحقول الخضراء المحققة بين بعضها البعض، وخاصة خلال السنوات التي الأزمة المالية العالمية 2008.

فبالنسبة للتدفقات الداخلة، ومن خلال ما يوضحه الشكلين (9) و(10) يمكننا قراءة التطور اللافت في الاستثمارات جنوب- جنوب بعد انفجار الأزمة المالية العالمية سنة 2008. حيث ارتفعت حصة الجنوب من عمليات الدمج والاستحواذ المحققة في القارة الإفريقية لتصل حوالي 340% من الرصيد النهائي لهذه العمليات سنة 2013، وأكثر من 250% سنة 2014، وقرابة 140% سنة 2016، وهذا بعد تسجيلها لنسبة سالبة سنة 2012، ولأقل من 50% قبل هذه السنة. أما حصة الجنوب من عمليات الدمج والاستحواذ المحققة في القارة الآسيوية فقد عرفت تحسنا واضحا منذ سنة 2009، حيث بلغت أكثر من 80%، وعلى الرغم من تراجعها سنتي 2010 و2011، إلا أنها عاودت الارتفاع بعد ذلك فوق مستوى 70%. في حين تحسنت نسبة مساهمة اقتصاديات الجنوب في عمليات الدمج والاستحواذ المحققة في دول أمريكا الجنوبية والكريايب منذ سنة 2010 لتصل إلى أكثر من 80% خلال هذه السنة والسنتين الموالتين، ولم تنخفض تحت مستوى 20% منذ ذلك الحين إلى غاية 2017، وهذا بعد أن كانت لا تتجاوز هذا المستوى قبل سنة 2009.

أما فيما يتعلق بمشاريع الحقول الخضراء، أو المشاريع الاستثمارية الجديدة المنفذة داخل دول الجنوب، فقد كان لحصة الجنوب منها تحسنا ملحوظا كذلك، وخاصة بالنسبة للقارة الإفريقية التي وعلى الرغم من انخفاض حصة الجنوب منها الاستثمارات الداخلة إليها سنتي 2014 و2017 تحت مستوى 30%، إلا أنها بلغت نسبيا فاقت 40% في باقي السنوات، ووصلت كأعلى قيمة لها إلى قرابة 80% سنة 2016. أما بالنسبة للقارة الآسيوية فمذ سنة 2014 لم تنخفض حصة الجنوب من الاستثمارات المتدفقة عليها عن 40%، إلا أن هذه الحصة لم تتجاوز 25% بالنسبة لاقتصاديات أمريكا الجنوبية والكريايب، ماعدا سنة 2013 التي بلغت حوالي 45%.

الشكل رقم (9): عمليات الدمج والاستحواذ على الحدود المحققة داخل دول الجنوب من طرف اقتصاديات

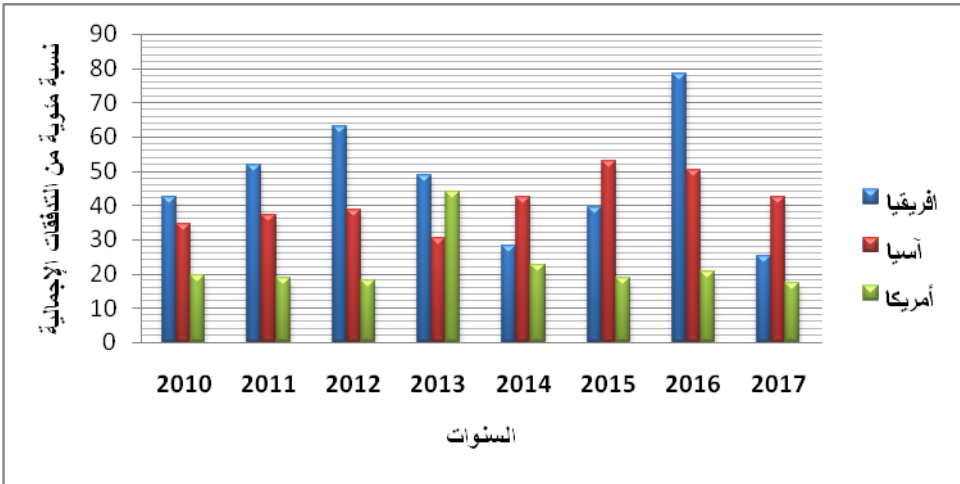
الجنوب الأخرى



المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات تقرير الاستثمار العالمي (World Investment Report)

الصادر عن "الأونكتاد" لأعداد مختلفة.

الشكل رقم (10): مشاريع الحقول الخضراء المعلنة داخل دول الجنوب من طرف اقتصاديات الجنوب الأخرى

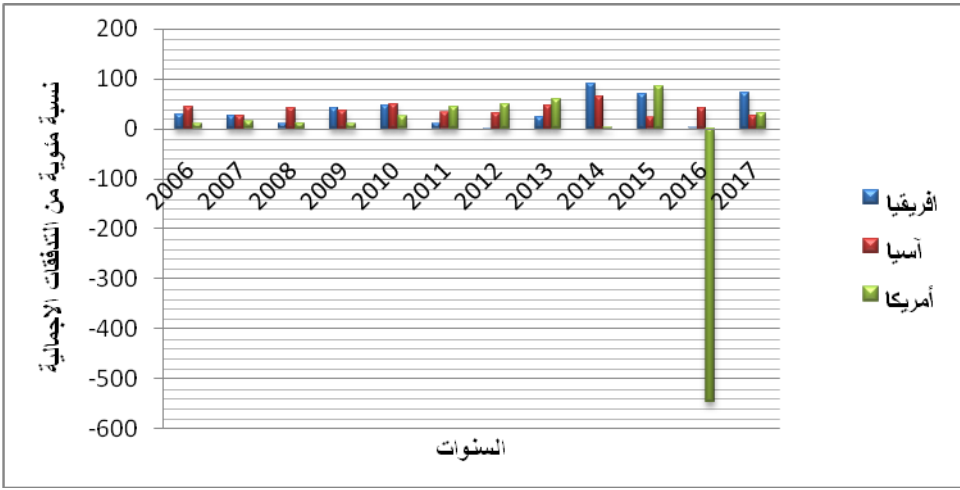


المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات تقرير الاستثمار العالمي (World Investment Report)

الصادر عن "الأونكتاد" لأعداد مختلفة.

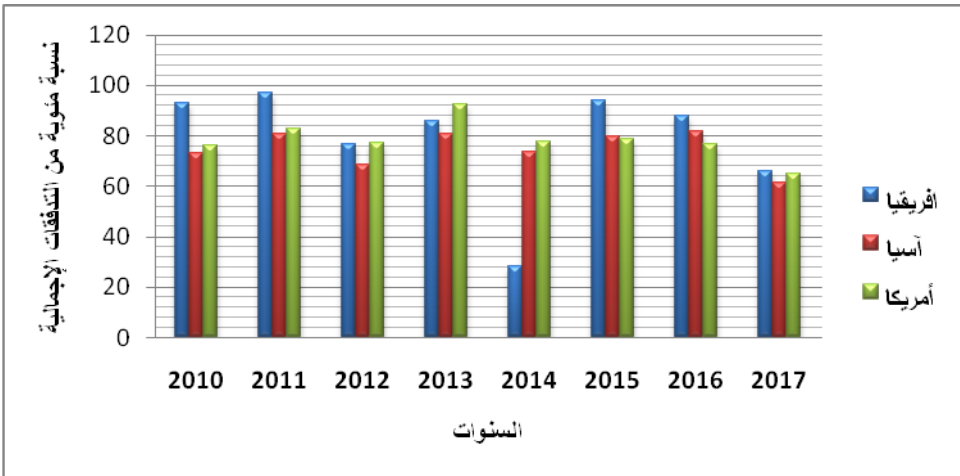
أما بالنسبة للتدفقات الخارجة فيمكننا القول من خلال معاينة بيانات الشكلين رقم (11) ورقم (12) أن التحسن كان معتبرا فيما يتعلق بعمليات الدمج والاستحواذ المحققة من قبل اقتصاديات الجنوب في دول الجنوب الأخرى، وخاصة منذ سنة 2013، حيث بلغت حصة الجنوب من هذه العمليات المنفذة من طرف الاقتصاديات الإفريقية في الخارج حوالي 90%، وأكثر من 60%، بالنسبة للاقتصاديات الآسيوية سنة 2014، وأكثر من 80% بالنسبة للاقتصاديات الأمريكية سنة 2015.

في حين حققت حصة مشاريع الحقول الخضراء المنفذة من قبل اقتصاديات الجنوب في دول الجنوب الأخرى نسبة عالية ، لم تنخفض تحت مستوى 60% منذ سنة 2010 ، ماعدا سنة 2014 بالنسبة للاقتصاديات الإفريقية. حيث وجهت هذه الأخيرة أكثر من 90% من استثماراتها الجديدة إلى دول الجنوب الأخرى سنة 2011 ، ونفس الشيء بالنسبة للاقتصاديات الأمريكية سنة 2013 ، ونفذت الاقتصاديات الآسيوية قرابة 85% من استثماراتها الأجنبية في دول الجنوب الأخرى سنة 2016 ، كأعلى مستوى بالنسبة لها منذ سنة 2010. الشكل رقم (11): عمليات الدمج والاستحواذ على الحدود المحققة في الخارج من طرف اقتصاديات الجنوب في دول الجنوب الأخرى



المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات تقرير الاستثمار العالمي (World Investment Report) الصادر عن "الأونكتاد" لأعداد مختلفة.

الشكل رقم (12): مشاريع الحقول الخضراء المعلنة في الخارج من طرف اقتصاديات الجنوب في دول الجنوب الأخرى



المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات تقرير الاستثمار العالمي (*World Investment Report*) الصادر عن "الأونكتاد" لأعداد مختلفة.

وبالتالي يمكننا القول أن معظم دول الجنوب عملت على تحسين بيئة أعمالها بشكل يمكّنها من جلب أكبر قدر ممكن من الاستثمارات الأجنبية المباشرة، بحيث أصبحت بعض البلدان النامية مقصداً لأولياء المستثمرين الأجانب نظراً لما توفره اقتصادياتها من عوامل إيجابية بالنسبة لتكاليف ومردودية المشاريع الإنتاجية. إضافة إلى هذا فإن تحقيق بعض دول الجنوب أداء جيد في اقتصادياتها، مكنها من تجميع رؤوس أموال مهمة، وأصبحت من أهم الدول المصدرة للاستثمارات المباشرة. ونظراً للزيادات التي توفرها دول الجنوب، والتشابه الكبير في بنية نسيجها الاقتصادي، فقد ارتفعت قيمة استثماراتها الأجنبية فيما بين بعضها البعض، حيث أصبحت بعض الشركات الإنتاجية والخدمية التي تنتمي لاقتصاديات الجنوب تنافس شركات الدول المتقدمة في الظفر بعقود الاستثمارات الأجنبية في البلدان النامية، ناهيك عن أن عدداً كبيراً من شركات الدول النامية غدت قادرة على الدخول في استثمارات مشتركة في اقتصادياتها المحلية. وعليه يمكن القول أن التدفقات الأجنبية جنوب- جنوب أصبحت تمثل عاملاً مدّلاً على تشكل جغرافياً جديدة للاقتصاد الدولي، سواء بالنسبة للتدفقات الداخلة أو الخارجة.

#### خاتمة:

تساهم الأوضاع الاقتصادية للدول النامية وخصائصها الهيكلية في زيادة معاناتها من صعوبات اقتصادية عديدة، ومشاكل كبيرة على مستوى تحقيق أهدافها التنموية الموضوعة في مخططاتها الاقتصادية، ولذلك فقد سعت معظم دول الجنوب إلى فك ارتباطها بعدد قليل من الدول في تعاملاتها الاقتصادية الخارجية، والبحث عن شركاء جدد يساهمون في تحسين أداء سياسة تعاملاتها الخارجية ورفع مردوديتها. ونظراً لقصور علاقات دول الجنوب مع شركائها من دول الشمال في الوصول إلى تحقيق أهداف سياساتها التنموية، فقد توجهت معظم هذه البلدان إلى البحث عن بناء علاقات اقتصادية مع بلدان نامية أخرى، من أجل الوصول إلى استغلال أمثل لمواردها الاقتصادية، وتحقيق معدلات أعلى من الأداء الاقتصادية.

وقد أدت التغيرات الكبيرة التي طرأت على البيئة الاقتصادية الدولية إلى إفراز شكل جديد لهيكل العلاقات الاقتصادية الدولية، تميز أساساً بارتفاع حصة دول الجنوب من الإنتاج العالمي والمبادلات الدولية، مما جعلها عنصراً فاعلاً في النظام الاقتصادي العالمي، ولأعباء مهمها في صنع التوازنات الاقتصادية على مستواه، وهو ما ساهم في رفع نسبة التعاون الاقتصادي جنوب- جنوب ضمن التعاملات الدولية الكلية، راسماً بذلك معالم جديدة لجغرافيا العلاقات الاقتصادية الدولية.

نتائج البحث: لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة إظهار أسلوب التعاون بين دول الجنوب كميكانيزم حديث من ميكانيزمات التعاون الدولي في ظل الشكل الجديد للعلاقات الاقتصادية الدولية، ومن خلال معالجتنا للموضوع خرجنا ببعض النتائج نبلورها في النقاط التالية:

يعتبر التعاون جنوب- جنوب نوعاً من أنواع التعاون الجهوي بين الدول النامية، ويمثل مجموع المبادرات والمساعدات الرامية إلى رفع مستويات التكامل والتضامن بين دول الجنوب، في سبيل تحقيق نموها المشترك

المستديم. وترتكز الدول النامية في إطار هذا الميكانيزم على عدد من المبادئ الأساسية، من أجل الوصول إلى تحقيق النتائج الإيجابية للتعاون جنوب- جنوب، وتقادي سلبياته؛

شهدت البيئة الاقتصادية الدولية في السنوات الأخيرة العديد من التطورات الاقتصادية والسياسية، ساهمت في إنتاج بنية جديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية وحدثت تحولات معتبرة في اتجاهاتها وهيكلها. وتمثلت ملامح الجغرافيا الجديدة للعلاقات الاقتصادية الدولية أساسا في اضطلاع دول الجنوب، والتي كانت في أغلبها دولا مستعمرة من قبل الدول الصناعية، بدور مهم في الاقتصاد العالمي، وارتقاء مكانتها بين القوى الاقتصادية العالمية، سواء كمنتج ومصدر أو مستورد ومستهلك لعناصر التبادل الدولي؛

سجلت العلاقات الاقتصادية بين دول الجنوب تحسنا ملحوظا في السنوات الأخيرة، مدفوعة أساسا بتسجيل بعض أقطاب عالم الجنوب لمستويات أداء اقتصادي مرتفعة، وهذا على حساب بعض الدول المتقدمة التي عانت بشكل كبير من صعوبات اقتصادية كبيرة، وخاصة بعد انفجار الأزمة المالية العالمية الأخيرة. وبذلك فقد انزاحت معظم اقتصاديات الجنوب لرفع مستويات تقاربها وتفعيل تعاونها الاقتصادي مع دول الجنوب الأخرى، من أجل مواجهة القيود المرتفعة للاندماج في الاقتصاد العالمي، المفروضة أساسا من طرف الدول المتقدمة، وهو ما أدى إلى ارتفاع نسبة مبادلاتها التجارية والنقدية البينية من ناحية القيمة والهيكل.

**التوصيات والمقترحات:** من خلال النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة، يمكننا إدراج التوصيات المتعلقة بهذا الموضوع في النقاط التالية:

يوفر التعاون جنوب- جنوب العديد من الإيجابيات بالنسبة للدول النامية مقارنة مع التعاون شمال- جنوب، وعليه فيتوجب على هذه الدول استغلال مقوماتها من أجل تعزيز تعاونها المتبادل، وتقوية روابطها الاقتصادية البينية، من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافها التنموية باستقلالية تامة واحترام متبادل لسيادتها القطرية؛

ساهمت التغيرات الحديثة في هيكل العلاقات الاقتصادية الدولية في تراجع مكانة البلدان المتقدمة في الاقتصاد العالمي، وبالتالي فيجب على الدول النامية العمل على استغلال الفرص المتاحة لها من أجل دفع مسار اندماجها السليم في الاقتصاد العالمي، وتحسين دورها في صناعة العلاقات التجارية والنقدية الدولية؛ تواجه الاقتصاديات العربية، كاقصاديات نامية، صعوبة كبيرة من أجل الاندماج في الاقتصاد الدولي والمنافسة على مستواه، وهذا بسبب تركيز علاقاتها الاقتصادية الدولية مع البلدان المتقدمة بصفة كبيرة، وعليه يجب عليها البحث عن بناء علاقات اقتصادية مع دول الجنوب الأخرى، من أجل تقادي القيود الاقتصادية والغير الاقتصادية المفروضة على مستوى البيئة الاقتصادية لدول الشمال، وتحقيق تنوع أكبر في قيمة وهيكل علاقاتها التجارية والنقدية الدولية.

#### قائمة المراجع:

-الأمم المتحدة: التعاون فيما بين دول الجنوب من أجل التنمية: إطار المبادئ التنفيذية المتعلق بدعم الأمم المتحدة للتعاون فيما بين بلدان الجنوب والتعاون الثلاثي. اللجنة الرفيعة المستوى المعنية بالتعاون فيما بين بلدان الجنوب، الدورة السابعة عشرة، نيويورك، 22-25 أيار / مايو 2012.

-عبد المطلب عبد الحميد: النظام الاقتصادي العالمي الجديد وآفاقه المستقبلية بعد أحداث 11 سبتمبر. مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2003.

- مصطفى محمد علي: الشمال والجنوب، الدلالة الجغرافية والاستخدام الدولي المعاصر. مقالة منشورة في مجلة جامعة ديمشق- المجلد 27- العدد الأول+الثاني 2011.
- تقرير الاستثمار العالمي (*World Investment Report*) الصادر عن "الأونكتاد".  
موقع قاعدة بيانات منظمة الأونكتاد على شبكة الانترنت <https://unctadstat.unctad.org>.
- Espace de solidarité saharienne-SolArid : Programme de coopération sud-sud entre pays sahariens pour la mise en œuvre de la CCD. Version 07.10.05.
- M. Mourad AHMIA : Coopération sud-sud : les perspectives pour l'Algérie et ses voisins. Les partenaires de la France, 2005.
- Nations Unis : coopération sud-sud pour le développement : plan-cadre contenant des directives opérationnelles sur l'appui des Nations Unis à la coopération triangulaire. Comité de haut niveau pour la coopération sud-sud, dix-septième session, New York, 22-25 mai 2012.
- Peter ROSSEEL, Erik DE CORTE, Jan BLOMMAERT and Elke VERNIERS: Approaches to north-south, south-south and north-south collaboration. A policy document, 2004.
- The reality of aid : South-south cooperation : a challenge to the aid system? Special report on south-south cooperation 2010, IBON Books, Philippines, 2010.
- UN LDC IV, OHRLLS : L'exploitation de la contribution positive de la coopération sud-sud pour favoriser le développement de pays les moins avancés. Document d'information, New Delhi, 18-19 février 2011.
- United Nations: UNCTAD Handbook of statistics. New York and Geneva, 2013.

### عراقيل المحكمة الجنائية الدولية

#### Obstruction Of The International Criminal Court

أ.بلال نيد ، جامعة سعد دحلب البليدة- الجزائر  
أ.يوسف نيد ، جامعة سعد دحلب البليدة- الجزائر  
أسارة نيد ، المدرسة العليا للأساتذة القبة-الجزائر

#### تمهيد:

إن نشوء المحاكم المؤقتة في دول عدّة من العالم مهّدت لإنشاء المحكمة الجنائية الدولية كأول هيئة قضائية دولية دائمة 1 (النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية)، والتي يحكمها نظام روما الأساسي؛ إذ اعتبرت أول محكمة دائمة قائمة على معاهدات تمّ إنشاؤها للحدّ من إفلات وتملّص مرتكبي الجرائم الأكثر خطورة في العالم هدفها إقامة عدالة جنائية دولية، تمارس هذه الأخيرة اختصاصها القضائي على المجرمين، لمحاربة أخطر الجرائم التي تقلق دول العالم كجرائم الحرب والإبادة الجماعية والجرائم المرتكبة ضدّ الإنسانية؛ إلا أنّ عمل هذه المحكمة لا يخلو من عراقيل وعوائق وعقبات ومشاكل تحدّ من عملها وصلاحيتها وتنفيذها لقوانينها، والتّالي المعاناة الكبيرة في عدم تحقيق العدالة الجنائية الدولية.

**ملحوظة:** أنشأت المحكمة الجنائية الدولية الدائمة، بموجب إتفاقية روما المؤرخة في 17 جويلية 1998م، المتضمنة النظام الأساسي للمحكمة الجنائية والذي دخل حيّز التنفيذ في 01 جويلية 2002م.

1. عراقيل المحكمة الجنائية الدولية في علاقتها مع الدول: إنّ وجود المحكمة الجنائية الدولية كان سببه المجتمع الدولي، الذي أقرّ نظاماً سياسياً صادق عليه، يحكم وينظّم العالم ويضبط مشاكله، وكان للمحكمة الجنائية علاقة وثيقة مع الدول التي أنشأتها وأوجدتها، هذه الأخيرة خلقت عراقيل لها ولباقي دول العالم بحكم هذه القرابة المنتزعة دون أحقية قانونية، ومن هذه العراقيل نذكر:

#### أ.عراقيل التّعاون الدولي:

رفض التّعاون مع المحكمة الجنائية الدولية بسوء النّيّة: إنّ تضاخي بعض الدول عن مجرمي الحرب والمتسببين فيها والتي ترفض متابعتهم ومحاكمتهم داخل بلدانهم وأمام قضائها، نجدها بالضرورة ترفض التّعاون مع المحكمة الجنائية الدولية، ومنه التّغطية على مجرميها وإبعاد المسؤولية الجنائية عن مرتكبي ومقترفي الجرائم الدولية. وإن كانت قد أحالت قضاياها بشأن الحرب إلى المحكمة الدولية؛ إلا أنّها لا تقصد من وراء ذلك التّعاون معها ولا تُبدي أيّة نية في ذلك، وعدم التّعاون هذا جعل المحكمة الجنائية الدولية تواجه عدّة صعوبات مع أغلب قضاياها، " ويظهر ذلك في أغلب القضايا التي تنظّمها المحكمة حالياً، فدولة السودان مثلاً وإن كانت ملزمة بالتّعاون مع المحكمة، وذلك تطبيقاً لقرار مجلس الأمن في إحالة القضية إلى المحكمة الجنائية الدولية، رغم كونها دولة غير طرف في نظام روما الأساسي؛ إلا أنّها أبدت رفضها بالتّعاون مع المحكمة في جميع مجالاته" 2 (فريزة بن سعدي، 2012).



عدم التعاون هذا وإبداء عدم الإكتراث من الدول ، يعكس تغطيتها على مجرميها مهما كانت صفتهم ؛ بل وتؤكد على نيتهم المتابعة في الإجرام الدولي ، هذا ما يؤكد الصعوبة التي تواجهها المحكمة الجنائية الدولية ، "وهو ما يعيق نشاطها في متابعة المسؤولين عن الجرائم الدولية وبالأخص في اعتقال كبار المسؤولين الحكوميين ، الذي يحتاج إلى دعم دولي "3. (فريزة بن سعدي ، 2012).

محدودية الضمانات المقررة لتنفيذ الالتزام بالتعاون مع المحكمة الجنائية الدولية: إن إمتناع الدول عن تطبيق الضمانات المتعهد عليها مع المحكمة الجنائية الدولية ، يعيق عملها ويسفر عن عدم الإلتزام ومنه صعوبة تنفيذ القرارات ؛ بل وحتى إصدارها ، "وفي حالة إمتناع دولة غير طرف في النظم الأساسي ، تكون قد عقدت ترتيباً خاصاً أو إنفاقاً مع المحكمة للتعاون بخصوص الطلبات المقدمة بمقتضى ترتيب أو اتفاق من هذا القبيل تُجوز للمحكمة أن تُخطِر بذلك جمعية الدول والأطراف أو مجلس الأمن ، إذا كان قد أحال المسألة على المحكمة ، وللمحكمة أن تطلب إلى أي منظمة حكومية دولية تقديم معلومات أو مستندات ، ولها أيضاً أن تطلب أشكالاً من أشكال التعاون الدولي والمساعدة ، يتفق عليها مع المنظمة وتتوافق مع إختصاصاتها أو ولايتها"4. (نجاهة أحمد أحمد إبراهيم ، 2009).

لذلك يمكن لجمعية الدول الأطراف إتخاذ مقاربات حلولية إتخاذ الدول غير المتعاونة والخرافة لضماناتها المقررة لتنفيذ إلتزامها بدءاً بالضغط الأدبي ، فتجميد حركة العضوية كما هو متعارف عليه دولياً ، إلى إبلاغ مجلس الأمن الدولي بعدم تعاون الدولة الطرف مع المحكمة الجنائية الدولية ، فكان لزاماً على جمعية الدول الأطراف وضع نظام خاص بالنسبة لهذه المقاربات الحلولية ، التي يُحتمى بها في حالة إخلال أي دولة من دول الأعضاء بقانون التعاون ، "هذه التدابير يجب أن تكون متدرجة ومتناسبة مع مقدار المخالفة أو عدم التعاون حتى تصبح تلك التدابير بحسب تدرجها وسيلة ضغط مناسبة لدفع الدول المخالفة إلى العدول عن موافقها"5. (نجاهة أحمد أحمد إبراهيم ، 2009).

هذا النوع من العراقيل المتمثل في عدم إلتزام الدول بضماناتها المقررة لتنفيذ التعاون مع المحكمة يؤكد على إفتقار المحكمة الدولية الجنائية إلى وسائل القوة الضرورية لأداء مهامها ، "إلا في الحالات التي يكون فيها مجلس الأمن هو القائم بإخطار المحكمة نظراً للصلاحيات الواسعة ، التي منحها الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة ، والتي تسمح له لإتخاذ كافة التدابير الضرورية التي من شأنها أن تجبر الدول على الإمتثال للتعاون"6. (فريزة بن سعدي ، 2012).

حالات تبرير عدم تعاون الدول مع المحكمة الجنائية الدولية: إن تعاون الدول مع المحكمة الجنائية الدولية تحدُّ من إنتشار الجرائم الخارج حدودية ؛ إلا أنَّ المحكمة تعمل بقانون بعض الإستثناءات على مبدأ الزامية التعاون ، والتي تجعل الدول تتصرف بأريحية قانونية كتأجيل هذا التعاون أو رفضه أحياناً منها:

جواز رفض الدولة التعاون وطلباته مع المحكمة الجنائية الدولية المتعلقة بأمن وطنها: إن تسمك الدول بمعلومات حفاظاً على أمنها الوطني من أكبر العوائق التي تواجه التعاون مع المحكمة ، "وذلك عند مثول أحد مسؤولي هذه الدول أمام المحكمة وطلب هذه الأخيرة في أي مرحلة من مراحل الدعوى أيّة وثائق من الدولة المعنية بأن تلك الإجراءات تمسُّ بأمنها الوطني"7. (مولود ولد يوسف ، 2012).

كما تستند بعض الدّول الطّرف رفض طلبات التّعاون مع المحكمة الجنائيّة الدّوليّة، إذا ما تعلّقت هذه الطّلبات بكشف أسرار الأمن الوطني لهذه الدّولة، والذي قد سمسُ بإستقرارها، وذلك وفقاً للمادّة 93 الفقرة الرابعة من النّظام الأساسي للمحكمة الجنائيّة الدّوليّة<sup>8</sup>. (المادّة 4/94 من نظام روما الأساسي).

جواز رفض التّعاون مع المحكمة الجنائيّة الدّوليّة بشأن معلومات أو وثائق متعلّقة بأمن الطّرف الثالث: إنّ ممّا أجازته النّظام الأساسي للدّولة الطّرف رفض طلبات التّعاون المتعلّقة بمعلومات تخصّ أمن دولة أخرى؛ إذ لا بدّ على المحكمة الحصول على موافقة من الطّرف الثالث، فإذا قبل الطّرف الثالث الطّلب، تُقدّم الدّولة الموجهة إليها الطّلب الوثائق والمعلومات للمحكمة، وفي حالة رفض الطّرف الثالث الطّلب، يحقّ للمحكمة إتخاذ كافّة الإجراءات المنصوص عليها في المادّة 72، إذا كانت هذه الدّولة طرفاً في نظام روما الأساسي، أمّا إذا كان الطّرف الثالث ليس من الدّول الأطراف في نظام روما، ورفض تقديم معلومات أو وثائق للمحكمة، فعلى الدّولة الموجهة إليها الطّلب، إبلاغ المحكمة عدم قدرتها على تلبية الطّلب نظراً للالتزام السابق منها إزاء الطّرف الثالث، وذلك بالحفاظ على سرّيّة المعلومات والوثائق<sup>9</sup>. (المادّة 73 من نظام روما الأساسي). (بتصرّف)، هذه الإلتزامات تعرقل النّشاط الإجرائي للمحكمة.

إنّ رفض بعض الدّول التّعاون مع المحكمة الجنائيّة الدّوليّة بصفة مطلقة بعراقيل متابعة المتهم ومثوله أمام القضاء الوطني والدّولي، وهذا راجع إلى سوء نيّة الدّولة ورغبتها في تحرير المسؤولين المجرمين من العقاب والجزاء، ولكن قد تُعارض الدّولة التّعاون مع المحكمة لوجود ضمانات مقرّرة وفق نظام روما الأساسي، هذا ما عرقل نشاط المحكمة الجنائيّة الدّوليّة في تحقيق المتابعة للجرائم الدّوليّة وتكريس المسؤوليّة الجنائيّة.

2. عراقيل إختصاص المحكمة الجنائيّة الدّوليّة المكترسة في نظامها الأساسي والإجرائي: كان المشاركون خلال الأعمال التحضيرية لإعداد مشروع النّظام الأساسي للمحكمة الجنائيّة الدّوليّة يتوزعون بخصوص طبيعة المحكمة المقترحة وطريقة عملها ونطاق إختصاصها.

أ.العراقيل التي تُجابه المحكمة الجنائيّة الدّوليّة قبل المحاكمة:

عراقيل متعلّقة بتطبيق إختصاص المحكمة الجنائيّة الدّوليّة:

عراقيل محدوديّة الإختصاص الزّماني: تنصّ المادّة 11 من النّظام الأساسي للمحكمة الجنائيّة الدّوليّة على أنّ "المحكمة تمارس إختصاصاتها على الجرائم التي يتمّ ارتكابها بعد دخول النّظام الأساسي حيّز التنفيذ"<sup>10</sup>. (حسام بخّوش، 2012)، "فهو لا يسري على الجرائم التي إرتكبت قبل سريان المعاهدة، فهذه الأخيرة تسري أحكامها بأثر فوري"<sup>11</sup>. (مختار خياطي، 2011)، وعليه فالقانون لا يمكن تطبيقه إلا على من سرت عليه المعاهدة. وهو ما أكّده المادّة 24 من النّظام الأساسي للمحكمة التي حرصت على تأكيد قاعدتين أساسيتين "الأولى هي قاعدة عدم رجعية نصوص التّجريم والعقاب الواردة في هذا النّظام؛ باعتبار أنّ هذه القاعدة تعتبر نتيجة حتمية لمبدأ الشّرعية، وهي قاعدة مُسلم بها في مختلف دول العالم وأعطت لها قيمة دستورية، وأمّا القاعدة الثّانية فتمثّل في قاعدة رجعية القانون الأصلح للمتهم، ففي حالة حدوث تغيير في القانون المعمول به في قضية معيّنة قبل صدور الحكم النهائي، يطبّق القانون الأصلح محلّ المتابعة والمقاضاة"<sup>12</sup>. (شريف سيّد كامل، 2004)، وهذه القاعدة الثّانية. قاعدة رجعية القانون الأصلح للمتهم. وجدت عدّة إشكالات أمام تطبيق القانون، لذلك هناك من أوجد حلولاً نسبيّة سمّيت بخيارات، فكان الأوّل

"العودة إلى إنشاء المحاكم الجنائية الخاصة بقرار مجلس الأمن بموجب الفصل السابع من ميثاق هيئة الأمم المتحدة لمحكمة مقترفي هذه الجرائم، وهنا ستكون متواجدة جنباً إلى جنب مع المحكمة الدائمة، وتجدر الإشارة أنّ هذه المحاكم الخاصة ذات تاريخ سيء السمعة وطنياً ودولياً، أما الخيار الثاني فيمكن أن تختصّ به المحكمة الدائمة إذا تمّت إحالتها إليها بمقتضى قرار من مجلس الأمن بموجب الفصل السابع"13.(علي عبد القادر الفهوجي، 2001).

هذا النطاق الزماني للمحكمة الجنائية الدولية ضيق إلى حدّ ما، لا بدّ من إعادة النّظر فيه حتّى لا تنتشر الجريمة باسم القانون يفلت المجرم من القانون باسمه.

عراقيل محدوديّة الاختصاص الشّخصي: إنّ للإنسان كرامة وللشّخص قيمة داخل المجتمع، لاسيما إذا كان صاحب مكانة إجتماعيّة، وبحكم الجانب الإنساني لا بدّ من إحترام الشّخص حتّى تثبت إدانته وهو نظر القانون بريء، إذا لم يتوفّر الشّروط السابق لذلك "جاء النّظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدوليّة متأثراً بمشروع مدونة الجرائم الهامسة بأمن وسلامة الإنسانيّة، الذي تمّ بمعرفة لجنة القانون الدولي؛ حيث رأت اللّجنة قصر المسؤوليّة الجنائيّة عن الجرائم الدوليّة على الأفراد"14.(مولود ولد يوسف، 2012)، لذلك تمّ تكريس المسؤوليّة الجنائيّة الفرديّة الدوليّة "في المادّة 25 تحت عنوان المسؤوليّة الجنائيّة الفرديّة؛ حيث نصّت على مجموعة من المبادئ تمثّلت في:

1. المحكمة الجنائية الدوليّة لا تختصّ بالدول والهيئة الاعتباريّة.

2. إنّ الشّخص الذي يرتكب جريمة تدخل في اختصاص المحكمة يكون مسؤولاً عنها بصفته الفرديّة وعرضه للعقاب.

3. يكون الفرد مسؤولاً جنائياً سواء ارتكبت الجريمة بصفته الفرديّة أو بالإشتراك مع غيره"15.(مختار خياطي، 2011).

من هذا نخلص إلى أنّ المحكمة الجنائية الدوليّة إقتصر اختصاصها في تطبيق القانون على الأشخاص الطّبيعيين، الذين يسهمون في ارتكاب الجرائم أو يرتكبونها بعينهم، والتي تدخل في اختصاص المحكمة. وحقيقة إنّ الجرائم التي تندرج تحت لواء دائرة الاختصاص الموضوعي للمحكمة الجنائية الدوليّة "تعدّ من أخطر الجرائم على الإطلاق، وأنّ عدداً كبيراً منها غالباً ما يرتكبها...بتحريض من أشخاص معيّنة...، مثل جريمة العدوان، غير أنّ المادّة 1/25 من النّظام الأساسي إقتصرت على ذكر الأشخاص الطّبيعيين فقط، ما لم يحصل تطوّر في هذا الشّأن في المؤتمر الاستعراضي، الذي سيعقد وفقاً للصّوابط المنصوص عليها في المادّة 123 من نظام روما الأساسي"16.(محمّد هاشم ماقورا، 2007)؛ إلاّ أنّ المؤتمر الاستعراضي قد تمّ إنعقاده، ولكن لم يحصل أيّ تغيير على مستوى المحكمة الجنائية الدوليّة.

عراقيل الإختصاص الموضوعي للمحكمة الجنائية الدوليّة: تواجه المحكمة الجنائية الدوليّة أثناء ممارستها لإجراءاتها العمليّة التي ينصّ عليها قانونها، مشاكل تقف حاجزاً أمام الوصول إلى المجرم وتحقيق العدالة الجنائيّة الدوليّة القائمة من أجلها، وهذا راجع إلى:

العراقيل العموميّة والتشابك بين جريمتي الإبادة الجماعية والجرائم ضدّ الإنسانيّة: "إقتبس نظام المحكمة جريمة الإبادة الجماعية من إتفاقيّة عام 1948م المتعلّقة بمنع جريمة إبادة الجنس البشري، التي تحظى

بإجماع دولي ، فعمد إلى تقنينها وإدخالها إلى إختصاص محكمته دون أن يطورها أو يضع تعريفاً واضحاً يميّزها عن الجرائم ضدّ الإنسانية ، وبعد قراءة المادة 7 من النظام الأساسي للمحكمة المتعلقة بجرائم ضدّ الإنسانية يتبيّن لنا مدى التّطابق القانوني مع جريمة الإبادة الجماعية المنصوص عليها في المادة 6 منه ؛ بل أكثر من ذلك جاء تدوين الجرائم ضدّ الإنسانية في المادة 7 ، مستوعباً لكلّ أفعال جريمة الإبادة الجماعية ، بالإضافة إلى اشتراكها في عمومية النّصّ وعمومته ، ممّا سيؤدّي إلى صعوبة الفصل القانوني بين أفعالها"17.(عليّ جميل حرب ، 2010).

عدم وضع تعريف شامل للجرائم الإنسانية وتقتين المحكمة لها ، جعلها تعاني النّقص في قمع هذا النّوع ، وقد إنعكس ذلك على تهريب الدّول من تطبيق القانون عليها بحكم هذه الثّغرة ، وإن كان القانون الجنائيّ سواء الدّاخليّ للدّول أو الخارجيّ الدّوليّ يقتضي الدّقة في تكييف وتنظيم عناصر الجريمة .  
عراقيل جرائم الحرب ، وفيها: جواز تعليق إختصاص المحكمة الجنائية الدّولية في شأن جرائم الحرب لمدة سبعة (07) سنوات .

من أهمّ الثّقائص التي يتخبّط فيها النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدّولية ، "إعطاء الدّول الأطراف الحقّ في إعلان عدم قبولها لإختصاص المحكمة لمدة سبعة (07) سنوات بدءاً من سريان هذا النظام ، وذلك فيما يتعلّق بالجرائم الواردة في المادة 8 من النظام الأساسي للمحكمة التي تشكّل جريمة حرب ، عندما يكون هناك إدعاء بارتكاب هذه الجرائم فوق تراب هذه الدّول أو من قبّل مواطنيها ، وذلك بالرّغم من أحكام الفقرة الأولى من المادة 12"18.(المادة 124) ، وهذا ما يمكن إعتباره خروجاً عن القاعدة المنصوص عليها في المادة 12 من النظام ، "فتجدد الإشارة إلى أنّ المادة 124 من نفس الوثيقة أدخلت بمبادرة من فرنسا ، وذلك بقصد عدم إمكان محاكمة جنودها الذين يرسلون إلى الخارج في مهام حفظ السّلام...، وقد إستعملت فرنسا بالفعل هذا الخيار عند تصديقها على النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدّولية في 09 يونيو 2000م ، بإعلان عدم قبولها لإختصاص المحكمة بالنّظر في جرائم الحرب المرتكبة من مواطنيها ، أو التي ترتكبها في إقليمها لمدة سبع سنوات"19.(شريف سيّد كامل ، 2004).

ب.عراقيل الإختصاص التّكميلي للمحكمة الجنائية الدّولية: يعد إختصاص المحكمة الجنائية الدّولية مكملّ لإختصاص المحاكم الوطنيّة ومن أهمّ ركائزها ، وذلك بإعطاء القضاء الوطني للدّول الأطراف الواثية المبدئية بالنّسبة للجرائم الواردة في نظام روما ، مع التأكيد على عدم المساس بمفهوم سيادة الدّولة ؛ إلا أنّ هذا المبدأ شكّل قيوداً وعوائق أمام إختصاص المحكمة الجنائية الدّولية في الجرائم الدّولية ، وذلك بإصدارها لقرارات العفو عن الجرائم الدّاخلة ضمن إختصاص المحكمة ، والتي بدورها تعيق التّكامل ، كما خلق مبدأ التّكامل تعارضاً مع بعض نصوص نظام روما الأساسي .

عراقيل قرارات العفو عن الجرائم الدّاخلة ضمن إختصاص المحكمة الجنائية الدّولية: "عند إنتهاء النزاعات المسلّحة أو الخروج من أزمات داخلية ، فإنّ الدّول المعنية تُصدر قوانين منح العفو لجميع الأشخاص ، بمن فيهم المسؤولين عن ارتكاب إنتهاكات جسيمة لقواعد القانون الدّوليّ الإنساني ، والتي من دون شكّ جرائم تدخل ضمن إختصاص المحكمة الجنائية الدّولية كشرط لإستعادة الأمن ، وهنا يُثار التساؤل عن أثر صدور قرار السّلطات المعنية في الدّولة بالعفو عن المتهم بارتكاب إحدى الجرائم التي تدخل حتماً في نطاق

إختصاص المحكمة، وهل يُعتبر صدور مثل هذا القرار بمثابة تحايل لنفي المسؤولية عن الجناة؟ أم أنّ السلطات الوطنية غير مقيدة بأية قيود في ظلّ بدء العمل بالمحكمة الجنائية الدولية؟<sup>20</sup>. (عبد الفتاح محمد سراج، دس).

وهذا ما يعرف سيرة النشاط القانوني للمحكمة الجنائية الدولية، "إذا ما أصدرت السلطات المعنية في الدولة صاحبة الإختصاص قراراً بالعمو؛ فإنه لا يجوز للمحكمة أن تعيد التّحقيقات في نفس القضية، ما لم تُثبت أنّ قرار العمو قد صدر بهدف التّحايل لنفي المسؤولية الجنائية ضدّ المتهمين"<sup>21</sup>. (عبد الفتاح محمد سراج، دس).

عراقيل متعلّقة بعدم فعالية بعض نصوص النظام الأساسي مع مبدأ التّكامل: إنّ من خلال قراءة النّصّ الوارد في المادة 2/8/ب/6 والمادة 7/8/هـ من نظام روما الأساسي يتبيّن لنا "أنّ تجنيد الأطفال دون الخامسة عشر إلزامياً أو طوعاً في القوات المسلّحة الوطنية، واستخدامها للمشاركة في الأعمال الحربية بمثابة جرائم حرب"<sup>22</sup>. (المادة 2/77 و المادة 3/4)، وعليه فإنّ أيّ دولة تقوم بتجنيد المقاتلين في صفوف جيش الدفاع من سنّ الخامسة عشر لا يُعدّ جريمة تختصّ بها المحكمة، "مادامت المادة 26 من النظام الأساسي قضت بأنه لا يكون للمحكمة إختصاص على أيّ شخص يقلّ عمره عن 18 عاماً وقت ارتكاب الجريمة المنسوبة إليه، ويتبيّن من هذه الصياغة المطلقة عدم إنعقاد الإختصاص للمحكمة لمن لم يتجاوز سنّ 18 عاماً وقت ارتكابه الجريمة التي تدخل في نطاق إختصاصها، ويزداد الأمر تعقيداً عندما لن تتمكّن دولة الطّفل من محاكمته، وهو ما يؤدّي إلى إفلاته من العقاب؛ إذ يصبح هذا الشّخص غير مسؤول عن أفعاله التي تعتبر جريمة دولية، "المادة 26 من النظام تمثّل عائقاً بتطبيق مبدأ التّكامل، وبالتالي عائقاً أمام تطبيق المسؤولية الجنائية الدولية، فينبغي التّزول بالنّسب في المادة السّالفة الذّكر إلى الخامسة عشر سنة لتتسجم مع سياق النّصوص، أو يتمّ حذفها لتفح المسؤولية على من يستخدم هؤلاء الأطفال أيّاً كان السنّ، مع تقرير محاكمة وعقوبة أخفّ للصغار، وذلك إتّفاقاً مع السّياسة الجنائية للتشريعات الوطنية، وحتى لا يؤدّي ذلك إلى الإفلات من العقاب، وخاصّة في حالة إنهيار الأنظمة القضائية الوطنية لدولهم"<sup>23</sup>. (عبد الفتاح محمد سراج، دس).

#### خاتمة:

إنّ إنشاء المحكمة الجنائية الدولية أمرٌ مهمٌّ نحو إقامة العدالة الجنائية الدولية، التي هدفها الأساس تحقيق الأمن العالمي والمساواة بين حقوق الإنسان عامّة وحقوق المتهمين والضحايا خاصّة، وذلك سعياً إلى الحدّ من ظاهرة التّملّص والإفلات من العقاب وتسليط العقوبة الموائمة على مرتكبي الجرائم، على تعدّد أنواعها وعقوباتها.

إلا أنّ للمحكمة الجنائية الدولية ميزات إيجابية لنظامها الأساسي، وهي أنّ جميع الأفراد متساوون أمام القانون الدولي، ورغم أنّ للمحكمة الجنائية الدولية قد نجحت إلى حدّ بعيد في تحقيق ردع الجرائم الدولية، إلاّ أنّها تجد عوائق وعراقيل كالرقص الدولي للتعاون مع المحكمة بسوء نية مسبقة، ووجود حالات تبرير عدم هذا التعاون وعراقيل متعلّقة بحدود المحكمة الجنائية الدولية المكرّسة في نظامها الأساسي والإجرائي، وعراقيل قبل المحاكمة وعراقيل الإختصاص التكميلي للمحكمة الجنائية الدولية، تجعلها عاجزة عن تطبيق

قانون الجريمة ، وهذا راجع إلى قصورها في ضبط بعض الأنظمة والقوانين التابعة منها ، كـ بعض التنازلات والتحفّظات ، هذا ما يُسفر عن سلبيات أهمّها:

-افتقار المحكمة الجنائية الدوليّة إلى القوّة والوسائل لأداء مهامها يعكس عدم قدرتها على إلتزام الدّول التّعاون معها .

-إحجام الكثير من الدّول عن الإنضمام إلى الإتفاقيّة الخاصّة بالمحكمة الجنائية الدوليّة ، سببه عدم إعتداد نظام روما بالحصانة .

-نظرة بعض الدّول إلى المحكمة الجنائية الدوليّة التي تختصّ بمعالجة والحدّ من الجريمة داخل الدّول وأقاليمها الخاصّة ، على أنّها إنتقاص من سيادتها ، والتّالي تعرقل هذه الدّول سير عمل المحكمة الجنائي .

الهوامش:

1. النّظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدوليّة ، المصادق عليه في مدينة روما (إيطاليا) بتاريخ 17 جويلية 1998م ، دخل حيّز التنفيذ بتاريخ 01 جويلية 2002م ، وثيقة رقم: A/CONF 183/9.
2. فريزة بن سعدي ، المسؤولية الجنائية عن جرائم الحرب في نظام المحكمة الجنائية الدوليّة ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون ، فرعالقانون الدولي العام ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، 2012م ، ص 156.
3. ....، المرجع نفسه ، ص 158 ، 157.
4. نـجاة أحمد إبراهيم ، المسؤولية الدوليّة عن إنتهاكات قواعد القانون الدولي الإنساني ، الإسكندرية ، 2009م ، ص 415.
5. ....، المرجع نفسه ، ص 416 ، 415.
6. فريزة بن سعدي ، الرجوع نفسه ، ص 162 ، 161.
7. مولود ولد يوسف ، تحولات العدالة الجنائية الدوليّة ودورها في حماية وتطوير الحقّ والمحكمة العادلة والمنصفة ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون العام ، فرع تحولات الدولة . كلية الحقوق والعلوم السياسيّة ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، 2012م ، ص 156.
8. تنصّ المادّة 4/94 من نظام روما الأساسي على أنّه: "لا يجوز للدّولة الطّرف أن ترفض طلب المساعدة كليّاً أو جزئيّاً ، إلا إذا كان الطّلب يتعلّق بتقديم أيّة وثائق أو كشف أيّة أدلّة تتصلّ بأمنها الوطني ، وذلك وفقاً للمادّة 72".
9. أنظر المادّة 73 من نظام روما الأساسي .
10. حسام بخوش ، آليات تطبيق القانون الدولي الإنساني على الصّعيد الدولي ، دار الهدى ، الجزائر ، 2012م ، ص 203.
11. مختار خياطي ، دور القضاء الجنائي الدولي في حماية حقوق الإنسان ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في إطار مدرسة الدّكتوراه ، القانون الأساسي والعلوم السياسيّة ، فرع القانون العام ، كلية الحقوق والعلوم السياسيّة ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، 2011م ، ص 145.
12. شريف سيّد كامل ، إختصاص المحكمة الجنائية الدوليّة ، دار النّهضة العربيّة ، القاهرة ، 2004م ، ص 39 ، 38.
13. عليّ عبد القادر القهوجي ، القانون الدولي الجنائي ، (أهمّ الجرائم الدوليّة ، المحاكم الدوليّة) ، منشورات الحلبي الحقوقية ، لبنان ، 2011م ، ص 330.
14. مولود ولد يوسف ، تحولات العدالة الجنائية الدوليّة ودورها حماية وتطوير الحقّ والمحكمة العادلة والمنصفة ، ص 75.
15. مختار خياطي ، دور القضاء الجنائي الدولي في حماية حقوق الإنسان ، ص 144.
16. محمّد هاشم ماقورا ، المحكمة الجنائية الدوليّة (ICC) وعلاقتها بمجلس الأمن ، (دراسة تتضمّن قراءة في قرار مجلس الأمن رقم: 1593 سنة 2005م بشأن دارفور) ، بحث مقدّم في الندوة الدوليّة حول المحكمة الجنائية الدوليّة الدائمة (الطّموح . الواقع . آفاق المستقبل) ، طرابلس ، 10/11 يناير 2007م ، ص 16.
17. عليّ جميل حرب ، نظام الجزاء الدولي ، (العقوبات الدوليّة ضدّ الأفراد) ، منشورات الحلبي الحقوقية ، لبنان ، 2010 ، ص 479.
18. المادّة 124 من نظام روما الأساسي .
19. شريف سيّد كامل ، إختصاص المحكمة الجنائية الدوليّة ، ص 164 ، 63.
20. عبد الفتّاح محمّد سراج ، مبدأ التّكامل في القضاء الجنائي الدولي ، دار النّهضة العربيّة ، القاهرة ، د . ت ، ص 52.

- 21 . ..... ، المرجع نفسه ، ص54، 53.
- 22 . المادة 2/77 من البروتوكول الإضافي الأول الخاص بالتزاعات الدولية والمادة 3/4 من البروتوكول الإضافي الثاني الخاص بالتزاعات المسلحة ذات الطابع غير الدولي.
- 23 . عبد الفتاح محمد سراج ، مبدأ التكامل في القضاء الجنائي الدولي ، ص 109 ، 108.
- قائمة المراجع:**
- النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية ، المصادق عليه في مدينة روما (إيطاليا) بتاريخ 17 جويلية 1998م ، دخل حيز التنفيذ بتاريخ 01 جويلية 2002م ، وثيقة رقم: A/CONF 183/9.
- حسام بخوش ، آليات تطبيق القانون الدولي الإنساني على الصعيد الدولي ، دار الهدى ، الجزائر ، 2012.
- شريف سيد كامل ، اختصاص المحكمة الجنائية الدولية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 2004.
- عبد الفتاح محمد سراج ، مبدأ التكامل في القضاء الجنائي الدولي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، دس.
- علي جميل حرب ، نظام الجزاء الدولي ، (العقوبات الدولية ضد الأفراد) ، منشورات الحلبي الحقوقية ، لبنان ، 2010.
- علي عبد القادر القهوجي ، القانون الدولي الجنائي ، (أهم الجرائم الدولية ، المحاكم الدولية) ، منشورات الحلبي الحقوقية ، لبنان ، 2011.
- فريزة بن سعدي ، المسؤولية الجنائية عن جرائم الحرب في نظام المحكمة الجنائية الدولية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون ، فرعان القانون الدولي العام ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، 2012.
- محمد هاشم ماقورا ، المحكمة الجنائية الدولية (ICC) وعلاقتها بمجلس الأمن ، (دراسة تتضمن قراءة في قرار مجلس الأمن رقم: 1593 سنة 2005م بشأن دارفور) ، بحث مقدّم في الندوة الدولية حول المحكمة الجنائية الدولية الدائمة (الطموح . الواقع . آفاق المستقبل) ، طرابلس ، 11/10 يناير 2007.
- مختار خياطي ، دور القضاء الجنائي الدولي في حماية حقوق الإنسان ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في إطار مدرسة الدكتوراه ، القانون الأساسي والعلوم السياسية ، فرع القانون العام ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر.
- مواد النزاعات الدولية.
- مواد النزاعات المسلحة ذات الطابع غير الدولي.
- مواد نظام روما الأساسي.
- مولود ولد يوسف ، تحولات العدالة الجنائية الدولية ودورها في حماية وتطوير الحقّ والمحكمة العادلة والمنصفة ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون العام ، فرع تحولات الدولة ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، 2012.
- نجاة أحمد أحمد إبراهيم ، المسؤولية الدولية عن إنتهاكات قواعد القانون الدولي الإنساني ، الإسكندرية ، 2009.

المراكز العلمية في عُمان خلال الفترة (ق 6هـ/12 – ق 7هـ/13م)  
scientific Centers in Oman during the period (6<sup>th</sup> - 7<sup>th</sup> century H/12-13 AD)

د. نورة بنت سيف بن راشد الكلباني  
عضو مناهج تاريخ بوزارة التربية والتعليم- سلطنة عمان

مقدمة

شهدت عُمان خلال الفترة من (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي – السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)، انقسامًا كبيرًا على السلطة بين نظام الإمامة وملوك النباهنة؛ مما أدى إلى انقسام البلاد إلى عدد من الكيانات السياسية تضرر العدا لبعضها البعض؛ مما شجع بعض الطامحين من الخارج للسيطرة على عُمان وخيراتها، حيث استطاعوا أن يكون لهم موطن قدم في السواحل العُمانية، لما تتمتع به من موقع استراتيجي مهم منذ القدم.

ونلاحظ أن أغلب الحروب الداخلية تركزت في عدد من المدن دون غيرها نظرا لأهميتها الجغرافية ومكانتها السياسية حيث اتخذها المتنافسون على السلطة عواصم لهم إلا إنها على الرغم من ذلك كانت مراكز علمية قصدها العلماء والمتعلمون من كافة الجهات في عُمان طلبًا للعلم والمعرفة، ولقد تأثرت الحياة العلمية فيها بالأوضاع السياسية المضطربة في تلك الفترة، حيث كانت الحروب المستمرة؛ سببًا في فقد الكثير من الكتب وضياعها مما أدى إلى طمس الكثير من معالم الحياة خلال تلك الفترة.

استمرت المراكز العلمية في أداء رسالتها العلمية رغم الوضع السياسي المتأزم في عُمان آنذاك، فتعددت أماكن التعليم وتنوعت، مثل: المدارس والمساجد، والمجالس، حيث انتشرت الحلقات العلمية في جميع النواحي فتدرج التعليم من المراحل الأولية في تعليم مبادئ العلوم المختلفة في المدارس، وحتى التوسع في هذه العلوم، في المساجد والمجالس، وترأس الحلقات العلمية فيها نخبة من العلماء الأفاضل الذين كان لهم الفضل في تخريج كثير من طلبة العلم، الذين وفدوا إليهم من داخل هذه المراكز وخارجها.

جاء اختيار الباحثة لهذا النوع من الدراسة؛ لتسلط الضوء على أحد الجوانب الحضارية المهمة، وهي المراكز العلمية في عُمان؛ لتكشف السِّتار عن نظام التعليم في عُمان في عصرٍ اتَّسم بالضعف السياسي وتجاهلته المصادر العُمانية، وسماه الباحثون عصر الظلام؛ لقلة المادة العلمية التي تشير إليه حيث خيم الغموض على هذه الفترة، فجاء الإطار الزمني للدراسة من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي إلى السابع الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

أما بالنسبة للإطار المكاني للدراسة: فقد شملت حدودَ عُمان من جُلْفار شمالاً، وحتى الحدود المتاخمة لظفار جنوباً، في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وهذا ما نستشفه من كلام العالم الجغرافي الإدريسي عند حديثه عن عُمان حيث يقول: "ويتصل بأرض مهرة بلاد عُمان وهي مجاورة لها من جهة الشمال وبلاد عُمان مستقلة بذاتها عامرة بأهلها.... ومن بلاد عُمان صور وقلهات... (أبي عبد الله محمد



الإدريسي ، 2002م ، ص155)، ويقول أيضاً: "ومن عُمان الطريق على الساحل إلى بلاد البحرين وذلك من صحار ودما إلى مسقط إلى جلفار" (أبي عبد الله محمد الإدريسي ، 2002م ، ص162).  
لقد كان معظم السَّاحل العُماني في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تحت سيطرة سلطنة هرمز(611هـ/1214م - 913هـ/ 1507م) ، مثل: مدينة قلهاة ومدينة جلفار لأهميتهم الاستراتيجية (John Wilkinson,1987,p11)، ويؤكد تبعية قلهاة لسلطنة هرمز في الفترة السابق ذكرها، ما ذكره عنها ياقوت الحموي (ت:626هـ/ 1228م) في قوله: " مدينة بَعْمَان على ساحل البحر إليها ترفأ أكثر سفن الهند.....ولا أظنها تمصرت إلا بعد الخمسمائة، وهي لصاحب هرمز" (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي ، 1995م ، ص393).

أهمية الدراسة: تُسَلِّط الدِّرَاسَةُ الضَّوءَ على المراكز العلمية في عُمان وأماكن التعليم ونظامه خلال الفترة من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي - السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)، في فترة زمنية اُسِّمَتْ بالقلق السياسي ، وعدم استقرار الأوضاع في عُمان ، كما لا توجد دراسة مخصصة لهذه المراكز العلمية في الفترة المحددة للدراسة .

#### أهداف الدراسة:

- إلقاء الضوء على الأوضاع السياسية السائدة في عُمان خلال فترة الدراسة .
- إبراز أهم المراكز العلمية في عُمان خلال فترة الدراسة ، وأبرز علماءها .
- الكشف عن التعليم وأهم مراكزه وأماكنه في عُمان في تلك الفترة .
- مشكلة الدراسة: تطرح الدراسة أسئلة عديدة نجملها فيما يلي:
  - ما الأوضاع السياسية السائدة في عُمان خلال فترة الدراسة ؟
  - ما أهم المراكز العلمية في عُمان ؟ من هم أشهر العلماء فيها ؟
  - ما دور العلماء في المراكز العلمية ؟
  - ما أماكن التعليم في عُمان ؟ وما هو نظام التعليم المتبع في تلك الأماكن ؟
- منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي والاستقرائي و التحليلي .
- تقسيمات الدراسة: قسمت الباحثة الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة .

المقدمة: تناولت نبذة عن موضوع الدراسة مع تحديد الإطار الزمني والمكاني وتبيان أهمية وأهداف الدراسة .

المبحث الأول: يستعرض الأوضاع السياسية في عُمان .

المبحث الثاني: ركز على أهم المراكز العلمية وأشهرها .

المبحث الثالث: ناقش أماكن التعليم المتمثلة في المدارس والمساجد والقلاع والحصون والمكتبات والمجالس ونظام التعليم فيها .

الخاتمة: استعرضت أهم النتائج العلمية التي توصلت إليها الدراسة .

المدخل الأول الأوضاع السياسية في عمان خلال الفترة (6هـ-7هـ/ 12م-13م): اتسمت الأوضاع السياسية في عُمان خلال فترة الدِّرَاسَةِ بالتفكك والضعف ؛ حيث استمر تأثير قضية عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي منذ عام 272هـ/885م ( أبو المؤثر الصلت بن خميس ، 1996م ، ص13) وحتى ظهور الإمام ناصر بن

مرشد البعري في عام 1034هـ/ 1624م (سرحان سعيد الإزكوي ، 2013م ، ص216) ، وقد صاحب هذه القضية انقسام العُمانيين إلى طائفتين رستاقية ونزوانية ، وقد عبّر العالم أحمد بن عبدالله الكندي عن تردّي الأحوال السياسية في القرن السّادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، قائلاً: "فاني نشأتُ في زمان وجدت أهله من أهل عُمان ممّن يتسمّى بالإباضية، نحلة الإيمان، مختلفين في حكم حادثةٍ قد اتفقوا على صفتها، ومنازعين في اسمها على إجماع منهم على صحتها، فهما طائفتان كل طائفةٍ منهم تحطّئُ أهل صفة الطائفة الأخرى وتبّرأُ منهم" (أحمد عبد الله الكندي ، 1985م ، ص24).

وخلال فترة الدراسة أخذت كل طائفة تختار إماماً لها يقود صراعها ضدّ الطائفة الأخرى ، وأصبح من المألوف وجود إمامين في الوقت الواحد ، وفي بعض الأحيان كانت الطائفة الواحدة تُعيّن أكثر من إمام (محمد بدر الحجري ، 2002م ، ص143-144) ، وقد هبّ الصراع بين الأئمة الفرصة لظهور قوى داخلية منافسة لهم في الحكم ، تمثّلت في قبيلة البهانة ، ودخول قوى خارجية استغلّت توتر الحالة السياسية القائمة في عُمان في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي- الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

في هذا المبحث ستطرق الدراسة إلى أئمة وملوك البهانة الذين حكموا عُمان خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي- السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ، كما ستتناول الصراعات والحروب الداخلية والخارجية التي تعرّضت لها عُمان في تلك الفترة.

الإمامة في عُمان (500هـ/ 1107م - 579هـ/ 1183م): تبنّى العُمانيون نظام الإمامة لأوّل مرّة في عام 132هـ/ 749م ، عندما بايعوا الجلندي بن مسعود ؛ ليكونَ أوّل إمام في عُمان ، واستمرت إمامته عامين ، حيث قتله العباسيون بعد رفضه الدخول في طاعتهم في سنة 134هـ/ 751م (ابن الأثير عز الدين أبي الحسن ، 2005م ، ص451-452).

وبذلك انتهت الإمامة الإباضية الأولى ، وخضعت عُمان للخلافة العباسية حتّى عام 177هـ / 793م ، وفي هذا العام استطاع العُمانيون إحياء الإمامة مرة أخرى ، بمبايعتهم لمحمد بن عبدالله بن أبي عفان (177هـ/ 793م 179هـ/ 795م) حيث قامت الإمامة الإباضية الثانية (مجهول ، 1986م ، ص122).

وظلّت الإمامة في عُمان بعد ذلك تظهر وتختفي حسب الأوضاع السياسية الداخلية والتدخلات الخارجية ، ومن أبرز الأئمة الذين حكموا عُمان خلال فترة الدراسة هم (نور الدين عبد الله السالمي ، 1997م ، ص323-340):

الإمام راشد بن علي الخروصي ( 472هـ/ 1079م-513هـ/ 1119م).

الإمام خنّيش بن محمد بن هشام (500هـ/ 1106م-510هـ/ 1116م).

الإمام محمد بن أبي غسان (510هـ/ 1116م-549هـ/ 1154م).

الإمام محمد بن خنّيش بن محمد بن هشام (510هـ/ 1116م-557هـ/ 1162م).

الإمام محمد بن غسان بن عبدالله الخروصي (ق: 6هـ/ 12م-8هـ/ 14م).

الإمام موسى بن أبي المعالي (549هـ/ 1154م - 579هـ/ 1183م).

محمد بن مالك (ق: 6هـ/ 12م - 8هـ/ 14م).

**ملوك النباهنة (ق: 5/11م – 1034هـ/1624م):** استطاعت قبيلة النباهنة أن تظهر على ساحة الحكم في بعض المناطق منذ وقت مبكر؛ وذلك بسبب الأوضاع السياسية والقبليّة المتدهورة في عُمان، حيث لم تكن هناك سلطة مركزية قوية، فالإمامة الإباضية انقسمت على نفسها بين النزوانية والرسنافية، وكان الانقسام في بادئ الأمر ذا طابع سياسي، ثم تطور ليشمل القبائل التي انقسمت لأسباب تتعلق بالمصالح الشخصية بين الفرقتين النزوانية والرسنافية، كما أنّ ضعف الخلافة العباسية التي كانت تحكم العالم الإسلامي وعدم قدرتها على بسط نفوذها على عُمان أو أقاليم أخرى في الخليج (فاروق عمر فوزي، 2008م، ص 154).

استمر حكم النباهنة أكثر من خمسة قرون، وكان حكمهم على فترتين حيث انتهت الفترة الثانية من حكمهم بقيام دولة اليعاربة عام 1034هـ/1624م، وذلك بمبايعة الإمامة ناصر بن مرشد اليعربي إمامًا للعُمان، واختلف المؤرخون في تحديد بداية تاريخ حكم النباهنة (نور الدين عبدالله السالمي، 1997م، ص 357).

وتتفق الباحثة مع كثير من الباحثين الذين رجحوا أنّ حكم النباهنة كان في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وبداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وذلك بناءً على ما ورد من تواريخ في ديوان السبّالي وهو الشاعر المعاصر لحكمهم، حيث نجد الشاعر أرخ لمناسبات مختلفة في عهد بني نهان في ثلاث قصائد من ديوانه (أبو بكر أحمد الخروصي السبّالي، مخطوط رقم 361، الورقة 44/أ، مخطوط رقم 423، الورقة 111/أ، الورقة 50/أ)، وجميعها قبل العام الذي ذكرته المصادر كدابة لحكمهم، وهو: 557هـ/1162م.

اكتنف فترة حكم النباهنة الكثير من الغموض، فالمعلومات المتوفرة عنهم في المصادر شحيحة جدًا، ولعل ذلك يعود إلى أن معظم من كتب التاريخ العُماني هم من العلماء الموالين لنظام الإمامة، فمن البديهي جدًا ألا يتطرق هؤلاء لحكم النباهنة، ونجدهم ينعنونهم "بالجبابرة" باعتبار أن حكمهم ليس شرعيًا، فهم في نظرهم مغتصبين للحكم من الأئمة الشرعيين، حيث غيروا شكل الحكم في عُمان فأصبح حكمًا ملكيًا وراثيًا استبداديًا، بعد أن كان شورياً وفقاً لنظام الإمامة الذي يدعو إليه المذهب الإباضي، وهو نظام مستمد من مفهوم الخلافة الإسلامية (محمد بدر الحجري، 2002م، ص 145).

كما أسهمت الحروب التي شهدتها عُمان عبر تاريخها الطويل؛ في ضياع تاريخ النباهنة، حيث تعرّض الكثير من الكتب إلى الحرق والتخريب، مما يدعو إلى احتمال وجود ثمة دواوين شعرية أخرى للسبّالي أو لشعراء آخرين كتبوا عن النباهنة؛ لاسيما أن النباهنة استقطبوا الشعراء في مجالسهم وأغدقوا عليهم بالهدايا، وقد يوجد من كتب عن تاريخ النباهنة بين طيات الكتب العُمانية التي فقدت؛ لأنّ العلماء درجوا على ذكر بعض الأحداث التاريخية التي تتصل بأحداث جرت لإمام مع أحد ملوك بني نهان، مثل الصراعات والحروب.

**الصراعات الداخلية في عُمان:** اتسمت فترة الدراسة بالصراعات والفتن الداخلية، حيث انقسم العُمانيون إلى رسنافية ونزوانية من ناحية، وظهور النباهنة من ناحية أخرى، ممّا أثار العصبية القبليّة حيث تزعمت قبيلتنا اليعمد (Badr Hila Al-Alawi, 2003, p191) والنباهنة ذلك الصراع وفرضت كل منهما سيطرتها على المنطقة الواقعة تحت نفوذها فتعددت الزعامات في الدولة الواحدة، الأمر الذي جعل الجميع يصطدم ببعض في صراعات طاحنة أودت بالاستقرار؛ من أجل الحكم والرياسة (عبدالله ناصر الحارثي، 2004م، ص 43).

ويصف ابن رزيق ذلك الوضع قائلاً (حميد محمد ابن رزيق، 2016م، ص 51):

### وكادت من ملاحمها عُمانُ يخاطبُ بومها فيها الغرابا

ومن أشهر الصراعات والحروب الداخلية في فترة الدراسة:

الحرب بين الإمام محمد بن أبي غسان وأهل العقر من نزوى في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (أحمد عبدالله الكندي ، 1985م ، ص173).

معركة عقبة بوه بين الملك محمد بن مالك والإمام موسى بن أبي المعالي في عام 579هـ / 1183م (عبدالله حميد السالمي ، 1997م ، ص345).

خروج قبيلة الرّيس على الملك النبهاني كهلان بن عمر بن نبهان في عام 675هـ / 1276م (عبد الله ابن مداد ، 1984 ، ص38).

معركة القواريت التي وقعت بين الأخوين خردلة وجبر من ملوك النباهنة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (أبو بكر أحمد ابن النظر ، 1988م ، ص8).

الغزو الخارجي: إن الموقع الجغرافي لموانئ عُمان جعلها مركزاً مهماً لتجارة العبور استيراداً وتصديراً بين منطقة الشرق الأقصى التي تشمل بلدان الهند والصين ، وجزر الهند الشرقية من جهة ، وداخل مناطق شبه الجزيرة العربية من جهة أخرى فضلاً عن علاقاتها مع أفريقيا الشرقية (حبيب الحخاني ، 1980م ، ص53) ممّا جعل القوى الخارجيّة تتربّص بها ، وقد هبأت الظروف التي تعيشها عُمان آنذاك - من تقفت الوحدة العُمانية وكثرة الصراعات والحروب الداخلية- إلى استفحال الأطماع الخارجية التي سعت أن يكون لها موطئ قدم خاصةً على السواحل العُمانية (فاروق عمر فوزي ، 2008م ، ص153).

ومن الغزوات الخارجية التي تعرضت لها عُمان في فترة الدراسة (عبد الله حميد السالمي ، 1997م ، ص358):

الهجوم الهرمزي(660هـ/ 1261م).

هجوم أهل شيراز (674هـ/ 1275م).

المبحث الثاني: المراكز العلمية في عُمان (6هـ-7هـ / 12م-13م): احتضنت عدد من المدن العُمانية مراكز العلم والعلماء ؛ نظراً لمكانتها السياسية أو الجغرافية أو الدينية ؛ فأصبحت تلك المراكز بمثابة إشعاع ثقافي أسهمت في إبراز نخبةً من العلماء في مختلف العلوم على الرّغم من الأحوال السياسية غير المستقرة التي مرت بها البلاد خلال فترة الدراسة ومن أشهر تلك المراكز العلمية وأهمها:

مدينة نَزْوَى: احتلت مدينة نزوى مكانة سياسية وعلمية ودينية مهمّة منذ القرن الثّاني الهجري/ الثامن الميلادي ، عندما انتقلت العاصمة من صحار إلى نزوى في فترة الإمامة الإباضية الثانية بدءاً من عهد الإمام محمد بن عبدالله بن أبي عفان عام 177هـ/ 793م (عبد الله حميد السالمي ، 1997 ، ص 109) ، لحصانة المدينة وسهولة الدفاع عنها ، ولأنّ من شروط تولي الإمامة أن يكون الإمام عالماً ، فقد أحاط الأئمة أنفسهم بالعلماء حتى سميت نزوى ببيضة الإسلام في عهد الإمام غسان بن عبدالله بن أحمد اليمحمدي(192هـ/808م-207هـ/822 م) ؛ لكثرة العلماء بها(فهد علي السعدي ، 2007م ، ص4) ، وظلت مكانة مدينة نزوى تحتل الصدارة بين المدن العُمانية طوال العصور المتعاقبة ، ولم تتغيّر مكانتها في فترة الدراسة ، حيث استمرت عاصمة للحكم في عهد الأئمة وبعض ملوك النباهنة ، فكانت قبلةً للعلماء والمتعلّمين.

توافد على نزوى العديد من العلماء والطلاب؛ لالتقاء بصفوة العلماء من القضاة والفقهاء والمعلمين، ومن أمثالهم: محمد بن سعيد القلھاتي (ق: 6ھ/12م)، الذي كان يتردد على نزوى ويلتقي بعلمائها، ومنهم العالم المعروف: عثمان بن أبي عبد الله الأصبم (ت: 631ھ/1234م) (سيف حمود البطاشي، 2016م، ص 398). وقد اشتهرت بعض الأسر في نزوى بكثرة العلماء فيها، الأمر الذي ساعد على ظهور ما سُمي بالأسر العلمية، ومن أمثلتها: أسرة سليمان الكندي، ومنها العالم محمد بن إبراهيم بن سليمان الكندي (ت: 508ھ/1115) ومحمد بن موسى بن سليمان الكندي (ق: 6ھ/12م)، وأحمد بن عبدالله بن موسى بن سليمان الكندي (ت: 557ھ/1162م) (عبد الله ابن مداد، 1984م، ص 16).

كما ظهرت أسر علمية أخرى مثل: أسرة محمد بن صالح القرّي (ق: 6ھ/12م)، الذي اشتهر بعلمه، وسارت ذريته على نهجه في العلم والمعرفة ومن أشهرهم: أحمد بن محمد بن صالح القرّي (ت: 546ھ/1151م)، وابنه سعيد بن أحمد بن محمد بن صالح القرّي (ت: 578ھ/1182م) (عبد الله حميد السالمي، 1997م، ص 337)، وقد أُنزى بدوره الحياة الثقافية في عُمان؛ بما تركه من الفتاوى التي شملت جوانب مختلفة (محمد إبراهيم الكندي، 1984م، ص 292)، وتلمذ على يديه مالك بن عبد الله بن عمر الغضفاني (ق: 6ھ/12م)، واستمر الدور العلمي لهذه الأسرة حتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي يظهور العالم أبي الحسن بن أحمد بن أبي الحسن بن سعيد بن أحمد بن محمد بن صالح القرّي (ت: 715ھ/1315م)، حيث كان من الفقهاء المعروفين خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وكان معاصراً للعالم راشد بن عمر بن أحمد بن أبي الحسن النّزوي (حي: 710ھ/1310م)، صاحب كتاب شرح السيرة الكلوية؛ لمحمد بن سعيد القلھاتي (عبد الله ابن مداد، 1984م، ص 35).

كما نبغ علماء آخرون من مدينة نزوى، كان لهم إسهامات فاعلة في الحياة العلمية ومؤلفاتهم تشهد بذلك، مثل: محمد بن وصاف النزوي (ق: 6ھ/12م)، حيث ترك عدة مؤلفات مثل: "شرح الدعائم"، وشرح "القصيدة اللامية"، في الولاية والبراءة لابن النضر، وله أيضاً "منثورة فقهية"، كما برز عالم آخر من بلدة العقير بنزوى وهو: عثمان بن أبي عبد الله الأصبم (ت: 631ھ/1234م)، حيث كانت له مكانة علمية تفرد بها بين أبناء عصره، وبرز أيضاً من نزوى عالم آخر هو: عثمان بن موسى بن محمد الجرمي (ت: 536ھ/1141م)، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "النيف"، وعالم آخر محمد بن أحمد بن إبراهيم الشجبي (ق: 6ھ/12م)، ومن أشهر مؤلفاته: كتاب "مراهم القلوب"، وكتاب "مفتاح الشريعة"، كما ظهر العالم إبراهيم بن محمد بن أحمد السعالي (ت: 565ھ/1169م)، وكان فقيهاً ومفتياً وقاضياً ومعلماً، تلمذ على يديه العالم أحمد بن العفيف بن أحمد بن راشد بن محمد السعالي (ت: 665ھ/1266م) (سيف حمود البطاشي، 2016م، ص 537، ص 318، ص 392). مدينة سَمَائِلُ: تُعد مدينة سمائل منبراً ثقافياً عبر العصور الإسلامية في عُمان؛ وذلك منذ ظهور مازن بن غضوبة في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي وحتى فترة البحث، حيث برز علماء أجلاء أسهموا في إثراء الحياة العملية ومن أمثلتهم: أحمد بن النضر (ق: 6ھ/12م) الذي برع في مجال التأليف ومن مؤلفاته: كتاب "الدعائم"، و "الامية ابن النضر"، وكتاب "سلك الجُمان في سير أهل عُمان"، وله أيضاً "كتاب الوصيد في التقليد"، و"قرى البصر في جمع المختلف من الأثر" (عبد الله بن حميد السالمي، 2014م، ص 76).

ومن علماء سَمَائِلَ أيضًا: العالم عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عمر السَمَوِيُّ (ت: 589هـ/1193م) وكان مُعَلِّمًا ، ومن أشهر تلاميذه: إبراهيم بن محمد بن أحمد السعالي (ت: 565هـ/1169م)، ومالك بن عبدالله بن عمر الغضفاني (ق: 6هـ/12م) ، وقد ترك العالم عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عمر السَمَوِيُّ أجوبة ومسائل فقهية متنوعة ، كما كان ابنه يحيى بن عبدالله بن محمد السموئلي (ق: 7هـ/13م) عالمًا ؛ حيث كتب أجوبة فقهية مختلفة (سرحان سعيد الإزكوي ، 2013م ، ص310).

مدينة مَمَحْ: امتازت منح بمكانة تاريخية موهلة في القدم منذ ما قبل الإسلام ، وتُعد من أوائل المدن العُمانية التي استقرت فيها قبائل الأزدي المهاجرة من اليمن ، حيث اتخذها مالك بن فهم الأزدي قاعدة لانطلاقاته العسكرية ضد الفرس (وزارة التراث والثقافة ، 2013م ، ص487).

تتمتع المدينة بموقعها الجغرافي المهم ؛ حيث تقع على حَطِّ الطريق القادم من نزوى إلى مدينة أدم ، فكانت معبرًا للتجارة التي تُعد من أقدم المهن التي يمارسها السكان ، وتُعد منح محطة للقوافل سواء للقادم من أدم أو من نزوى وإزكي (نادي منح الرياضي ، 1995م ، ص12).  
أتاح هذا الموقع لسكان منح سهولة التواصل مع العاصمة نزوى ، وارتحل الكثير منهم إليها لطلب العلم ، واستقر بهم المقام هناك ، وأصبح بعضهم ذا شأن عند الأئمة ، فكان خير نموذج على ذلك العالم نجاد بن موسى المنحي.

نقل العالم نجاد بن موسى العلم إلى ذريته ، واستمر دورهم الفاعل في الحياة السياسية والعلمية في عُمان ؛ حتى بلغ ذروته عندما اعتلى موسى بن أبي المعالي عرش الإمامة في نزوى (549هـ/1154م - 579 هـ / 1183م) (سرحان سعيد الإزكوي ، 2013م ، ص175) ، ولم يتوقف الدور العلمي لهذه الأسرة حتى القرن السابع الهجري / الرابع عشر الميلادي ، حيث خرج منهم الفقهاء الذين تركوا مسائل فقهية متنوعة ، كما عمل معظمهم في القضاء مثل: كهلان بن موسى بن نجاد ويكنى بأبي المعالي ، ولم تُحدِّد المصادِرُ تاريخ مولده أو وفاته ، ومنهم أيضا معمر بن كهلان ، ويكنى بأبي الجمهور ، وتوفي في يوم الجمعة 4 من جمادى الأولى عام 589هـ/7 مايو 1193م ، وعمره يناهز ثمانين وثلاثون سنة (عبد الله ابن مداد ، 1984م ، ص33) ، وكذلك موسى بن كهلان ويكنى بأبو المكيال ، وتوفي في شوال عام 615هـ/ يناير 1219م (حميد محمد ابن رزيق ، 2009م ، ص300).

ومما يشير إلى مكانة أسرة نجاد بن موسى في المجتمع العُماني خلال تلك الفترة ، تسمية عين ماء في منح ، بعين بني نجاد (سيف حمود البطاشي ، 2016م ، ص354).

وقد ظهرَ عَدَدٌ مِنَ العُلَمَاءِ في مَمَحْ ، شاركوا في الحياة العلمية في عُمان مثل: أحمد بن عمر بن أبي جابر ، حيث كان قاضيًا وفقيهًا في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي - بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، وكان له دور سياسي فاعل في عصر الإمام راشد بن علي ، وكان من جملة العلماء الذين شهدوا توبة الإمام ، وترك العالم أبو بكر أحمد بن عمر ، آثارًا علمية متنوعة منها جواباتٌ ورسائلٌ ومسائلٌ فقهيةٌ وعقديةٌ ،

توفي أبو بكر أحمد بن عمر في يوم الأربعاء 18 رمضان عام 502هـ/20 إبريل 1109م (سرحان سعيد الإزكوي ، 2013م ، ص313).

ومن علماء منح أيضاً: أبو حفص موسى بن أحمد المنحفي ويكنى بأبي علي ، وصالح بن محمد المنحفي (سيف حمود البطاشي ، 2016م ، ص528).

مدينة بُهَلا: كانت مدينة بهلا إحدى الحواضر العلمية والسياسية ، التي تَزَايَدَ نَشَاطُهَا الْعِلْمِيُّ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ ؛ حَيْثِ اسْتَقْبَلَتْ الطُّلَّابَ مِنْ دَاخِلِ عُمَّانِ وَخَارِجِهَا بِفَضْلِ كِفَاةِ عِلْمَائِهَا ، كَالْعَالِمِ أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَةِ السَّلِيمِيِّ (ق:4هـ/11م) ، الْمَلَقْبُ بِشَيْخِ الْمَغَارِبَةِ (علي حسن اللواتي ، 2011م ، ص205) ، وَقَدْ اسْتَمَرَّ دَوْرُ بَهْلَا الْعِلْمِيِّ خِلَالَ فِتْرَةِ الدِّرَاسَةِ ، لِاسْمِهَا أَنِهَا اكْتَسَبَتْ مَكَانَةً سِيَاسِيَةً بَعْدَ أَنْ اتَّخَذَهَا النِّبَاهَنَةُ عَاصِمَةً ثَانِيَةً لِحُكْمِهِمْ بَعْدَ نَزْوَى فِي الْفِتْرَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ حُكْمِهِمْ ( 549هـ-906هـ / 1154م-1500م ) ، حَيْثُ بَرَزَ مِنْهَا عِلْمَاءٌ كَانُوا لَهُمْ نَشَاطٌ عِلْمِيٌّ وَاضِحٌ مِثْلُ: الْعَالِمِ يَزِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَهْلَوِيِّ (ق:6هـ/12م) ، وَهُوَ كِتَابٌ "مَخْتَصَرٌ فِي النَّحْوِ" ، وَابْنُهُ الْعَالِمُ عَادِي بْنُ يَزِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَهْلَوِيِّ (ق:7هـ/13م) (سيف حمود البطاشي ، 2016م ، ص394) ، وَكَانَ فَقِيهًا مَتَمَكِّنًا ، فَمِنْ تَرَاثِهِ الْفِقْهِيَّةُ: مَسْأَلَةُ فِي كَيْفِيَّةِ تَأْدِيَةِ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ مَا يَذْكَرُ فِي تَأْدِيَتِهَا مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ عِنْدَ الْقِيَامِ لِلصَّلَاةِ (محمد ابراهيم الكندي ، 1984م ، ص58) ، وَكَانَ لُغَوِيًّا حَيْثُ أَلَّفَ كِتَابًا فِي النَّحْوِ ، وَهُوَ كِتَابٌ " شَرْحُ الْقَصِيدَةِ الْحُلَوَانِيَّةِ لِلشَّيْخِ الْقَلْهَاتِيِّ " كَمَا اسْتَشْهَرَ بِمَهَارَتِهِ فِي نَظْمِ الشُّعْرِ (سيف حمود البطاشي ، 2016م ، ص474) ، وَلَمْ تُحَدِّدِ الْمَصَادِرُ تَارِيخَ وَفَاتِهِ .

ومن علماء بهلا أيضاً العالم: عمر بن سعيد بن راشد بن ورد البهلوي وقد عاش في النصف الأخير من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي- النصف الأول من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي وكان فقيهاً وشاعراً ، وله مؤلفات كثيرة ومتنوعة ساعدت في إثراء الحياة العلمية في عُمان في تلك الفترة (سيف حمود البطاشي ، 2016م ، ص514).

مدينة الرُّسْتَاقُ: برزت مكانة مدينة الرستاق بعد عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي في عام 272هـ/ 885م ، حيث قامت حركة معارضة خرجت من الرستاق إلى نزوى عاصمة الإمامة آنذاك ؛ للإطاحة بالإمام الجديد راشد بن النضر اليحمدي (272هـ / 885م - 276هـ / 889م) (عبد الله بن حميد السالمي ، 2014م ، ص213 ، ص215 ، ص237).

واستمرت قضية عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي محور النقاش والجدل بين علماء عُمان ما بين مؤيد ومعارض لقضية العزل ، حتى تبلورت نتيجة لذلك الطائفتين الرستاقية والنزوانية .

اكتسبت الرستاق مكانة سياسية مهمة ، عندما أصبحت عاصمة لأئمة الطائفة الرستاقية في (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) (محمد عامر المعولي ، 2014م ، ص172). ومن أبرز علماء مدينة الرستاق في فترة الدراسة: عمرو بن علي المعقدي ويكنى بأبي سعيد ، نشأ في قرية وبل التابعة للرستاق ، وعاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري /

الثاني عشر الميلادي؛ ويَضْحُحُ ذَلِكَ مِنْ خلال تأريخ الجواب الذي كتبه المعقدي في الرضاع عام 588هـ / 1192م (عمرو علي المعقدي، المخطوط رقم 907، الورقة 236/ أ) ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته ولا وفاته، وكان له دورٌ كبير في الحياة العلمية من خلال ما ترك من مؤلفات علمية متنوعة، منها: "منشورة المعقدي"، وكتاب "الصلاة والصلة"، وجوابات فقهية (سيف حمود البطاشي، 2016م، ص475).

#### المبحث الثالث أماكن التعليم ونظامه في عُمان:

حرص المسلمون على تعليم أبنائهم وتأديبهم، فانتشرت أماكن مخصصة للتعليم في كل أرجاء العالم الإسلامي، ومنها عُمان، وإن اختلف بعضها في التسمية، كما كان لكل مكان تعليمي نظامه الخاص به؛ من حيث المبنى وطرق التعليم والمواد التي تدرس فيها. وسيتناول هذا المبحث أماكن التعليم ونظامها، والتي كان لها دور في نشر التعليم في عُمان وهي كالتالي:

المدارس (الكتاتيب): انتشرت المدارس في القرى والبلدان العُمانية و كانت تُعرف بالمدارس (محمد إبراهيم الكندي، 1984م، ص244) على عكس ما كان متعارف عليه في العالم الإسلامي حيث كانت تسمى بالكتاتيب، ولم تستعمل كلمة كتاتيب بشكل واسع في عُمان، ولكن وردت بعض الإشارات القليلة إلى كلمة كِتَاب أو مكتب، كما هو الحال عند ابن النضر في قوله (أبو بكر أحمد ابن النظر، 1988م، ص119):

وبنحو المكتاتيب للمكتاتيب حين يبيع بسلامة دفن

أما القائمون على التعليم في هذه المدارس، فكانوا يُسمونهم مُعَلِّمِينَ، ويُدعى المتعلمون، بالصبيان (محمد إبراهيم الكندي، 1985م، ص69).

كانت هذه المدارس عبارة عن مبنى من الطين أو الجص، ومنها ما كان مبني من السَّعْفِ وجذوع النخيل، ومنها ما كان في الحصون، وتحت ظل الأشجار، أو في بيوت المعلمين أو المجالس والسبل العامة (أحمد يحيى الكندي، 2009م، ص55).

وقد كانت لهذه المدارس، أوقاف يصر من ريعها على صيانتها وإصلاحها و مساعدة الطلاب الفقراء، ليتسنى لهم التفرغ للدراسة (عبدالرحمن أحمد السليمان، 2011م، ص282-ص283)، وما يؤكد على حجم تلك الأموال الموقوفة أنها كانت مثار طمع بعض ضعاف النفوس من الحكام، مثل: خردلة بن سماعة النهاني ملك سَمائل (ق: 6هـ/12م) (أبو بكر أحمد ابن النظر، 1988م، ص6).

وقد بادر الكثير من العامة مِمَّن لديهم السعة في المال في بناء المدارس، وكذلك العلماء، ومن جملة العلماء الذين شاركوا في بناء المدارس مثل: العالم أبو بكر أحمد بن محمد بن صالح القرني الذي أقام مدرسة لتدريس علوم الشريعة وأصول الدين في غلافقة التابعة لبلدة العقر في نزوى (ناصر منصور الفارسي، 1994م، ص126)، كذلك أنشأ العالم أبو علي الحسن بن أحمد بن عثمان العقري مدرسة في قرية العقر من أعمال نزوى (سيف حمود البطاشي، 2016م، ص321).



لم تكن هناك سنٌ محدَّدةٌ يسمح فيها للصبيان بدخول المدارس ، وقد أشار الكندي إلى أنَّه من الممكن استنباط السنِّ المناسبة للتعليم (أحمد عبدالله الكندي ، 1983م ، ص 233) من خلال حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال: " علِّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر سنين" (محمد بن عيسى الترمذي ، 1997م ، ص 432)، وقد يدخل الطفل للمدرسة وهو في عمر الخامسة أو السادسة إذا التمس أهله منه نبوغاً وذكاءً (خالد عبد الرحمن القاضي ، 2008م ، ص 128).

أما بالنسبة للمواد المقرَّرة في المَدارس فكان أوَّل ما يتعلَّمونه القراءة والكتابة ، ثم يتعلَّمون مبادئ علم النحو (محمد إبراهيم الكندي ، 1984م ، ص 126)، وبعدها يتعلمون كتابةً فأنحة القرآن وكتابةً اسميهم ، ثم ينتقلون إلى قراءة جزء عمٍّ ، وأخيراً يقرأون القرآن بترتيبه العادي (دي إيكلمان ، 1980م ، ص 223). كما حرص المعلِّمون على تعليم الصبيان مبادئ الأخلاق الإسلامية الفاضلة التي ترمي إلى تنشئة الصبي تنشئةً إسلاميةً صحيحةً ، واهتمَّ المعلِّمون أيضاً بتعليم الصبيان أحكام الطهارة (أحمد عبد الله الكندي ، 1983م ، ص 233).

اتبع المعلِّمون طرق التلقين والتكرار ثم الحفظ والاستظهار في التدريس (علي محمد مفتاح ، 2015م ، ص 175)، فكان المعلم يقرأ الآية القرآنية على الصبيان ويكرر قراءتها ثلاث مرات حتى يستطيع الطلاب حفظها بالنطق الصحيح وتروُّخ في أذهانهم (نجاد بن موسى المنحي ، المخطوط رقم 158 ، الورقة 6 / أ) كما استخدم المعلم طريقة الإملاء ، فكان يكتب للمتعلِّمين في ألواحهم (عمرو علي المعقدي ، المخطوط رقم 1462 ، الورقة 59 / أ) الآيات المراد حفظها (محمد إبراهيم الكندي ، 1984م ، ص 124)، حتى يتم حفظ السورة قراءة وكتابة.

كان الصبي إذا وصل إلى درجة تلاوة القرآن بكامله يعرف بـ " خاتم القرآن" (دي إيكلمان ، 1980م ، ص 227)، وهنا تنتهي مرحلة تعليمه في المدرسة ، فيصبح أمام الصبي خياران: إمَّا أن يكمل تعليمه وذلك بالتحاقه بحلقات العلم التخصصية في المساجد أو المجالس ، أو يكتفي بما تعلَّمه في المدرسة ؛ لينطلق بعد ذلك ليسأهم اقتصاديا مع أسرته ، وغالبا ما كان الصبيان يسلكون هذا المسلك ؛ لحاجة عوائلهم لمساهماتهم الاقتصادية (علي حسن اللواتي ، 2011م ، ص 192).

المساجد: تعددت أدوار المساجد فلم يقتصر دورها على الجانب الديني فقط وإنما شملت كل نواحي الحياة في المجتمع الإسلامي ، بما فيها الناحية التعليمية ، ولقد اشتهرت المراكز العلمية في عُمان بكثرة المساجد فيها ، مثل: نزوى ، وبهلا ، والرستاق ، ومن أمثلة هذه المساجد التي كان لها دور تعليمي بارز: مسجد الشواذنة الذي بُني في 8هـ / 629م في نزوى (منصور ناصر الفارسي ، 1994م ، ص 29)، واستمر دوره التعليمي طوال العصور المتعاقبة ومنها فترة الدراسة ، حيث أسهم عدد من العلماء من خلال الحلقات العلمية التي أقاموها في هذا المسجد في نشر العلوم ، و جامع البياضة في قلعة الرستاق ، ويعود تاريخ إنشائه إلى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، وكان صرحاً علميا تدرس فيه العلوم الشرعية والأدب واللغة وتخرِّج منه عدد كبير من العلماء (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 1995م ، ص 30).

كان التعليم في المساجد يتم بنظام الحلقات ، حيث كان المعلم يجلس في وسط المسجد وهو مستقبل القبلة ، ثم يتحلَّق حوله المتعلمون في حلقة مغلقة ويقوم أحد الطلاب بقراءة كتاب معين ، وبين الفترة والأخرى يشرح للمتعلِّمين ما ورد في ذلك الكتاب ، وبعد الانتهاء منه ينتقلون إلى كتاب آخر وهكذا ، كما

اتبع المعلّمون أيضًا طريقة أخرى في التعليم في المساجد، حيث يقرأ كلُّ متعلِّمٍ أو مجموعة منهم كتابًا معينًا، بينما يقرأ الآخرون كتابًا آخر في فَنِّ مختلف من فنون العلم، ويعقب عليهم المعلم بإيضاح ما يغمض عليهم في الكتاب ويناقدشهم(عبد الرحمن أحمد السليمانى، 2011م، ص 290).

كانت تُدرّس في المساجد علوم الشريعة وعلوم اللغة، والطب وتفسير الأحلام (خميس سعيد الشقصي، 2006م، ص 60-ص 61). إضافة إلى مبادئ علم الحساب (محمد ابراهيم الكندي، 1984م، ص 126)، كما تعلموا فنونًا أخرى كالشعر(خميس سعيد الشقصي، 2006م، ص 59-ص 60)، وعلم التاريخ الذي نجد تأثيره واضحًا في أشعار ابن النضر، حيث يستشهد ببعض الأحداث التاريخية قائلًا (أبو بكر أحمد ابن النظر، 1988م، ص 86):

وما أغنى عن الزبَاءِ حِصْنٌ عَشِيَّةٌ حَلَّ عَقُولَهَا قَاصِرُ

أما بالنسبة للأشعار فكانت غالبًا لا تُدرّس في المساجد لقدسية المكان (أحمد عبد الله الكندي، 1983م، ص 19)، ولقد جمع المتعلمون بين تلك العلوم فتتخرّجوا من هذه المساجد علماء موسوعيين ومؤلفاتهم خير شاهد على ذلك (محمد ناصر المنذري، 2006م، ص 81).

أسهم الوقف في استمرار الحلقات التعليمية في المساجد (أحمد عبد الله الكندي، 1983م، ص 32)، من خلال توفير الإضاءة المطلوبة في الفترات المسائية للقراءة؛ فأمست المساجد عامرة بالتعليم ليلاً ونهارها (خالد محمد الرحي، 2016م، ص 160)، وكان غالب نوع الوقف من الأموال الخضراء كالبساتين وممّا يدل على ذلك: عدد البساتين الموقوفة لجامع نزوى، حيث بلغت إحدى وثلاثون بستانًا، كما توجد أوقاف للجامع مشتركة مع مساجد أخرى وعددها تسع بساتين (يحيى سالم الهاشلي، 1996م، ص 185).

المكتبات: تنوعت المكتبات إلى مكتبات عامة وأخرى خاصة؛ وعادة ما تكون المكتبات العامّة ملحقة بالمساجد، وما يشير إلى وجود مثل هذا النوع من المكتبات في فترة الدراسة، الحريق الذي أحدثه آل الرئيس في عقر نزوى عام 675هـ /أبريل 1276م، والذي امتدَّ إلى مخازن المسجد الجامع المتصلة به وأحرقوا الكتب (سرحان سعيد الإزكوي، 2013م، ص 180)، وقد تكون المكتبات العامّة ملحقة بالسبيل (المجالس) العامّة التي تكون ملتقى لأهل الحي، سواء أكانت في مبنى مستقل أم ملحقة بالقلاع والحصون(وزارة التراث والثقافة، 2013م، ص 3443) أما النوع الثاني من المكتبات فهي المكتبات الخاصة، حيث كانت بيوت العلماء غالبًا ما تحتوي على مكتبة تضمُّ الكثير من الكتب مثل: مكتبة ابن النضر، التي أحرقها ملك سمائل خردلة بن سماعة النبهاني (عبد الله حميد السالمي، 1997م، ص 361).

**القلاع والحصون:** كانت القلاع والحصون المركز الإداري والسياسي والعسكري في عُمان وبالإضافة إلى ذلك كان لها دور تعليمي مهمُّ أسهمَ في نُشر المعرفة، حيث كانت القلاع تحوي في داخلها مساجد وغرف خُصِّصَ بعضها لتدريس القرآن الكريم، فكانت بمثابة مدارس يتلقّى فيها الصبيان التعليم، كما حوت القلاع والحصون المجالس التي كانت تعرف عند الفُهمانيين بالبرزة، حيث أسهمت في نشر العلم والمعرفة بين الناس، فكان الحاكم أو الوالي هو من يدير الاجتماعات في البرزة؛ وذلك للاستماع إلى مشاكل الناس وحاجاتهم، وكان يحيط به العلماء والقضاة، لحاجة الناس إليهم في بعض الفتاوى الفقهية (وزارة التراث والثقافة، 2013م، ص 461)

استخدم ملوك النباهنة هذه المجالس مكاناً لعقد المناظرات الشعرية والتي تنصّب معظمها في مدح الملوك ، فكانت مركزاً أدبياً مزدهراً ، وقد أشار الستالي إلى ذلك وهو يمدح السلطان يعرب بن عمر بن نبهان النبهاني قائلاً(أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصي الستالي ، 1983م ، ص 20):

### وَحَبَّدَا الْمَجْلِسُ الْمَأْنُوسُ يُحْضِرُهُ عَلَى الْمَدَامَةِ أَهْلُ الْحُكْمِ وَالْأَدَبِ

وقد تعددت القلاع والحصون في عُمان ومنها على سبيل المثال: قلعة بُهَلا، حيث اتُّخذت مقرّاً للحكم في فترات تاريخية مختلفة ومنها فترة الدراسة في عهد ملوك النبهانة (عبد الله ابن مداد ، 1984م ، ص 67)، حيث يوجد فيها مسجد صغير ، وبرزتين (وزارة التراث والثقافة ، 2013م ، ص 595-596) ، كذلك حصن سمائل الذي أُنشئ زَمَنَ حكم النباهنة عندما كان خردلة النبهاني مَلِكًا على سمائل ، ويوجد بالحصن مسجدٌ ومدرسةٌ وبرزةٌ (وزارة التراث والثقافة ، 2013م ، ص 1862).

المجالس العلمية ( السَّبِيل ): انقسمت هذه المجالس إلى نوعين: مجالس عامة وتكون ملكاً للأهالي أو الدولة ، والنوع الثاني المجالس الخاصة بالعلماء ، والمجالس العامّة تكون موجودة في القلاع والحصون ، أو تكون في مبنى مستقل وتكون ملكاً عامّاً لأهالي القرية ، ومن الأمثلة عليها مجلس حارة الجرمة في نزوى ، الذي عقد العلماء فيه اجتماعاً في عام 612هـ / 1215م (محمد ابراهيم الكندي ، 1984م ، ص 310) ، كما توجد المجالس العامة ضمن المساجد ، أما المجالس الخاصة فكانت في بيوت العلماء ،( عبد الرحمن أحمد السليماني ، 2011م ، ص 292).

وكان للمجالس حضورٌ علميٌّ واضح في المجتمع العُماني ، حيث أسهمت في إثراء أفكار العلماء العُمانيين وأرائهم من خلال مناقشة مختلف القضايا التي تلامس واقع العُمانيين ، كما كانت مقرّاً لعقد الحلقات العلمية في مختلف العلوم ، كما كان للمجالس في بيوت العلماء أهمية كبيرة ، حيث تردد عليها طلاب العلم والعامّة للاستفتاء في ما يعترضهم من مسائل في جوانب مختلفة (عبد الرحمن أحمد السليماني ، 2011م ، ص 292 ، ص 296).

كان التعليم في المجالس يتم غالباً بطريقة المناظرة والمذاكرة والمدرسة(نجاد موسى المنحي ، مخطوط رقم 158 ، الورقة 8 / ب) ، لاسيّما أن مرتادي المجالس في معظمهم من العلماء دون الطلاب ، ومن أمثلة المناظرات التي قامت بين العلماء خلال فترة الدراسة: المناظرة بين العالم أحمد بن محمد بن صالح ، والعالم أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي ، وكانت حول قضية سياسية ، وهي حرب الإمام محمد بن أبي غسان لأهل العقر في نزوى(أحمد عبد الله الكندي ، 1985م ، ص 190).

أما المواد التي يتمُّ تدارسها بين العلماء في المجالس ، فكانت في معظمها حول إصدار الفتاوى الشرعية في موضوعات مختلفة ، مثل تدارس مجموعة من العلماء في نزوى في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي إحدى المسائل المتعلقة بفقهاء الأسرة ، وهم : عبدالسلام بن سعيد بن أحمد بن محمد بن صالح القري ، والعالم محمد بن سعيد القلهاتي ، والعالم عثمان بن أبي عبدالله الأصبم (محمد ابراهيم الكندي ، 1984م ، ص 403).

خاتمة: توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها:

تمزت الوحدة بين صفوف العمانيين ، بسبب الصراعات الداخلية التي أدت إلى تعدد الزعامات السياسية وبالتالي افتقدت البلاد السلطة المركزية ، مما مهد للغزو الأجنبي الدخول إلى عمان .

-اعتبر العلماء حكام النباهنة مفتصبين للسلطة من الأئمة الشرعيين ، فنعتوهم " بالجبابة" ؛ لأنهم غيروا طبيعة الحكم في عمان فأصبح بهم حكماً ملكياً وراثياً ، بعد أن كان وفقاً لنظام الإمامة الذي يقره المذهب الإباضي ، ويضع له التشريع المستمد من نظام ومفهوم الخلافة الإسلامية ، لذلك تعمّد العلماء الموالمون لنظام الإمامة تجاهل حكم النباهنة حتى في كتاباتهم ، فكان أحد العوامل الأساسية التي ضاع بسببها تاريخ حكم النباهنة على الرغم من طول فترته التي قدرها العلماء اللاحقون لفترة الدراسة والباحثون بخمسة قرون .

-استمرت عدد من المراكز العلمية في عمان مثل: نزوى ، في أداء رسالتها التعليمية على الرغم من عدم استقرار أحوال عمان السياسية ، فكانت قبلة العلماء والمتعلمين من داخل هذه المراكز وخارجها ، فأسهمت في تخريج عدد من طلبة العلم المتميزين ، الذين أثروا بمؤلفاتهم الحياة العلمية في عمان .

-أسهم العلماء في إثراء الحركة العلمية في المراكز حيث قاموا ببناء المدارس وترأس الحلقات العلمية .

-تعددت أماكن التعليم في عمان حيث كانت الحلقات العلمية تُقام في المدارس و المساجد و المجالس .  
تعتبر المدارس (الكتّاب) أهم أماكن التعليم في مرحلة التعليم الأولي حيث يتلقّى فيها الصبيان مبادئ علوم القرآن الكريم والعلوم الأخرى .

-يعتبر التعليم في المساجد والمجالس مكمل لدور المدارس ، حيث ينتقل الطالب إلى مرحلة ما يمكن أن نسبه التعليم العالي ، فيكون المعلم على مستوى علمي أفضل من المعلمين في المراحل الأولية ، ويتوسع الطلاب في تعلّمهم في العلوم المختلفة ، إلا أن عددهم قليل بالمقارنة مع عدد الطلاب في مرحلة التعليم الأولي ، وذلك لانصراف الطلاب إلى العمل بعد مرحلة التعليم الأولي ، لحاجة عوائلهم لمساهمتهم الاقتصادية في الأسرة ، بينما القلّة منهم والذين غالباً ما يكونون من الأسر الميسورة يواصلون تعليمهم ، فيلتحقون بحلقات العلم في المساجد والمجالس .

#### المصادر والمراجع

- عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرمين الأثير (2005م ) ، الكامل في التاريخ ، مج5، دار صادر ، بيروت ، لبنان .  
أبو بكر أحمد بن النضر (1988م) ، الدعائم ، ط 2 ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، عُمان .  
حميد محمد بن رزيق (2016م) ، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان ، تح عبد المنعم عامر ، ط 3 ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، عُمان .  
حميد محمد بن رزيق (2009م) ، الصحيفة القحطانية ، تح محمد حبيب صالح و علّال الصّدّيق الغازي ، ج 5 ، ط 1 ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، عُمان .  
عبد الله بن مداد (1984م) ، سيرة العلامة المحقق عبدالله بن مداد ، سلسلة تراثنا ، العدد56 ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، عُمان .  
الصلت خميس أبو المؤثر (1996م) ، الأحداث والصفات ، تح جاسم ياسين محمد الدرويش ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، عُمان .  
أبو عبدالله محمد محمد بن عبدالله إدريس الإدريسي (2002م) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مج 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر .  
سرحان سعيد الإزكوي (2013م) ، كشف الغمة ، تح محمد حبيب صالح و محمود بن مبارك السليمي ، ج 3 ، ط 2 ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، عُمان .

- دي إيكلمان (1980م)، المعارف الدينية في عُمان الداخلية، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، مج6، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان.
- سيف حمود حامد البطاشي (2016م)، إتفاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ج1، ط4، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون التاريخية، مسقط، عُمان.
- محمد عيسى الترمذي (1997م)، الجامع الكبير، تح بشار عواد معروف، مج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، عُمان.
- عبد الله ناصر الحارثي (2004م)، عُمان في عهد بني نيهان (549هـ-1034هـ/1154م-1624م) الأحوال السياسية والأوضاع الاقتصادية، جامعة السلطان قابوس، مركز الدراسات العُمانية، مسقط، عُمان.
- الحجري، محمد بدر (2002م)، عُمان الشورى في التاريخ السياسي لحكم الإمامة نجاح وإخفاق التجربة (132هـ-1024هـ)، ط1، المؤلف، مسقط، عُمان.
- حبيب الحخاني (1980م)، دور عُمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، مج3، وزارة التراث والثقافة، مسقط، عُمان.
- خالد محمد عدي الرحبي (2016م)، الوقف في نزوى وأثره في الحياة الثقافية والاجتماعية خلال الفترة (4هـ-12هـ / 10م-18م)، رسالة ماجستير تاريخ غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، عُمان.
- عبد الله حميد السالمي (1997م)، تحفة الأعيان، ج1، مكتبة الاستقامة، مسقط، عُمان.
- عبد الله حميد السالمي (2014م)، اللعنة المرضية من أشعة الإباضية، اعتنى بها سلطان مبارك الشيباني، ط1، ذاكرة عُمان، مسقط، عُمان.
- أبو بكر أحمد سعيد الخروصي الستالي (مخطوط رقم 361)، ديوان الستالي، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب، عُمان.
- أبو بكر أحمد سعيد الخروصي الستالي (1983م)، ديوان الستالي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان.
- أبو بكر أحمد سعيد الخروصي الستالي (مخطوط رقم 423)، ديوان الستالي، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب، عُمان.
- عبدالرحمن أحمد بن عبدالله السليماني (2011م)، مدينة نزوى في عهد الإمامة الإباضية الثانية، دار الفرق، دمشق، سوريا.
- خميس سعيد علي الشقصي (2006م)، منهج الطالبين وبلوغ الراغبين، ج1، ط1، مكتبة مسقط، مسقط، عُمان.
- ناصر منصور الفارسي (1994م)، نزوى عبر الأيام معالم وأعلام، ط1، نادي نزوى، نزوى، عُمان.
- فاروق عمر فوزي (2008م)، الموجز في تاريخ عُمان السياسي في القرون الإسلامية الأولى 1هـ-906هـ / 622م-1500م، ط1، دار مجدلاوي، مسقط، عُمان.
- خالد عبد الرحمن القاضي (2008م)، الحياة العلمية في مصر الفاطمية (466هـ-1074م/567هـ-1171م)، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان.
- أحمد عبد الله موسى الكندي (1983م)، الجوهر المقتصر، تح سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان.
- أحمد عبد الله بن موسى الكندي (1985م)، الانتهاء والمنتخب من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وأئمة وعلماء عُمان، تح سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان.
- أحمد عبد الله موسى الكندي (1983م)، المصنف، ج1، ج2، ج19، ج28، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان.
- أحمد يحيى الكندي (2009م)، الوقف التعليمي في عُمان وأثره على الحركة العلمية، ندوة الوقف في عُمان بين الماضي والحاضر، مج2، مركز الدراسات العُمانية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، عُمان.
- محمد إبراهيم الكندي (1984م)، بيان الشرع، ج1، ج4، ج11، ج42، ج48، ج57، وزارة التراث والثقافة، مسقط، عُمان.
- علي حسن خميس اللواتي (2011م)، تاريخ عُمان الحضاري من القرن الرابع الهجري حتى القرن السادس للهجرة دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، عُمان.
- مجهول (1986م)، السير والجوابات، تح سيدة إسماعيل كاشف، ج1، وزارة التراث والثقافة، مسقط، عُمان.
- علي حمود سيف المحروفي (2013م)، قرية العقر بولاية نزوى العُمانية دراسة تاريخية عمرانية خلال الفترة (1276م-1680م)، رسالة ماجستير في التاريخ غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، عُمان.

- عمرو علي المعقدي (مخطوط رقم 907) ، الصلاة والصلة ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي ، السيب ، عُمان.
- عمرو علي المعقدي (مخطوط رقم 1462) ، منثورة المعقدي ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي ، السيب ، عُمان.
- محمد عامر راشد المعولي (2014م) ، قصص وأخبار جرت في عُمان ، تح سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي ، ط 2 ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، عُمان.
- علي محمد مفتاح (2015م) ، الحياة الفكرية والعلمية في أقاليم الخلافة الشرقية من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ( إقليم سجستان أنموذجاً) ، ط 1 ، المركز الدولي للخدمات الثقافية ، بيروت ، لبنان.
- نجاد موسى نجاد ابراهيم المنحي (مخطوط رقم 158) ، الأكلة وحقائق الأدلة ، ج 1 ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي ، السيب ، عُمان.
- محمد ناصر راشد المنذري (2006م) ، الحياة الفكرية في الرستاق ، ندوة الرستاق عبر التاريخ 6-7 شعبان 1422هـ / 23-24 أكتوبر 2001م ، ط 2 ، المنتدى الأدبي ، مسقط ، عُمان.
- نادي منح الرياضي (1995م) ، منح عناق الأصالة والمعاصرة ، ط 1 ، نادي منح الرياضي ، منح ، عُمان.
- يحيى سالم الهاشلي (1996م) ، أوقاف المساجد في عُمان بين الماضي والحاضر ، ندوة الوقف في عُمان بين الماضي والحاضر ، مج 1 ، مركز الدراسات العُمانية ، جامعة السلطان قابوس ، مسقط ، عُمان.
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (1995م) ، دليل المساجد في مسقط ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، مسقط ، عُمان.
- وزارة التراث والثقافة (2013م) ، الموسوعة العُمانية ، مج 2 ، مج 5 ، مج 9 ، ط 1 ، مسقط ، عُمان.
- Badr Hilal Khalifa Al-Alawi (2003), Oman and the Islami Caliphate(11-447/632-1055), Un published thesis Ph.D, Manchester University, Manchester.
- John Wilkinson C(1987), The Imamate tradition Of Oman, C1, Cambridge University Press, New York.

### الفكر السياسي العُماني (ق 2-3 هـ)

Omani Political School of Thought (2nd and 3rd Centuries Hijri)

أ. أحمد بن حميد التوبي - وزارة التربية والتعليم - سلطنة عُمان

Researcher: Ahmed Humaid Al Tobi, Ministry of Education, Sultanate of Oman

#### مقدمة

ارتبطت عُمان بالدولة الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى نهاية العصر الراشدي ، على الرغم من الحكم الذاتي الذي أعطي للعُمانيين في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، واستقلت مع بداية الدولة الأموية.

ونظراً لموقع عُمان الهام حاولت الدولة الأموية إعادة السيطرة عليها ، وقد نجحت منذ عهد عبد الملك بن مروان ، وظلَّ العُمانيون يتحينون الفرصة للاستقلال حتى استطاعوا الاستقلال مع نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية مستغلين الأوضاع التي تمر بها الدولة الإسلامية عام 132 هـ.

وخلال الفترة من الثلث الأول من القرن الثاني الهجري وبالتحديد بداية من عام 132 هـ عاشت عُمان قيام نظام جديد في الحكم تمثل في نظام الإمامة ، وقد تبلور هذا النظام في ظل مدرسة الفقه الإباضي التي أرسى دعائمها الإمام جابر بن زيد الأزدي (ت 93 هـ) ، وترسَّخ خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين بسبب تجربة هذا النظام الذي مرت به عُمان فيما عرف بالإمامة الأولى الثانية.

وقد يختلف الفكر السياسي العُماني في موضوع الإمامة والذي ارتبط بالفقه الإباضي عن الإمامة في المدارس الفقهية الأخرى ، وليس الهدف من الدراسة المقارنة بين المدرسة الإباضية والمدارس الفقهية الأخرى أو تقديم أي منها على الأخرى ولكن تقديم ما هو عليه الفكر السياسي العُماني خلال فترة الدراسة.

وستتناول الدراسة فصلاً تمهيدياً عن تاريخ عُمان في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، وثلاثة فصول ، حيث سيتناول الفصل الأول نظام الحكم في عُمان كفكر سياسي جديد موسوم بالإمامة ، أما الفصل الثاني فسيتحدث عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم في ظلَّ نظام الإمامة والذي حدده العلماء ، كما سيتناول الفصل الثالث دور أهل الحل والعقد ودور القبيلة في السياسة والحكم.

**الفصل التمهيدي: تاريخ عُمان في القرنين 2 و3 هـ:** ظلت عُمان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وطوال العصر الراشدي تابعة للخلافة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومع قيام الدولة الأموية نأت عمان بنفسها واستقلت سياسياً ، واستمر الحال هكذا حتى تولَّى الحكم عبد الملك بن مروان فأخذ والي العراق الحجاج بن يوسف يرسل الجيوش للسيطرة على عُمان (حميد بن محمد بن رزيق ، 2001م ، ص 187 ، عبد الرحمن السليمان ، 2011م ، ص 51) ، واستطاع في حملته الأخيرة التي كانت بقيادة مجاعة بن شعوة أن ينتصر ، فولَّى الأمويون الولاة على عُمان ، ومنهم والي زياد بن المهلب وهو من أصل عُماني (حميد بن محمد بن رزيق ، 2001م ، ص 187-190).

ومع قيام الدولة العباسية جعل أبو العباس السفاح أخاه أبو جعفر المنصور على العراق ، وجعل أبو جعفر المنصور على عُمان جناح بن عبادة الهنائي واليا ، ثم ولى بعده ابنه محمد بن جناح ، وقد استقلت عُمان في عهده حيث أعلن العمانيون قيام الإمامة الأولى بمبايعة الجلندي بن مسعود إماما (132- 134 هـ) وقد حدثت في عهده معركة جلفار الأولى بين العمانيون وشيبان الإشكري زعيم الصفرية وانتصر فيها العمانيون ، ثم معركة جلفار الثانية عام 134 هـ بين العمانيون بزعامة الإمام الجلندي والعباسيين بزعامة خازم بن خزيمه وانتصر فيها العباسيين(حميد بن محمد بن رزيق ، 2001م ص 195).

واستخدم العباسيون ولاة على عمان من أهلها ينتمون إلى آل الجلندي حكام عمان السابقين مثل راشد بن النظر ومحمد بن زائدة (134- 177هـ) حيث كانت فترة مضطربة مليئة بالصراعات (فاروق عمر فوزي ، 2008م ، ص 81).

لم يقف العمانيون عند هذا الوضع السيئ واستطاعوا بقيادة العلماء إقامة الإمامة الثانية ، حيث بويع أول إمام محمد بن أبي عقان الأزدي(حميد بن محمد بن رزيق ، 2001م ، ص 197) عام 177 هـ ، وبدأت إمامته ومن جاء بعده بالخروج من الوضع السيئ الذي كانت تعيشه عُمان إلى الوحدة والقوة.

ويمكن أن نعدد حكام عُمان من الأئمة خلال هذه الفترة وهم: الإمام الجلندي بن مسعود (132- 134 هـ) والإمام محمد بن أبي عقان الأزدي (177- 179 هـ) والإمام الوارث بن كعب الخروصي (179- 192 هـ) والإمام غسان بن عبدالله (192- 207 هـ) والإمام عبد الملك بن حميد (208- 226 هـ) الإمام المهنا بن جيفر اليمحديالخروصي (226- 237 هـ) والإمام الصلت بن مالك الخروصي (237- 273 هـ) والإمام راشد بن النظر اليمحديالخروصي (273- 277 هـ) والإمام عزان بن تميم الخروصي (277- 280 هـ) وفي نهاية عهد هذا الإمام وصل محمد بن بور إلى عُمان وأدى ذلك إلى مقتل الإمام عزان في المعركة التي دارت بين الطرفين ، وجعل محمد بن بور على عُمان عاملا اسمه أحمد بن هلال(محمد بن عبدالله السالمي ، 2014م ، ص ص 105-111) ، حيث انتهت الإمامة العُمانية الثانية.

**الفصل الأول: نظام الحكم في عُمان (3-2 هـ):** يعتمد العمانيون على المدرسة الإباضية في نظام الحكم ، ولم تعتمد هذه المدرسة على فكر نظري بعيد عن الواقع ، فمع اعتمادهم على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين إلا أنهم اعملوا فقه المصلحة وربطوا ذلك بالمجتمع ، فجاءت مبايعة الإمام الجلندي بن مسعود (132- 134 هـ) انتصارا على حالة التنافس القبلي التي كانت تسود في المجتمع العماني (عبد الملك بن عبدالله الهنائي ، إبريل 2003م ، ص 40).

وقد اهتم العمانيون بموضوع الإمامة ، فالإمامة واجبة ولا يختلف على وجوبها وإن اختلفوا فيمن يقوم بها ، لقوله سبحانه وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ" ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله "أطيعوا ولاة أموركم" وقوله لمعاذ رضي الله عنه "ولا تعص إماما عادلا" ( أبو بكر احمد بن عبدالله الكندي ، 1983م ، ص 23) ، وقد اعتمد العمانيون في هذا الفكر على مبدأ الشورى خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين فترة الدراسة ، فكانوا -كما يقول خليفات-: "وحدهم الذين طبقوه في الحكم بعد الخليفين أبي بكر وعمر" (عدون جهلان ، 2010م ، ص 211) ومع أهمية الشورى فلا بد من ذكر قول علي يحي معمر (ق 14 هـ): "إمام المسلمين سواء جاء بطريق الشورى أو بغيره ، إذا كان عادلا تجب طاعته والخروج



عنه فسق ، وإذا جار جاز البقاء تحت حكمه ولا يطاع في معصية وجاز الخروج عليه " ، مما يدل على تطور هذا الفكر حسب مقتضيات العصر ، فظهر الاعتناء بتحقيق الإمامة لوجوبها أكثر من طريقة الوصول إليها ، وبالتاليفان تحقيقها واجب مع تحقق الشروط مثل استبداد الحاكم وإجماع عدد من العلماء (حسين عبيد غانمغباش.1997م. ص 67). ومن هنا فإن القيام بالإمامة "لازم للمسلمين ولا يسعهم تركه بعد القدرة عليه" (أبو بكر احمد بن عبدالله الكندي ، 1983م ، ص 24).

وقد اختلفت الإباضية عن بقية المدارس في موضوع الإمامة في كونهم لم يحصروها في قریش وإذ لم تكن بصدد مناقشة هذا الرأي ، فإن العمانيين قد جعلوا العصبية والعشائرية جانبا ؛ فليس من شرع الله أن يعامل الناس بقدر مكانة قبيلتهم(محمد صابر عرب ، 2013م ، ص 75-76) ، ويستدل على ذلك بأن هذه القضية قد أثرت مباشرة بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عندما اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة حيث قال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير" ولم يظهر موضوع القبليّة في هذه اللحظة المهمة من تاريخ الأمة.

وأنواع الإمامة عند العمانيين حسب المدرسة الإباضية أربعة وتسمى مسالك الدين ، وهي إمامة الظهور وإمامة الدفاع وإمامة الشراء وإمامة الكتمان ، وإمامة الظهور يظهر فيها النشاط السياسي وتقام فيها الشرائع والقوانين وتقوم فيها الحكومة بمعناها الحالي يعملها في الدولة ، أما عندما ينحسر النشاط السياسي فتسمى بإمامة الكتمان وتبقى حصرا على الشأن الديني مع التواصل بين العلماء للنظر في إمكانية الانتقال إلى حالة أخرى من حالات أو أنواع الإمامة ، أما إمامة الشراء ويقصد بالشراء بيع الدنيا في سبيل الآخرة ، فمعناها إعلان الحرب على الحاكم بشرطين: أن يبلغ الاستبداد والتسلط بحيث لا يمكن أن يحتمل ، وأن يتفق أربعون عالما على ضرورة الانتقال إلى مرحلة الشراء مع الاستعداد للمساهمة في الثورة على السلطة الحاكمة ، أما إمامة الدفاع فتكون في حالة وجود تهديد خارجي للبلد أو للإمامة ،ويمكن أن تكون إمامة الدفاع في حالة وجود الحركة في السلطة أو عدم وجودها ، ويمكن لإمام الشراء أو إمام الدفاع أن يتحوّل إلى أئمة ظهور حسب رأي أهل الحل والعقد (حسين عبيد غانم غباش ، 1997م ، ص 68-70).

ويشترط الفكر السياسي عند العمانيين لإعلان الإمامة أن يكون أهل الدعوة أي من يساندونها أربعين رجلا أحرارا بالغين عاقلين أصحاء ليس منهم أعمى وأن يكون فيهم على الأقل ستة رجال من أهل العلم بأصول الدين والفقهاء أي من العلماء المصلحين .(عبد الله أم بوسعيد ، 2003م ، ص 98).

ويتم اختيار الإمام ومبايعته وفق خطوات تأتي بعد أن يكون منصب الإمامة شاغرا أو يكون الوضع مناسباً لإعلانها ، وتمثل أولا في الترشح باختيار المناسبين لهذا المنصب والذين تتوفر فيهم الشروط المناسبة مثل العلم والورع والشجاعة والعدل وغيرها ، ثم تتم المفاوضات بين أعضاء مجلس الشورى –أهل الحل والعقد- ويتم الاختيار وربما لا يحصل الاجماع التام وبالتالى يتم الأخذ برأي الأغلبية ، ومن الطرق الأخرى أن يجتمع المرشحون للإمامة من طرف الإمام السابق ويختاروا من بينهم من يروونه مناسباً ، أما أهل الحل والعقد فيكون دورهم هنا الإشراف والمراقبة والتزكية ، وبالتالى فإن طريقة الترشح والاختيار تختلف باختلاف الظروف كما هو الحال عند مبايعة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم(عدون جهلان ، 2010م ، ص 222-224).

وبعد الترشيح واختيار المناسب يتم مبايعته ، وتم البيعة من طرف الخاصة وهم أهل الحل والعقد ثم من بقية المسلمين برضاهم له وقبولهم لخلافته (عدون جهلان ، 2010م ، ص 225) ، وتأخذ البيعة شكل العقد بين الإمام والرعية حيث يكون من الرعية الطاعة للإمام وعلى الإمام أن يقوم بواجباته (فاروق عمر فوزي ، 2008م ، ص 70) ، وبالتالي يلزم هذا العقد الطرفين القيام بمسؤوليتهما وعدم الإخلال بها.

**الفصل الثاني: العلاقة بين الحاكم والمحكوم:** يعتمد هذا الفكر على الشورى ، ولذلك فإن هذه العلاقة تتمثل أولا في اختيار الحاكم ، حيث أن المجتمع العماني ممثلا في علمائه وأعيانه المعروفين بأهل الحل والعقد هم الذين يقومون باختيار الإمام (عبد الملك الهنائي ، ص 41) ، وقد أكد العالم العماني موسى بن أبي جابر -من علماء القرن الثالث الهجري- على أن إقامة الإمامة من خلال اختيار الحاكم ونصبه أمر واجب شرعا وهو ما أجمعت عليه الأمة (عبد الملك الهنائي. إبريل 2003م ، ص ص43 ، 44) ، ولذلك فقد استطاع العمانيون منذ منتصف القرن الثاني الهجري إقامة سلطة على رأسها الإمام تستمد مشروعيتها من الشعب الذي اختار هذا الإمام (محمد صابر عرب ، 2013م ، ص 135) وتمثل ذلك في اختيار الجلندي بن مسعود كأول إمام على عُمان (132-134هـ).

وفي المقابل فإن مشاوره الإمام للجميع من عامة الناس وخاصتهم أي أهل الحل والعقد أمر مهم ولكنه صعب في نفس الوقت ، فإن ذلك يتم باجتماع الإمام بالعلماء والولاة ورؤساء القبائل وهم غالبا ما يكونون من أهل الحل والعقد والمقدمون في الرأي في المجتمع ، وبالتالي يتم عرض الأمور وتدارسها ، وإن كانت ثمة قرارات مهمة تتخذ فعلى رؤساء القبائل أن يستشيروا قبائلهم ، وبذلك يشترك كل الشعب في القرارات الهامة مع القادة (حسين عبيد غانم غباش ، 1997م ، ص 79). وقد اهتم الأئمة العمانيون بالمشاركة الشعبية العمانية منذ عهد الإمام الجلندي بن مسعود أول إمام عُماني بأخذ آراء الناس بدأ من أهل الحل والعقد ورؤساء القبائل ووصولاً إلى عامة الناس ولاسيما فيما يمس حياتهم بشكل مباشر كأمر الاقتصاد على سبيل المثال (محمد صابر عرب ، 2013م ، ص 134) ، ففي معركة جلفار بين العنانيين والعباسيين عام 134 هـ استشار الإمام الجلندي بن مسعود العلماء ويقصد بهم أهل الحل والعقد في ما يطلبه منهم العباسيون. (أنظر: عبدالله بن سعود أمبوسعيدي ، 2003م. ص 90 ، حميد بن محمد بن رزيق ، 2009م. ص 79 ، نور الدين السالمي ، 2016م. ص 62).

وبعد أهل الحل والعقد هم وسيلة من وسائل التواصل بين الإمام والشعب ؛ فهم يتعرفون بشكل مباشر على أحوال الشعب ومشاكله ومطالبه (عدون جهلان ، 2010م ، ص 255) ، وبالتالي فمن حق الشعب على الإمام أن يراعيهم ويقوم بحق المسؤولية عنهم ، وفي المقابل على الشعب أن ينصر الإمام إذا ما احتاج إلى ذلك (فاروق عمر فوزي ، ص 120) كأوقات الحرب مثلا ، وهو ما حدث مثلا في عهد الإمام الجلندي بن مسعود عند قدوم القائد العباسي إلى عُمان.

كما أن من مهمات الإمام الأساسية جباية الزكاة وهي مشابهة للضرائب والإتاوات عند الشعوب والإمبراطوريات الأخرى ، إلا أن الزكاة ركن أساسي من أركان الإسلام ، وبالتالي فإن دفعها للإمام في وقت محدد وبنصاب ومقدار محدد يندرج في إطار العلاقة بين الحاكم والمحكوم ودليل على الخضوع السياسي للمحكوم (عبد الملك بن عبدالله الهنائي ، ص 42) ، وقد حدث في عهد الإمام المهنا بن جيفر الذي بوع بالإمامة سنة

220 هـ أن رفض رجل من أهل مهرة -تقع جنوب عُمان- يسمى وسيم بن جعفر دفع الزكاة كاملة لعامل الإمام واسمه عبد الله بن سليمان الضبي فأرسل له الإمام جيوشا يقودها ولاة الإمام على مدن أدم وسناو وجعلان فاستطاعوا هزيمته وإحضاره إلى العاصمة نزوى ، فأمر الإمام بحبسه وظل في السجن سنة ، ثم وصل رجال من المهرة طالبين إطلاق سراحه ، فاشتراط الإمام عليهم إحدى ثلاث: إما الارتحال من عُمان ، وإما أن يؤذنوا بالحرب ، وإما أن يحضروا الماشية إلى العاصمة نزوى كل حول ليؤخذ منها مقدار الزكاة ، فاستجابوا للخيار الثالث مع بعد المسافة بين بلادهم والعاصمة (أنظر: سرحان بن سعيد الزكوي ، 2013م ، ص ص 124 ، 125 ، حميد بن محمد بن رزيق ، 2009م ، ص ص 91 ، 92) ، وهو ما يؤكد تحقيق الشرع وتبعية المحكوم للحاكم ، وقد حدث مثل هذا في حروب الردة عندما منعت بعض القبائل دفع الزكاة فحاربهم سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وفي كتاب السير والجوابات لعلماء وأئمة عُمان الذي دونه أئمة وعلماء عمان من القرن الأول وحتى القرن السادس الهجري توضيحا للعلاقة بين الحاكم والمحكوم ومن ذلك: "إذا أحدث الإمام وأنكر عليه بعض أهل الدار ولم ينكر عليه البعض الآخر صارت الدار مع من أنكر الجور ودعا إلى الحق.. إلخ" (سيدة إسماعيل كاشف ، 1986م ، ج1 ، ص 199) ومن ذلك يتضح مدى النظام الديمقراطي الذي يتبعه الفكر السياسي العماني بتأصيل مبدأ الشورى والمشاركة المجتمعية في الحكم مع الحفاظ على استقلالية سلطة الإمام ضمانا لحياد هذه السلطة ولذلك نجد كلمة ليس لهم أن يخلعوه تكرر ، مثل "إذا عاب أهل الدار على الإمام أمرا لم يبلغ الكفر فليس لهم أن يخلعوه" أو قصر بصره في حكم فليس لهم أن يخلعوه (سيدة إسماعيل كاشف ، 1986م ، ج1 ، ص 201) ، وهكذا فإن مكانة الإمام ومنزلته محفوظة.

وينص المبدأ الدستوري أن "كل إمام تثبت إمامته بإجماع فلا تزول إلا بإجماع" فعلى الإمام مراعاة الشريعة الإسلامية في سلوكه لأهمية مكانته بالنسبة للدولة والمجتمع ، فإذا أحدث الإمام حدثا يخالف الشرع الحنيف ، فعليه أن يتوب فإن تاب وإلا لهم أن يخلعوه ، كما أنه " ليس للإمام أن يخلع نفسه بغير حدث ، ولا للرعية أن تخلع إمامها بغير حدث" أي بغير سبب يوجب الخلع ، ويرد ذلك إلى الشورى ويتم بالإجماع من قبل مجلس الحل والعقد (أنظر: أبو بكر احمد بن عبدالله الكندي ، 1983م ، ص ص 200-203 ، حسين عبيد غانم غباش ، 1997م ، ص ص 76 ، 77) ، وقد حدث أن الإمام عبد الملك بن حميد (208-226 هـ) قد أسن وضعف سمعه وبصره ولم ير خلعه من الإمامة ، وكذلك الإمام المهنا بن جيفر (220-237 هـ) مع شيخوخته لم ير عزله (أبو بكر احمد بن عبدالله الكندي ، 1983م ، ص ص 239-240).

وقد حدث عند العمانيين أن خلعوا محمد بن أبي عفان (177-179 هـ) من الإمامة بعد أن ظهر منه أحداثا ، ومنها جفوته وردة للنصائح وبالتالي فقد عزلوه وبايعوا بدلا عنه الإمام الوارث بن كعب الخروصي (179 هـ). (أنظر: حميد بن محمد بن رزيق ، 2009م ، ص 83 ، عبدالله بن سعود أمبوسعيد ، 2003م ، ص 103).

### الفصل الثالث: دور أهل الحل والعقد ودور القبيلة في السياسة والحكم

إن الفكر السياسي العماني وفكرة الدولة التي بدأت مع الإمام الجلندي بن مسعود (132هـ-134 هـ) كانت في حاجة ماسة إلى الاسترشاد بأهل الحل والعقد من العلماء ووجوه القبائل تجنبنا للوقوع في الأخطاء قدر

الإمكان ، وقد أكد كل الأئمة العمانيين على موضوع توسيع المشاركة الشعبية العمانية ، وخاصة فيما يرتبط بحياة الناس من أمور كالاقتصاد والحرب وغيرها (محمد صابر عرب. 2013م. ص 134).

وقد وضع دور أهل الحل والعقد في اختيار الحاكم (الإمام) ومنهم الإمام الجلندي بن مسعود والإمام محمد بن أبي عفان والإمام الوارث بن كعب والإمام غسان بن عبدالله والإمام عبد الملك بن حميد والإمام المهنا بن جيفر والإمام الصلت بن مالك الخروصيوغيرهم من الأئمة خلال فترة الدراسة ، وكذلك دورهم من خلال تقديم المشورة للإمام ومساعدته في أمور الحكم ومنها مشاورة الإمام الوارث بن كعب الخروصي (189 هـ) لأهل الحل والعقد وعلى رأسهم الشيخ القاضي علي بن عزرة فيما يفعله بالقائد العباسي عيسى بن جعفر الذي أرسله الخليفة هارون الرشيد لإخضاع عُمان بعد أن تمت هزيمته وأسرهم وقد سبق الحديث عن دورهم في العلاقة بين الحاكم والمحكوم- (ابن رزيق. الصحيفة القحطانية. ص ص 85-86) ، ومن الجدير بالذكر أننا اختلافاً لأهل الحل والعقد من العلماء عند تطبيقهم لمبدأ الشورى والمشاركة الشعبية وارد حسب رؤيتهم للأمور نظر المقتضيات العصر ، وقد حدث ذلك مع نهاية القرن الثالث الهجري بسبب رغبة فريق من العلماء عزل الإمام الصلت بن مالك (237-273 هـ) فظهر اتجاهين أو مدرستين سياسيتين وهما الرستاقية والنزوانية نسبة إلى مدينة الرستاق ومدينة نزوى العمانيتين ، وقد كان لهاتين المدرستين السياسيتين أثراً على الحياة السياسية الفكرية ، وفي ذلك يقول العالم العماني أحمد بن عبدالله الكندي (ت 557هـ) في كتابه الاهتداء: "في ذلك سير قد ألوها ، وكتب قد صنفوها ومقالات قد أثروها ، وحجج قد أظهورها ، وعلل قد شرحوها ، ..." (نورة بنت سيف الكلبنانية. 2019م. ص 17-47).

ومن الأمثلة على دور أهل الحل والعقد أنه عندما كبر الإمام عبد الملك بن حميد وضعف تشاوروا في الأمر فأشار إليهم الشيخ العالم موسى بن علي بعدم عزله والقيام بالأمر بمساعدة العسكر.

أما لدور القبيلة فيرى ابن خلدون في مقدمته أن هناك علاقة بين الحاكم والعصبية حيث يقتدر الحاكم بالعصبية (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. 2004م. ص 139) ولذلك فهي في رأيه أس الدولة ولا بد للرياسة من عصبية وغاية العصبية الرياسة ، وقد ينسجم هذا المفهوم مع إحدى النظريات التي تقول أن الدول التي تقوم في المجتمعات القبلية تتوسع وتنمو حتى تصبح إمبراطوريات واسعة(عبد الملك الهنائي. 2003م. ص 45).

لقد لعبت القوة القبلية دوراً واضحاً في الأحداث السياسية في عُمان طيلة التاريخ مع أن الفكر السياسي العماني لا يعترف بالامتيازات القبلية في نظام الحكم ، ولكن العناية بتحقيق الهدف كان لا بد من الاهتمام بثقل القبيلة في المجتمع العماني ، فقد جاء اختيار الإمام الجلندي بن مسعود أول إمام عماني في القرن الثاني الهجري بعد مكانته العلمية والدينية لمكانته السياسية والاجتماعية ؛ وذلك لأنه ينتمي إلى بني الجلندي ملوك عُمان وسادتها قبيل الإسلام ومع مطلعها ، مع أنه حدث غير المتوقع وهو وقوف آل الجلندي ضد الإمام نظراً لحرمانهم من امتيازات الحكم(عبد الله أمبوسعيد. 2003م. ص 94).

وفي الغالب تقف مع الإمام قبيلته باستثناء ما حدث في عهد الإمام الجلندي بن مسعود وقد سبق ذكر ذلك ، فكانت قبيلة اليمحمد وهي من القبائل الكبيرة في عُمان تقف مع الأئمة الذين ينتمون إليها ، وكذلك القبائل الأخرى التي تمثل تحالفات لها في الغالب ، ففي إمامة عزان بن تميم الذي بويع سنة 277 هـ حدث

خلاف بينه وبين قاضيه الشيخ موسى بن موسى بن علي أدى إلى مقتل الشيخ القاضي ، فخرج معارضون لهذا الحدث ضد الإمام بقيادة الفضل بن الحواري الإزكوي ، فوجه إليهم الإمام جيشا بقيادة الأهيف بن حماد الهنائي وعضده بقبيلته اليمحمد(حميد بن محمد بن رزيق. 2009م. ص 96-98).

#### خاتمة:

ظهر نظام الحكم عند العمانيين والمعروف بالإمامة في القرن الثاني الهجري حيث ارتبط بالفقه الإسلامي من مدرسة الفكر الإباضي ، وقد اعتنى فيه العمانيون بموضوع الشورى مع عدم إغفالهم تحقيق الهدف وهو قيام الإمامة عند تحقق شروطها ، من وجود العلماء والمساندين من أهل الحل والعقد ، وكذلك توفر الشروط المناسبة في الإمام الذي سيتم اختياره ، وينقسم هذه النظام إلى أربعة مسالك حسب الوضع السياسي القائم ، وهي إمامات الظهور والبراء والدفاع والكتمان.

واهتم هذا الفكر بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، ومن جوانب علاقة الحاكم بالمحكوم الآتي:

-اختيار الحاكم: حيث يختار الشعب حاكمه ويمثلهم في ذلك أهل الحل والعقد.

-مشاورة الحاكم للشعب: في ما يمس حياتهم كأمر الاقتصاد مثلا أو الحرب أو غيرها ، وقد ينوب أهل الحل والعقد عن الشعب في ذلك ، كما قد يشاور رؤساء القبائل قبائلهم ثم يوصلون رأيهم للإمام.

-معرفة الحاكم حاجات الناس وتلمسها: ويمكن أن يكون ذلك عن طريق أهل الحل والعقد أيضا.

-نصرة الشعب للحاكم: إذا دعت الظروف إلى ذلك كحدوث خطر خارجي على الدولة.

-تبعية المحكوم للحاكم: ومن علاماته دفع الزكاة.

-استقلالية سلطة الإمام ضمانا لحياد هذه السلطة ، وعدم التدخل في قراراته مع مراقبته من قبل أهل الحل والعقد بما لا يجعله يحدث حدثا يخالف الشرع ، ولهم التدخل بمقدار ما أنكر عليه ، ومنها أنه ليس لهم أن يخلعوه بدون حدث يوجب ذلك.

ولذلك فإن دور أهل الحل والعقد كبيرا في هذا النظام بدأ من اختيار الحاكم إلى مساندته في كل ما يقوم به ، وتوسيعا للمشاركة الشعبية جاء دور القبائل ورؤسائها ، وتعضيدا للدولة فإن القبيلة تلعب دورا كبيرا في مساندة الحاكم وقراراته على اعتبار قبيلة المجتمع العماني ، حيث وجه دور القبيلة توجيها إيجابيا في مساندة الحاكم سواء كانت القبيلة التي ينتمي إليها الحاكم أو القبائل الأخرى بناء على وقوفها مع نظام الحكم باتفاق أهل الحل والعقد ومنهم العلماء ورؤساء القبائل ، مع عدم اعتراف هذا النظام بالامتيازات القبلية كما حدث في عهد أول إمام عُماني وهو الإمام الجلندي بن مسعود.

#### المصادر والمراجع

- أبو بكر احمد بن عبدالله الكندي (1983م) ، المصنف ، ج10 ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط.  
حسين عبيد غانم غباش (1997م) ، عُمان الديمقراطية الإسلامية ، دار الجديد ، بيروت.  
حميد بن محمد بن رزيق (2001م) ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، ط5 ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان.  
حميد بن محمد بن رزيق (2009م) ، الصحيفة القحطانية ، ج5 ، ط1 ، تحقيق محمود السليمي وآخرون.  
سرحان بن سعيد الإزكوي (2013م) ، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، ج3 ، ط2 ، تحقيق محمد حبيب صالح ومحمود السليمي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان.

- سيدة إسماعيل كاشف (1986م)، السير والجوابات لعلماء وأئمة عُمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان.
- عبد الرحمن بن أحمد السليمان (2011م)، مدينة نزوى في عهد الإمامة الإباضية الثانية ، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق.
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (2004م)، مقدمة ابن خلدون ، ج1 ، ط1 ، تحقيق عبدالله محمد الدرويش .
- عبد الملك بن عبدالله الهنائي ( إبريل 2003م)، إطار نظري للتطور التاريخي للدولة العمانية ، مجلة نزوى ، العدد 34 ، سلطنة عمان.
- عبدالله بن سعود أمبوسعيد (2003م)، الإمامة الإباضية في عُمان "الإمامة الإباضية الثانية 793-893م ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن.
- عدون جهلان (2010م)، الفكر السياسي عند الإباضية ، ط3 ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع ، سلطنة عمان.
- فاروق عمر فوزي (2010م)، تاريخ النظم الإسلامية: دراسة لتطور المؤسسات المركزية في القرون الإسلامية الأولى ، ط1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن.
- فاروق عمر فوزي (2008م)، الموجز في تاريخ عمان السياسي ، ط1 ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، الأردن.
- محمد بن عبدالله السالمي (2014م)، عُمان تاريخ يتكلم. ط1، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة.
- محمد صابر عرب (2013م)، الدولة في الفكر الإباضي ، ط2 ، دار الشروق ، القاهرة.
- نور الدين السالمي (2016م)، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان ، ط1 ، الجيل الواعد ، سلطنة عُمان.
- نورة بنت سيف الكلبانية (2019م)، الحياة العلمية في قرون الصراع بين الرستاقية والنزوانية والنباهنة دار الوراق ، ط1 ، سلطنة عمان.

## هندسة العلاقات الاجتماعية الجديدة في الوسائل التكنولوجية الحديثة

### The new social relations engineering in modern technological means

هاجر لفضلتي

باحثة في علم الاجتماع، جامعة ابن زهر – أكادير المغرب-

Hajar LAMFADLI

sociology researcher in ibn zohr university –Agadir Morocco-

#### مقدمة:

تعرف الوسائل التكنولوجية الحديثة تطورا سريعا، ينتج مجموعة من التغيرات الطارئة في الممارسات الاجتماعية، وفي إنتاج طرق جديدة للتفكير وتصور العالم وتشكل الحاجيات، وبذلك فكرية الوسائل التكنولوجية الحديثة، ساهمت بشكل كبير في تداخل مستويات الفهم المتفاعلة فيما بينها، التي تشتغل كنسق معقد من العلاقات المرئية واللامرئية في بعدها الشبكي.

يتيح البعد الشبكي الذي تتميز به مواقع وشبكات وتطبيقات التواصل عن بعد، إمكانيات التفكير حول واقع العلاقات الاجتماعية، والأشكال الجديدة للتفاعل والاستعمالات والممارسات، من خلال مجالات متعددة ومتداخلة في نفس الوقت، تبلور فرديا ونماذج تواصلية يحتل فيها الجسد مكانة بارزة، تعمل على إعادة صياغته كمفهوم وفق أبعاده وخصائصه الجديدة، فيحق من خلاله التساؤل حول أشكال التعارف الكونية التي عرفت تطورات سريعة.

إن مواكبة فهم واقع العلاقات الاجتماعية عبر الوسائل التكنولوجية الحديثة، لا ينغزل عن السياقات الاجتماعية والعاطفية الدالة للأفراد، ولا عن الميكانيزمات التي تنظم الحياة الاجتماعية بين الجنسين، وفق عادات معقدة قائمة على وضع مجموعة من الحدود لضمان التناغم في تقسيم الأدوار الاجتماعية، لذلك فهذا التداخل في فهم الحياة الاجتماعية للجنسين بين الواقعية المباشرة والواقعية غير المباشرة، يزيد من تعقيد الفهم، ويستبعد إمكانية حصر معطيات التحليل الممكنة.

إننا أمام تشكيل نماذج تشبؤية جديدة، تعمل على إعادة هيكلة التواجد المشترك بين الجنسين، وتشكل علاقات أكثر تعقيدا بين العام والخاص؛ وحيث ينضم الفرد للمشاركة في بناء هذه المجالات التي تتميز بالحركية، وفي إطار علاقات عبر حدودية، تتميز بها الحياة المعاصر القائمة على تعدد الوسائط التواصلية، ويتداخل على مستواها الوعي باللاوعي، لذلك فالتجاذبات السريعة لها هو تكنولوجي بما هو نفسي عاطفي واجتماعي، تجعلنا أمام مجموعة من التغيرات والتحويلات الاجتماعية والثقافية والقيمية في تشكل مختلف الروابط الاجتماعية.

أولا. الأشكال التواصلية الجديدة عن بعد: تتعدد المقاربات السوسولوجية التي تسعى إلى فهم السيرورة التفاعلية، وفق الوسائل والتقنيات التي ظهرت في تاريخ التواصل، وهو تعدد يجعلنا ندرك تنوع الأشكال التواصلية في ارتباط وثيق بالواقع الاجتماعي لها، وقد تأثرت جل هذه المقاربات بعلم النفس التحليلي وعلم

النفس الاجتماعي؛ فاقترنت على ربط التواصل بالسلوك الفردي بما في ذلك المعارف، والمواقف،  
والعواطف، والآراء.

ونظرا لتعدد العمليات التفاعلية وتعددتها، سيتم الالتفات إلى أهمية النسق الاجتماعي، وبناء على  
ذلك، ستؤكد الدراسات الأنثروبولوجية على ضرورة فهم التواصل ضمن سيرورة علائقية، تتجاوز اعتباره كعملية  
خطية بين مرسل ومستقبل، خصوصا مع مجموعة من التغيرات المتلاحقة، التي ستنج مفاهيم مثل  
"الصناعة الثقافية"، باعتبار التقنيات التواصلية سوقا للتنافس والاستهلاك.

إلا أن التصور الجديد القائم على الشمولية، مع ظهور التواصل الإلكتروني، أدى إلى ظهور مجموعة من  
المفاهيم الأساسية، مثل "نهاية الإيديولوجيا" مع دانييل بيل (Daniel Bell)، ومفهوم "القرية الكونية" مع  
مارشيلمكلوهان (Marshall McLuhan)، و"ثورة التواصل"، مع زيغنيوبريجنسكي  
(Zbigniew Brzezinski)، كمفاهيم تعبر عن التغيرات التي أحدثتها الأنترنت في نسج علاقات مترابطة،  
ضمن نسق شبكي يتبنى نفس القيم الكونية، وهو ما تسميه الدراسات الأنثروبولوجية "الثقافة العابرة  
للوطن"، أمام التداخل الحاصل ما بين المحلي بالكوني.

وفقا لذلك، يعتبر إعادة التفكير في الروابط الاجتماعية، قطعاً ضرورة حتمية، تصح عن هندسة اجتماعية  
جديدة للتواجد المشترك بين الرجال والنساء، باعتبارها منطقاً تواصلياً جديداً، قائماً على التشارك والإنتاج  
الذاتي، كتجربة اجتماعية تنتج فرديات أكثر تعقداً أمام تداخل الشاشات، إنها بذلك "شبكات الإنتاج والقوة  
والتجربة، حيث تقوم هذه الشبكات بدورها في بناء ثقافة افتراضية في إطار التدفقات المعولمة، متجاوزة  
بذلك مفهومي الزمان والمكان، فقد حصل في عصرنا هذا اختراق لكل المجتمعات بالفعل الجارف للمجتمع  
الشبكي" (الأمم المتحدة، 2009، ص 35). وإن كان هذا التعرف يقدم مجموعة من محددات الفهم الأساسية،  
فإننا لا نتفق مع الاستعمال المفاهيمي للثقافة الافتراضية، حيث لا يمكن إلا اعتبارها ثقافة واقعية جديدة  
قائمة على خاصية التشبيك، وعلى تصور جديد للمعرفة، باعتبارها تفاعلات تواصلية ونشاطات إنسانية مهمة  
لم تتوفر من ذي قبل، و "على الرغم من أن اللجوء إلى معالجة النصوص إلكترونياً أو استعمال محركات  
البحث عادات قريبة العهد، إلا أنها ترسخت بعمق في العادات وفي اللغة المتداولة" (الأمم المتحدة، 2009،  
ص 35).

يقوم التواصل عن بعد عبر الوسائل التكنولوجية الحديثة، على نظام اجتماعي يحدد أشكالاً مختلفة من  
التبادلات والهويات الثقافية، وفق مجموعة من الطقوس، تعمل فيما بينه التعزيز "المخبال المعاصر"،  
كسمة أساسية لها يسميه توماس كيدنز Thomas Giddens "الذات المعاصرة"، باعتبارها تتأسس على  
علاقات غير "مباشرة" مع الآخر (ليست وجها لوجه)، وتبني مسارها خارج المجار الفيزيقي (James Slevin,  
2000, p 159)، وفق إمكانيات لا متناهية واتصالات واسعة، قائمة على مجموعة من العواطف غير المباشرة  
(القبل، الحنان)، مما يؤكد على أن مواقع التعارف والشبكات الاجتماعية، أصبحت وسائل حيوية في  
التواصل بين الجنسين، وخلق أشكال جديدة للتعبير والتواجد المشترك.

تتيح الوسائل التكنولوجية الحديثة أشكالاً تواصلية جديدة تمكن من فهم الهويات الجندرية، وتفكيك  
العلاقات الاجتماعية بين الرجال والنساء، من خلال الهندسة الاجتماعية الجديدة لمجموعة من القيم



المتشكلة عبر واقع غير مباشر، كالصداقة والحب والرغبة الجنسية. وهو ما يبرز لنا التحولات المجتمعية القيمة، ويبرز حاجيات جديدة لها قراءات جندرية، تختلف حسب سياق الشروط الاجتماعية، وهو تفكير لا يقف عند الحتمية التكنولوجية بقدر ما يتساءل حول التنظيم الاجتماعي الجديد للتواجد المشترك بين الجنسين، وحول الفوارق الاجتماعية والثقافية في فريديات الرجال والنساء، ولاسيما وأن العلاقة بين الجنسين كما بينتها فاطمة المرينسي في كتابها الجنس كهندسة اجتماعية، تشكل أحد مراكز التحولات وتلقي الضوء على الصراع بشكل أساسي (فاطمة المرينسي، 2010، ص 106).

وتلعب الوسائل التكنولوجية، دور الوساطة في نسج العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، فتصير بذلك العملية التفاعلية، قابلة لأوجه تأويلية تستحضر السياقات العاطفية، كسيرورة قائمة على التعارض في بناء الأدوار الاجتماعية، واكتشاف الفوارق بين الجنسين منذ مرحلة الطفولة، ثم كمرحلة ثانية تتحدد بمرحلة البلوغ التي تجسد لتنشئة اجتماعية قائمة على تعميق الخوف اللاشعوري من الجنس الآخر، فمحدد الرغبة والجنس يبدوان هنا بشكل بارز في تشكل العلاقات الاجتماعية بين الجنسين في المجتمعات الإسلامية.

وعموما، تتحدد الأشكال التواصلية بين الجنسين، وفق تقنيات الكتابة والصوت والكاميرا، باعتبارها تقنيات تعوض القرب الجغرافي، وتتأسس وفق مجالات تضمن التواجد المشترك بين الرجال والنساء، بهدف علاقات اجتماعية قد تكون عابرة، وقد تستمر وتنتقل إلى اللقاءات المباشرة، تبعا لمجموعة من الانتظارات، التي تتحد وفق الانسجام والتعارض بين التواصل عن بعد والتواصل الفيزيقي، وبذلك تظل التفاعلات الصريحة والضمنية للجسد، في اتصال مستمر مع كل التغيرات التكنولوجية المحاطة به، التي تعمل على رسم الحدود الاجتماعية لمجموعة من استعمالات الجنسين وتفاعلاتهم، وهنا نلتفت إلى سؤال دور الأشكال التواصلية التكنولوجية في التحرر النسبي للفرد عن قيم الجماعة التي ينتمي إليها، والسؤال هنا يجعلنا نستحضر ملاحظة دوركايم القائمة على "استحضار عامل الفردنة، والجسد هو من يقوم بهذا الدور" (دافيد لوبروتون، 2014، ص 56).

إن حضور الجسد في الأشكال التواصلية الجديدة، يتحدد وفق الرمزيات الثقافية، التي لا يمكن فصلها عن علاقات النوع الاجتماعي، وبالمقابل فالتساؤل حول الانسجام والتنافر ما بين التواصل المباشر وما بين التواصل عن بعد يبدو وجيها، خصوصا وأن أبعاد هذه الأشكال تعرف اختلافات وتميزات، وتضاربات بين ما هو جماعي وما هو فردي، وفق تجاذبات متلاحقة، تساءل ثوابت الجسد المجندر، ضمن حركية من الأفعال الاجتماعية والثقافية التي تمنح للجسد دلالات جديدة في الواقع التكنولوجي.

ثانيا. المجال والتواجد المشترك بين الجنسين: يمكن اعتبار التوزيع المجالي بين الجنسين، قطبا محوريا في فهم الفوارق الاجتماعية بينهما في المجتمعات الإسلامية، وذلك من خلال العلاقة الأساسية القائمة ما بين "العام" والخاص"، ويشغل هذا المحدد كميكانيزم أساسي في تنظيم الحياة الاجتماعية، التي تضع مجموعة من القوانين والأعراف المجسدة للتراتبية في توزيع السلط، وهو ما يجعل الجسد الأنثوي في الثقافة العربية الإسلامية، حبيس الفتنة والإغراء، ولصيقا بالوظيفة الإنجابية، التي شبهت في النص القرآني بالحرث كصورة رمزية تعبر عن الخصوبة. وفي نفس الاتجاه، ترى فاطمة المرينسي أن الهندسة الاجتماعية في البلدان العربية تقسم العالم إلى عالمين؛ عالم الرجال الذي يرادف الأمة في معناها المرتبط بالدين والسلطة، وعالم النساء

تمثلا في مجال الحياة الأسرية ، التي يفترض أنها قائمة على علاقات الوحدة والحب ، إلا أن الواقع يجسد لعلاقات لا متساوية ، لذلك فأساس العلاقات الاجتماعية بين الجنسين قائم على الصراع والتوتر(فاطمة المرينسي ، 2010 ، ص 150).

وقد تشكلت العلاقة القائمة ما بين العام والخاص ، بناء على تاريخ طويل ، سعت الأنثروبولوجيا إلى مواكبة رمزياته الثقافية والاجتماعية ، المرتبطة بشكل كبير بتقسيم العمل بين الجنسين ، وفق منطق الفوارق الاجتماعية ، ضمانا لاستمرارية الهيمنة وتعميقها نظريا وممارساتيا ، وفي هذا الصدد ، نستحضر دراسات أندريه لوري جورهان (André leroi-Gourhan) حول مجتمعات الصيد والقنص ، التي لا تضع أي رمز للحياة الزوجية والجمع الإنساني ، خصوصا على المستوى الجنسي ، سواء تعلق الأمر بالأفراد أو بالحيوانات ، لكن بالمقابل يظل للمجال حضور قوي من خلال ثلاث مستويات أساسية وهي: الدخول ، والمركز والعمق ، والتي تؤسس لمجموعتي الرجال والنساء ، يتم على مستواها تجاهل العلاقات التبادلية فيما بينهما.

وستلعب التحولات في نمط الحياة والانتقال الاقتصادي من الصيد والقطف إلى تدجين الحيوانات والزراعة ، تغيرات في الاستعمالات الاجتماعية والثقافية والانسانية للمجال(Elisabeth Badinter, 1986, p 66)إلا أن رمزيات المعنى في تكامل المهام بين الجنسين ، لا يحظى بالمساواة. وبذلك فالمجتمعات الأيسية ، تقوم على أساق ثنائية متعارضة ما بين الذكورة والأنوثة في استعمال المجال ، تحافظ على نظام التكامل وتؤسس للترانبيات.

وأمام هذا التعقد الذي تطرحه العلاقة القائمة بين العام والخاص ، تنضاف وسائل التواصل الاجتماعي ، كمجالات تعيد هيكلة التواجد المشترك بين الجنسين ، والتعارف ، ومجموعة من الإمكانيات التفاعلية ، التي تتيح التنقل ما بين الخاص والعام في وسط مفتوح ، يعيد بناء التصور حول الحميمية ، خصوصا أمام التداخل الحاصل بين العام والخاص.

تعمل مجالات التواصل والتعارف الاجتماعي ، على توفير إمكانيات للالتقاء عن بعد ، تقوم على اتصالات تبدأ وتنتهي بالنقر(click) ، وتتيح تعدد التواصل مع مجموعة من الأفراد في نفس الوقت ، وهو ما يشكل للجسد بعدا جديدا ، يتحدد وفق قدرته على التواجد المتعدد عبر حدودي ، دون ضرورة التنقل الفيزيقي ، ما يجعلنا نلتفت إلى ذاكرة جسدية ومجالية جديدة ، تتشكل وفق الكتابة والصوت والصورة ، وتشكل واقعا عصريا يؤثر على منظومة القيم ، كما يلحق مجموعة من التغيرات الثقافية والسلوكية للجنسين.

كما تنتج هذه المجالات ، توترا جديدا وصراعا في العلاقة الاجتماعية بين الجنسين ، يتشكل بطريقة واعية ولا واعية . وهنا نستحضر كلود كوفمان(Claude Kauffman) ، الذي يرى أن هذه المجالات ساهمت في اتساع الخداع والارتباط السريع في العلاقات بين الجنسين (Claude Kauffman,2010, p 21) ، وما يزيد من حدة هذا التوتر هو غموض الحدود بين المرئي واللامرئي ، في تقديم المعلومات الشخصية ، وفي حضور غياب صورة الجسد ، والتلاعب بكل هذه العناصر ، كما تفسح مجالات التعارف والتواصل الاجتماعي ، فرصا للتعبير عن الإعجاب الجسدي في إطار مقبول ومبرر ، بدعوى أن الانضمام أو الولوج إلى هذه المجالات ، يعتبر عتبة أولى للاستعداد في قبول التواصل ، الذي قد يتطور فيما بعد إلى علاقة اجتماعية مباشرة ، وهو ما يجعل تصور الفهم يتأسس على التداخل الحاصل ما بين مجالات الأترنيت ، وما بين مجالات التعارف المباشر ، وفق

السياقات الثقافية والاجتماعية، الجلي بالدلالات الرمزية للاستعمالات المحلية، ووفق العلاقة القائمة ما بين العام والخاص، وهنا دعوة للالتفات من جديد إلى حركية الجسد بين التواصل المباشر وبين التواصل عن بعد، عبر سلسلة من الحركات والإيماءات، التي تعرف أشكالاً جديداً في التفاعل عبر الوسائل التكنولوجية الحديثة، بناء على رمزيات كونية.

يتبين إذن، أن فهم المجالات قائم بالأساس على فهم الجسد، إذ يشكل هذا الأخير الرابط الأساسي في العمليات المعرفية لاستعمالات المجال وفي تجلياتها السلوكية التفاعلية، التي تضمن التنشئة الاجتماعية تمريرها، عبر الأدوار الاجتماعية للجنسين، فتصير بذلك وسائل التواصل الاجتماعي، مجالات تنشئية جديدة لتأكيد الفرديات وتوفير فرص التفاعل بين الرجال والنساء، عبر مجموعة من الرمزيات التي تضمن اندماج الأفراد في مجالات التواصل الاجتماعي، وتحقق نسقا من التجربة كخاصية تحدد التواجد النفس الاجتماعي في الواقع التكنولوجي، لذلك يلعب الجسد هنا دور الحامل لسيرورته العاطفية والثقافية منذ مرحلة طفولته، إلى المجالات التكنولوجية، وفق كل التغيرات والمستجدات التي تحملها عوالم الشبكات الاجتماعية، والبحث عن معنى الروابط الاجتماعية، التي تساهم في تشكيلها مجالات الشبكات الاجتماعية في حد ذاتها، فنجد كيف أن الفيسبوك يعتبر كل من فرد قبل دعوة انضمام فرد آخر إلى مجاله الخاص، صديقا جديداً يضاف إلى لائحة الأصدقاء، وهذا الانضمام لا يعني بالضرورة فرصة للدردشة في "المجال الخاص"، بقدر ما يمكن للعلاقة التفاعلية أن تقتصر على التعبير عن الإعجاب أو التعليق عن المنشورات، أو لزوم الصمت، وبذلك فالمجالات التواصل الاجتماعي، تعمل على إرساء قيم ورمزيات جديدة للروابط الاجتماعية، تتحدد بالإضافة والحذف، وينعكس ذلك بشكل أساسي على الاستعمالات اللغوية للمتفاعلين، وعلى نمط الحياة العلائقية بشكل عام.

ثالثاً. العلاقات الاجتماعية بين المتعة والزواج والحب: تمثل الوسائل التكنولوجية الحديثة، البنية الأكثر انفتاحاً، في توفير إمكانيات الفعل والتفاعل، وفق واقع حركي يجيب عن حاجيات ورغبات الجنسين، ويكشف عن تحولات أساسية في الممارسات الاجتماعية، وعن نماذج علائقية جديدة أكثر تعقيداً، من حيث تداخلها مع الواقع الاجتماعي المباشر وفق أبعاده المتعددة، منها الديني ومنها الاجتماعي ومنها الجنساني... وواقع الحال يجعلنا نتساءل عن دور الوسائل التكنولوجية الحديثة، في حركية الأدوار المبنية على أساس النوع الاجتماعي، التي يحددها النظام الاجتماعي الإسلامي عبر مجموعة من القوانين والأعراف لضمان التكامل، وتقوم على أساس جنسي يركز على مراقبة الجسد الأثوي، باعتباره موضوعاً للإغراء. والأكد أن البعد التكنولوجي في بناء العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، يشغل كواقع نفسي اجتماعي وعاطفي مركب، يتطلب وجوداً متعددًا، وعيش مشاعر متناقضة في نفس الآونة الزمنية. في التفاعل مع عدة أفراد، وبذلك فالوسائل التكنولوجية الحديثة، توفر إمكانيات اللعب النفسي الاجتماعي لمجموعة من الأدوار، التي تتيح حرية أكبر في التعبير عنها، مقارنة بالواقع الاجتماعي المباشر.

يقف زيجمونتبومان (2010) على الروابط الاجتماعية المتشكلة عبر الأنترنت، ويصفها بالهشة، فلا مجال فيها للالتزام، وتعتبر عن علاقات عابرة، يمثل فيها "الفرد الجنسي" النموذج الأساسي، وهي خصائص لها اسمه "الحب السائل"، إلا أن باومان يتمثل الحب كتجربة وجودية انفعالية، ولا يربطها بواقع البناء

الاجتماعي ، كما أن تصوره للعلاقة الاجتماعية بين الجنسين ، تتحدد وفق سوق الاستهلاك ، الذي يجعل العلاقة بين الرغبة والحب قائمة على التوتر والقلق ، وتتطلب الاستهلاك الفوري ، وغير قابلة لإعادة الاستعمال ، كما يمكن استبدال علاقة الحب التي اعتبرها كسلعة ، في حالة عدم الرضى عنها ، وبذلك فعلاقات الحب لها خاصية الاستثمار ، ويرى بومان أن فشل علاقات الحب يرجع إلى فشل العمليات التواصلية ، وهو ما يجعل تصوره حول العلاقة منحصرًا على العمليات التفاعلية ، كتجربة ذاتية قائمة على فكرة الاتصال والانفصال ، إلا أننا نؤكد على طبيعة المجتمعات (فردانية ، جماعية...) ، التي بدورها تتحكم في تشكل الروابط الاجتماعية بن الجنسين ، كما تتحكم فيها مسارات التنشئة الاجتماعية ودورها في تشكل الأدوار الاجتماعية بين الجنسين ، وبذلك فمجالات الأترنيت أمام إمكانياتها المتعددة ، تصير بمثابة كاشف لهشاشة الواقع الاجتماعي المباشر ، ولا يمكننا فهم الواقع الاجتماعي غير المباشر ، بالشكل الذي تصوره باومان وجعلنا ندرك من خلاله وجود عالين متقابلين.

إن دراسة العلاقات الاجتماعية بين الجنسين عبر الوسائل التكنولوجية الحديثة ، لا تفصح عن نفسها دائمًا بشكل واضح ، ولذلك تتطلب منهجًا المشاركة بالملاحظة ، من خلال الانخراط المباشر في مجموعة من مواقع وشبكات وتطبيقات التواصل الاجتماعي ، وهو ما يدعو إلى ضرورة الالتفات إلى السياقات الاجتماعية والعاطفية للجنسين ، وتداخل التصور التحليلي ما بين الواقعي المباشر والواقعي غير المباشر ، لذلك نستحضر النص القرآني ، كنص مرجعي يوظف النظام الاجتماعي الإسلامي ، الذي يقف موقف المانع للعلاقات الجنسية خارج مؤسسة الزواج ، ويصفها بالزنا وبالفاحشة ، والآية القرآنية 32 من سورة الإسراء تحدد ذلك "وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا" ، وبذلك يضع الإسلام مجموعة من القوانين الاجتماعية الهادفة إلى قيام نظام اجتماعي، تحتضنه مؤسسة الأسرة ، التي تحرص على ضمان الإنشباع الجنسي وتقسيم الأدوار الاجتماعية بين الجنسين لضمان التكامل ، وفق تصور قائم على الفاعل والمفعول به.

ومن هذا المنطلق ، يرتبط الجسد الأنثوي ارتباطًا وثيقًا بالنظام الاجتماعي القائم على تصور الإسلام ، وعلى وصاية ذكورية على حركيته المجالية واستعمالات الاجتماعية ، وفق ثنائية العام والخاص ، يصاحب ذلك مجموعة من الأعراف التي تساهم في بناء العلاقات الاجتماعية بين الجنسين ، التي يشكل فيها التوتر والصراع مكونًا هامًا ، خصوصًا وأن السلطة مفهوم أساس ، يحدد التراتبيات الاجتماعية بين الجنسين ، باعتبارها محددات حاسمة في هندسة اللاوعي الإسلامي ، وتتفاعل وفق تجاذبات قيمية غير ثابتة ، يشكل فيها الواقع التكنولوجي اليوم مستوى مهم ، في فهم التواجد المشترك بين الجنسين ، وتَشكُل مختلف العلاقات الاجتماعية بينهما ، وفق مجالات مفتوحة للتعارف والتفاعل.

ويرى عبد الصمد الديالمي ، أن حال المغرب اليوم يعرف انفصالًا بين الزواج والجنس ، ذلك أن شرعية معظم السلوكات الجنسية كانت مرتبطة بمؤسسة الزواج ، ولم تكن العذرية تعني فقط الاحتفاظ بغشاء البكارة فقط ، بل تعني غياب كل تجربة جنسية ، بسبب الفصل القائم بين الجنسين ، كسلوك أخلاقي أمثل ، لكن منذ ما يقارب ثلاثين سنة ، دخل المغرب في مرحلة انتقالية تتصف باتساع الهوية بين المعايير الجنسية ذات المرجعية الإسلامية ، وبين السلوكات الجنسية التي تتجه نحو الاستقلال عن الإسلام ، وهو ما يسميه الديالمي بالانفجار الجنسي ، ويقصد به تضخم السلوكات الجنسية غير الزوجية ، لكن بالمقابل فالقانون

المغربي الجنائي يجرم الجنسية ما قبل الزواج ، مما يؤشر على أن الإسلام يظل إلى حد اليوم المعيار الجنسي السائد في المغرب ، وبالرغم من تخلي القانون عن مصطلح الزنا وإقامة الحد ، إلا أن العلاقة الجنسية بين عازب وعازبة تعتبر فسادا (عبد الصمد الديالمي ، 2010 ، ص 9).

انطلاقا من نظرية الانتقال الجنسي ، نستطيع القول إن مواقع التعارف الاجتماعي ، تعكس نوعا من الانفجار الجنسي ، ويتضح ذلك من خلال التردد الكبير لمواقع التعارف ، والانتشار المتزايد لها بهدف الحصول على المتعة الجنسية ، كما يبدو ذلك من خلال صفحات الفيسبوك والأسماء المستعارة المعلنه ، وهو ما يعكس أبعادا جديدة للعلاقات الجنسية عن بعد بين الرجال والنساء ، تؤسس لواقع اجتماعي غير مباشر ، يحضر فيه الجسد وفق بعده التكنولوجي ، باعتباره بعدا لا يلغي حضور الجسد وإنما يعيد بناءه ، بناء على واقعية مركبة ما بين النفسي والاجتماعي والعاطفي ، وفق تصور جديد لا يقوم بالضرورة على التواصل المباشر ، وقد يقتصر في تشكل الروابط الاجتماعية على تعدد الوسائط التفاعلية ، ضمن مجالات جديدة تعزز الحياة الفردية وكونية التعارف ، والأکید أن الواقع الجديد ، يستوقفنا للتساؤل حول حاجيات الجنسين وانتظاراتهم العلائقية ، خصوصا وأن الوسائل التكنولوجية الحديثة ، تعرف تطورا سريعا يتيح إمكانيات تقنية غير ثابتة ، تجد تواجدها القوي في تفاعل مع المعطى النفسي الاجتماعي لتصير جزء من الحياة اليومية ، وطقسا لإثبات الحضور غير المباشر ، الذي يجعلنا نتساءل حول الحدود القائمة بين الجنس وما بين السلطة التي تستمد مشروعيتها من الدين والأخلاق ، وتسليط الضوء على الرغبة والمتعة خارج مؤسسة الزواج ، دون ربطها بالنظام الاجتماعي ، كمساحة لحياة جنسية لا تخضع بالضرورة للالتزام العاطفي ، وتتيح إمكانيات لتنشيط المخيلة والتجربة ، وبذلك تصير الحدود قائمة أكثر بين ما هو جنسي يهدف للمتعة فقط وبين ما هو عاطفي يهدف للتزاما متبادلا . إن العلاقة الجنسية عن بعد ، التي تتم من خلال الوسائل التكنولوجية الحديثة ، تجعلنا نعيد التساؤل حول العلاقة الجنسية في حد ذاتها ، والتي لا تقوم بالضرورة على تماس مباشر للجسد ، وإنما عبر شاشة تتيح إمكانيات الكتابة والصوت والكاميرا ، وإمكانيات للكشف عن الهوية الحقيقية أو إخفاءها ، أو التلاعب بها ، إلى جانب اختيار مرئية الجسد ، أو إخفاءه أو إخفاء أحد أعضائه .

وقد وقف الديالمي ، على أن النشاط الجنسي العربي منذ سبعينيات القرن العشرين ، يتجه نحو الانفصال عن هدف الزواج ليقترن بالمتعة والحب والاستهلاك ، و أظهرت دراسته "المرأة والجنس في المغرب" ، أن 9 % فقط من الشبان المغاربة يتبنون التحريم الإسلامي للنشاط الجنسي ما قبل الزواج ، و 68 % من الشبان يمارسون الجنس كهدف في حد ذاته ، في مقابل 45 % من الفتيات ، ولا تعني هنا ممارسة الجنس ممارسة كاملة في جميع الحالات (عبد الصمد الديالمي ، 2010 ، ص 65). وواقع الحال ، يبرز أن الوسائل التكنولوجية الحديثة ، تساهم بشكل كبير في إقامة الحدود بين الجنس بهدف الحصول على المتعة ، وبين الزواج كنظام اجتماعي ، وبين الحب كارتباط عاطفي ، إننا بذلك أمام أشكال جديدة للعلاقات الاجتماعية بين الجنسين ، يحضر فيها الجنس كقيمة في حد ذاته ، وكممثل جديد للعلاقة بالجنس الآخر ، لا يخلو من الصراع والتوتر ، وتعزيز اللاتقة في التفاعل ، وهذا ما يتبين من خلال مجموعة من الصفحات الفيسبوكية ، التي توضح عبر المنشورات والتعليق خطابا قائما على التوتر في تشكل العلاقات الاجتماعية بين الجنسين .

وقد وقف كلود كوفمان ، على صعوبة مقاومة مجالات الأترنيت ، عند الرجال كما عند النساء ( Claude Kaufman, 2010, p 23 ، إذ إن كونية التعارف التي تتيحها هذه المجالات توفر سهولة في التفاعل بين الجنسين ، عبر النقر فقط ؛ فبنقرة يبدأ التواصل وبنقرة ينتهي ، وهنا تبدأ عمليات تأويلية في بناء الخطاب المشترك وفي الصمت أو التأخر عن التفاعل في الدردشة ، أمام لامرئية التعابير الجسدية أثناء الكتابة ، فيبدو حريا ضرورة الالتفات إلى الخطاب القائم بين البناء وإعادة البناء ، وفق سيرورات معرفية وإدراكية لا تنفصل عن الحملات الثقافية للواقع الاجتماعي غير المباشر ، والتي يتدخل فيها واقع التراتبيات بين الجنسين ، القائمة على تقسيم جنسي ثنائي يقابل بين السلبية والإيجابية ، بين الفاعل والمفعول به ، وفي علاقة كل ذلك بالمرئي واللامرئي ، وبالعام والخاص ، كأساق أيديولوجية تؤسس لهيمنة ذكورية.

ويظل الجسد مدخلا أساسيا في بناء العلاقات الاجتماعية بين الجنسين ، وتواجهه المجنندر ، النفسي والاجتماعي والعاطفي ، بناء على حملات ثقافية إسلامية ، تجعل من الجسد الأنثوي لصيق الفتنة والإغراء ، لذلك يستلزم مراقبة ذكورية ووصاية على استعمالاته الاجتماعية خصوصا منها الجنسية ، المرتبطة بالوظيفة الإنجابية ، وهذا التمثل حول الجسد الأنثوي المقترن بالفتنة والإغراء أحد المحددات الأساسية ، التي تجعل فاطمة المرنيسي تعتبر العلاقة بين الجنسين قائمة على التوتر والصراع (فاطمة المرنيسي ، 2010 ، ص153) ، إننا بذلك أمام تخوف يظهر بشكل لاواع ويترجم على المستوى السلوكي والعلائقي ، ويبدو أكثر من خلال العلاقات الاجتماعية عبر وسائل التواصل الاجتماعي ، لذلك يمكن في هذا المستوى اعتبارها ككاشف للعلاقات الاجتماعية المباشرة ، وواقعا مركبا لما هو علائقي ونفسي واجتماعي.

وقد قمنا بزيارة بعض مواقع الدردشة والاشترك فيها ، والتردد عليها لمدة شهر ، وذلك بهدف استكشاف أهم خصوصياتها ، وكيفية التعارف والتواصل من خلالها ، وهي كالتالي: موقع (Abcoeur) ، موقع (Badoo) ، موقع أنا ليك (Analik) ، موقع ميستيك (Meetic) ، موقعحبيبتي بابل (Habibtibabel) ، موقع نيت لوك (Netlog) ، موقع مسلمة (Muslima) ، موقع أنا وأنت (Anawenti) ، فتبين أن الهدف الأساسي من التردد على هذه المواقع هو البحث عن علاقات عاطفية أو جنسية ، خصوصا وأن هناك سؤال رئيسي يؤسس منطلق التفاعل وهو "ماذا تريد من هذه العلاقة؟" كعبئة أولقد تنتهي الدردشة عندها ، وقد تتطور إلى حديث مستفيض في حالة حدوث توافق بين الجنسين وانتقالهم إلى مجالات أخرى (فايسوك أو واتساب...) ، كما تتيح هذه المواقع للمتفاعلين ، إمكانيات التعرف على بعض المعلومات حول الطرف الآخر ، من خلال الولوج إلى ملفاتهم الشخصية المعروضة ، ومن ثمة تحديد مدى ملائمة كل ملف مع الاختبارات الفردية. بناء على ذلك ، يمكن القول إنعبئة المرور الأولى لقبول أو رفض أي علاقة عبر مواقع التعارف ، تتوقف عند نوعية المعلومات المقدمة في الملف الشخصي ، فثنائية القبول والرفض تتأثر بمحددات سوسيوولوجية تتمثل في السن ، والنوع ، ومكان الإقامة ، والمستوى التعليمي ، والمهنة ، والشكل الخارجي الاستيتيقي ، فتمكن بذلك هذه المواقع من إقامة علاقات "خفيفة القيود" ، كتعبير عن "مساحات نفسية مُطمئنة".

ويشكل الحصول على المتعة الجنسية ، الهاجس الأكبر للمتريدين على مواقع الدردشة ؛ حيث يتبين ذلك من خلال الأسماء المستعارة ، والملفات الشخصية والدعوات ، فهي غالبا ما تحمل بشكل معلن أو ضمني ، إحياءات جنسية ، مصاغة بلغة قد تعتبر مستهجنة في اللغة العامية المتداولة ، خصوصا وأن هذه المواقع لا

تلزم إرفاق ملف التسجيل بالصورة الشخصية الحقيقية ، وهو ما يضمن الحد الأقصى من الحرية في التعبير عن الاستيهامات الجنسية ، دون ضرورة الكشف عن الهوية الحقيقية ، باعتبارها أبعاد أساسية تتداخل في تشكل الجنسية عبر وسائل التواصل الحديثة ، خصوصا وأن هناك فئات اجتماعية تواجه بشكل عام صعوبة الاندماج في المجتمع ، نتيجة اتجاهاتها الجنسية المرفوضة اجتماعيا ، فتصير مواقع التعارف الاجتماعي ، مجالات للتعبير عن الوجود النفسي والاجتماعي .

وقد اعتبر كلود كوفمان ، أن الأنترنت عملت على تغيير الهندسة الاجتماعية في التعارف ، حيث صار للنساء إمكانيات أكثر للحصول على المتعة ، خصوصا وأن الحدود ما بين الجنس والعواطف أصبحت أكثر ضبابية ، وتجعل التعارف حدثا مفتوحا وغامضا وحركيا ، وكأنها قواعد لعبة تكشفها مغامرة التعارف عبر الأنترنت ، ووظيفة دفاعية تهدف كسر الارتباط غير المرغوب فيه ، على عكس ما كان سابقا في بداية التعارف ؛ حيث كانت أغلبية النساء تبحتن عن الحب وعن رجال حياتهن ، في حين تبحث أغلبية الرجال عن الجنس (Claude Kaffman, 2010, p 25). ألا يمكننا التساؤل هنا عن هشاشة الواقع الاجتماعي المباشر في نسج العلاقات الاجتماعية بين الجنسين ، والبحث عن مجالات غير مباشرة ، لعيش حيوات أخرى لكنها عن بعد ، قد تلعب دور التمريض العاطفي ؟ وهو ما يجعل البعد التكنولوجي ، يساهم في السياقات الاجتماعية والنفسية العاطفية ، وفي فهم الفردي للواقع الراهن ، خصوصا وأن هويات الواقع الاجتماعي المباشر للرجال والنساء ، ليست بالضرورة أكثر حقيقة من الواقع الاجتماعي غير المباشر ، كما أن التحولات الاجتماعية والثقافية المجتمعية ، لن تكون بصورة العبور السهل في تجاوز دلالاتها ، القائمة على التقسيم الجنسي بين فئة الرجال وبين فئة النساء ، المرتبط بمجموعة من رمزيات التعارف المجنسة ، وبالسيروورة المعرفية المبنية على المسارات العاطفية والتجارب الفردية ، وهي بنيات تتدخل في انتقائية العلاقات الاجتماعية بين الجنسين ، وفق سياقات شبكية مختلفة ، تبرز نوعية معينة من الزائرين للموقع من الجنسين معا ، إلى جانب أن شبكات التواصل الاجتماعي تعمل على نوع من التوجيه الأخلاقي في الاستعمال المشترك للمجالات ، للحفاظ على التواجد والمشاركة ، وعدم التعرض للإقصاء خارج حدودها المجالية ، وإن كان التلاعب في تقديم المعلومات الشخصية بطريقة لا تتنافى مع شروط التسجيل ، معطى وارد ، إلى جانب التوفر على حسابات عديدة في نفس الموقع وتقديم هويات جنسية مختلفة .

**رابعا. أوجه الصراع والعنف القائم على النوع الاجتماعي:** يعتبر الفايسبوك من بين المنصات الاجتماعية الأساسية في التعبير عن الذاتية ، وترويج الأفكار والتوجهات العاطفية والجنسانية ؛ فهو يمثل مجالا للتفاعل العلائقي الاجتماعي الضمني والعلمي بين الجنسين ، يتداخل فيه بكل تأكيد واقع الحال المباشر الذي يعرف تضاربا بين توجهات ذات مرجعيات مختلفة -محافظة و حداثية عموما- بخصوص العلاقات الاجتماعية بين الجنسين و الوضعيات و المراكز الاجتماعية لكلا طرفي هذه العلاقات ، الأمر يعرف تباينات وتعددا أشد من حيث البعد الجنساني ، الذي يعرف تداخلا لها هو اجتماعي وثقافي وديني وسياسي واقتصادي ... ويتضح ذلك من خلال الكم الهائل من المجموعات والصفحات ، التي يتم إنشائها دوريا ، تضم شرائطا وصورا ونصوصا... داعمة لرأي كل اتجاه ، ويشرف عليها إما أفراد أو شخصيات مشهورة أو مؤسسات .

يمكننا في هذا السياق ، استعراض أسماء بعض الصفحات التي تعبر عن هذا البعد الإشكالي في صيغة صراع صريح ، مثل صفحة "الرجل أولا" ، التي حصلت منذ تأسيسها إلى غاية 22 أبريل 2019 على 176 19 إعجاب. ونجد بالمقابل ، صفحات أخرى تعبر عن مقاومة المرأة لسلطة الرجل ، ورفض التبعية الذكورية ، وكمثال على ذلك ، صفحة "أنا حرة. أنا امرأة بالغة لا سلطان لأحد علي" ، شعار هذه الصفحة هو "كن صديقي ، ليس في الأمر انتقاص للرجولة ، غير أن الشرقي لا يرضى سوى بأدوار البطولة" ، تتبنى هذه الصفحة أفكارا تتعلق بالمساواة بين الجنسين ، وعدم اختزال المرأة في خانة الجنس فقط ، تشمل على 16788 إعجابا إلى غاية 22 أبريل. وضمن نفس الاتجاه ، تعبر صفحة "أنا امرأة ولست عورة" ، عن رفض التحرش الجنسي ، وأساليب السيطرة على جسد المرأة ، وقد حصلت هذه الصفحة على 1803 إعجاب إلى غاية 22 أبريل 2019.

يتبين من خلال أسماء الصفحات ومحتواها المنشور ، مرئية الصراع بين الجنسين القائم على أساس النوع الاجتماعي ، من خلال مجالات جديدة ، تتيح إمكانيات التعبير والتفاعل ، وترفض أشكال العنف الرمزي والمادي ، لذلك يمكننا اعتبار الوسائل التكنولوجية الحديثة ، بمثابة الكاشف للصراع الاجتماعي القائم على أساس النوع الاجتماعي ، باعتباره قطبا أساسيا في تشكل العلاقات الاجتماعية بين الجنسين ، بدء الأسرة كنظام اجتماعي قائم على توزيع جنسي ثنائي للأدوار الاجتماعية ، ما بين عالم ذكوري وبين عالم نسوي ، وباعتبار الجسد والمجال يلعبان الدور الأساس في ذلك ، وهذا ما يجعلنا نستحضر تحليل المرنيسي للمراهقة ، باعتبارها مرحلة مهمة في تلقي الخوف من الجنس الآخر والحذر منه ، وقصر التبادل على الإغراء والتلاعب ، ومحاولة السيطرة عليه ، فيشكل بذلك الإغراء استراتيجية ملائمة للصراع ، ولعبة تعني التظاهر بالعباءة ، وتعبير عن بخل عاطفي لا يستطيع الإنسان التحكم فيه في غالب الأحيان (فاطمة المرنيسي ، 2010 ، ص154).

كما أن مجالات التواصل الاجتماعي تضمن نوعا من الحركية للجنسين ، وفرص الالتقاء بينهما ، التي لا تخلو من الصراع ولا من حضور العنف ، لذلك يظل فهم البناء الاجتماعي المباشر للعلاقات بين الجنسين ، مستوى مهم في فهم الصراع والعنف القائم في مجالات الأنترنت ، ورغم التحولات التي تعرفها دينامية العلاقات بين الرجال والنساء ، إلا أن الهوية التقليدية لا تزال حاضرة في مواقع التواصل الاجتماعي ، ويبدو ذلك من خلال تمثل دور الرجل كمنتج اقتصادي ، والمرأة كمستهلك لثروات الرجل ، وهي هوية قائمة كذلك على اعتبارات جنسية لها علاقة بحفاظ الجسد الأنثوي على شرف العائلة من خلال البكارة ، ومرئية الدم خلال ليلة الدخلة ، لذلك فحدوث التغيرات في تقسيم أدوار الجنسين بالشكل الذي أنتجه نظام الواقع الاجتماعي المباشر ، يشكل أحد التظاهرات الجديدة للصراع في مجالات التواصل الاجتماعي ، وفي إعادة تشكل الحميمية والعلاقة القائمة بين الخاص العام ، ومدى نشوب تنافر معرفي بين الواقع الاجتماعي المباشر وبين الواقع الاجتماعي غير المباشر.

إلى جانب أن الحدود القائمة بين مرئية الجسد وعدم مرئيته في مواقع التواصل الاجتماعي ، تشكل قطبا مهما في علاقات الصراع بين الجنسين ، التي قد تؤدي إلى عنف لفظي صريح ، مرتبط أساسا بمخيلة ذكورية تتضمن تمثيلات مقترنة بأسطورة الكيد ، كسلطة رمزية تحدد المرأة في دور الصائد الذي يستعمل كل إمكانياته



الجسدية للإطاحة بالرجل ، فتبدو مجالات الأنترنت ككاشف عن الازدواجيات بين ما هو عصري جديد وما هو اجتماعي قديم.

ويعتبر زيجمونتبومان أن الثقافة الاستهلاكية، عامل أساس في تأسيس الهشاشة الاجتماعية بين الجنسين، كما تعمل علاقة الحب التي ينظر إليها كصفتة تجارية على خلق مشاكل لا علاج لها، ويستشهد هنا باومان بالخبير كريستوفو كولولو في معهد تافيسستوك للدراسات الزوجية بقوله: "حينما يشعر أهل الحب بعدم الأمان، عادة ما يسلكون سلوكا غير بناء، إما بمحاولة الإرضاء أو محاولة التحكم، وربكا السلوك العدواني، ولكنها أمور قد تضطر الحبيب إلى الرحيل" (زيجمونتبومان، 2010، ص 50-51)، وبذلك تصير اللاتقة وعدم الشعور بالأمان، تظاهرات أساسية للهشاشة الاجتماعية، ويعتبر باومان الفشل في الحب ناتج عن فشل في التواصل، لكن ما وقع فيه باومان هو جعل علاقة الحب بين طرفين، قيمة مثالية تتحد وفق العواطف وخارج البناءات الاجتماعية للقيمة في حد ذاتها، والتي تختلف باختلاف السياقات، التي لا تتغير فقط وفق خيارات الأفراد، خصوصا إذا تحدثنا عن كل ذلك التفاعل المعقد بين ما هو نفسي اجتماعي وبين ما هو مجتمعي سياسي واقتصادي وإسلامي، وبين مجموعة من البناءات الثقافية المترسخة تاريخيا، بطريقة واعية وبطريقة لا واعية، على المستوى النظري كما على المستوى الممارسي، الذي لا يكشف دائما عن نفسه بطريقة واضحة. وقد قام شيري توركل Sherry Turkle بالاعتماد على مفهوم "المجال الاحتمالي"، في الاستعمالات المجالية للأنترنت، كمفهوم مشتق من مفهوم "المجال الانتقالي"، الذي استعمله عالم النفس التحليلي دونالد وينكوت Donald Winnicott لوصف الحقول التي لها وظيفة نفسية ومبنية على علاقات التناقض (Michael Civin, 2000, p 35)، وبذلك تبدو مواقع التواصل الاجتماعي كمجالات لا تعكس الانسجام التام بين النفسي والاجتماعي، مما قد يتسبب في صراعات جديدة بين الجنسين تقوم على تناقضات قائمة بين التواصل عن بعد من خلال الوسائل التكنولوجية الحديثة، وبين اللقاء المباشر، وهو ما يجعلنا أمام واقع علائقي مركب، وذاكرة جسدية واقعية جديدة، تمازج بينرميزات الحضور النفسي والعاطفي، الذي يمر عبر لوحة المفاتيح، أو عبر التسجيل، أو عبر الكاميرا... وبين ما هو مباشر قائم على تماس جسدي، تحضر فيه علاقات الفاعل والمفعول به، والبناءات الاجتماعية للذكورة والأنوثة وفق سياقات التغيرات الاجتماعية التي يساهم فيها واقع مجالات للتعرف عبر حدودي.

ونظرا لما توفره وسائل التواصل الاجتماعي، من إمكانيات يصعب معها التأكد من حقيقة الهوية، إضافة إلى طبيعة التفاعل عن بعد، التي قد تبدأ وتنتهي بنقرة، فإن ذلك يعمل على توسيع دائرة الصراع والتوتر بين الجنسين، كما قد يجعل العلاقة الاجتماعية قائمة على العنف، وعلى مجموعة من الصور النمطية المجنسة، خصوصا وأن الجسد الأنثوي قد يصير موضوعا جنسيا بسبب وضع صور شخصية لبلباس قصير، تكشف عن بعض من أجزاء الجسد، فيتم التعامل معهؤلاء النساء "بجرأة أكبر"، على أساس أن نمط لباسهن يعد مؤشرا "للحُرر الجنسي"، ويبرز ذلك من خلال التعاليق والمحادثات التي تضم إحياءات جنسية، وبالتالي تصير صورة الجسد موضوعا جنسيا، بخلاف النساء اللواتي يرتدين لباسا يغطي أجزاء الجسد، فإنهن يخضعن لتصنيف آخر، يدخل ضمن إطار "مشاريع عن بعد" لعلاقات الزواج، وهو مجال مهم لتفكيك وتحليل الصور النمطية، التي تجسد العنف القائم على النوع الاجتماعي، وتتيح استكشاف تمثيلات الجنسين حول بعضها

البعض. لذلك فدراسة هذه الإشكاليات لا يكون بمعزل عن الواقع الديموغرافي للمستخدمين والمستخدمات ، مما يجعل واقع بناء التمثلات حول العنف قطبا أساسا في الفهم ، وفق السياقات الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية والاقتصادية ، التي يضاف إليها السياق التكنولوجي . ووفق هذه العلاقات المتفاعلة ، توضح دراسة "المرأة العربية في النقاش الافتراضي ، دراسة في تمثلات المرأة في صفحات الميديا التقليدية في الفيسبوك" ، التي قام بها مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث سنة 2015 ، أهمية إكراهات السياقات الثقافية والاجتماعية التي تنقل العنف ضد النساء من الشارع إلى مجالات التواصل الاجتماعي ، عبر أشكال مستحدثة من العنف ، على غرار التحرش الجنسي الإلكتروني ، كما بينت دراسة قامت بها جمعية المرأة العاملة الفلسطينية للتنمية أن "التحرش الإلكتروني بالأطفال والفتيات هو الأكثر انتشارا ، وذلك من خلال استخدام المواقع الإلكترونية والرسائل العشوائية ، والتي تتراوح بين الألفاظ والتلميحات الخادشة للحياء العام ، والعبارات البذيئة التي تسعى لإثارة الغرائز ، وأوضحت العديد من الدراسات أن واحد من كل أربع فتيات يتعرضن للمضايقات والتحرشات عبر مواقع التواصل الاجتماعي أو الاتصالات الهاتفية أو الشات ، والذي يشمل أيضا اختراق حساباتهن على مواقع التواصل الاجتماعي" . كما خلصت دراسة الكوثر ، إلى أن المرأة حين تنزاح عن دورها النمطي ، فإنها تصبح موضوع جدل واستنكار لأدوارها المستحدثة ، لذلك فالعقلية الذكورية تنظر إلى النساء من داخل أطر ثقافية وتقليدية ودينية؛ فإما تحظى المرأة بالثمين والتبجيل ، وإما يمكن اعتبارها مهددة للمجتمع وفسادة ، فتتعرض للشتيم والاستهزاء ، وهنا تؤكد الدراسة أهمية الفرضية القائمة بأن الميديا الاجتماعية يمكن أن تمثل فضاء تتكون فيه أشكال جديدة من الهيمنة ومن الصمت والتغيب ، لأن معظم النساء تحجم عن التصدي للخطابات العنيفة حولها . وجدير بالالتفات كذلك ، إلى الابتزاز الجنسي الإلكتروني ، عبر حفظ المحادثات ، أو التسجيل ، أو التصوير ، الذي يهدف إلى الحصول على المال ، أو إقامة علاقات جنسية ، أو الحفاظ على استثمارية العلاقات ، كنوع من العنف المادي والرمزي ، الذي يتشكل وفق هويات فردية تتفاعل بين المرئي واللامرئي ، من خلال الانكشاف للآخر وتقديم المعلومات الشخصية الكافية ، أو من خلال التستر وراء أسماء مستعارة وصور تعبيرية ، وهو ما يبرز صعوبة دراسة التداخل الحاصل في دراسة الهوية بين البناء وإعادة البناء .

#### خلاصة

إن الواقع الاجتماعي للأترنت ، صار جزء لا ينفصل عن فهم البناء الاجتماعي للعلاقات بين الجنسين ، وتقكيك التداخلات الحاصلة بين علاقات المتعة والصدقة والحب ، أمام خصائص جديدة يُبجها التواصل عن بعد ، فتجعلنا أمام تداخل الواقع الاجتماعي المباشر بالواقع الاجتماعي غير المباشر ، الكاشف لخصوصيات مركبة ومتفاعلة ، لمجموعة من الميكانيزمات الواعية وغير الواعية ، وهو واقع يجعلنا في تساؤل حول نظام اجتماعي جديد في هندسة العلاقات الاجتماعية بين الجنسين ، وتقسيم الأدوار خارج مؤسسة الأسرة ، التي تعتبر في النظام الإسلامي المؤسسة الأساس التي تحترق الجنس ، وفق ضوابط النظام الديني ، فتشكل وسائل التواصل الاجتماعي قنوات جديدة ومتعددة للتنشئة الاجتماعية ، تساهم بشكل كبير في سيرورة من التغيرات الثقافية والقيمية ، التي يتم استدماجها واكتساب مجموعة من استعمالات الجسد ، التي تولد ممارسات جديدة ، وحركية مجالية تعيد بناء الجسد ، خصوصا من خلال العلاقة القائمة بين الخاص

والعام ، ووفق ذاكرة ومخيلة تجمع بين التواصل عبر الوسائل التكنولوجية الحديثة ، وعبر اللقاءات المباشرة ، وهي مسارات معرفية يتدخل فيها الخطاب وإعادة قراءته وفق علاقات النوع الاجتماعي .  
إن بناء العلاقات الاجتماعية بين الجنسين من خلال مجالات الأترنيت ، لا يمكن اعتبارها افتراضية ولا خيالية ، لأنها تشكل واقعا جديدا ، تجعلنا نعيد قراءة المفاهيم ، وإعادة تفكيكقيم الذكورة والأنوثة بين البناء وإعادة البناء ، ووفق منطق تواصل جديد (Nejjar, 2012, p11) لا يقف بنا عند إمكانيات التكنولوجيا ، بقدر ما يقف بنا عند الحاجيات والممارسات الاجتماعية ، تبعا لعلاقة الجنسين بذواتهم ، وفي علاقاتهم ببعضهم ، ويجعلنا كذلك نعيد التساؤل حول الحميمية ، وهو الأمر الذي يتطلب تجددا في البراديفغات وفي أدوات الاشتغال المنهجية .

ورغم أن الاستعمالات الاجتماعية لمواقع وتطبيقات التواصل الاجتماعي ، قد يكون قائما على التداخل فيما بينها ، لكن ذلك لا يمنعنا من الالتفات إلى وجود خصوصيات في الاستعمالات الاجتماعية بين الجنسين ، تختلف من مجال لآخر ، فتضيق وفقا لذلك أو قد تتسع ، باعتبارها تسمح بالتواصل أكثر ، وبمستوى معين من الثقة خصوصا في استعمالات الجسد ، وتوظيف مجموعة من التقنيات التي تهدف تأسيس العلاقة بين الرجال والنساء ، كالكاميرا ، لذلك فالانتقال من مجالات كمواقع التعارف إلى أخرى كالاتساب ، يعبر عن حميمية أكثر وألفة أكبر ، وعن واقع يكشف عن حاجيات نفسية واجتماعية لواقع معاصر ، يتميز بالحركية وبتأسيس نماذج علائقية جديدة عبر حدودية ، قائمة على حياة واقعية غير مباشرة (وسائطية) ، وعن ممارسات تفاعلية تشكل جزء من الحياة اليومية ، وتدعو إلى تفكيك مجموعة من العلاقات الثنائية بين رجل/ امرأة ، وفي الحدود القائمة بين مرئية ولا مرئية هوياتهم ، التي يرى هارولد جارفينكل Harold Garfinkel أن الكشف عنها يتميز بالاستمرارية وانعدام الوقت الميتم ، وذلك عبر مجموعة من الاستعمالات كالاسم والتعليق ... (Nejer, 2012, p 53).

قائمة المراجع:

-القرآن الكريم

-التقرير العالمي للبونسكو (2009) ، من مجتمعات المعلومات إلى مجتمعات المعرفة ، PDF

-مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث (2015) ، المرأة العربية في النقاش الافتراضي ، دراسة في تمثيلات المرأة في صفحات الفيديو التقليدية في الفاييسوك

-الهرنسي فاطمة (2009) ، ما وراء الحجاب ، الجنس كهندسة اجتماعية ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الخامسة

-حافيد لوبروتون (2014) ، سوسيوولوجيا الجسد ، ترجمة عياد أبلال وإدريس المحمدي

-زيجمونتيانومان (2016) ، الحب السائل ، عن هشاشة الروابط الإنسانية ، ترجمة حجاج أبو جبر . الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت

-عبد الصمد الديالمي(2015) ، الانتقال الجنسي في المغرب: نحو الحق في الجنس ، في النسب وفي الإجهاض . الرباط ، دار الأمان

-Elisabeth Badinter (1986) , L'un est l'autre, Des relations entre hommes et femme. Editions Odile Jacob

-Claude Fintz (dir) (2002) , Du corps virtuel... à la réalité des corps, Tome 1, L'Harmattan

-Françoise Héritier (1996) , Masculin/Féminin, La pensée de la différence. éditions Odile Jacob

-James slevin (2000) , The internet and society, Polity Press

-Jean-Claude Kaufman(2010) , Sex @mour Les nouvelles clés des rencontres amoureuses, Armand Colin

-Michael Civin (2000) , Psychanalyse du net, Hachette Littératures

-Sihem Najjar (dir) (2012) , Les nouvelles sociabilités du Net en Méditerranée, Edition KARTHALA et IRMC

## المعالجة الدولية والوطنية للجرائم الالكترونية

### International and national treatment of cyber crime

د. قوسم الحاج غوثي ، جامعة تيارت ، كلية الحقوق والعلوم السياسية- الجزائر

د. هروال نبيلة هبة ، جامعة تيارت ، كلية الحقوق والعلوم السياسية- الجزائر

#### مقدمة:

خلفت الثورة الاتصالية المعلوماتية التي يعيشها عالمنا الآن انعكاسات إيجابية لم يسبق للبشرية معرفتها ، أهمها انتقال الناس من العالم الواقعي المادي إلى العالم الخيالي بدون أي عناء أو جهد وتدقق المعلومات بطريقة سريعة ودقيقة وغزيرة لدرجة تحول المعجزة إلى مجرد قرية صغيرة لا تعترف بالحدود الجغرافية ولا السياسية ، ولا بمفهوم الزمن والمسافة..... إلخ.

وفي مقابل ذلك أنتج ذلك التزاوج بين تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات مولودا غير شرعي يسمى بالجرائم الالكترونية ، وخلق فرصا جديدة للمجرمين لارتكاب تلك الجرائم بكل أريحية وبدون قلق من خلال خصائصها الفريدة من نوعها والتي تختلف تماما عن نظيرتها التقليدية ، ومن أهمها عبورها للحدود الوطنية ، وصعوبة اكتشافها والقبض على مرتكبيها ، وكذا إثباتها نظرا لما يتميز به الدليل فيها من مميزات. ضف إلى ذلك أنها جرائم تحطم البنية التحتية للدول نظرا لما تسببه من خسائر فادحة وأضرار كبيرة باقتصاديات هذه الدول التي أصبحت ترتبط في جزء كبير منه بالتقنيات الالكترونية الحديثة ، فضلا عن تكريس الهوية الرقمية بين الشعوب وغيرها من السلبيات.

وأمام هذه السلبيات كان من الضروري على المشرع الدولي تأطيرها وإيجاد سبل مواجهتها من خلال مجموعة من الاتفاقيات الدولية سواء تلك المرتبطة بالجانب الجزري لردع صورة التعدي على المعطيات ، أو تلك المتعلقة بالأنظمة المرتبطة بالتقنية المعلوماتية كالتجارة الالكترونية.

والجزائر كغيرها من دول العالم لم تسلم من ويلات هذه الجرائم ، و التي أصبحت اليوم لا تعد ولا تحصى ، وفي تصاعد مستمر و متزايد ، إذ بلغت وفق الإحصائيات التي أجريت حولها العام الماض 1055 جريمة إلكترونية ، تورط فيها أكثر من 946 شخص (أميرة ، مقال منشور على الموقع: m.almyden.net) وعليه و تماشيا مع هذه الاتفاقيات الدولية و في إطار معالجة و مكافحة هذه الجريمة ، كرس المشرع الجزائري ترسانة قانونية محلبة وطنية و سن قوانين جديدة تعنى بمجتمع المعلومات وتوائم هذا النوع من الإجرام إلى حد ما .

فهل نجح المشرع الدولي والمشرع الوطني (الجزائري) في توفير الترسنة القانونية اللازمة والناجعة لمكافحة هذا الإجرام الفريد من نوعه ؟

المطلب الأول: تعريف الجريمة الالكترونية

المطلب الثاني: المعالجة الدولية للجريمة الالكترونية

المطلب الأول: المعالجة الوطنية الجريمة الالكترونية

### المطلب الأول: تعريف الجريمة الالكترونية

يوصف العصر الحالي بالعصر الالكتروني نظرا للتطورات التكنولوجية الكبيرة والمعقدة التي يشهدها، فهي تكنولوجيا تخدم جميع مجالات الحياة حيث بات هذا العصر يتحرك من خلال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي واكبتها حركة إجرامية كبيرة لم تعرفها البشرية من قبل تسمى بالجرائم الالكترونية والتي هي ظاهرة مستجدة نسبيا تعاني منها جميع المجتمعات فأصبحت من خلالها تستباح وتنتهك الحقوق والخصوصيات الالكترونية للأفراد وتحطم البنيات التحتية للدول سواء كانت متقدمة أو سارية في طريق النمو.

وتعتبر الجريمة الالكترونية من بين الجرائم التي تباينت تسمياتها عبر المراحل الزمنية لتطورها التي ارتبطت بتقنية المعلومات، فقد اصطلح على تسميتها بداية "بإساءة استخدام الكمبيوتر" ثم "احتيال الكمبيوتر"، "الجريمة المعلوماتية" بعدها "الجريمة المرتبطة بالكمبيوتر" ثم "جرائم التقنية العالية"، إلى "جرائم الهاكرز" "فجرائم الانترنت" وأخيرا "السيبركرام". (عطوى، العدد 21، جوان 2012، ص 08) ولقد حاولت العديد من الأعمال الأكاديمية تعريف الجريمة الالكترونية (البداية، خلال الفترة من 2-4/09/2014، الأردن، ص 5). فتعددت تعريفاتها بتعدد مسمياتها، فمنهم من يعرفها من الجانب الفني (التقني)، أما التعاريف الأخرى فيطفي عليها الجانب القانوني.

فهناك من يعرفها على أساس الجريمة المعلوماتية بأنها: "فعل ضار يستخدم الفاعل، الذي يفترض أن لديه معرفة بتقنية الحاسوب نظاما حاسوبيا أو شكلية حاسوبية للوصول إلى البيانات والبرامج بغية نسخها، أو تغييرها، أو حذفها، أو تزويرها، أو تخريبها، أو جعلها غير صالحة، أو حيازتها، أو توزيعها بصورة غير مشروعة. (السالك، 21-23 أكتوبر 2000).

ويعرفها آخرون على أنها: جريمة ذات طابع مادي تتمثل في كل فعل أو سلوك غير مشروع، من خلال استعمال الوسائط الإلكترونية، حيث تتسبب في تحميل أو إمكانية تحميل المجني عليه خسارة، وحصول أو إمكانية حصول مرتكبه على أي مكسب. وتهدف هذه الجرائم إلى الوصول غير المشروع لبيانات سرية غير مسموح بالاطلاع عليها ونقلها ونسخها أو حذفها، أو تهديد أو ابتزاز الأشخاص والجهات المعنية بتلك المعلومات، أو تدمير معلومات الغير بالفيروسات.

والبعض الآخر يعرفها بأنها: الجرائم التي ترتكب ضد أفراد أو مجموعات مع وجود دافع إجرامي لإلحاق الضرر عمدا بسمعة الضحية، أو التسبب بالأذى الجسدي أو النفسي للضحية بشكل مباشر أو غير مباشر، باستخدام شبكات الاتصال الحديثة مثل الانترنت (غرف الدردشة، البريد الإلكتروني) والهواتف النقالة (الرسائل القصيرة ورسائل الوسائط المتعددة). وتشمل الجرائم الالكترونية أي فعل إجرامي يتم من خلال الحواسيب أو الشبكات كعمليات الاختراق والقرصنة، كما تضمن أيضا أشكال الجرائم التقليدية التي يتم تنفيذها عبر الانترنت. (حسام، 29 مارس 2017، ص 91).

وقد عرفها المشرع الجزائري في المادة 02 من القانون رقم 04/09 تحت مسمى الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال بأنها: "جرائم المساس بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات الآلية المحددة في قانون

العقوبات وأي جريمة أخرى ترتكب أو يسهل ارتكابها عن طريقة معلوماتية أو نظام للاتصالات الاليكترونية".(04-09 ، المؤرخ في 5 غشت 2009).

#### المطلب الثاني: المعالجة الدولية للجريمة الاليكترونية

في إطار الجهود الدولية المبذولة وجدت عدة هيئات ومنظمات ومجالس دولية برز لها دور ملحوظ في إبرام الاتفاقيات محاولة منها ترسيخ التعاون الدولي لمواجهة الجرائم الاليكترونية ، وهذا ما أكدته الاتفاقية الدولية والإقليمية.

#### أولاً: الإطار الدولي لمكافحة الجريمة الاليكترونية:

في سبيل محاولة التصدي للجرائم الاليكترونية تبذل كل من الأمم المتحدة والجمعية الدولية لقانون العقوبات جهوداً لا يستهان بها ، تأكيداً على ضرورة تعزيز العمل المشترك بين جميع الدول والتي أدركت فعلاً مدى الخطورة التي تشكلها هذه الجريمة العابرة للحدود:

أ.القرار الصادر عن مؤتمر الأمم المتحدة الثامن لمنع الجريمة ومعاملة السجناء -هافانا 1990 بشأن الجرائم ذات الصلة بالكمبيوتر:يعد هذا القرار من الجهود التي بذلتها الأمم المتحدة ، حيث عقد هذا المؤتمر في أوت 1990 بالعاصمة الكويبية هافانا.

وتتلخص توصياته أساساً في: التأكيد على ضرورة وضع إطار قانوني دولي بتضافر جهود جميع الدول الأعضاء ، من أجل التعاون على الحد من انتشار وتعاطف آثار هذه الظاهرة الإجرامية المستحدثة ، وذلك بأن تكشف الدول الأعضاء جهودها لمكافحة إساءة استخدام الكمبيوتر وبتجريم تلك الأفعال الجنائية. وأشار القرار أنه على الدول الأعضاء وفي سبيل مواجهة الإجرام الاليكتروني اتخاذ مجموعة من الإجراءات التالية:

ضمان أن الجزاءات والقوانين الراهنة بشأن سلطة التحقيق والأدلة في الإجراءات القضائية تنطبق على نحو ملائم ، وإدخال تغييرات مناسبة عليها إذا دعت الضرورة لذلك.

-النص على جرائم جزاءات وإجراءات تتعلق بالتحقيق والأدلة حيث تدعو الضرورة للتصدي لهذا الشكل الجديد والمعقد من أشكال النشاط الإجرامي في حالة عدم وجود قوانين تنطبق على نحو ملائم.  
-المشاركة كأطراف في المعاهدات المتعلقة بتسليم المجرمين وتبادل المساعدة في المسائل الخاصة لهذه الجريمة.(عبانة ، 2009 ، ص 155).

ب.مقررات وتوصيات المؤتمر الخامس عشر للجمعية الدولية لقانون العقوبات 1994 -البرازيل بشأن جرائم الكمبيوتر: أوصى المؤتمر الخامس عشر للجمعية الدولية لقانون العقوبات المنعقد في ريو دي جانيرو بالبرازيل في 04 أكتوبر 1994 بأن توضع قائمة تتضمن الحد الأدنى من الأفعال المشكلة لجرائم الحاسب الآلي والمتعين تجريمها وهي:

- الاحتيال أو الغش المرتبط بالكمبيوتر.
- تزوير الكمبيوتر ، أو التزوير المعلوماتي.
- الإضرار بالبيانات والبرامج ، وتشمل المحو والإتلاف والتعطيل للمعطيات.
- تخريب واتلاف الكمبيوتر.

-الدخول غير المصرح به.

-الاعتراض غير المصرح به.

إضافة إلى بعض القواعد الإجرائية لوجوب تحديد السلطات التفتيش وضبط الأدلة الرقمية والسماح لها باعتراض المراسلات والتعاون الفعال بين المجني عليهم والشهود وكذا مستخدمي المعلومات من أجل إتاحة استخدام المعلومات للأغراض القضائية.

وإضافة إلى تلك الجهود، لعبت المنظمة العالمية للملكية الفكرية WIPO دورا هاما من خلال إيجاد النصوص القانونية خاصة لحماية برامج الحاسب الآلي، وعبر الاجتماعات المتكررة والتي كان آخرها عام 1985 بالتعاون مع الويبو واليونيسكو في جنيف، حيث ساد رأي لدى أغلب الدول الصناعية ودول العالم الثالث، وهو خضوع تلك البرامج لوانين حناية المؤلف. ومنذ ذلك العام وحتى الآن عدلت معظم الدول تشريعاتها الخاصة بحق المؤلف وإضافة برامج الحاسب الآلي إلى المصنفات الأدبية المحمية وفقا للقانون.(المرجع نفسه، ص 161 وما بعدها).

#### ثانيا: المعالجة الإقليمية للجريمة الالكترونية

إلى جانب المنظمات الدولية، اهتمت المجالس الإقليمية كالمجلس الأوروبي ومجلس وزراء الداخلية والعجل العرب، بوضع اتفاقيات قصد التصدي ومكافحة الجريمة الالكترونية.

#### أ. اتفاقية بودبست لمكافحة الجريمة السيبرانية والانترنت – بودابست 2001

1/- لعب المجلس الأوروبي دورا هاما في مكافحة الجرائم السيبرانية، وصدرت عنه العديد من التوصيات لحماية تدفق المعلومات، ففي سنة 1981 وقع المجلس الأوروبي اتفاقية تتعلق بحماية الأشخاص لمواجهة المعالجة الالكترونية للبيانات ذات الصبغة الشخصية، وفي أبريل 2000 تقدمت اللجنة الأوروبية بمشروع اتفاقية حول مشكلات جرائم المعلوماتي والحاسب الآلي، والتي تمت المصادقة عليها سنة 2001 ببودابست عاصمة المجر.(الكريم، يومي 11 و 12 أبريل 2017، ص 08)

وتتكون الاتفاقية من مقدمة وأربعة فصول، حيث تضمن الفصل الأول من الاتفاقية تعريف المصطلحات من خلال نص المادة الأولى، أما الفصل الثاني جاء تحت عنوان الاجراءات المتعين اتخاذها على المستوى الوطني وتتضمن ثلاثة أقسام، يضمن القسم الأول منها المواد من 2 إلى 13 ويعالج النصوص الموضوعية للجرائم المعلوماتية(معتوق، ص 101)، حيث نص على خمس مجموعات:

-المجموعة الأولى، وتتضمن الجرائم التي تستهدف أمن المعلومات وسريتها، وسلامة معطيات المنظومة المعلوماتية وإساءة استخدام الأجهزة.

-المجموعة الثانية، الجرائم المرتبطة بالكمبيوتر وهي التزوير والاحتيال المرتبطين به

-المجموعة الثالثة، وتتضمن الجرائم المرتبطة بالمحتوى، وتنطوي تحتها صورة واحدة وهي جرائم دعارة الأطفال وتشمل تجريم أي نشاط متعلق بهذا الموضوع.

-المجموعة الرابعة، وهي الجرائم المرتبطة بحقوق الملكية الفكرية.

-المجموعة الخامسة، تحوي المساهمة والشروع والمسؤولية الجزائية للأشخاص المعنوية.(غايب، 2011، ص

2/ -تعتبر هذه الاتفاقية أحد محاولة وأكثرها تنوعا من أجل تنسيق قوانين جديدة في دول عديدة ضد إساءة استخدام الانترنت. كما نشير إلى أنها تأتي بعد فترة طويلة من المشاورات بين الحكومات وأجهزة الشرطة وقطاع الكمبيوتر ، وقد صاغ نصها عدد من الخبراء القانونيين في مجلس أوروبا بمساعدة دول أخرى .

ب.الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات: بتاريخ 21 ديسمبر 2010، وافق مجلس وزراء الداخلية و العدل للعرب في اجتماعهم المشترك المنعقد بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، على الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات ، تحتوي هذه الاتفاقية على 43 مادة ، وحاء في المادة الأولى منها "تهدف هذه الاتفاقية إلى تعزيز التعاون وتدعيمه بين الدول العربية في مجال مكافحة جرائم تقنية المعلومات لدرء أخطار هذه الجرائم، حفاظا على أمن الدول العربية ومصالحها و سلامة مجتمعاتها وأفرادها" ، ونجد في الفصل الثاني تفصيلا للأفعال التي تعد مجرمة ، أما الفصل الثالث منها فقد تم التعرض من خلاله إلى نطاق تطبيق الأحكام الإجرائية ، و في الفصل الرابع نص على التعاون القانوني و القضائي ، أما الفصل الخامس فتضمن أحكاما ختامية.(خلف ، ص8)

#### المطلب الثالث: المعالجة الوطنية للجريمة الالكترونية:

تعتبر الجزائر بالنظر إلى موقعها الجغرافي فضاء مفتوحا مغاربي ، ومتوسطيا ، وإفريقيا لتلاقي وتقاطع التهديدات الامتثالية التي تركب آثارها على مسألة الأمن الوطني ، ومنها المخاطر الاليكترونية التي أفرزتها الجريمة الاليكترونية والتي أصبحت الجزائر إحدى ضحاياها وإن كان لزاما على مشرعها إيجاد ترسانة قانونية تكافحها حتى لا يتسنى له تأمين الثورة الرقمية للأفراد و المؤسسات و بالتالي التصدي لخطر تشتكي منه اليوم الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التي يعود لها الفضل في إنشاء أول شبكة انترنت سنة 1989 .(بوزادية ، أفريل 2019 ، ص1265)

أولا في إطار القوانين العامة: حاول المشرع الجزائري خلال السنوات الأخيرة تدارك الفراغ القانوني الذي عرفه مجال الإجرام الاليكتروني. وقام بتعديل قانون العقوبات بموجب القانون رقم 04-15 مستحدثا فيه جملة من النصوص جرم من خلالها الأفعال المتصلة بالمعالجة الآلية للمعطيات وحدد لكل قعل منها ما يقابله من جزاء وذلك من خلال القسم السابع مكرر من نفس القانون تحت عنوان "المساس بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات". وتأخذ هذه الأفعال إما وصف الاعتداء على نظام المعالجة الآلية والتي صورته جريمة الدخول أو البقاء غير المرخص بهما والتي عالجتها المادة 394 مكرر من قانون العقوبات الجزائري ، أو وصف الاعتداء على معطيات نظام المعالجة الآلية وصورته جريمة إدخال أو إزالة أو تعديل معطيات في نظام المعالجة الآلية بطريقة تدليسيه والتي عالجتها المادة 394 مكرر فقرة 1 من نفس القانون ، أو وصف الاعتداء على سير نظام المعالجة الآلية وصورته جريمة التعطيل والفساد والتي تضمنتها المادة 393 مكرر.

كما جرم المشرع الجزائري مجرد حيازة البيانات وفقا للمادة 394 مكرر. وإلى جانب القواعد الموضوعية ، قام المشرع الجزائري بسن قواعد إجرائية جديدة تتعلق بالتحقيق تتماشى مع الطبيعة المميزة للجرائم الاليكترونية وذلك من خلال تعديل قانون الإجراءات الجزائية بموجب القانون رقم 06-22 ، فنص على تدابير إجرائية مستحدثة تتمثل في اعتراض المراسلات وتسجيل الأصوات والتقاط الصور وفقا للمادة 65 مكرر من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري ، وإجراء التسريب وفقا للمادة 65 مكرر فقرة 12 وما يليها من نفس القانون .



## ثانيا في إطار القوانين الخاصة:

تقتضي المعالجة والمواجهة الفعالة للجريمة الالكترونية محاصرتها بنصوص خاصة إلى جانب القواعد العامة. وعلى هذا نص المشرع الجزائري في بعض القوانين الخاصة على تجريم بعض السلوكيات المعتبرة ضمن الجرائم الالكترونية:

أ. الجريمة الالكترونية في القانون المتعلق بالمواصلات السلوكية واللاسلكية: صدر خلال سنة 2000 القانون رقم 03-2000 المتعلق بالبريد والمواصلات السلوكية واللاسلكية ، وقد تضمن أحكاما جزائية خاصة بمخالفة نظامها القانوني ، فالأشخاص المرخص لهم بتقديم خدمة المواصلات السلوكية واللاسلكية هم العمال متعاملي الشبكات العمومية الذين ينتهكون سرية المراسلات السلوكية واللاسلكية أو المساعدة على ذلك ، يعاقبون طبقا لنص المادة 137(23-06) من قانون العقوبات وهذا ما نصت على المادة 127(03-2000) من القانون 03-2000.

ب. الجريمة الالكترونية في القانون رقم 04-09 المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحتها: صدر القانون رقم 04-09 المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحتها بتاريخ 05 أوت 2009 ، ويأتي هذا القانون لتعزيز نفس قواعد القانون رقم 04-15 المؤرخ في نوفمبر 2004 المعدل والمتمم لقانون العقوبات من خلال وضع إطار قانوني أكثر ملائمة مع خصوصية الجريمة الافتراضية.

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فهو يجمع بين القواعد الإجرائية المكملة لقانون الإجراءات الجزائية وبين القواعد الوقائية التي تسمح بالرصد المبكر للاعتداءات المحتملة والتدخل السريع لتحديد مصدرها والتعرف على مرتكبها ، ولقد تم اختيار عنوان "القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحتها" حتى لا يكون النص مرتبطا بتقنيات تشهد تطورا مستمرا بقدر ما يرتبط بالأهداف والغايات التي ترمي إليها التكنولوجيا ، كما أن التركيز على مجالي الإعلام والاتصال بين مقاصد النص الذي يهدف إلى جعل المتعاملين في مجال الاتصالات السلوكية واللاسلكية شركاء في مكافحة هذا الشكل من الإجرام والوقاية منه.(عمراني ، خلال الفترة 7 أبريل 20)

ج- الجريمة الالكترونية في قانون الملكية الأدبية والفنية: وسع المشرع الجزائري قائمة المؤلفات المحمية بعد إصداره للأمر رقم 03-05 المؤرخ في 23/07/2003 ، والمتعلق بحقوق المؤلف والحقوق المجاورة ، حيث أضاف برامج معلوماتية ضمن المصنفات الأصلية بموجب المادة 4 الفقرة (أ) من الأمر سالف الذكر

د- الجريمة الالكترونية في قانون عصنة العدالة: أصدر المشرع الجزائري القانون رقم 03-15 المؤرخ في 10 فيفري 2011 ، والمتعلق بعصنة العدالة وقد تضمن الفصل الخامس المتعلق بالأحكام الجزائية في المادتين 17(03-15)و(15-03 أ.) منه حماية التوقيع والتصديق الإلكتروني ، وذلك بمعاينة كل من يستعمل بطريقة غير قانونية العناصر الشخصية المتصلة بإنشاء توقيع إلكتروني خاص بتوقيع شخص آخر .

هـ- الجريمة الالكترونية في قانون التأمينات الاجتماعية: عاقب المشرع الجزائري كل من يستلم بهدف الاستعمال غير المشروع بطاقة إلكترونية لمؤمن له اجتماعيا ، وكذا كل تعديل أو حذف كلي أو جزئي للمعطيات التقنية أو الإدارية المدرجة في البطاقة ، أو نسخ البرمجيات المتعلقة باستعمالها ، أو الشروع في

ارتكاب أحد هذه الأفعال ، وهذا طبقا للمواد 93 مقرر فقرة 2 ، 93 مقرر فقرة 3 ، 93 مقرر فقرة 5 من القانون 08-01 (2008)

والجريمة الالكترونية في القانون رقم 18-05 المتعلق بالتجارة الالكترونية: صدر هذا القانون في 10 ماي 2018 حيث نص في المادتين 4 (18-08) و5 (5) منه على المعاملات المحظورة التي تكون عن طريق الاتصالات الالكترونية ورصد لها المشرع قانون عقوبات تطبق على مرتكبها في المواد من 37 إلى 48 من هذا القانون.  
**خاتمة:**

لقد أسفرت التطورات الجنائية الحديثة على معالجة ظاهرة إجرامية حديثة في مجال تكنولوجيا المعلومات ، وذلك على عكس الجرائم التقليدية التي كانت تعتمد على وسائل بسيطة في ارتكابها ، الأمر الذي أدى بتكاتف الجهود الدولية والوطنية لإيجاد مسطرة قانونية للحد من هذه المعضلة التي باتت الهم الأكبر لكثير من سكان دول العالم .

والمعالجة الدولية لظاهرة الإجمام المعلوماتي تقتضي تظافر كل القوى من أجل إيجاد حل شامل ومتكامل بين دول العالم ، الأمر الذي يجعلنا نهتم بهذا الموضوع من منظور القانون الدولي والوطني ، وهل استطاع كل منهما خلق مبدأ التكامل في محاربة هذا الإجمام الذي أصبح يهدد الأشخاص والأموال معا .

ولقد كان من نتائج التطور التكنولوجي في الوقت الراهن ، وجود ثمة علاقة ارتباط قوية بين استخدامات الحاسب الآلي وارتكاب بعض الجرائم المستحدثة ، أي استخدام الحاسب الآلي كأداة لارتكاب الأفعال الغير المشروعة ، وسواءً كانت الحاسبة الآلية محلا للجريمة المعلوماتية أو وسيلة لها فإن الجوهر في الأمر أن انتشار الوسائل المعلوماتية نتيجة لثورة المعلومات والتي تنتشر بسرعة هائلة وتغزو مختلف مجالات الحياة أصبح يزيد من فرص انتشار هذا النوع من الجرائم المستحدثة .

ورغبة من المشرع الجزائري في التصدي لظاهرة الإجمام المعلوماتي وما يصحبه من أضرار معتبرة على الأفراد والمؤسسات ، ومحاولة منه لتدارك الفراغ التشريعي القائم في هذا المجال ، حاول خلال السنوات الأخيرة بتعديل قانون العقوبات بموجب القانون رقم 04-15 مستحدثاً فيه جملة من النصوص جرم من خلالها الأفعال المتصلة بالمعالجة الآلية للمعطيات وحدد لكل فعل منها ما يقابله من جزاء ، وإلى جانب ذلك قام بسن قواعد إجرائية جديدة تتماشى مع الطبيعة المميزة للجرائم الالكترونية .

ولم يقف الأثر السلبي لهذه الجرائم عند الحدود الوطنية للدول بل تعدها ليباشر أنشطته على المستوى الدولي ، لذلك أصبحت الحاجة ماسة إلى وجود كيان دولي يأخذ على عاتقه القيام بهذه المهمة والتعاون من طرف أجهزة الشرطة في الدول ، خاصة فيما يتعلق بتبادل المعلومات المتعلقة بالجريمة والمجرمين .

#### قائمة المراجع:

- الأزرق بن عبد الله ، أحمد عمراني . ( خلال الفترة 7 أبريل 20) . نظام المعلوماتية في القانون الجزائري ، واقع وآفاق. الرياض: ورقة مقدمة إلى المؤتمر السادس لجمعية المكتبات والمعلومات السعودية .  
-القانون رقم 01-08 المؤرخ في 23 جانفي 2008 . (بلا تاريخ).  
-المادة 02 من القانون رقمين 04-09 . (المؤرخ في 5 غشت 2009). المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الاعلام والاتصال ومكافحته. الجريدة الرسمية رقم 47 ، ص 5.  
-المادة 127 من القانون رقم 03-2000 . (بلا تاريخ).  
-المادة 17 من القانون 03-15 . (بلا تاريخ).

- المادة 18 من القانون 03-15. (بلا تاريخ).
- المادة 197 من القانون 23-06. (بلا تاريخ).
- د/ جمال بوزادية. (أفريل 2019، ص1265). *الاستراتيجية الجزائرية في مواجهة الجرائم السيبرانية*. مجلة العلوم القانونية و السياسية، المجلد 10، العدد 01.
- دياب موسى البدانية. (خلال الفترة من 2014/09/4-2، الأردن، ص 5). *الجرائم الالكترونية في ظل المتغيرات و التحولات الدولية والاقليمية*. الأردن.
- عقوطة الأمير عبد القادر، غرداين حسام. (29 مارس 2017، ص 91). *الجريمة الالكترونية و آليات التصدي لها*. الجزائر : أعمال الملتى الوطني، آليات مكافحة الجرائم الالكترونية في التشريع الجزائري.
- عميرة أميرة. (مقال منشور على الموقع: m.almyden.net). *الجرائم الالكترونية في الجزائر*.
- كمال فريد السالك. (21-23 أكتوبر 2000). *محاضرة أقيمت في ندوة التنمية ومجتمع المعلوماتية*. حلب، سوريا.
- محروس ناصر غايب. (2011، ص 20-21). *الجريمة المعلوماتية*. العراق: مجلة هيئة التعليم التقني الأكاديمية.
- محمود أحمد عبابنة. (2009، ص 155). *جرائم الحاسوب وابعادها الدولية*. عمان: دار الثقافة للنشر و التوزيع.
- ملبكة عطوي. (العدد 21، جوان 2012، ص 08). *الجريمة المعلوماتية*. الجزائر: حوليات جامعة الجزائر.
- نص المشرع الجزائري في المادة 4 من القانون رقم 08-18. (بلا تاريخ).
- نص في المادة 5. (بلا تاريخ).
- هشام عبد الكريم. (يومي 11 و 12 أفريل 2017، ص 08). *التمييز العنصري وصور الاستخدامات الجديدة الانترنت*. مداخلة مقدمة ضمن فعاليات الملتقى الدولي الذي نظمته كلية الحقوق و العلوم السياسية بجامعة برج بوعرييج: الإجرام السبراني المفاهيم والتحديات.

## الفلسفة وسؤال المنهج

### Philosophy and the Mehtod 's Question

أ.د. بلعاليه دومه ميلود

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف-الجزائر

تمهيد:

إذا ما تحدثنا عن المنهج كمسلك ذهني إجرائي يراد به بلوغ نتيجة معينة فإننا على يقين بأن فكرة المنهج بهذا المعنى لا تثير في الفلسفة أو في غيرها من المعارف أي إشكال أو لبس ، اللهم إلا من المنظور البيداغوجي لعلم المناهج (البيداغوجيا) ، لأن الأمر يكون حينئذ مجرد خيار نظري يتحدد كشكل مؤقت لمقاربة الموضوع من زاوية نظر معينة دون اهتمام بالمفترضات القبلية - غير الواعية في الأغلب - لهذا الخيار من جهة ، ومن دون مساءلة الادعاءات المسوغة له من الناحيتين النظرية والعملية من جهة ثانية. أما وأن نتحدث عن المنهج "كخطاب" فلسفي فإن الأمر يتجاوز حيز البيداغوجيا المنهجية ليتحول إلى "هم معرفي" يتصل بالبعد الإشكالي لفكرة المنهج ذاتها كفكرة "مؤسسة" للمعرفة ، ومن ثم كفكرة ، ليست فقط "موجهة" ، بل "محددة" لطبيعة العلاقة بين الذات والموضوع ، أو بعبارة فينومينولوجية: علاقة الوعي بالعالم. إن المنهج وفق هذا المعنى لا يقدم نفسه كعملية إجرائية "محض علمية" إلا في الظاهر ، أما في العمق فهو يرتد إلى جذر "ما قبل منهجي" لا يجد تسويغه الفلسفي الكامل ، على مستوى الخطاب ، في ما يمكن أن يقوله أو يعلنه وحسب ، بل فيما يسكت عنه أو يبطنه أيضا.

"ديكارت" وميلاد فكرة المنهج الحديثة:

يكاد يتفق مؤرخو الفلسفة على تسمية القرن السابع عشر بعصر "المنهج" وأن اللحظة الديكارتية تحديدا هي اللحظة التأسيسية لفكرة المنهج الحديثة ، وذلك منذ سنة 1637م ، سنة ظهور كتاب ديكارت "المقال في المنهج" ، بجانب طبعا كتب أخرى خصصها فلاسفة آخرون معاصرون لديكارت لفكرة المنهج (يمكن أن نذكر من بين هذه الكتب: كتاب "الأورغانون الجديد" لفرنسيس بيكون ، "إصلاح العقل" لسبينوزا ، "العلم الجديد" لفيكو ) ، ونحن إذ نؤكد على هذه الحقبة التاريخية بالذات فلنكتفي بذكر أن تحول المنهج إلى خطاب ليس نتيجة قرار شخصي لهذا الفيلسوف أو ذاك وإنما هو نتيجة توجه ثقافي عام لا يمكن فهمه إلا في ظل شروط تاريخية محددة ، إذ ليس من قبيل الصدفة في شيء أن تهيم على القرن السابع عشر روح المنهج في مقابل القرن الثامن عشر الذي هيمنت عليه روح النقد. ولعل سبب الاهتمام بالمنهج لدى فلاسفة هذا القرن [السابع عشر] ، راجع إلى أن العلم كلما وجد نفسه أمام أزمة نمو وتطور ، اتخذ من المنهج موضوعا له من أجل البحث في وضعيته. وقد كان مظهر الأزمة في هذه الحقبة ، الانتقال من العلم والمنهج الأرستطيين ، والتعليم السكولائي -عموما- الذي ساد في القرون الوسطى [الأوربية] ، إلى العلم الحديث.

إن الحاجة إلى تأمين حركة انتقال الفكر الأوروبي من عصر الفكر المدرسي والدوغمائي إلى عصر العقلانية التنويري فرضت على فلاسفة القرن السابع عشر الاضطلاع بمسؤولية إعادة بناء تاريخ الإنسانية الأوروبية انطلاقا

من التفكير في إصلاح جذري "لنقطة البدء" المعرفية، ومن ثم امتلاك شرعية "التأسيس النهائي والأخير" للمعرفة، أي التأسيس لنموذج علمي جديد يضيء الصورة المثلى للعقل الإنساني الجديد: صورة عقل كوني حر.

في هذا الاتجاه بالذات لعب خطاب المنهج دورا تأسيسيا حاسما، لا في خلق تصور نظري جديد للمعرفة فقط، بل في قلب مفهومنا عن الحقيقة بصورة جذرية، ومن ثم إعادة بناء علاقة الذات بالعالم، ولعل نموذج العقلانية الرياضية الذي دشنته "ديكارت" ثم هيمن على ثقافة عصره بكاملها، بل حتى على التطورات العلمية اللاحقة، يقف شاهدا على الدور التأسيسي الذي لعبه المنهج العقلي في تحديد الرؤية الفلسفية للكون، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المنهج في الفلسفة ليس مجرد "نظام أو مجموعة من القواعد الذهنية بحسب "قرافيتز" "Grawitz" لعلم من العلوم، بحيث يكون الهدف منها هو الوصول إلى حقائق معينة والتأكد منها" (الزواوي بغورة، 2001م، ص108)، وإنما هو "تعبير متنكر" عن رؤية الفيلسوف ذاته، ولا يبرز ذلك بوضوح إلا في حالة المساءلة النقدية للمنهج، وبالتالي في حالة اكتشاف عنصر التوتر الداخلي بين مسلماته القبلية أو مفترضاته المسبقة من جهة وبين ادعاءاته المعلنة أو غير المعلنة من جهة ثانية.

إن الكشف عن هذه المفارقة داخل خطاب المنهج تحيلنا مباشرة على لحظة التدشين الأولى لخطاب المنهج، وهي لحظة "ديكارت"، وذلك حتى تتمكن من المساءلة النقدية لخطاب المنهج الحديث من خلال نقد مرجعيته النسقية والتاريخية المتمثلة في تأكيد "ديكارت" على اللحظة الاستثنائية لتجربة الذات المفكرة كتجربة منعزلة. فالشعور بهذه الانعزالية للذات عن العالم هي التي فرضت على "ديكارت" محاولة وضع قواعد نظرية من أجل هداية عقله، وهي القواعد الأربعة المعروفة والتي ترجع في النهاية إلى قاعدة البداية. لكن طالما أن هذه البداية تتأسس في الذات المفكرة وبمنأى عن كل تأثير خارجي فإن اليقين الوحيد الذي تتمثله هو يقين الذات لذاتها، أما يقين العالم فهو مجرد إمكان يقين، من هنا كانت المحاجة المنهجية، الدائرة تحت مظلة "ديكارت"، حول البنية الأنطولوجية للعالم تأخذ صورة حجاج مؤجل باستمرار، أي تتوسل بحجج وبراهين هي دائما في طور الانتظار و لا يمكن أن ترتقي إلى مستوى الحدس الذاتي الجذري من حيث هو حدس البداية النهائي. بهذا المعنى تكون ثنائية الذات والموضوع التي توطن خطاب المنهج العلمي الحديث وليدة "قرار منهجي" يفرضه منطق البحث و لا يفرضه وضع الكائن في العالم، ومن ثم فهو قرار غير مبرر أنطولوجيا.

يبدو أن العلاقة بالموضوع إذن، أو الكيفية التي تتوصل بها الذات إلى الموضوع، هي الإطار النظري العام الذي تطرح ضمنه مسألة المنهج باعتباره خطابا إبستمولوجيا بالأساس، إذ كل معرفة تقتضي ذاتا عارفة وموضوعا للمعرفة، ومن ثم تتحدد باعتبارها في الأخير "حكم الذات على الموضوع"، من هنا صار مفهوم الموضوعية مدار المعرفة المنهجية على مستوى الوعي العلمي الحديث، وأخذ خطاب المنهج صورته المثلى من داخل نموذج العقلانية العلمية التي تقتضي بضرورة "الفهم الموضوعي للعالم" طبقا لمحددات منهج "علم الطبيعة الرياضي" كما وضع أجدياته الأولى علماء وفلاسفة العصر الحديث، وخاصة "غاليلي" و "ديكارت". لكن المفارقة التي ظلت قائمة بصدد "الفهم الموضوعي للعالم"، خاصة بعد منعطف "الأزمة" الذي مس أسس العلم ذاتها، تجلت في السؤال التالي: كيف يتحقق فهم موضوعي للعالم وفي نفس الوقت

لا يمكن لهذا الفهم أن يجد معناه الأخير إلا في نطاق تجربة "الذاتية" الخاصة ؟ ذلك على اعتبار أن كل فهم هو في النهاية موقف للذات من الموضوع ، وليس بأي حال من الأحوال خاصة للموضوع .  
واضح أن هذا السؤال هو سؤال منهجي بالأساس ، إذ لا يتعلق الأمر بما يتيح العلم من معلومات عن العالم ، بل يتعلق أساسا بالكيفية التي يرافع بها العلماء دفاعا عن نمط وجود موضوعي للعالم لا يزال يفترق إلى التمييز المبدئي بين اليقين التجريبي الأساسي وبين "اليقين المنهجي" . لكن بما أن ضرب اليقين الذي يؤسس له خطاب المنهج هو ضرب "مشتق" من يقين سابق عليه هو يقين الوعي المتجذر في تجربة العالم و التاريخ والثقافة وكل أشكال الحياة الإنسانية من حيث هي أشكال للتجربة ما قبل العلمية ، وبالتالي ما قبل المنهجية ، فلا مندوحة لنا من النظر إلى العلاقة المنهجية بالموضوع ، بالرغم من ضرورتها التقنية والإجرائية ، كعلاقة غير أصيلة من الناحية الأنطولوجية . أو بعبارة "هيدغر" ، ينظر إليها "كنمط زائف للكينونة" ، لأن الكينونة الحقة هي "الكينونة . في . العالم" ، أي "كينونة مع الآخرين" ، بينما هذا هو بالضبط ما يحاول خطاب المنهج إخفاءه أو نسيانه والسكوت عنه ، لأنه خطاب وضعاني تحكمه ، كما يرى "يورغن هابرماس" ، ثلاثة معايير أساسية: "البقين ، الدقة و المنفعة" ، وهذه المعايير الثلاثة من شأنها أن تحول بين المنهج كخطاب علمي وبين ادعاء معرفة الكائن في ماهيته (Habermas,1976, p122).

"هوسرل" وأزمة اليقين المنهجي:

يدعونا "هوسرل" إلى ضرورة المساءلة النقدية الجذرية لأصل تكون فكرة اليقين المنهجي باعتبارها لحظة إنزياح خطيرة عن المعنى الأصلي والحقيقي لليقين ، إذ منذ أن تأسس علم الطبيعة الحديث مع "غاليلي" ، جرت عملية "دس" (Unterschiebung) "العالم المثاليات الذي هو مجرد تركيب نظري رياضي محل العالم الواقعي الوحيد ، المعطى واقعا في الإدراك ، عالم التجربة الفعلية والممكنة . عالم عيشنا اليومي . هذا الدس سرعان ما توارثه الخلف ، فيزيائيو القرون اللاحقة كلها" (إدموند هوسرل ، 2008 ، ص104) . فعملية الدس هذه هي التي منحت معنى زائفا لليقين ، حيث صار ما هو منهجي ، أي ما يعد في النهاية مجرد "فن" (téchne) ، بديلا عن اليقين الأصلي الذي يستمد منه خطاب المنهج العلمي ذاته وجوده كتركيب نظري مبدع .

إن استمرار عملية الدس هذه للإنجازات المنهجية لعلم الطبيعة الرياضي محل عالم العيش ، هي التي أوقفت ، أو بالأحرى ، منعت التأمل الفلسفي من أن يأخذ منحى إصلاحيا جذريا "لنقطة البدء الأصلية" في عملية نشوء المعنى المنهجي للعلم وللتجربة العلمية خارج دائرة المعنى الجوهري للعالم المعطى مسبقا كأفق لجميع المعاني العلمية والإنجازات المنهجية الممكنة ، إنه المعنى المتجذر في عالم الحياة اليومية . من هنا كان على الفلسفة أن تكشف عن البنية الحقيقية لعلاقة الذات بالموضوع قبل أي تدخل منهجي ، وذلك وفق ما اقترحه "هوسرل" ، باستخدام طريقة المساءلة الإرجاعية أو الارتدادية ، حيث يتم الحفر تحت المعنى الظاهر لخطاب المنهج وصولا إلى المعنى الأساسي الذي يستمد منه هذا الخطاب إمكانية وجوده ، ومن ثم الكشف عن الطابع المتنكر لليقين المنهجي الذي ترسب في وعينا بشكل زائف ، ومن دون استحضار المعنى الأصلي الذي اتخذ لحظة تدشينه . بهذه الطريقة تمارس الذات فعل "التعليق" (Epokhé) على كل إنجاز علمي منهجي بهدف العثور على الكيفيات الأولى لانعطاء الموضوع قبل أي تدخل منهجي ، أي قبل أن

ينوب خطاب المنهج عن خطاب الماهية الذي تكتشفه الذاتية في صيغة حدس العالم ما قبل العلمي. إن "الموضوع"، بهذا المعنى، هو موضوع معطى سلفاً في التجربة اليومية للعالم، "وبالنتيجة فالموضوعات ليست معطاة مسبقاً لنا جميعاً، فقط هكذا ببساطة، بحيث نمتلكها كحوامل لخصائصها، بل معطاة لوعينا في كفاءات ذاتية للظهور" (إدموند هوسرل، 1958، ص 230)، وهذا من شأنه أن يدفعنا بالضرورة إلى تغيير مفهومنا عن طبيعة العلاقة بالموضوع، أي ضرورة إعادة النظر في مدى صلاحية ادعاءات خطاب المنهج في التأسيس النهائي للعلم بمفهومه الواسع، أي العلم الشامل للتجربة الإنسانية، أو العلم بكلية الكائن، فالقول "بالكفاءات الذاتية لظهور الموضوع" هو قول جدير بأن يضع فكرة المنهج الحديثة نفسها موضع اتهام جذري، خاصة حينما يتعلق الأمر "بتجربة العالم" كما تتجلى عبر تجارب الفن والتاريخ واللغة، إذ بهذا المعنى يكون خطاب المنهج ذاته مشروطاً بهذه التجربة الأساسية، والتي تجد معناها فيما يسميه "غدامير" "بالتجربة التأويلية"، وهي التجربة التي لا تجد تسويقها الفلسفي في خطاب المنهج، وإنما في خطاب الحقيقة.

#### فلسفة التأويل وسؤال المنهج في العلوم الإنسانية:

**مفهوم التأويل:** التأويل مشتق من الأول وهو في اللغة الترجيح، تقول أوله إليه رجعه، أما عند علماء اللاهوت فهو تفسير الكتب المقدسة تفسيراً رمزياً أو مجازياً يكشف عن معانيها الخفية. يقول الجرجاني: التأويل في الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يتحملة إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة، ، مثل قوله تعالى: **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ** ﴿١٩﴾ (سورة الروم)، فإن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل كان تأويلاً. أما ابن رشد فيعرف التأويل بقوله: "التأويل إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه، أو مقارنته، أو غير ذلك من الأشياء التي عودت في تعريف أصناف الكلام المجازي" (جميل صليبا، 1971، ص 234).

مفهوم الهرمينوطيقا:

الهرمينوطيقا هي فن تأويل النصوص، وهي تعريب للمصطلح الغربي (Herméneutique) الذي يقابله في اللغة العربية عدة مصطلحات كلها تصب في معنى واحد وهذا راجع إلى تعدد الترجمات (عبد الغني بارة، 2008م، ص 85). كما نجد مصطفى ناصف يستخدم صيغة "نظرية التأويل" عنواناً لكتابه كعكس للكلمة "هرمينوطيقا" اليونانية الأصل (نقلا عن: عبد الغني بارة، 2008، ص 89)، أما الباحث "شوقي الزين" فيفضل صيغة "فن التأويل"، كترجمة لكلمة (Herméneutique) تمييزاً لها عن التأويل (interprétation). وتعني "الهرمينوطيقا" فن تأويل وتفسير وترجمة النصوص (محمد شوقي الزين، 2002، ص 29)، وهو الحال عند الباحثة "نبيهة قارة"، حيث ترى بأن لفظة هيرمينوطيقا (Herméneutique) مشتقة من اليونانية (Hermeneia) أي "فن التأويل" (نبيهة قارة، 1998، ص 7).

أما عبد الملك مرتاض فيستخدم كلمة تأويلية، ظناً منه بأنها صيغة أقرب تأصيلاً و فصاحة من تلك الصيغ الهيجنية والثقيلة من المصطلحات الدخيلة. والبعض الآخر يفضل استخدام مصطلح "علم التأويل". ويذهب المفكر الغربي طه عبد الرحمان إلى استخدام مصطلح "التأويلات"، و التأويلات هي النظر في وجوه تحصيل الفهم للنصوص.

أما المقابل العربي الذي يكاد يحوز إجماع الدارسين هو مصطلح الهرمينوطيقا (Herméneutique) حسب النطق الفرنسي أو هيرمينوطيقا (Hermenutics) حسب النطق الإنجليزي، وهذا لقربه من المفهوم الأصلي وابتعاده عن الترجمات التي لا تقي المصطلح حقه دلاليًا (عبد الغني بارة ، 2008 ، ص 98).

إجمالاً يتفق التأويليون من شلايرماخر إلى ريكور في تعريف المعنى النظري للتأويلية على ثلاثة أمور:

أن التأويلية فن في الفهم.

أن الفهم لا يتم من غير وظيفة التأويل.

أن موضوع التأويلية هو اللغة بعامة.

مراحل التأويلية الفلسفية (الهرمينوطيقا الحديثة): يميز الدارسون بين مرحلتين أساسيتين مرت بهما فلسفة التأويل أو الهرمينوطيقا:

أ- مرحلة التأويلية الكلاسيكية أو الخاصة: وهي الممارسات التأويلية التقنية والمعارية والتي تمثلت في التأويلية اللاهوتية والتأويلية الفيلولوجية والتأويلية الحقوقية.

ب- مرحلة التأويلية العامة أو الكلية: وهي المحاولة المعاصرة التي دشنها شلايرماخر، الهادفة إلى تكوين تأويلية عامة تتجاوز علم اللاهوت والفيلولوجيا والحقوق. وهو ما دفع بالتأويلية إلى التحول إلى الفلسفة من حيث سعيها الخاص إلى ضبط تكنولوجيا عامة للفهم (شلايرماخر)، أو استخراج منهجيات للعلوم الإنسانية (دلتاي)، أو تبين فينومينولوجيا للكائن الإنساني في أفق انطولوجيا أساسية (هايدغر)، أو الإهداء باللغة بوصفها أفقاً لأنطولوجيا كلية (غامير) أو تحول الفلسفة إلى ضرب من تأويلية النص (بول ريكور) (فتححي المسكيني ، 2013 ، ص 14-15).

سنركز في هذه الورقة البحثية على المراحل التاريخية للهرمينوطيقا الفلسفية الحاسمة ضمن مسار الفكر الفلسفي المعاصر في نسخته الألمانية والفرنسية، الأولى على يد كل من "دلتاي" و"غامير"، والثانية على يد أحد أهم أقطاب التأويلية الفرنسيين وهو "بول ريكور"، حيث تمت مساءلة فكرة المنهج الحديثة كما شاعت منذ مبادرة ديكرت الرائدة إلى غاية تبلورها النهائي في فلسفة العلوم الوضعية، ليس فقط في صورتها الإجرائية التقنية الضيقة، و لا في صورتها الفلسفية الفضفاضة، ولكن في صورتها العلمية القطاعية، وتحديدًا قطاع العلوم الإنسانية، والتي ارتبطت في الفكر الفلسفي الألماني للقرن التاسع عشر باسم "العلوم الروحية" تارة و باسم "العلوم التاريخية" تارة أخرى.

التأويلية المنهجية عند دلتاي:

1- **التأويل والفهم:** أثرت هيرمينوطيقا شلايرماخر في من جاء بعده أمثال "ويلهام ديلتاي" الذي سار على خطاه إلا أنه أضاف مقولات جديدة إلى الهرمينوطيقا خاصة فيما يتعلق بمقولة التاريخ، كما سعى إلى تأسيس منهج للعلوم الإنسانية يقوم على مبدأ الفهم والتأويل، يوازي منهج العلوم الطبيعية القائم على الشرح والتفسير (نصر حامد أبو زيد ، 2005 ، ص 28).

إن الهرمينوطيقا عند "ديلتاي" أساس لكل العلوم الإنسانية، أي العلوم التي تهتم بتفسير تعبيرات الحياة الداخلية (الباطنية للإنسان): إيماءات، أفعال، فن... ولقد اعتبر الخبرة العيانية هي موضوع العلوم الإنسانية، وأن المهمة المعرفية عنده هي الوعي بالتاريخ وفهم تعبيرات من الحياة ذاتها، وهو في هذا يواصل



ما قامت به المثالية النقدية الكانطية، فقد كتب كانط "نقد العقل الخالص"، بينما اسقل "دلتي" بكتابة "نقد العقل التاريخي" لكي يضع الأسس المعرفية للدراسات الانسانية إيماناً منه أن المقولات الكانطية غير كافية للحياة الباطنية للإنسان (بومدين بوزيد، 2008، ص94).

إن الفهم تم تحديده مع ديلتاي كمنهجية فارقة ومميزة بين علوم الروح وعلوم الطبيعة، فالتأويل عنده (ديلتاي) مشتق من الفهم باعتباره علامة على عنصر الروح الذي يُمكن الفصل بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية، فالشرح خاص بالعلوم الطبيعية أما الفهم فهو خاص بالعلوم الروحية. إن التعارض عند ديلتاي ليس بين الشرح والتأويل، وإنما بين الشرح والفهم، فالتأويل عنده هو: "فن الفهم مطبقاً على تجليات مماثلة، أدلة مماثلة، وأثار مماثلة، تعتبر كتابتها خصوصيتها المميزة" (بومدين بوزيد، 2008، ص17).

إن الفهم نفاذ إلى المعاني الموجودة داخل الأشياء، فالفهم يمكننا من معرفة الحالات الباطنية بينما التفسير يمكننا من معرفة الأحداث الخارجية، إذا نحن نفسر الطبيعة، أما الإنسان فينبغي علينا أن نفهمه (عادل مصطفي، 2007، ص98)، لذلك يؤكد ديلتاي على أننا عندما نكون بصدد الظواهر الانسانية نفهم أكثر مما نعرف وأن الفهم ينشأ من اهتمامات الحياة العملية، حيث يعتمد الناس على الاتصال ببعضهم البعض، حيث أن يفهم كل منهم الآخر بشكل تبادلي، وهذا الأمر يمكن أن نخبره داخلها (باطنيا) وعلى هذا فإن الفهم كما يرى ديلتاي مختص بالموجودات البشرية فالنقطة الهامة التي يشير إليها ديلتاي أن الهدف النهائي للهرمونيتيقا هو فهم المؤلف أكثر من أن يفهم نفسه فديلتاي مفرم باقتباس عبارة شلايرماخر "إن الهدف النهائي للهرمونيتيك هو فهم المؤلف أكثر مما يفهم نفسه" (محمود السيد أحمد، 2005، ص28-41).

2- البحث عن أساس منهجي للعلوم الروحية: كان مشروع "دلتي" هو صياغة منهج ملائم للعلوم الروحية وكان على وحي واضح بعجز المنظور الردي، والآلي للعلوم الطبيعية والامسك بجمع الظاهرة الانسانية وقد نظر إلى هذه المهمة على أنها مشكلة ابستمولوجية من جهة وأنها تتطلب تعميق تصورنا للوعي التاريخي من جهة ثانية، وأنها تعكس الحاجة إلى فهم التعبيرات التي تنبع من الحياة ذاتها من جهة ثالثة وعند فهم هذه العوامل الثلاثة يتضح لنا الفرق بين طريقة معالجة العلوم الروحية وطريقة معالجة العلوم الطبيعية.

يرفض دلتاي النظرة الميتافيزيقية في أي وصف يحدث عندما تقوم بفهم ظاهرة من صنع الإنسان، فالمشكلة عنده مشكلة ابستمولوجية فأى صنف من الفهم عنده بلائم تفسير الظواهر الإنسانية فهي ليست مشكلة ميتافيزيقية. لقد كان "ديلتاي" امتداداً للمثالية النقدية عند كانط وهو من فلاسفة الحياة، وهو لم يشك في المقولات الكانطية بالنسبة للعلوم الطبيعية، بل رأى أن الأطر القبلية مثل: الزمان المكان.... الخ، لا تكفي لفهم الحياة الباطنية للإنسان، وكذلك مقولة "الشعور" غير كافية لفهم الطابع التاريخي الداخلي للذات الإنسانية. يقول دلتاي "ليس من خلال الاستبطان بل من خلال التاريخ وحده يتأتى لنا أن نفهم أنفسنا" (عادل مصطفي، 2007، ص118-119).

3- العلوم الانسانية كمقابل للعلوم الطبيعية: يؤكد "ديلتاي" على أنه من واجب الدراسات الانسانية (العلوم الروحية) أن تصوغ لنفسها نماذج جديدة لتأويل الظواهر الانسانية وهذه النماذج يجب أن تكون مستمدة من طبيعة الخبرة المعاشة ذاتها وأن تكون قائمة على التاريخ بدلا من الرياضيات، فقد كان "ديلتاي" يرى فرقا واضحا بين الدراسات الانسانية والعلوم الطبيعية إذ المتاح للدراسات الانسانية غير متاح للعلوم الطبيعية،

من ذلك مثلاً إمكانية فهم الخبرة الداخلية لشخص آخر من خلال عملية (باطنية) انتقال ذهني، ولا يمكن للعلوم الطبيعية أن تستخدم وقائع عقلية، بينما الدراسات الإنسانية يمكن أن تستخدم وقائع فيزيائية بدون أن تتعامل مع العالم الخارجي إلا في حالة علاقة بالبشر (الوعي)، وأن الكلمة المفتاحية في الدراسات الإنسانية هي "الفهم" وليس التفسير، وإذا كانت مهمة العلوم أن تفسر الطبيعة فإن مهمة الدراسات الإنسانية هي أن تفهم تعبيرات الحياة (عادل مصطفى، 2007، ص 123).

### "بول ريكور" و جدلية الفهم و التفسير:

تظهر داخل الهرمينوطيقا الريكورية مفاهيم ذات أهمية منهجية بالغة على غرار "الفهم" و "التفسير" و "التأويل"، غير أن هذه المفاهيم لم تلق إقبالاً بين الفلاسفة سواء بالنسبة لمدلولها أو وظائفها في إدراك المعنى، أو بالنسبة للعلاقات فيما بينها، حيث يقيم الموقف الكلاسيكي ممثلاً في دلتي، و شلايرماخر قبله، تعارضاً بين الفهم والتفسير داخل الهرمينوطيقا (لزهر عقيبي، 2012، ص 17) حيث اعتبر دلتي أن التفسير هو نموذج العلوم الطبيعية، أما التأويل فهو ينحدر من الفهم ويتعلق بالعلوم الإنسانية عموماً، بحكم اعتبار التفسير آلية علمية و الفهم خاصية نفسية (محمد شوقي الزين، 2002، ص 69). إن دلتي ينظر إلى التفسير و الفهم كثنائية متعارضة.

لكن، كما يرى "ريكور"، لم يعد التفسير رهين العلوم الطبيعية وإنما أصبح آلية جامعة تنطبق على النماذج الألسنية. فعملية تحرير العلوم الإنسانية من النموذج العلمي هي إختراق جدار الثنائية الفاصل قصد معالجة إشكالية التفسير و الفهم في الحدود التي تتيحها موضوعاتها و حقولها النظرية. يأخذ "ريكور" هذه الثنائية في طابعها الجدلي، فإن كان التفسير في خدمة التحليل الموضوعي كآلية علمية، فإن الفهم في خدمة الإنسان كخاصية نفسية (محمد شوقي الزين، 2002، ص 69-70) يوضح ريكور هذه المسألة بقوله: "الثنائية بين الفهم والتفسير في التأويلية الرومانسية هي ثنائية إبستمولوجية وأنطولوجية معاً... و التأويل حالة خاصة من حالات الفهم، هو الفهم حين يطبق على تعبيرات الحياة المكتوبة" (بول ريكور، 2003، ص 120). لقد ساهمت جدلية الفهم و التفسير التي قدمها "ريكور" في فلسفته المنهجية إلى تطوير الهرمينوطيقا الفلسفية، يقول "ريكور": "إن جدلية التفسير و الفهم المنتشرة على مدار النص صارت قضية التأويل الكبرى، وأضحت تشكل، من ثم، الرهان الأكبر للهرمينوطيقا." (بول ريكور، 2006، ص 74) معتمداً في ذلك على قاعدة أساسية: "نفس أكثر لفهم أفضل." عبارة دعت إلى التكامل بين الفهم والتفسير، فالعلاقة بين الفهم و التفسير هي علاقة جدلية بالنسبة لريكور، وعلاقة تكاملية بحيث كل واحد منها يستدعي الآخر.

إن مسألة الفهم بالنسبة لريكور هي مسألة إبستمولوجية تتعلق بعملية التفسير، لأنها ترتبط، لأنها ترتبط بهذا الشرط المعرفي الذي يؤسس لعملية الفهم ذاته، وفق منهجه في بحث مشكلة الفهم و المعرفة التي تتركس لذلك، فعندما يكون لدينا فهم مسبق أو قبلي عن معنى النص فإن هذا الفهم لا بد من مساءلته قصد معرفة مدى صحة هذا الفهم المتعلق بالمعنى طريق عمل التفسير الذي يوضح لنا ذلك، ومن ثم يصبح الفهم يكتسي طابعاً إبستمولوجياً (لزهر عقيبي، 2012، ص 108).

إن ريكور يهدف إلى كشف المعنى الموضوعي للنص، و تجاوز الفهم المسبق الذي يتكون للقارئ عند قراءته لنص ما، والتفسير هو اللحظة المنهجية للإمسك بالمعنى الموضوعي للنص، والفهم من حيث هو لحظة

للحقيقة، اللحظة غير المنهجية التي تغطي التفسير و ترافقه و تنهيه بتملك عالم النص. وفي هذا السياق يقول ريكور عن التأويل: "إن مصطلح التأويل لا ينبغي أن ينطبق علي حالة فهم جزئية منفردة، أعني التعبيرات الحياتية المكتوبة، بل علي كامل العملية التي تحيط بالتفسير والفهم" (بول ريكور ، 2003 ، ص121).

لماذا ينقد ريكور موقف القطيعة بين الفهم و التفسير؟

إن فلاسفة التأويل الكلاسيكين ، عندما يفصلون بين الفهم والتفسير ، إنما يعملون على تقسيم المعرفة إلى شطرين ، مما يفقد التأويلية شموليتها وانسجامها بخضوع جزء من الواقع والمعرفة إلى الهرمينوطيقا ، وجزء آخر من الواقع و المعرفة إلى الإستيمولوجيا ، وهذا ما يفسر رفض ريكور الفصل بين الهرمينوطيقا والإستيمولوجيا واعتبارهما مشروعين مختلفين من المعقولية (لرهر عقيبي ، 2012 ، ص21).

أما دفاع "ريكور" عن وجود علاقة جدلية بين الفهم و التفسير ، فإنه يكمن بالأساس في اتخاذه لها يسميه "بالطريق الطويل" لفهم الذات من خلال الرموز والنصوص والثقافات ، فهذه الوسائط هي التي تفرض أساليب موضوعية ومختلفة للتحليل والبرهان ، وبالتالي تفرض وجود التفسير إلى جانب الفهم. و الفهم يزداد عمقاً كلما كان مبنياً على التفسير. كما أن هدف الفلسفة الهرمينوطيقية عند ريكور مزدوج: فهي تعمل على إعادة بناء ديناميكية النص لفهم معناه الموضوعي من جهة ، و فهم "عالم النص" الذي يلقيه أمام القارئ من جهة أخرى ، مما يتطلب الفهم والتفسير معاً (لرهر لعقيبي ، 2012 ، ص22).

وكتيجة لما سبق ذكره يبدو أن النص لدى ريكور هو النموذج الأنسب الذي يتيح لنا إمكانية الربط بين التفسير والفهم ، وعلى هذا الأساس يكون تفسير النص موجهاً لإدراك بنيته الداخلية ، بينما يكون الفهم موجهاً للعالم الذي يبسطه النص أمام الذات ، وبالتالي كل فهم للنص هو فهم للذات. وهكذا يتجاوز بول ريكور دلتي الذي فصل بين الفهم والتفسير ، كما يتجاوز البنيويين الذين وقفوا عند حدود التفسير فقط ، كما يتجاوز غادامير الذي اكتفى بالفهم فقط. ذلك لأن ريكور يحدد مهمة الهرمينوطيقا في أمرين:

أولهما البحث في ثنايا النص عن نسقه الداخلي ، أي دراسة البنية اللغوية للنص و الكشف عن خباياه و أسراره ، و يتوسع هذا البحث ليشمل خارج النص ، و هذا هو الأمر الثاني الذي تسعى الهرمينوطيقا لتحقيقه ، فهي تبحث عن العالم الذي يتولد عنه ، أو ما اصطلح عليه ريكور "شيء النص اللامحدود" (بول ريكور ، 2001 ، ص 77-78).

يرى ريكور أن على القارئ أن يندمج في العالم الذي يفتحه له النص. بل إننا إزاء النص نقوم بتعليق ذاتيتنا أيضاً أي ذاتية القارئ، و ذلك بإندماجنا في العالم الذي يفتحه لنا النص و بتملكنا لأشياءه ، وأخيراً بتحقيق ذواتنا من خلال فعل القراءة و التأويل ذاته. و بتعبير آخر، الاندماج في عالم النص يزحزح الذات من موقعها الوهمي الذي يقوم على إعادة تملكه (أي النص) بالانفصال التام عنه ، أي من موقع الغرابة الأصلية عليه (حسن بن حسن ، 1992 ، ص65).

يركز ريكور على العالم الذي يفتحه النص أمام القارئ ، حتى لا يكون النص منغلقاً على ذاته لا يحيل إلا على معجمه الداخلي ، بمعنى علينا أن نقطع من البحث عن القصود و النيات المختفية خلف النص و أن نتجه نحو الأشياء التي يقولها ، و نحو العالم الذي يفتح عليه. وبتعبير آخر ، إن النص يفتح على عالم أو عوالم متجددة للحياة و لا يحيل إلى قصود خفية. (حسن بن حسن ، 1992 ، ص45).

فالتأويل بهذا المعنى هو توضيح شكل الكينونة المعروضة في العالم أمام النص ، يقول ريكور: "ما يؤول في نص من النصوص ، هو إقترح ما للعالم ، لعالم كما يمكن لي أن أقيم فيه لكي ألقى فيه واحدة من أخص ممكناتي ، هو ذا ما أسميه عالم النص ، العالم الخاص بهذا النص الفريد" (بول ريكور ، 2001 ، ص 79).

#### غدامير و نقض فكرة المنهج:

مع "التأويلية الفلسفية" لغدامير ، دخل الفكر الفينومينولوجي في علاقة نقدية وثيقة مع فكرة المنهج ، بعد أن صارت هذه الأخيرة محسنا بالنسبة لعلوم الروح داخل المدرسة التاريخية شبه الوضعية للقرن التاسع عشر. لقد تعلق الأمر ابتداء باستظهار نمط التجربة التي تحيل على الظواهر المنسية من قبل العلوم التاريخية . التأويلية ، ونعني بها الظواهر المرتبطة بالشروط الوجودية التي تجعل عملية الفهم ممكنة ، مثلها هو الحال بالنسبة لتلك الظاهرة التي تجعل من كل أفعال أو عمليات الفهم الذاتية أفعالا أو عمليات منخرطة في السياق الحديث للتراث ، من حيث هو بذاته سياق تاريخي لا يسمح بفرص أي ضرب من العقلنة الواعية (Conscientisation) ، أو أي ضرب آخر من الموضوعة الميتودولوجية للبنية القبلية والوجودانية (الخاصة بالفهم القبلي المؤسس ، وتاليا ، ببنية الأحكام المسبقة التي لا يمكن تجنبها).

يبدو لي أن من بين أهم إسهامات الفينومينولوجيا التأويلية في مجموعها إنما يكمن في سعيها لإحباط عملية التراجع التي أخضعت إليها كل من نظرية المعرفة و نقد المعرفة المنبثقة عن كانط ، وذلك عبر "المنطق" الحديث "للعلم" ، بما في ذلك "الميتودولوجيا" البويرية. إنها [الفينومينولوجيا التأويلية] لم تكشف عن المفترضات القبلية المتعالية لمنطق العلم باعتبارها مفترضات ملازمة للعلاقة ذات/موضوع ، كما طرحت في التراث الديكارتي والكانتي لاحقا وحسب ، ولكن أيضا ، ومن خلال تفكيرها الجذري في "الفهم" ، استطاعت أن تكتشف البنى شبه المتعالية التي لم يعد بالإمكان طرحها من داخل التراث الديكارتي والكانطي. من بين أهم هذه البنى هي تلك التي عثر عليها هيدغر والتي أطلق عليها مصطلح "البنية القبلية الوجودانية" للفهم (La préstructure existentielle » de la compréhension).

إن نقطة انطلاق التأويلية الفلسفية لم ترتبط فقط بادعاء عالمية الظاهرة التأويلية بقدر ما ارتبطت أيضا بتصوير محدد للعقلانية انبثق بشكل أساسي من النقد الجذري للنموذج الديكارتي عن المنهج مع ما يصاحب هذا الأخير من ادعاءات إمكانية تقديم حقائق متحررة تماما من كل المفترضات المسبقة ومن كل ضروب الإشارات التاريخيين ، وذلك بهدف ترقية الفلسفة إلى مستوى العلم المثالي ، وهو ذات النموذج الذي ظل يعيش ضمن الفكرة الهوسرلية عن "الفلسفة الأولى". لقد أكد "هيدغر" ، منذ عشرينيات القرن الماضي ، أن مثل هذا النموذج لا يمكن أن يكون إلا وهما ، لأنه يغفل مسألة أساسية ضمن أي خطاب عن التأويل وهي مسألة "التاريخية" التي تطع عملية الفهم. لذلك فإن المتتبع لكتابات "غدامير" عن التأويل ، وبخاصة كتابه العمدة "الحقيقة والمنهج" ، لا يتكلف أي عناء في إدراك علاقة التلازم في الحضور بين عنصري التاريخ والتأويل ، وأن هذا التلازم لا يرد ذكره بدهاءة أو مصادفة ، بل يكشف عن طبيعة الفهم الذي يرمي إليه "غدامير" ، أعني حدث الفهم المرتبط بكليانية تجربتنا للعالم ، تلك التجربة التي تتخطى نطاق المعرفة المنهجية والتي تتأني عن كل موضوعة (Objektivierung) أو تموقع خارج التراث التاريخي الذي يحملها.

في هذا السياق التأويلي يمكن الحديث بحق عن "تأويلية تاريخية" في مقابل تأويلية منهجية للعلوم الإنسانية من جهة، وفي مقابل تأويلية وثوقية أو "معيارية" (على غرار التأويلية الفيلولوجية والتأويلية اللاهوتية) من جهة أخرى. فإذا كانت الأولى تعد الوعي التاريخي مجرد حصيلة بحث تاريخي منهجي، وكانت الثانية تحاكم التجربة التاريخية بموجب معيار يقع خارج نطاق هذه التجربة ذاتها، فإن التأويلية التاريخية - كما تبدو في صورتها الغداميرية - تبتغي "رفع تاريخية الفهم إلى منزلة مبدأ تأويلي" (غدامير، 2007، ص391)، أي محاولة منح التأويلية بعدها الكوني وذلك بإعادة طرح إشكالية تأويلية العلوم الإنسانية، كإشكالية ديلتاوية بالأساس، على هدي أنطولوجيا الفهم الهيدغرية.

لقد استطاع "غدامير" أن يستثمر بذكاء شديد فكرة "هيدغر" الجديدة عن "الدائرة التأويلية"، وهي فكرة تقضي باستحالة تطهير عملية الفهم من عنصر الاستباق أو التوقع (Anticipation)، ومن ثم استحالة الإمساك بفهم موضوعي، ولك أن تتخيل ماذا يعني الفهم بدون توقع، بخاصة بالنسبة لكائن تاريخي متناه: إذ من المؤكد أن فهما من هذا القبيل يفقد لا محالة سبب وجوده أصلا.

ستمكّن هذه الفكرة "غدامير" من تحرير الفهم من الوصاية الإستمولوجية التي فرضتها فكرة المنهج على تأويلية الحقيقة في العلوم الإنسانية، ومن ثم رفع الوهم الذي تملك "تاريخ ما قبل التأويلية التاريخية" بشأن بنية الفهم الموضوعية، وإن كان "ديلثاي" فضل ما في إعادة تصحيح مسار هذا التاريخ، فإنه فضل لا يعود إلى أهمية الحل الميتودولوجي الذي قدمه لمشكلة الفهم في العلوم الإنسانية، بقدر ما يعود، حسب "غدامير" ذاته، إلى "اكتشافه أن التجربة [في مجال البحث التاريخي] مختلفة عن التجربة في بحث الطبيعة (...). فبنية العالم التاريخي ليست قائمة على الوقائع المأخوذة من التجربة لتكتسب بعد ذلك علاقة قيمة، إنما هي تقوم على التاريخية الداخلية التي تنتمي إلى التجربة ذاتها. فما ندعوه بالتجربة Erfahrung وما يكتسب خلال التجربة هو عملية تاريخية حية، ونموذج هذه العملية ليس اكتشاف الوقائع، إنما الانصهار الفريد للذاكرة والتوقع في كل واحد" (غدامير، 2007، ص314-315).

بهذا المعنى كان يمكن لتأويلية للتاريخ أن تفضل عن نموذج التأويل الموضوعي لتجربة الفهم التاريخية، الواقعة في شراك نظرية المعرفة، وأن تبحث عن مشروعية جديدة من داخل تجربة "تاريخية الفهم" ذاتها، أي بالنظر إلى الفهم كمنط وجود للدازين، لا كمنط معرفة فقط أو مجرد ثمرة وعي منهجي تاريخي لا علاقة له "بنشاط التاريخ"، أي بالتجربة الحقيقية لذلك النمط من الفهم المتورط في تاريخيته، إذ هنا فقط يصير من الاستحالة بمكان الفصل بين تأويلية التاريخ وبين تاريخية التأويل، وفي هذه الوضعية الإشكالية فقط يمكن الحديث عن إمكان تأويلية أنطولوجية (لامنهجية) للفهم في العلوم الإنسانية، إذ من مصلحة هذه الأخيرة أن ألا تنقاد بصورة عمياء لإغراءات الميتودولوجيا، وكيفية حجة أن تنتبه إلى الأصل التاريخي الذي تنحدر منه والذي يشكل تجربتها الأساسية في البحث، ألا وهو "التراث الإنساني" الذي صار عرضة للنسيان بسبب هيمنة براديفم "المنهج" العلمي الحديث. من الضروري إذن، حسب "غدامير"، أن نعيد بحث المشكلة التأويلية انطلاقا من إعادة الاعتبار القوية لهذا التراث الإنساني وللمفاهيم الموجهة للنزعة الإنسانية، من حيث أن هذا التراث يقف شاهدا حيا على إمكانية قيام تجربة للفهم خارج النموذج المنهجي والإستمولوجي للعلم، "لأنه تراث لا يهدف أساسا إلى تحقيق نتائج قابلة للموضعة أو القياس مثلها هو

الحال في علوم الطبيعة المنهجية، بل يطمح للمساهمة في عملية التثقيف (Bildung) وفي تربية الأفراد من خلال تنمية مقدرتهم على الحكم" (Grondin, L'HERMENEUTIQUE, 2011, p51). وفي هذا السياق التأويلي والنقدي بالذات سيعمل "غدامير" على إظهار خطر السيادة الحصرية والمفطرة للنموذج المنهجي في تأويلية العلوم الإنسانية، و من ثم تبين كيف "أن تطبيقا متماسكا لمنطقيا للنموذج المنهجي، بصفته المعيار الوحيد لحقيقة العلوم الإنسانية، سيكون بمثابة مُحق لها" (غدامير، 2007، ص 69).

**بمثابة خاتمة:**

على الفلسفة اليوم أن تتحرر من سطوة "المفكرين الكبار"، وتتجه نحو إنشاء "جماعة التواصل الفلسفية" من أجل تنظيم "نقاش الفلاسفة النظري" والعمل على إنقاذه من الوقوع في الاستباقات الأنوية للحقيقة النهائية من خلال "رؤى العالم" الخاصة "بالمفكرين الكبار". لكن هل يمكن لعملية تحويل الفلسفة أن تمر بالضرورة عبر العقلانية الميتودولوجية؟

لقد بات من الضرورة بمكان الانتباه إلى الحدود المفروضة داخليا على مفهوم "المجتمع المفتوح" المؤسس على براديفم العقلانية الميتودولوجية، إذ بهذا المعنى يتم تقسيم المجتمع إلى فئتين، فئة جد مزودة بالمعلومات، ومن ثم مؤهلة أكثر لانتزاع السلطة باسم مشروعية التحكم المنهجي، وفئة محرومة من المعلومة أو بالأحرى مضللة، ومن ثم تكون موضوعا للهيمنة والسيطرة، ذلك أن القدرة على اختبار المعلومة من حيث هي شرط للحكم على صلاحية الرأي تفترض بالأساس تساوي حظوظ المشاركة بين جميع أعضاء الجماعة المؤهلة للمحاجة على نفس المستوى، وبالتالي هذا بدوره ما يفترض، وبشكل قبلي، وجود جماعة تواصل مثالي لأمحدودة، ومن ثم فإن كفاءة الامتحان النقدي ذاتها لا تكون ممكنة وفق شروط تداولية متعالية. ينسحب هذا الإخفاق أيضا على المدرسة الوضعية عموما حين تعتمد الحكم المسبق المرتبط بدعوى "العلم الموحد" أو "الميتودولوجيا الموحدة".

ختاما، يبدو أن الفلسفة، كما ينبه على ذلك "كارل أوتو آبل"، لا يمكن أن تفهم ذاتها "كمحض منهج" إلا إذا أمنت لنفسها معايير خاصة بها، أي شروط إمكانية النقد وصلاحيته، وهو الأمر الذي يتطلب تدخل وعي ترنسندنتالي ينطلق من مبادئ إلى شروط إمكانية وصلاحيته المعرفة بمعناها الواسع، وليس التخندق في حدود عقلانية ضيقة تستبعد براديفمات أخرى للعقلانية كالتأويلية الممارسة على صعيد العلوم الروحية، أو الديالكتيك الممارس على صعيد النقد الاجتماعي. نقول هذا بالرغم من كون هذه البراديفمات لا ترقى إلى نفس شفافية العقلانية في علوم الطبيعة أو التكنولوجيا، لكن مع ذلك بإمكانها أن تساعدنا في اكتشاف أدوات للتفكير تسمح بتوضيح الصورة عن المشكلات التي تطرحها التجربة الذاتية كما يقوم بها مجتمع ما، وهي بالفعل تجربة غير قابلة لإعادة الإنتاج تجريبيا، ولكن يمكن إعادة بناءها من حيث كونها تاريخا أو قصة (K.O.Apel, 2007, p20).

**قائمة المراجع:**

- بول ريكور (2001)، من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، ج.م.ع.
- بول ريكور (2003)، نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء -المغرب، بيروت- لبنان.
- بول ريكور (2006)، بعد طول التأمل، تر: فؤاد مليت، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت

- بوامدين بوزيد (2008)، الفهم والنص: دراسة في المنهج التأويلي عند شلايرماخر وديلتاي، ط1، الدار العربية للعلوم-ناشرون، بيروت
- زواوي بغورة (2001)، المنهج البنوي: بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر
- عادل مصطفى (2007)، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة
- عبد الغني بارة (2008م)، الهرمينوطيقا و الفلسفة: نحو مشروع عقل تأويلي، ط1 الدار العربية للعلوم -ناشرون، لبنان
- فتححي المسكيني (2013)، "الهرمينوطيقا" كيف صارت التأويلية فلسفة؟، في: فلسفة التأويل، كتاب جماعي، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر
- لزهر عقبي (2012)، جدلية الفهم والتفسير في فلسفة بول ريكور، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر
- محمد شوقي الزين (2008)، إزاحات فكرية، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت
- محمود السيد أحمد (2005)، ديلتاي وفلسفة الحياة، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت
- نصر حامد أبو زيد (2005)، إشكالية القراءة وآليات التأويل، ط7، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب
- هانز جورج غدامير (2007)، الحقيقة والمنهج، تر: حسن ناظم وعلى حاكم صالح، ط1، دار أويا، لبنان
- Habermas, connaissance et intérêt, traduit par G. Cléménçon, Gallimard, 1976, p.1221
- Jean Grondin, L'HERMENEUTIQUE, PUF, coll. «Que sais-je», 3<sup>e</sup> édition, 2014
- K.O. Appel. Transformation de la philosophie, T1, trad. C. Bouchindhomme, T. Simoneli et D. Trierweiler, Ed. du Cerf, 2007, Paris

جوهر ومظهر الحضارة الإسلامية – دراسة في فينومينولوجيا الدين - عند إسماعيل راجي الفاروقي.  
The essence and appearance of Islamic civilization- Study in thephenomenologyof religion-  
At IsmailRaji alFarouqi

ط د. فوزية شريط

جامعة وهران 1-، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- الجزائر

مقدمة:

يعتبر إسماعيل راجي الفاروقي من أبرز الشخصيات التي بصمت مسيرة الإصلاح الفكري والحضاري بمنهج تجديدي تأسيلي قل نظيره ، وبرؤية تأسيسية استشرافية قل مثيلها ، وخاصة في دراسته للحضارة الإسلامية ، إذ يعد الفاروقي أول من درس الإسلام وحضارته دراسة فينومينولوجية.

حيث يرى الفاروقي أن أغلب الباحثين الغربيين والمسلمين ممن كتبوا عن الحضارة الإسلامية درسوها من ناحية زمنية أو ناحية إقليمية ، والترتيب الإقليمي هو الأسلوب المفضل عند المؤلفين في الغرب ، أما المؤلفين المسلمون فهم يفضلون الترتيب الزمني ، ويكشف الجانبان عن قصور شديد لإهمالهما جوهر ومظهر الحضارة في الإسلام.

وأنه لتجاوز مثالب الترتيبين الجغرافي والتاريخي في رأي الفاروقيهو باعتماد المنهج الفينومينولوجي الذي يتطلب من المراقب أن يترك الظواهر تحدث عن نفسها دون أن يقحمها في إطار فكري مقرر سلفا ، ومع أن كثيرا من المؤلفين قد طبقوا الطريقة في دراسة الديانات العالمية وليس بينهم من طبقها في دراسة الإسلام ، وكان البحث في الإسلام وفقا على دارسيه الغربيين الذين يبدو أنهم لم يسمعو بالفينومينولوجيا قط ؛ فهم يجدون في التوقف الذي تتطلبه مطلبا مستحيلا.

كما يرى الفاروقي أن كتابات كثير من المؤلفين فيها خلط بين الإسلام والمسلمين ، ويفهم أمثال هؤلاء المؤلفين تراث المسلمين في الفكر والعمل والتعبيرعلى أنه من مكونات الإسلام نفسه ، وعليه يمكننا طرح الإشكال الرئيسي التالي: كيف طبق الفاروقي مقاربتة الفينومينولوجية في دراسة الحضارة الإسلامية ؟

ويمكن أن تتفرع عنه إشكاليات فرعية يحسن الإجابة عنها في طيات هذه الدراسة:

-ما هو جوهر ومظهر الحضارة الإسلامية من خلال مقارنة الفاروقي ؟

-هل كان الفاروقي مقلدا أو مجددا في مقاربتة الفينومينولوجية ؟

-ما مدى مساهمة هذه المقاربة في النهوض الحضاري للأمة الإسلامية من جديد؟

ومن أجل تدعيم دراستنا وفقا لقواعد المنهجية ، فإننا اعتمدنا على منهج مناسب يتمثل في المنهج الوصفي التحليلي.

وتبعنا لذلك قسمنا هذه الدراسة إلى ثلاثة مطالب ، المطلوب الأول تضمن جوهر ومظهر الحضارة الإسلامية من خلال مقارنة الفاروقي ، والمطلب الثاني تطرقنا فيه لتأثر الفاروقي بالمنهج في تاريخ الأديان تحت عنوان مقارنة الفاروقي بين التقليد والتجديد أما المطلب الثالث فقد تكلمنا فيه عن مساهمة مقارنة الفاروقي في



النهوض الحضاري للأمة الإسلامية ، وانهيينا الدراسة بخاتمة حوت أهم النتائج المتوصل إليها ؛ ثم خرجنا من دراستنا بمجموعة من التوصيات.

**المطلب الأول. جوهر ومظهر الحضارة الإسلامية من خلال مقارنة الفاروقي:** يقدم الفاروقي من خلال هذه المقاربة الفينومينولوجية عن الحضارة الإسلامية أول اسهام في مجال الدراسات الفينومينولوجية للدين الإسلامي وحضارته ، وذلك بعرض جوهرها المتمثل في التوحيد ، وكذلك بعرض تجليات هذه الحضارة ، أو ما يسميها الفاروقي بالمظهر ؛ وتعد هذه المقاربة عبارة عن تركيب بين مقاربتين.

**الفرع الأول. جوهر الحضارة الإسلامية The essence of Islamic civilization** يرى الفاروقي أن الحضارة الإسلامية تنطوي على جوهر ، وأن هذا الجوهر قابل للمعرفة والتحليل والوصف ، وذلك هو التوحيد ، وتحليل التوحيد بوصفه جوهرًا ومبدئًا رئيسًا في الحضارة الإسلامية.

حيث يرى الفاروقي أن التوحيد هو الذي يمنح الحضارة الإسلامية هويتها ، ويربط جميع مكوناتها معا ليجعل منها كيانا عضويا متكاملًا نسيمه حضارة وفي ربط العناصر المتفرقة معا ، يقوم جوهر الحضارة ، وهو التوحيد في هذا الحال يطبع تلك العناصر بطابعه الخاص ، ثم يعيد تكوينها بشكل يتناسق مع العناصر الأخرى ويدعمها ، ولايقوم الجوهر بضرورة بتغيير طبيعة تلك العناصر ، بل يحولها ليصنع منها حضارة ، ويختلف مدى التحول بين ضئيل وجذري ، اعتمادا على مدى علاقة الجوهر بالعناصر المختلفة ووظائفها (إسماعيل الفاروقي ، التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية ، 2015 ، ص 9-10).

وقد برزت هذه العلاقة في أذهان المسلمين الذين كانوا يتابعون ظواهر الحضارة ، لذلك اتخذوا التوحيد عنوانًا لأهم أبحاثهم ، وأدخلوا جميع الموضوعات الأخرى تحت لوائه ، وقد عدّوا التوحيد أهم المبادئ كما وجدوا فيه المنبع الرئيس والمصدر البدئي الذي يحكم جميع الظواهر في الحضارة الإسلامية.

والتوحيد بالعبارة البسيطة المتوارثة هو الاعتقاد والشهادة أن " لا إله إلا الله " وهذا القول بصيغة النفي ، الموجز أشد الإيجاز ، يحمل أعظم المعاني وأغناها في الإسلام قاطبة. وقد تتكشف في جملة واحدة ثقافة كاملة أو حضارة أو تاريخ بأجمعه ، وهذا بالتأكيد هو ما نجد في " الكلمة " أو " الشهادة " في الإسلام ، فكل ما في الإسلام من تنوع وغنى وتاريخ وثقافة ومعرفة وحكمة وحضارة يجتمع في هذه الجملة البالغة القصر " لا إله إلا الله ".

والتوحيد بوصفه جوهر للحضارة الإسلامية ، له جانبان وهما المنهج والمحتوى ، حيث يمثل الجانب الأول أشكال تطبيق وتوظيف المبادئ الأولى ، كما يحدد الجانب الثاني المبادئ الأولى نفسها (الفاروقي ، التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية ، 2015 ، ص 19).

**أولاً- جانب المنهج (Curriculum aspect):** يحتوي هذا الجانب على ثلاثة أسس هي: الوحدة ، والعقلانية ، والتسامح وتحدد هذه الأسس شكل الحضارة الإسلامية ، وهو ما يشيع في كل مفصل من مفصلها.

**1-الوحدة:** لا توجد حضارة بلا وحدة فما لم تكن العناصر التي تشكل حضارة ما متحدة ، متناسقة مع بعضها البعض فإنها لا تشكل حضارة. وحضارة الإسلام تضع العناصر في بنية منتظمة وتحدد وجودها وعلاقتها حسب نسق موحد ، وقد تكون هذه العناصر في حد ذاتها آتية من مصدر محلي أجنبي ، والواقع أنه ليس من الغريب أن تقتبس الحضارة بعض العناصر الغريبة عنها ؛ ولكن المهم أن تقوم تلك الحضارة بهضم تلك

العناصر ، وإعادة تكوين أشكالها وعلاقتها حتى تتمثلها في نظامها الخاص ففي أي حضارة متكاملة ، وفي الإسلام توكيدا تكون جميع العناصر المكونة مادية أو بنوية أم علائقية ، منضوية تحت مبدأ أعلى واحد ، وفي الحضارة الإسلامية يكون التوحيد هو ذلك المبدأ الأعلى ، وهو المقياس الأساس للمسلم ، ودليله ومعياره في مواجهة الديانات والحضارات الأخرى ، وفي التعامل مع الحقائق والأوضاع الجديدة فما يتفق مع ذلك المبدأ يتم قبوله وتمثله ، وما لا يتفق يتم رفضه وإدانته .

والتوحيد أو مبدأ وحدانية الله المطلقة وترفعه وغائيته ، يعني أن الله هو وحده الجدير بالعبادة والطاعة ، والإنسان المطيع يحيا حياته في ظل هذا المبدأ(الفاروقي ، التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية ، 2015 ، ص21).

2-العقلانية: والعقلانية هي إحدى مكونات جوهر الحضارة الإسلامية بوصفها مبدأ منهجيا ، وهي تقوم على ثلاثة أسس أو قوانين: الأول وهو رفض كل ما لا يتطابق مع الواقع ، والثاني وهو إنكار التناقضات المطلقة ، والثالث وهو الافتتاح على الأدلة الجديدة أو المناقضة. فالقانون الأول يحمي المسلم من الظن ، أي ادعاء بالمعرفة لا يسنده دليل أو إثبات ، والقانون الثاني يحمي المسلم من التناقض أما القانون الثالث فإنه يحمي المسلم من الحرفية والتعصب .

كما أن التوحيد هو توكيد وحدانية الله المطلقة ، فهو كذلك توكيد وحدانية الحقيقة ، فالله في الإسلام هو الحقيقة ، ووحدانيته هي وحدانية الحقيقة(الفاروقي ، التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية ، 2015 ، ص23).

3-التسامح: التسامح بوصفه مبدأ منهجيا يفيد القبول بالحاضر حتى يثبت بطلانه ، وهو بهذا المعنى يتعلق بنظرية المعرفة كما يتعلق بفلسفة الأخلاق .

والتسامح بوصفه مبدأ منهجيا ضمن جوهر الحضارة الإسلامية يفيد اليقين بأن الله لم يترك الناس دون أن يرسل إليهم رسولا منهم يعلمهم "أن لا إله إلا الله" وأن عليهم عبادته وطاقته .

كما يحذرهم من الشر وأسبابه ، وبهذا الخصوص ، يفيد التسامح القناعة بأن لدى الناس جميعا إدراكا فطريا يعينهم على معرفة الدين الحق(الفاروقي ، التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية ، 2015 ، ص25).

ثانيا- جانب المحتوى (Content side): ويحتوي على أربعة مبادئ أو أسس وهي كالآتي:

1-التوحيد بوصفه أول مبدأ في الفلسفة الماورا طبيعية: إن شهادة أن لا إله إلا الله تعني الإيمان بأن الله هو وحده الخالق الذي أعطى كل شيء وجوده ، وأنه السبب الأعلى في كل حدث ، والمآل الأخير لكل الموجودات وأنه هو الأول والآخر .

والقول بهذه الشهادة عن رضا وقناعة ، وفهم واع لمحتواها ، يؤدي إلى إدراك أن جميع ما يحيط بنا من أشياء وأحداث ، وكل ما يجري في الميادين الطبيعية والاجتماعية والنفسية هو من عمل الله ، وتنفيذ لغاية من غاياته(الفاروقي ، التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية ، 2015 ، ص27).

2-التوحيد بوصفه أول مبدأ في فلسفة الأخلاق: يؤكد التوحيد أن الله خلق ، الإنسان في أحسن صورة لكي يعبده ويقدم له ، وهذا يعني أن وجود الإنسان على الأرض غايته في مجمله طاعة الله وتنفيذ أوامره .

ويؤكد التوحيد كذلك أن هذه الغاية تكمن في كون الإنسان خليفة الله في الأرض وأن خلق الإنسان لم يكن لعبا أو عبثا، فقد منحه الحواس والعقل وجعله كاملا، بل قد نفخ في الإنسان من روحه، ليؤهله للقيام بذلك الواجب العظيم.

والتكليف أو المسؤولية التي فرضت على الإنسان دون سواه لا تقف عند حدود إطلاقا، فهي تشمل الكون بأسره، والجنس البشري كله هدف لفعل الإنسان الأخلاقي، ومجاله الأرض والسماء جميعا فهو مسئول عن كل ما يحدث في الكون، في كل رقعة من أقصى رقاعه، لأن تكليف الإنسان شامل وكوني، ولا ينتهي إلا يوم القيامة (الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، 2014، ص 123).

3- التوحيد بوصفه أول مبدأ في علم القيم: يؤكد التوحيد الذي يعد جوهر الحضارة الإسلامية على أن الله خلق الجنس البشري، لكي يثبت الناس أخلاقيتهم من خلال أعمالهم، والله هو الحكم الأخير الأسمى، ينذر الناس جميعا أنهم سوف يحاسبون على أعمالهم، وأن من يعمل خيرا سوف يثاب ومن يعمل شرا سيلقى العقاب، ويضيف التوحيد تأكيدا أن الله أنشأ الإنسان في الأرض ليعمرها، أي ليسير في أرجائها، وبأكل من خيراتها، ويتمتع بجمالها، فتزدهر الأرض ويكون هو من المفلحين، وفي هذا يقول الفاروقي: " وفي هذا توكيد لموقع العالم والقبول به لأنه برئ، وطيب خلقه الله ونظمه لخبر البشر... وأن الخليقة كلها مسرح يؤدي فيه الإنسان فعله الأخلاقي(الفاروقي، التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية، 2015، ص 37).

4- التوحيد بوصفه أول مبدأ في وحدة الأمة: يفيد التوحيد أن المؤمنين هم في الحقيقة جماعة أخوة واحدة، يحب بعضهم بعضا في الله ويتواصون بالحق والصبر، ويعتصمون بحبل الله جميعا ولا يتفرقون، ويعتمد بعضهم على بعض ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله.

فالأمة نظام عالمي إضافة إلى كونه نظاما اجتماعيا، وهي أساس الحضارة الإسلامية. وشرط لابد منه، ففي تمثيل العقل البشري في شخص حي بن يقضان ومسيرته اكتشف الفلاسفة أن حي بن يقضان قد توصل بجهد الخاص إلى اكتشاف حقيقة الإسلام. والتوحيد الذي هو جوهره، وبعد ذلك كان على حي أن يخترع زورقا من جذع نخلة خاوية وانطلق في مجاهل المحيط بحثا عن الأمة التي من دونها تغدو معرفته بأسرها غير منسجمة مع الحقيقة، وبكلمة واحدة، التوحيد هو مذهب الأمة(الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، 2014، ص 179).

5- التوحيد بوصفه أول أساس في الجماليات: يفيد التوحيد استبعاد الألوهية من مجال الطبيعة بأسره فكل ما كان في الخليقة أو منها فهو مخلوق، فأنه هو الذي لا يمكن أن يمثله أي إبداع جمالي مهما يكن.

والمقصود بالخبرة الجمالية هو إدراك جوهر البدئي الماورا طبعي عن طريق الحواس، حيث يكون هذا الجوهر مبدأ قياسيا للشيء المرئي، وهو ما يجب أن يكون عليه الشيء، وكلما اقترب الشيء المنظور من الجوهر، كان أكثر جمالا.

يعتقد الفنان المسلم بأن لا شيء في الطبيعة يمكن أن يمثل الله أو يعبر عنه، ولم يتوقف الفنان المسلم عند ذلك الحد، فقد تحقق إنجاز الإبداعي عندما تبين له أن التعبير عن الله بشكل من أشكال الطبيعة هو أمر يختلف عن التعبير عن استحالة التعبير عن الخالق بمثل ذلك الشكل- جل جلاله في علاه- لا يمكن

التعبير عنه بصريا؛ إذ هو أعلى هدف جمالي ممكن أمام الإنسان(الفاروقي ، التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية ، 2015 ، ص45-51).

الفرع الثاني: **مظهر الحضارة الإسلامية The appearance of Islamic civilization**: تمثلت تجليات الإسلام في ظواهر الثقافة والحضارة عن طريق استعراض صنوف الفعل والفكر والتعبير ، فتقدم وصفا منظما لما يتصل بها من حقول النشاط البشري .

**أولا- المظهر في مجال الفعل (Appearance in the field of action)**: يرى الفاروقي أن الدين الإسلامي منذ ظهوره سعى إلى إقناع البشر بحقيقته وإلى تجميعهم تحت رايته ، وانطلاقا من جوهر الخبرة الدينية أتخذ الإسلام أعظم خطة عرفها التاريخ لهداية البشر جميعا وللسير بهم لبلوغ العدل والحق والسعادة والتقوى والجمال .

حيث يقول الفاروقي بأن المسلم يؤمن بأنه مكلف بدعوة الناس كافة إلى الإسلام للهوأن هدف حياته يتمثل في هداية البشرية جمعاء إلى حياة يكون فيها الإسلام دين الله بما فيه من علوم الدين والشريعة والأخلاق والفرائض ، هو دين البشر جميعهم ، وأنه لايمكن لأية ديانة لها أساس من فكر أن تستغني عن الدعوة(الفاروقي ، أطلس الحضارة الإسلامية ، 1998 ، ص271-331).

ثانيا- **المظهر في مجال الفكر (Appearance in the field of thought)**: يرى الفاروقي أن الإسلام موافق ومسائر للعلم ، فقد جعل الإسلام ، فقد جعل الإسلام العلم شرطا ومطلبا في آن واحد ، كما ساوى بين طلب والعبادة وأغدق الثناء على أولئك الذين نذروا أنفسهم لخدمة العلم وجعل منهم أولياء لله وأصفياه له . إذ يقول الفاروقي أن العلم في الإسلام إدراك عقلاني- تجريبي ، حدسي- لكل ميدان من ميادين الواقع ، وهو معرفة نقدية بالإنسان والتاريخ ، بالأرض والسماء ، وهو علم يخضع للاختبار والتطبيق ويؤدي إلى نتائج تقود إلى الفضيلة .

ويرى أن العلم لا حدود له ، لأن الحقيقة بلا حدود ، ولا يوجد طريق مختصر إلى العلم ، فالطريق المؤدي إليه وعمر وخطر يتطلب رياضة النفس بانضباط وإخلاص .

حيث يرى الفاروقي أن العلوم المنهجية كانتمن بين أعظم منجزات الإسلام ، كما لا يمكن أن يوجد أدنى شك بأن الدين الإسلامي بسبب هذه العلوم ( علوم اللغة ، علوم القرآن ، علوم الحديث) قد أحرز موقعا بالغ الأصلة بين أديان العالم(الفاروقي ، أطلس الحضارة الإسلامية ، 1998 ، ص333-478).

ثالثا- **المظهر في مجال التعبير (Appearance in the field of expression)**: يرى الفاروقي أن من تأثيرات القرآن أن جعل من الخط أهم شكل فني في الحضارة الإسلامية ، ويمكن تلمس أثره وأهميته في كل مكان من العالم الإسلامي ، وفي كل عصر من عصور التاريخ الإسلامي ، وفي كل فرع من الإنتاج الجمالي ، وفي كل نوع من القطع الفنية التي تخطر على البال ؛ ومن بين كافة صنوف الفن الإسلامي نجد الخط أكثرها انتشارا وأكبرها مغزى ، وأكثرها استحسانا وأشدّها احتراما عند المسلمين .

ومن أشكال التجلي في التعبير عند الفاروقي للحضارة الإسلامية وهي الزخرفة الإسلامية التي تعد أهم العناصر في التراث الجمالي عند الشعوب الإسلامية .

حيث يراها أنها ليست إضافة زائدة على القطعة الفنية بل إنها تقع في اللب من جوهر الفنون الإسلامية ، فهي ليست محض نتيجة لمؤثرات وعوامل اجتماعية أو اقتصادية أو جغرافية ، بل إنها عنصر ينجم عن تحفيز كامن ، هو سبب وجود مجموع الثقافة والحضارة عند الشعوب الإسلامية ؛ ألا وهو رسالة التوحيد التي جعلت من كل ذلك ضرورة وأمر محتوما .

ومثلما قدم القرآن الكريم مثالا لتعبيرات جمالية أخرى ، فإنه قدم تجسيدا لجوهر التصوير الجمالي في فن الصوت .

وقد تم اختيار هذه المواد من أنواع لا حصر لها من المعلومات ، وكان المبدأ الذي يقود هذا الاختيار اقتراب المادة من الهدف ، أو الدرجة التي يمكن القول فيها إن تلك المعلومات التاريخية كانت تشكل تمثيلا لجوهر العقيدة ومن هنا كان السعي في كل تجلي أو مظهر نحو الربط بين مادته وبين التوحيد ، وهو جوهر الحضارة الإسلامية ونحو تبيان موقع الجوهر أساسا وعاملا في تكييف التجليات موضوع البحث ، ومن وجهة نظر فينومينولوجية يكون الجوهر مبدأ كافيا لفهم التمثيل والتجليات معا( الفاروقي ، أطلس الحضارة الإسلامية ، 1998، ص 479-663).

المطلب الثاني. مقارنة الفاروقي الفينومينولوجية بين التقليد والتجديد:

الفرع الأول: التقليد في مقارنة الفاروقي Tradition in the Farouqi approach: أفاد الفاروقي من التطور المنهجي لعلم تاريخ الأديان في العصر الحديث ، ويتضح هذا بشكل كبير في اعتماد الفاروقي على بعض النظريات التي سيطرت على التوجه المنهجي لهذا العلم على يد أبرز مؤسسيه ، وقد جمع الفاروقي بين منهجي فان در ليو عن الجوهر والمظهر ، وبواكيم فاخ عن الفكر والفعل والتعبير ، ولم تتوقف جهود الفاروقي عند حدود المتابعة المنهجية لتطور علم تاريخ الأديان في الغرب ، ولكنه أضاف إلى هذا التطور البعد الإسلامي .

أولا. علاقة مقارنة فان در ليو(van deer leeuw) في الجوهر والمظهر بمقاربة الفاروقي: يعد فان در ليو من أهم مؤرخي الأديان وعلماء فينومينولوجيا الدين وكان تطبيق المنهج الفينومينولوجي في دراسة الأديان شغله الشاغل(خزعل الماجدي ، 2016 ، ص 290).

وتأثر الفاروقي به في درسه الحديث للإسلام ، وفي تطبيقه لنظرية الجوهر والمظهر التي طورها فان در ليو ، ولعل من أهم وجوه التأثير والتشابه بين فان در ليو والفاروقي هذا الوعي العميق للأبعاد الشخصية والفنية والثقافية للتجربة الدينية( محمد خليفة حسن ، 2014 ، ص 59-64).

يرى فان در ليو التجربة الدينية يمكن أن تفهم من زاويتين: الأولى: تنطلق من الإنسان باعتباره مركزا ، وفي الثانية: تقوم على النظرة التي تبدأ من الأعلى مع الربفي صورة الوحي ، بعبارة أخرى يمكن أن ننظر إلى الدين باعتباره " تجربة قابلة للفهم وتمثل في الظاهرة كما تبدو للباحث ، فالمنهج الفينومينولوجي كما يصفه فان در ليو van deer leeuw يبحث في الظاهرة التي تعكس ما هو ظاهر ؛ لذلك يراد التعرف عليه( صالح بن طاهر مشوش <https://books.google.dz>).

وقد تجاوز فان در ليو حدود الفهرسة المنظمة الدقيقة وتصنيف الظواهر الدينية إلى حالة يستطيع معها دارس الدين أن يعيد تجربة الحياة الداخلية للظواهر الدينية الأجنبية على نحو منظم وعد "القوة" الكاملة موضوعا للتجربة الدينية (ميشال مسلان ، 2009 ، ص 178).

ويقابلها عند الفاروقي مفهوم التوحيد الذي يعده جوهر الإسلام ، وهذه القوة عند فان در ليو تأخذ مظهرها في عدة أنماط من الأشكال الموضوعية والاستجابات الذاتية ، كما أكد فان در ليو على أن المنهج الفينومينولوجي بأسسه العلمية الصارمة يجب أن تصاحبه نزعة لاهوتية معينة.

وقد كان فان در ليو مسيحيا مؤمنا وبروتستانتي المذهب واعتمد على منهج حدسي في الوصول للأنماط والبنى ، وفي عرض لهذه الأنماط والبنى والجواهر ، بعيد عن الإجراءات العلمية التجريبية التي مارسها العلم الحديث ، فظواهره لم تكن موضوعا للملاحظة التجريبية ، بل كانت جواهر أو خصائص عامة تم الوصول إليها عن طريق رؤيا فعل حدسي كما هو الحال في الفينومينولوجيا الفلسفية ، وعلى الرغم من أهمية البحث التاريخي والفيلولوجي بالنسبة لفينومينولوجيا الدين فإن فان در ليو لم يكن شخصيا يهتم بالبحث في الأصول التاريخية والتطور التاريخي ، مفضلا التركيز على تقديم الأنماط والبنى والجواهر (محمد خليفة حسن ، 2014 ، ص 59-64).

ثانيا. علاقة مقارنة يواكيم فاخ (Joachimwach) في الفكر والفعل والتعبير بمقاربة الفاروقي: أما بالنسبة لمنهج يواكيمفاخ والإفادة منه في عرض الإسلام وحضارته فنتوصل إليه من خلال قول الفاروقي: " وفي النهاية نعرض مظاهر الإسلام في ظواهر الثقافة والحضارة تحت مقولات الفعل ، والفكر ، والتعبير معطين تقريرا منظما عن حقول النشاط الإنساني " (الفاروقي ، أطلس الحضارة الإسلامية ، 1998 ، ص 28).

فقد نشأ يواكيم فاخ في أسرة تنتمي إلى الكنيسة اللوثرية بألمانيا والتحق بعدها بالكنيسة الأسقفية البروتستانتية بالولايات المتحدة الأمريكية ، ويصف جوزيف كيتاجاوا وضع فاخ الديني بأنه مسيحي إنساني مثالي ، وأنه مسكوني التوجه ، ورجل الكتاب المقدس ومؤمن ، وأنه تلميذ ومعلم حقيقي في مدرسة المسيح ؛ فقد حاول فاخ في كتابه "الدراسة المقارنة للأديان" الجمع بين رؤى ومناهج علم تاريخ الأديان و فلسفة الدين و علم اللاهوت. وقد استخدم فاخ المنهج الفينومينولوجي في تحليله للتجربة الدينية. معلنا أن على مؤرخ الأديان أن يعنى بمعنى التعبير عن التجربة الدينية. و بمعنى و طبيعة التجربة الدينية ذاتها. وبالبحث عن البنى في كل أشكال التعبير الديني والبحث عن الحقيقة او الحقائق التي تتناسب مع هذه التجارب. ويرى فاخ أن أشكال التعبير رغم أنها مشروطة بالبيئة التي نشأت فيها فهي تظهر تشابها في البنية ، وأن هناك موضوعات عالمية في الفكر الديني ، وأن العالمي نجد دائما متضمنا في الخاص ، وأصر فاخ على أن مؤرخ الأديان يجب أن يعالج موضوع الحقيقة معالجة فينومينولوجية ، وذلك بربط مسألة الحقيقة بطبيعة التجربة الدينية ، فهناك حقيقة واحدة ، ولكن إدراك هذه الحقيقة الواحدة يختلف بحسب اختلاف وسائل الإدراك الإنساني ، التي ولدت تعددية التجارب الدينية (محمد خليفة حسن ، 2014 ، ص 66 وما بعدها).

وقد نقد فاخ عند بعض مؤرخي الأديان ، بأنه خلط بين فاخ مؤرخ الأديان وفاخ المسيحي ، ولأنه استخدم المسيح نموذجا في مناقشاته ، وعلى الرغم من هذا النقد فقد جاهد فاخ من أجل الفصل بين الدراسة المقارنة للأديان وعلم اللاهوت الدفاعي عن أي دين معين فمؤرخ الأديان عليه أن يطبق منهجا عالميا للدراسة ، يصلح

للتطبيق على كل الأديان ، وقد ضايقه كثيرا أن تصبغ الدراسة المقارنة للأديان بالاهتمامات الدفاعية لدين من الأديان ، من كل هذا يتضح اهتمام فاخ بوضع قاعدة لاهوتية للدراسة المقارنة للأديان ، فالتجربة الدينية الأصلية هي إدراك الوحي أينما يقع داخل أي سياق إثني أو ثقافي أو اجتماعي أو ديني.

وقد وضع فاخ بوصفه مؤرخا للأديان عدة مبادئ لعالم اللاهوت المسيحي ، لكي يأخذ بها في تقويمه للأديان غير المسيحية ، ومن أهم هذه المبادئ غير المسيحية تملك تجربة دينية أصيلة عن الحقيقة المطلقة وأنه أينما وجد الوحي الأصلي ، فهناك شعور أو تجربة بالمقدس ، وأن تجربة المقدس مرتبطة عضويا بالأخلاق في كل الأديان ، وأن غير المسيحيين لديهم إدراك بالنعمة الإلهية ، وأن هناك عدة أنواع ودرجات لإدراك المقدس في الديانات غير المسيحية ، وأن هناك شعورا حقيقيا بالعبادة في النظم الدينية غير المسيحية ، وأن التجربة الدينية في كل الأديان تعبر عن نفسها في شكل جماعي.

وهكذا يعطي فاخ لتاريخ الأديان مكانا ثابتا في علم اللاهوت ، ليس فقط من خلال الزاوية الدفاعية ؛ ولكن أيضا من خلال تحديد طبيعة ومدى فعل نشاط الوحي الإلهي في التاريخ ؛ بأنها محاولة للجمع بين التقدير المبني على المعرفة بالأنماط المختلفة للتجربة الدينية ، والإيمان المسيحي العميق (محمد خليفة حسن ، 2014 ، ص 66-70).

وإذا عدنا إلى الفاروقي فالفاروقي بداية عالم مسلم ومؤمن ، ومتمدين ، وملتزم وفي درسه للأديان ينطلق من هذه القاعدة ويحاول كما فعل فان در ليو وفاخ أن يوفق بين تدينه الصريح ، والالتزام الموضوعي في درس الأديان الأخرى ، وهو يفعل هذا باللجوء إلى المنهج الفينومينولوجي ذاته الذي صار عليه فان در ليو وفاخ. الفرع الثاني. التجديد في مقارنة الفاروقي **Renewing the Farouqi approach**: لقد أضاف الفاروقي على مقارنة (فان در ليو) في الجوهر والمظهر ، ومقارنة (جواكيم فاخ) في الفعل والفكر والتعبير ، عناصر أخرى لمقارنته الفينومينولوجية تتمثل في الأصل (**origin**) ، وكذلك الشكل (**form**) من خلال دراسته للحضارة الإسلامية.

**أولا- الأصل (origin)**: يرى الفاروقي أن أصل الحضارة ، ومنشأ تشكيلها ، وبدء انتشارها كان في جزيرة العرب من حيث المكان ، وكانت اللغة والتاريخ الأصل الذي يعبر عن دور الشعوب والأقوام الذين سكنوا ذلك المكان وما حوله ، والتطور الذي حدث فيه التطور التاريخي لتشكل هذه الشعوب وتطور لغاتها فيكون العامل البشري والعامل الزمني أصليين مناسبين لفهم الصورة التي كانت عليها الأمور يوم جاء الدين الجديد وبذلك تنتهي الأذهان للحديث عن الدين والثقافة التي بناها هذا الدين ، فخرج من محددات المكان والزمان والأقوام (الفاروقي ، أطلس الحضارة الإسلامية ، 1998 ، ص 31-87).

ثانيا- الشكل (**form**): يريد الفاروقي من خلال هذه الإضافة في مقارنته الفينومينولوجية للحضارة الإسلامية يعطائها شكلها في نسق من الأفكار ومن التطبيقات المثلى والمؤسسات الاجتماعية ، وبصورة أعطت الحضارة الإسلامية شكلها وشخصيتها وأسهمت في ترسيخ تطورها وحضورها الفاعل في التاريخ ومن الأشكال التي ضمنها الفاروقي لمقارنته:

1- القرآن الكريم: حيث أظهر حقائق الوحي وكيفياته وظاهر النبوة وتاريخها ولغة القرآن ونسيج الأفكار التي يتضمنها.

2- السنة النبوية: وفيه تحدث عن النبي محمد (صل الله عليه وسلم) بشرا، وداعية، ورب أسرة، وزعيما سياسيا.

3- الأركان والمؤسسات: تضمن الحديث عن أركان الإسلام الخمسة، ومؤسسات الأسرة، والمسجد، والأخوة، ونظام الدولة، والشورى، والنظام العالمي، ومؤسسات التعليم، والقانون، ويجمع كل ذلك على اعتبار أن هذه الأركان والمؤسسات هي التي تعطي للحضارة الإسلامية شخصيتها ومظاهرها الشكلية التي تميزها (فتحي حسن الملكاوي، 2014، ص 536 وما بعدها).

4- الفنون: وقد تعرض الفاروقي للجانب الشكلي للفنون في ثلاث مستويات، المستوى الأول في طريقة القرآن الكريم في تعريف التوحيد؛ وخصائص التعبير الجمالي عنده. والمستوى الثاني يتحدث عن القرآن الكريم بوصفه مثلا فنيا. والمستوى الثالث يتحدث عن القرآن بوصفه مثلا للتصوير الفني الدقيق (الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، 1998، ص 243 وما بعدها).

المطلب الثالث. مساهمة مقارنة الفاروقي في النهوض الحضاري للأمة الإسلامية:

الفرع الأول. مفهوم الحضارة عند الفاروقي *The concept of civilization at the Farouqi*: ينظر الفاروقي إلى مفهوم الحضارة بوصفه أحد المفاهيم التي تولدت عن مفهوم التوحيد، فالحضارة حسب تعريفه هي: "العلاقة بين جوهر الإسلام وبين الظواهر التي رسخت وجوده في التاريخ" وتناج تلك العلاقة المنتج الحضاري الإسلامي، والتوحيد هو جوهر الإسلام، مثلما هو جوهر الحضارة، إلا أنه رغم هذه العلاقة لا يمكن لإنسان أن يساوي بين التوحيد كمطلق غيبي وبين المنتج الحضاري التاريخي الموسوم بالنسبية والقصور) فاطمة حافظ، (<https://islamonline.net/>).

الفرع الثاني. آليات التغيير والنهوض الحضاري في فكر الفاروقي *The mechanisms of change and the advancement of civilization in the ideology of Farouqi*: حاول الفاروقي من خلال مقارنته توصيف أسباب قوة الحضارة الإسلامية، حيث بين أن جوهرها وقوتها في توحيدها وعقيدتها، وأن على الأمة إذا أرادت أن تعيد أمجاد حضارتها عليها أن تأخذ بأسباب القوة التي كانت عليها، فمن وجهة نظره أن توصيف أعراض المرض يساهم في تحديد طرق علاجه، والعجيب أن العبارات التي قالها منذ زمن تجيبنا اليوم على كثير من الأسئلة التي تدور في أذهان شباب الأمة اليوم بحيث يقول الفاروقي: "يتجه العالم الإسلامي في الوقت الحاضر نحو مرحلة حرجة من مراحل تاريخه، فهو يواجه المدينة الغربية بكل ما فيها من زيف وانحراف، وبكل ما فيها من تجرد من الإنسانية، وتنكر لها تلك المدينة التي فرضت نفسها على أرجاء العالم تقريبا وتحاول جاهدة أن تفرض نفسها على العالم الإسلامي" (محمود رأفت، (<https://www.google.com>)

إذا فالفاروقي يرى أن أمر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها، أي خير القرون، حيث يقول: "بذلك مكنت كل هؤلاء من الانضواء تحت راية الإسلام، بل اعتبروه قضيتهم وجعلوه يعيد صياغة حياتهم، طبقا لمنطقه الخاص من القيم والأخلاق، وعلى ذلك فالفرق بين الأمة الإسلامية في تلك العصور القديمة، وبين هذه الأيام، هو غياب الرؤية الإسلامية كشعلة متوهجة في عقول وقلوب أنصارها الأوائل، فإن نورها قد أغمم، وجذوتها قد خبت عند أتباعها الحاليين (مولود عويمر، (<https://shamela-dz.net/>).



وقد أسهمت هذه الحقيقة الفريدة أكثر من غيرها، في انحدار المسلمين، وإذا لم نكتشف طريقا لإعادة إشعال جذوة الإيمان من جديد، وتقوية عزيمتنا بنفس معيار الطاقة والفاعلية... فإن المعركة الدائرة أمام أعيننا بين الحضارات ربما تتأثر نتيحتها على غير ما نتمنى نحن المسلمين، وهي بناء على ذلك، أصعب من أن يدركها أي دارس لتاريخ العالم المعاصر، ليتعرف من خلالها على عوامل الاستقرار والاستمرار في الأمة الإسلامية، أو ليتعرف على عوامل التغيير والاضطراب لها "(محمود رأفت، <https://www.google.com>).

#### خاتمة:

نتائج الدراسة: من خلال الدراسة الحالية توصلنا إلى النتائج التالية:

يعد الفاروقي من المجددين لها أساه من طرح موضوعات التوحيد بلغة معاصرة مخالفة لها ألفناه في كتب السلف حول التوحيد، حيث خلص إلى أن التوحيد هو جوهر الحضارة الإسلامية. يعتبر إسماعيل راجي الفاروقي أول من درس الحضارة الإسلامية دراسة فينومينولوجية، حيث اعتمد على مقارنة فان در ليو في الجوهر والمظهر، وكذلك مقارنة جواكيم فاخ في الفعل والفكر والتعبير منسقا بينهما تنسيقا غاية في الجمال، نظرا لما كان يكتسبه الفاروقي من معرفة موسوعية ألهته لإجراء هذا المزج؛ كما أضاف الفاروقي الأصل والشكل على مقاربهته. استفاد الفاروقي من المنهج الفينومينولوجي في إعداد منهجه الجديد وهو منهج "ما وراء الدين"، إلا أنه انتقد خطوة "تعليق الحكم" واعتبر أن إصدار الحكم لا ينافي الموضوعية مما دعا البعض إلى تسمية منهجه الجديد بالفينومينولوجيا الإسلامية.

توصيات الدراسة: ومن ضمن التوصيات التي تقدمها بعد إجراء هذه الدراسة ما يلي:

يعتبر الفاروقي من الشخصيات الموسوعية ذات الفكر الخصب، حيث كانت له دراسات عديدة في مجالات عدة غير أن غالبية كتابات الفاروقي كتبت بغير اللغة العربية، وما تم ترجمته من كتابات الفاروقي يعد نسبة ضئيلة مقارنة بإنتاجه الضخم، لذا نوجه الباحثين إلى الاهتمام بدراسة تراث الفاروقي بدرجة أولى من ناحية التحصيل والبحث ومن ناحية ثانية من جهة ترجمة تراثه الفكري الضخم.

#### قائمة المراجع:

- إسماعيل راجي الفاروقي: التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، (ط2، مدرات للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر).
- إسماعيل راجي الفاروقي: التوحيد جوهر الحضارة الإسلامية، (ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلاميفرجينيا، الو م أ).
- إسماعيل راجي الفاروقي: أطلس الحضارة الإسلامية(ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية).
- خزعل الماجدي: علم الأديان: تاريخه، مكوناته، مناهجه، أعلامه، حاضره، مستقبله، (ط1، المركز الثقافي للكتاب، الرباط، المغرب).
- ميشال مسلان: علم الأديان مساهمة في التأسيس(ط1، دار كلمة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة).
- صالح بن طاهر مشوش: دراسة في محاولة الفاروقي لتأصيل المنهج الظاهراتي إشكالية الموضوعية العلمية والخصوصية الدينية، <https://books.google.dz/>
- فتحي حسن المللكاوي: جوهر الحضارة الإسلامية وتجلياتها، (ورقة بحثية مقدمة في ملتقى إسماعيل راجي الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر، ط1، دار الفتح، عمان، الأردن).
- محمد خليفة حسن: جهود إسماعيل الفاروقي في علم تاريخ الأديان، (ورقة بحثية مقدمة في ملتقى إسماعيل راجي الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر، ط1، دار الفتح، عمان، الأردن).
- فاطمة حافظ: التوحيد وأثره في الحضارة الإسلامية، 16/04/2018 <https://islamonline.net>
- محمود رأفت: الفاروقي أسلمة المعرفة ونهضة المسلمين <https://www.google.com/amp/www.akhbarak.net/news/2015/09/5>
- مولود عويمر: الدكتور إسماعيل الفاروقي مسار وأفكار، 23/09/2017 <https://shamela-dz.net>

## التسويق بالعلاقات في منظمات الأعمال الأسس والتطبيقات المركز العربي الإفريقي للاستثمار

### والتطوير Caaid "نموذجا"

أ.بن مزارى فريال ، كلية علوم الاعلام والاتصال ، جامعة الجزائر3- الجزائر

أ. عكروف إيمان ، كلية علوم الاعلام والاتصال ، جامعة الجزائر3- الجزائر

#### مقدمة:

لقد أصبحت البيئة العالمية اليوم تتسم بتعدد وكثرة التغييرات التي شملت جميع المجالات السياسية ، الاقتصادية ، الثقافية ، وهذا نظرا للتطورات الحاصلة التي يشهدها العالم من تكنولوجيا الاعلام والاتصال ، الذي ولد ثقافة اتصالية خاصة بتلك التكنولوجيات الحديثة ، وساهم في الاتصال والتواصل عبر جميع مؤسسات العالم ، وزاد من وتيرة تبادل الخبرات والمعلومات بين بعضها ، هذا ما انعكس على انفتاح الأسواق أمام مستثمرين جدد بصيغة عالمية ، لأجل ترويج السلع والخدمات التي تتميز بها مؤسساتهم ، مما أدى إلى ظهور منافسة شديدة بين هذه المؤسسات سعيا للحصول على حصص سوقية جديدة تساعدهم على التوسع وتطوير خدماتهم وسلعهم بما يناسب الأذواق العالمية .

وتعتبر وظيفة التسويق من الوظائف الهامة التي قامت عليها منظمات الأعمال ، والتي أساسها الربح المالي ، وعن طريقها يتم بناء أهداف وسياسات المؤسسات ، وكذا تحديد مستوى أدائها باعتبارها نشاط متكامل من جهة ، وصلة المؤسسة بعملائها من جهة أخرى ، لذا فقد مرت هذه الوظيفة بعدة مراحل من مرحلة الإنتاج ، مرحلة المنتج ، ومرحلة البيع وأخيرا مرحلة التوجه التسويقي ومرحلة التوجه الاجتماعي ، وقد كان للتطورات التكنولوجية أثرا كبيرا في تطور هذه الوظيفة الذي بدأ يتلاشى مفهومها التقليدي للتسويق القائم على بيع الخدمة أو السلعة للزبون ، دون العمل على إقامة علاقة طويلة معه ، عكس مفهوم التسويق الحديث الذي هو التسويق بالعلاقات القائم على فكرة أنه يهتم بالمستهلك ، والعمل على إشباع حاجاته ورغباته لضمان الاستمرار والبقاء ، والمحافظة عليه لأطول فترة ممكنة ، من خلال إقامة علاقات تفاعلية وطيدة أساسها الزبون الذي أصبح الفكرة السائدة لدى جميع المؤسسات ، عكس البحث الدائم عن الحاجات ورغبات الزبون الذي يعود بالخسائر على مؤسسته .

ويعد التسويق بالعلاقات من مفاهيم الجديدة التي دخلت مجال التسويق الذي أساسه الاهتمام برضا الزبون ، من خلال مختلف الأنشطة التي تقوم بها المنظمة ، محاولة لإرضائه وكسب وفائه ، والعمل على جذبته لأجل التواصل الدائم مع المنظمة ، وكسب زبون لها مدى الحياة .

#### إشكالية الدراسة:

مع التحولات الاقتصادية والتطورات التكنولوجية ، سعى المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير إلى تبني نهج تسويقي اقتصادي جديد يقوم على التسويق بالعلاقات مع زبائنها مختلف أنحاء العالم باعتبارها مركز فعال وقوي في مجال التبادلات الاقتصادية وإقامة العلاقات الثنائية التي تقوم على أهمية الزبون وحاجته من أجل تطوير العلاقة مع زبائنها على الأسس الصحيحة والسليمة ، وهذا عملا منها على إقامة

شراكة ذو توجه بعيد المدى والسعي لتطورها، باستراتيجيات ومختلف التقنيات الاتصال الحديثة من أجل التقرب الدائم والمتواصل مع زبائنه باعتبارهم رأس مال الشركة ومركز قوة تعتمد عليهم في بناء وتطوير المركز وفقا للمعايير الدولية التي تعطي أهمية قيمة أكثر للزبون لخلق علاقات اقتصادية تشاركية أسسها الولاء والثقة بين الطرفين، باعتبارها المنفذ تعمل جاهدة على تقديم الخدمات ومنتجات تلبية توقعات ورغبات العميل الذي يعتبر الورقة الراحبة بالنسبة لها، والتي تسعى إلى الحفاظ عليه وهذا من أجل رفع رقم أعمالها، فهي تقوم على تلبية احتياجاته وذلك باللقاءات الثنائية لتبادل الخبرات والاتصال وتقديم الاستشارات، دعما للإنتاج وتشجيع التصدير وفتح مجالات وأفاق جديدة، في ظل النظام العالمي الجديد، وإعطاء فرصة للمبادرات الشبانية في الانخراط في النموذج الجديد، وهذا ما أدى إلى مركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير إلى تبني مفهوم التسويق بالعلاقات من أجل التسويق أعمالها في الاستشارة كمؤسسات خدماتية متخصصة في مجال التسويق بالعلاقات وتسويق الأعمال، ونظرا لأهمية المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير ودوره في تحقيق التسويق بالعلاقات تبلور إشكالية الدراسة في التساؤل الجوهري التالي:

**كيف يقوم المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير Caaid بالتسويق بالعلاقات مع زبائنه؟**

**تساؤلات الدراسة:**

ماذا نقصد بتسويق بالعلاقات؟ وما هي الأسس والمبادئ التسويقية التي يبنى عليها؟

إلى أي مدى يعتمد المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير على التسويق بالعلاقات؟

ما هي أهم الاستراتيجيات المعتمدة من طرف المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير في تفعيل العلاقات الاتصالية؟

ما هي الوسائل والوسائط والأساليب الاتصالية التي ينتهجها المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير للتعامل مع زبائنه؟

**أهداف الدراسة:**

- التعرف على التسويق بالعلاقات وأهم الأسس والمبادئ التسويقية التي يبنى عليها.

- التعرف درجة اعتماد المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير على التسويق بالعلاقات.

- التعرف على أهم الاستراتيجيات المعتمدة من طرف المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير.

- التعرف على أهم الوسائل والأساليب الاتصالية التي ينتهجها المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير للتعامل مع زبائنه.

**أهمية الدراسة:** تكمن أهمية الدراسة باعتبارها ندرس جانبا جديدا من مفهوم التسويق بالعلاقات في منظمات الأعمال بكونه من المفاهيم الجديدة التي دخلت عالم التسويق إن هذه الدراسة تعطي جانبا جديدا عن الدراسات السابقة و ذلك من خلال ربط مفهومين وهما التسويق بالعلاقات و منظمات الأعمال ، اللذين يعتبران مفهومين جديدين في مجال الأعمال والتسويق ، وتستمد هذه الدراسة أهميتها من التغير السائد الذي أصبح يفرض نفسه على منظمات الأعمال ، التي أصبح إلزاما عليها مواكبة والتكيف مع هذه التغيرات.

فالتحولات الفكرية التي تحكم العمل التسويقي ، تمثل دافعا للبحث في مدى تطبيق هذه الأخيرة لدى المؤسسات ، وذلك في ظل ما تشهده بيئة الأعمال و هي بيئة شديدة التغيير ، لذا تمثل هذه الدراسة محاولة لتحديد مدى تطبيق التسويق بالعلاقات كمفهوم جديد في الفكر التسويقي و في البيئة الأعمال.

#### حدود الدراسة:

أدوات الدراسة: إن دقة أي بحث علمي يتوقف على اختيار الأدوات المناسبة التي تتماشى وطبيعة الموضوع وإمكانيات الباحث للحصول على بيانات تخدم أهداف الدراسة كما أنها تستعمل حسب المنهج المعتمد في الدراسة و عليه فإننا اعتمدنا في دراستنا على المقابلة ، إذ قمنا بالمقابلة مع السيد محمد أمين بوطالبي: المدير العام للمركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير CAAID.

#### مجالات الدراسة:

المجال المكاني: أجريت هذه الدراسة على مستوى المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير CAAID وهي مؤسسة خدمتية ذات طابع اقتصادي وتهتم هذه المؤسسة بتقديم الاستشارة و الأبحاث الاقتصادية والدراسة والتكوين وتقديم الخدمات والبحث عن حلول إستراتيجية وفعالة للمشاكل خلال تنفيذ مختلف المشاريع في إفريقيا و الدول العربية و تهدف إلى تسهيل الأعمال لأصحاب المؤسسات وكل الراغبين في الاستثمار تحت مظلة الثقة ، التميز والسرعة وتتموقع هذه المؤسسة في 86 طريق جسر قسنطينة القبة الجزائر.

المجال الزمني: مجال الزماني: جرت هذه الدراسة في ماي 2019.

#### تحديد مفاهيم الدراسة:

منظمات الأعمال: هي الأنشطة الإنسانية التي يبذلها البشر ، بهدف إنتاج وتوزيع السلع والخدمات الضرورية لإشباع الحاجات والرغبات الحالية والمستقبلية للمجتمع ، وفي مقابل المجهود الإنساني التعاوني بين الناس والهادف إلى إنتاج سلعة أو خدمة للمجتمع يحصلون على الربح المشروع ، والربح هذا يعد ذاته عبارة عن مكافأة يقدمها المجتمع للمنتجين لكي يضمن استمرارية هذه الأنشطة الضرورية لهم ، فإذا توقفت هذه المكافأة من المجتمع للصناعيين والزراعيين وغيرهم ، فإن أنشطتهم سوف تتوقف عن العمل والإنتاج وتصبح حياة الناس صعبة ، يقودنا هذا المدخل إلى تعريف الإطار العام لمنظمة الأعمال على النحو الآتي "منظمة الأعمال وحدة اقتصادية" (علي عباس وآخرون ، 2001 ، ص:19).

وقد جاء في تعريف "صالح الحناوي": منظمات الأعمال هي تلك المنظمات أو الوحدات الاقتصادية التي تعمل على إشباع احتياجات ورغبات الأفراد من خلال تقديم مجموعة من السلع أو الخدمات وذلك بهدف تحقيق الربح.(محمد صالح الحناوي وآخرون ، 2001 ، ص:43).

التسويق بالعلاقات: ظهر التسويق بالعلاقات مع بداية الثمانينات القرن العشرين في مجال الصناعات والخدمات، وهو عبارة عن مقارنة تركز على إنشاء علاقات طويلة المدى مع الزبائن الحاليين والمحتملين، تنشئ من خلالها المؤسسة روابط تجارية أو حتى شخصية ، أي التركيز على توجه المؤسسات بالزبون أكثر من توجيهها بالمنتج، وذلك بالسعي لإقامة علاقات دائمة مع الزبائن الحاليين والمحتملين والسعي الجاد للمحافظة عليها في صيغة الارتباط وتعاون وتبادل لمواجهة المنافسة على المدى الطويل(بنشوري عيسى ،الداوي الشيخ ، 2009-2010 ، ص:367-368).

وهي أيضا تعد على أنها تحديد ، إنشاء ، صيانة ، تحسين ، تعديل وإنهاء العلاقة مع العملاء لخلق قيمة للعملاء والربح للمؤسسة من خلال سلسلة من التبادلات العلائقية التي لها كل من التاريخ والمستقبل.(Nagasimha Kangal).

الزبائن: يعرف الزبون على أنه الشخص الذي يشتري سلع بانتظام من متجر معين(زبون موالي للمتجر)، وإذا كان شرائه للسلعة بعلامة معينة لفترة طويلة نسبيا(زبون موالي للعلامة)، أما إذا كان تعامله من منظمة خدمية معينة لفترة طويلة نسبيا فهو زبون موالي لتلك المنظمة.(أنيس أحمد عبد الله ، 2016 ، ص:11).

والزبائن هم المستخدمون النهائيون للمنتج الذي تقدمه الشركة وقد يكونوا منظمات الأعمال أو الأفراد.(تامر البكري ، 2013 ، ص:64).

الإستراتيجية: الإستراتيجية حسب هنري منتريبرج هي:الخطة والاتجاه أو منهج العمل لتحقيق هدف ما أو الممر أو الجسر الذي يأخذنا نحو تحقيق الهدف المنشود إليه(فهيم محمد العدوى ، 2015 ، ص:215). وهي أيضا: العمل المستقبلي المتعلق بتحقيق هدف معين.(Barbara Gumbs,2014)

تعريف الإستراتيجية بأنها رسم الاتجاه المستقبلي وبيان غاياتها على المدى البعيد واختيار النمط الاستراتيجي المناسب لتحقيق ذلك في ضوء العوامل والمتغيرات البيئية الداخلية والخارجية وتنفيذ الخطة ومتابعتها وتقييمها.(منصور عوض القحطاني والسيد السيد محمود البحيري ، 2014 ، ص:8).

## 1. التسويق بالعلاقات الأسس والتطبيقات:

1.1 مرتكزات التسويق بالعلاقات: يقوم مفهوم التسويق بالعلاقات على ستة مرتكزات أساسية هي:  
خلق قيمة مضافة جديدة لعملاء من خلال استهلاكهم أو استعمالهم للسلعة أو الخدمة المقدمة.  
إدراك الدور الرئيسي للمستهلك أو العميل في تحديد القيمة والمنافع التي يرغب في تحقيقها من خلال عملية اختيار واستهلاك السلعة أو الخدمة.  
العمل على تحديد عملية الاتصال بين البائع والمشتري بشكل يدعم القيمة المدركة من قبل المستهلك أو العميل.

-دعم التعاون والتنسيق المستمر بين المسوقين والعملاء.

-إدراك أهمية عامل الوقت بالنسبة للعملاء.

-بناء شبكة من العلاقات مع العملاء، إضافة إلى شبكة من العلاقات بين المنظمة ومختلف أطراف Stakholders، مثل الموردين والموزعين والوسطاء وغيرهم من أصحاب المصالح مع المنظمة.(إلهام فخري أحمد حسين ، 2003 ، ص:396-397).

2.1 أسس التسويق بالعلاقات: تحدث العديد من الباحثين أثناء دراستهم لمفهوم التسويق بالعلاقات عن العناصر المكونة لهذه الفلسفة، وهنا يشير Sin أن مفهوم التسويق بالعلاقات يتكون من الاتصال Communication ، والثقة Trust ، والتبادلية Reciporcity ، والتعاطف Empathy ، والقيمة Value ، والرابطة Bonding.

ويضيف Prasad&Aryasri خمسة عناصر تشترك في جزء منها مع ما ذكره Sin، يتكون منها مفهوم التسويق بالعلاقات وهي: الإلتزام، والاتصال، والتعاطف، ومعالجة الصراع Conflit Handing.

وللتوسع في الحديث عن هذه العناصر، أشار بعض الباحثون وفي مقدمتهم Sin إلى العنصر الأول وهو الاتصال باعتباره وسيلة تبادل الرسمية أو غير رسمية للمعلومات بين البائعين والمشرون، ولأن التسويق بالعلاقات يسلط الضوء على أهمية تبادل المعلومات في العلاقات التجارية، ولما لهذا العنصر من تأثير إيجابي غير مباشر على عنصر الالتزام في العلاقات التجارية.

وهناك باحثون آخرون اعتبروا أن عملية الاتصال بالعملاء من السمات المميزة للشركات التي تقوم بإدارة عملائها مباشرة، من خلال التقنيات الخاصة بالتسويق عبر التلفون، أو البريد المباشر، والانترنت، وذلك نظرا للدور المهم الذي يلعبه في العلاقات السائدة بين زبائن والموردون، كما اعتبر Prasad&Aryasri أن الاتصال جوهر عملية التفاعل الحاصلة بين الموردون والزبائن.(إياد عبد الفتاح النصور وعبد الرحمن بن عبد الله الصغير، 2014، ص: 312-313).

**الثقة Trust:** اعتبروه عنصرا من عناصر العلاقات التجارية ويعمي به ذلك المستوى الذي يشعر به كل طرف في الاعتماد على سلامة الوعود التي يقدمها الطرف الآخر في علاقات التبادل، كما اعتبروا هذا العنصر مفتاحا لبناء نموذج التسويق بالعلاقات.

**التعاطف Empathy:** يعتبر عنصرا من عناصر العلاقات التجارية الذي يمكن كل من الأطراف الإطلاع على أحوال الطرف الآخر، كما يعتبر نشاط يسعى إلى فهم الحاجات ورغبات العملاء، كما يعتبر أنه يركز على فهم وإدراك حاجات الزبائن ومشكلاتهم والعمل على حلها، وتقديم الخدمات الإضافية المرافقة للمنتجات، والعمل الدؤوب على مواكبة توقعات العملاء مع التركيز على أن عملية صيانة العلاقة مع العملاء هي مسؤولية مشتركة لجميع العاملين في المنظمة.

**القيمة Value:** هي تلك المعتقدات الشائعة بين أطراف العلاقات التجارية المتعلقة بالسلوك، والأهداف، والسياسات الهامة أو غير الهامة، المناسبة أو غير المناسبة، الصواب أو الخطأ، كما اعتبروه عنصرا مهما في بناء علاقة البائعين والمشتريين.

**الولاء:** كثيرا من الباحثين الذين اهتموا بموضوع الولاء، لعض الباحثين عرف الولاء على أنه عبارة عن إستراتيجية تهدف إلى زيادة ولاء العملاء وبالتالي زيادة كمية المشتريات، كما تهدف إلى تناقص ولاء الزبائن تجاه المنافسين الآخرين، حيث عبر الباحثون بأن الولاء هو مجموعة من الأهداف الرامية إلى زيادة ارتباط الزبائن بالشركة والاستمرارية بشراء منتجاتها دون اللجوء إلى منافسين الآخرين(مها حسن ناصر محمد، 2014، ص 24-26).

**3.1 المبادئ الأساسية للتسويق بالعلاقات:** باعتبار أن التسويق بالعلاقات يعتبر المنهج الذي يؤكد مدى استمرارية العلاقات التي يجب أن تتواجد بين المؤسسة وزبائنها، والتي تؤكد على أهمية خدمة العملاء والجودة وتطوير العديد من التعاملات مع الزبائن، فإن التسويق بالعلاقات يركز على مجموعة الأنشطة الإستراتيجية التي تقود المؤسسة لبناء علاقة طويلة المدى والتي منها نذكر:  
**معرفة الزبون:** يتم إنشاء قاعدة آية للبيانات تحتوي على مدخلات تتضمن كل المعلومات والبيانات اللازمة عن زبائن المؤسسة.

**الاتصال والحوار مع الزبون:** يعرف تسويق بالعلاقات على أنه تسويق الاتصال، يركز على مبادلات تفاعلية بين المؤسسة وكل زبون من زبائنها، فطورت المؤسسات مجموعة كبيرة من وسائل الاتصال مع الزبون من أجل بناء ولائه وهي:

أ.الاتصال في اتجاه الزبون: اتصال المؤسسة نحو الزبون بكل أشكاله التقليدية وعن طريق الفاكس والهاتف، رسائل المعلومات والانترنت.

ب.الاستماع للزبون:الاتصال بالزبون يجب أن يكون تفاعلي بمعنى في اتجاهين، من مؤسسة نحو الزبون ومن الزبون نحو المؤسسة، وهذا التفاعل يترجم قدرة المؤسسة على الإصغاء لربائنه وهم تطلعاتهم وانشغالاتهم.

**بناء ولاء الزبون:** تهدف المؤسسة من وراء بناء علاقة مع الزبون إلى بناء ولائه لمنتجاتها أو علامتها من أجل ضمان عائد الزبون الوفي.

**إشراك الزبون في المؤسسة أو العلامة:** وهنا تصل العلاقة بين الزبون والمؤسسة إلى مرحلة متطورة فيصبح شريك للمؤسسة، حيث تأخذ بعين الاعتبار أفكاره وتطلعاته في تصميم المنتجات أو توجيه مختلف الاستراتيجيات التسويقية (اختيار منافذ التوزيع، مضمون الرسالة الإشهارية...إلخ) (مها حسن ناصر محمد، 2014، ص: 25-26).

**4.1 متطلبات تطبيق التسويق بالعلاقات:** إن تبني مفهوم التسويق بالعلاقات كفلسفة حول كيفية أداء العمل وكتوجه استراتيجي لمنظمات الأعمال، وكذا التحول من المفهوم التقليدي للتسويق إلى مفهوم التسويق بالعلاقات لا يمكن أن يتم بشكل سريع وإنما بحاجة إلى تغيير كبير وجذري في فلسفة المنظمات، وتوجهاتها الاستراتيجية طويلة الأجل وهيكلها التنظيمية ويتضح هذا التغيير في المجالات التالية:

-التغيير في قيم وثقافة المنظمة.

-التغيير في عقلية إدارة المنظمة.

-التغيير في نظام المكافآت والحوافز المعمول بها في المنظمة.

-التغيير في التوجه الاستراتيجي للمنظمة، من حيث البحث عن العميل المربح وليس السعي وراء عدد من العملاء، أي التركيز على نوعية العملاء وليس عددهم والتعامل مع العميل المستهدف وليس جميع العملاء والمتابعة الدائمة والمستمرة مع العملاء.

إن تطبيق الفعال والناجح لمفهوم التسويق بالعلاقات، يتطلب القواعد التالية:

-تعريف العميل المستهدف وتحديد خصائصه وحاجاته.

-بناء علاقات قوية مع العملاء يجب أن يكونوا هدف جميع الأنشطة والتطبيقات التسويقية للمنظمة.

-قياس العلاقة مع العملاء باعتبارها ميزة تنافسية للمنظمة.

-بناء وتطوير أنشطة التسويق بالعلاقات منها:

1.مراكز الاتصالات.

2.موقع على شبكة الانترنت.

3.فرق لخدمة ومساعدة العملاء.

4.التجارة الإلكترونية عبر الانترنت.

5. توفير البيانات اللازمة عن العملاء.

6. برامج لدعم ولاء العملاء الدائمين. (صادق زهراء، 2015-2016، ص: 48-49).

2. أهمية التسويق بالعلاقات وأهم تطبيقاته واستراتيجياته:

1.2 أهمية التسويق بالعلاقات: عرف التسويق بالعلاقات تطوراً ملحوظاً، ويرجع أغلب الباحثين السبب في ذلك إلى الإدراك المتزايد لحقيقة القاعدة التي تؤكد على أن "الزبائن الأوفياء يمثلون ربها للمؤسسة، وقد بينت عدة دراسات أن المؤسسة تفقد ف المتوسط مانسبته 10% من زبائنها سنوياً، مع وجود اختلاف في هذا المعدل بحسب القطاعات والمؤسسات، وبناءً عليه فإن تبني المؤسسة لمدخل التسويق بالعلاقات يمكن أن يحقق لها المزايا الآتية:

1-زيادة فرص بيع المنتجات، وما يترتب عنه من زيادة في الأرباح المحققة.

2-زيادة فرص الاتصال بالزبون ومعرفة رأيه حول منتجاتها، والعمل على إجراء التحسينات اللازمة لتحقيق رضاه عن العلامة.

3-انخفاض تكلفة الاتصالات التسويقية نتيجة الاتصال المستمر بالزبائن الرئيسيين للمؤسسة. (ديلمي فتحية، 2008-2009، ص: 38).

2.2 خطوات التطبيق الفعال للتسويق بالعلاقات: إن نجاح تطبيق التسويق بالعلاقات وفعالته يقتضي أولاً الحرص على الدراسة والمعرفة الجيدة مدى نجاح هذا المنهج، خصوصاً أنه يصلح بعض الحالات فقط، كما أنه قد يصلح مجموعة من عملاء ولا يصلح لمجموعات أخرى في نفس الوقت، إضافة إلى أنه يتطلب تخصيص برامج تسويقية خاصة بكل عميل، وهذا ما يفرض ضرورة المعرفة الجيدة للعملاء، إضافة إلى ضرورة الاعتماد على اتصالات كثيفة وتفاعلية، ولهذا فإن عملية التطبيق الناجحة لهذا المفهوم تتطلب مجموعة من الخطوات والتي سنوردها على النحو الآتي:

**تحديد العملاء المستهدفين:** أول خطوة يجب اتخاذها قبل تطبيق التسويق بالعلاقات وهي تحديد العملاء المستهدفين والبرامج التسويقية، وذلك أن هذا النهج يركز فقط على عدد محدود من العملاء والذين تكون لهم أهمية إستراتيجية بالنسبة للمؤسسة، إضافة إلى أنه يقوم على الخصوصية والفردية في إشباع الحاجات ورغبات العملاء، ولهذا يكون من المهم جداً تحديد الفئة المستهدفة، وهذا يتطلب أولاً تقسيم وتجزئة السوق ثم اختيار الفئة المناسبة من العملاء.

**اعتماد نظام قاعدة بيانات العملاء:** من أجل التعرف أكثر على طبيعة العملاء وتحديد سلوكياتهم وأنماطهم الشرائية، تقوم المؤسسات ببناء نظام معلومات يحفظ كل البيانات الخاصة بهم، حيث يعتبر نظام قاعدة البيانات بشكل عام على أنه مجموعة من طرق معالجة البيانات والوسائل المادية والبشرية المستعملة من أجل جمع وتخزين وإنتاج المعلومات وإرسالها في الوقت المناسب.

**تقييم العملاء المستهدفين:** بعد عملية اختيار العملاء المستهدفين وجمع المعلومات الكافية المتعلقة بهم من خلال نظام قاعدة البيانات، يجب على المؤسسة تقييم عملائها باستمرار، لمعرفة الأرباح والمزايا التي يقدمها كل عميل للمؤسسة من جهة، ومعرفة مستوى رضا كل عميل ومدى نجاح الجهود التسويقية في تعزيز العلاقة بين المؤسسة وعملائها، وهذا يفرض تحسين وتطوير الجهود التسويقية وتفاذي أي مشاكل تسويقية



يمكن أن تظهر، وأيضاً التعرف على نقاط القوة والتقاط الضعف في السياسات التسويقية للمؤسسة ومحاولة الاستفادة منها أو معالجتها.

**إنشاء نظام اتصالات فعال:** تعتبر الاتصالات الفعالة أساس نجاح فعالية التسويق بالعلاقات، لأن هذا الأخير يركز على العلاقات التي تعتبر الاتصالات تفاعلية جوهرها، ولتكون الاتصالات فعالة يجب أن تتميز بمجموعة من الخصائص أبرزها السرعة والدقة والوضوح والشمولية والسرية وقوة الإقناع والتأثير وكثافة المعلومات المنقولة، فضلاً على ذلك يجب أن تسمح لها هذه الاتصالات بالحصول على ردود الفعل، وهذا ما يمكن أن يوفره نظام الاتصالات التفاعلية، التي تدعم العلاقة بين المؤسسة وعملائها وتزيد من قدرتها على إشباع حاجاتهم ورغباتهم، وتمثل أهداف إنشاء نظام فعال للاتصالات مع عملاء المؤسسة فيما يلي:

-تحقيق علاقات اجتماعية وشخصية، وهذا ما يجب توفر ما يلي:

-امتلاك العمال القدرة والكفاءة اللازمة للاتصال والتواصل مع العملاء.

-تشجيع وتمكين العمال من الاتصال بشكل مستمر بالعملاء.

-تنظيم برامج مكافآت وتحفيزات للعملاء بغرض تشجيعهم على الاتصال والتواصل مع المؤسسة.

وجود حوار مستمر بين المؤسسة والعملاء: وهذا يقوم على مايلي:

-قيام المؤسسة بالإتصال بالعملاء وإرسال لهم خطابات تتضمن الشكر والتقدير وتقديم الاقتراحات والإجابة على الاستفسارات ومختلف المعلومات المساعدة في اتخاذ قرار الشراء.

-تشجيع الاتصال المباشر بين المؤسسة وعملائها من خلال توفير الوسائل المناسبة لذلك كإنشاء المواقع الإلكترونية، وفتح نقاط البيع، توزيع بطاقات التعريف بالمؤسسة التي تتضمن إسم وعنوان المؤسسة ورقم الهاتف وغيرها من البيانات الضرورية، تخصيص مصلحة الاستقبال والرد على اتصالات العملاء من أجل الهاتف أو البريد وغيرها(عبد الله قلس، 2012-2013، ص: 139-144).

**محافظة على ولاء العملاء:** بالنظر إلى الولاء كقيمة تكتسب ولا تشتري ولا تستحقها المؤسسة إلا إذا كانت تستحق ذلك، فالولاء للمؤسسة ولمنتجاتها تعني تردد العميل على المؤسسة أو تكرار عملية شراء منتجاتها. ويتكون مفهوم الولاء من ثلاث علاقات أساسية:

-زبائن ذو مستويات عالية من الولاء يؤدي إلى مستويات عالية من المبيعات والأرباح.

-أفضل خطوة لكسب الولاء هي تحقيق رضاهم(رضا يسبق الولاء).

-يتحقق رضا العملاء عن طريق تقديم القيمة المتوقعة لهم(حكيم بناولة، 2013-2014، ص: 76).

**3.2 الاستراتيجيات التسويقية بالعلاقات:** يمكن اعتبار عملية الاحتفاظ بالعملاء لأطول فترة ممكنة أحد أدوات التسويق بالعلاقات التي تساعد على الوصول إلى العميل الموالي أو ما يعرف بعميل مدى الحياة التي هي أحد أهداف التي يسعى إليها التسويق:

ولقد قدم Leonard Berry & Parasuman (1991) مجموعة من الاستراتيجيات التي من شأنها أن تعمل على الاحتفاظ بالعملاء، من هذه الاستراتيجيات

المجموعة المالية **financial Bunds**: والقائمة على تقديم الحوافز مادية للعملاء لتشجيعهم على تكرار الشراء، وربطهم مع المنظمة لأطول فترة ممكنة، ولكن مثل هذه الإستراتيجية سهلة التقليد من قبل

المنافسين، وتأثيرها قصير الأجل شأنه شأن وسائل تنشيط للمبيعات الأخرى، ولا بد أن تتوافق مع مستوى مناسب من الجودة المدركة من قبل العملاء.

**المجموعة الاجتماعية Social Bunds:** والقائمة على أهمية بناء العلاقات الاجتماعية مع العملاء وبشكل شخصي وليس اعتبارهم مجرد وجوه بدون أسماء، وإنما هم أصدقاء معروفون بالنسبة لإدارة المنظمة والعالمين فيها.

**المجموعة المتوافقة مع حاجات العملاء Customization Bunds:** والمعتمدة على تقديم المنتج المناسب لحاجات العميل بشكل فردي، من خلال تقديم الحلول الخاصة والمناسبة لكل عميل، ويتم من ذلك من خلال تقديم العروض المرنة التي يمكن تكييفها حسب حاجة كل عميل، مع الحرص على تقديم العديد من العروض أو البدائل.

**المجموعة الهيكلية Structural Bunds:** وتعتمد هذه المجموعة على المشاركة والتكامل مع العملاء الذين يرتبطون مع المنظمة بعلاقات طويلة الأجل، سواء في المعلومات أو الموارد أو التكنولوجيا، وصولاً إلى تقديم المنتج المطلوب من قبل العملاء، ومثل هذه المجموعة صعبة التقليد من قبل المنافسين، مما يمكن المنظمة من تحقيق الميزة التنافسية، من خلال العلاقات مع العملاء. (إلهام فخري أحمد حسين، 2003، ص: 402-403).

### 3. التسويق بالعلاقات بالمركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير Caaid:

**تقديم المركز CAIID:** يعتبر المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير Caaid مكتب متخصص موضوعه استشارة، تقديم خدمات، إعداد دراسات الجداول الاقتصادية ومساعدة في الاستثمار والميدان الفلاحي، ومساعدة المؤسسة الوطنية والدولية في مجال الصناعة والطاقة، مؤسسة الخدمات الفندقية والإطعام، تنظيم التظاهرات الثقافية، الاقتصادية، العلمية، وإعداد برامج التكوين، الاستشارة في الإعلام الآلي، نشر وتوزيع المنتجات السمعية والبصرية، مؤسسات المعارض، وكالة السياحة، مكتب الدراسات بالتعاملات ما بين البنوك والتقد، مؤسسة الخدمات البترولية خدمات التصدير حول الخارج في كل أنحاء العالم.

بصفة شاملة كافة العمليات التجارية والمالية، والصناعة المنقولة والعقارية المرتبطة بصورة مباشرة وغير مباشرة بالشركة أو بموضوع آخر مماثل أو كل عملية بصيغة تهدف إلى تسهيل التوسيع والتطوير في إطار القانون المعمول به في هذا الشأن، كل هذا من أجل إعانة الفرد والمؤسسة (عمومية كانت أم خاصة) على تطوير قدراتها المادية والمعنوية، بخبراء وباحثين وأفكار إبداعية مبتكرة وفعالة تراعي فيها الخصوصية، الدقة، السرعة والجودة ويكون أساسها الاتصال والعلاقة الجيدة مع زبائننا مما يوفر لها أرضية خصبة تساهم في تطوير وتشكيل العلاقات وتوفير المعلومة.

والمركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير له فروع عديدة من مختلف أنحاء الوطن، بالإضافة إلى فروع

خارج الوطن أهمها:

فرع بتركيا.

فرع بساحل العاج.

فرع بسويسرا.

فرع بالإمارات العربية (دبي).

أهم النشاطات الذي قدمها المركز: باعتبار أن المركز CAAID مركز مختص في مجال عمله فقد تمكن من المشاركة في العديد من الملتقيات الخاصة بمجال الأعمال سواء في داخل وخارج الجزائر نذكر منها:  
-شارك في الصين بوفد من رجال الأعمال .

-شارك في معارض ومؤتمرات دولية في تركيا مع جمعية الموصياد في 2014/2012/2008 وكذلك مع جمعية توراب 2013 و2014.

-زيارة تكوينية خاصة مع جمعيات مهنية MUSIAD وTUMUSAID 2013/2012.

-كما شارك في روسيا في مجلس الأعمال الروسي العربي 2013 و2014.

-شارك في الشارقة مع غرفة الشارقة والمركز الإسلامي لتنمية التجارة وغرفة التجارة الإسلامية.

-شارك في تونس مع وكالة النهوض والصناعة 2012/2010.

-شارك في المغرب .

-شارك في اندونيسيا مع وزارة التجارة الاندونيسية 2010.

-شارك في ماليزيا 2010.

-شارك في اسبانيا 2011.

بالإضافة إلى مشاركته في العديد من اللقاءات التحسيسية بالاستثمار واستقبال وفود رجال الأعمال بالجزائر

### 1.3 خطوات تطبيق التسويق بالعلاقات في مركز CAAID:

تحديد القطاع السوقي المستهدف: يستهدف مركز CAAID جميع القطاعات الخاصة بمجال الأعمال: كقطاع الفلاحة والصناعات الغذائية، حيث يعتبر من القطاعات المهمة في الاقتصاد الجزائري كونه أحد الفروع الأساسية لقطاع الصناعات التحويلية، التي بدورها تساهم مباشرة في زيادة الإنتاج المحلي و الدخل القومي. كما يعد حلقة وصل بين القطاعين الزراعي والصناعي الذي له أهمية أساسية في علاقاته المباشرة بإنتاج الغذاء في شكله الخام، أما القطاع السياحي فهو يتوفر على مؤهلات طبيعية ومادية مشجعة للتدفق السياحي والمدعمة للاقتصاد، كبديل تلعبه في العديد من المجالات: مطاعم، فنادق، حدائق، ألعاب. كما يستهدف المركز، القطاع التجاري وذلك بإقامة علاقات وشراكات عن طريق فتح فروع ومؤسسات التوزيع في الجزائر، للإيجاد شركاء وتطوير وتبادل الخبرات و المعارف. بالإضافة إلى قطاع التغليف ومواد التغليف، قطاع الخدمات، قطاع الإنشاءات والأشغال العمومية، قطاع النظافة والتجميل، قطاع الديكور وتزيين الحدائق، قطاع النقل، قطاع الاتصالات المعلومات والإعلام، فمركز caaid يقدم خدماته في جميع النواحي من الاستشارة كتمويل المشاريع لأصحاب المؤسسات ودعمها، خاصة في قطاعات السياحة والفلاحة والاستثمار في الجنوب، عن طريق إنشاء علاقة مع البنوك مثل بنك السلام باعتباره أحد أهم المتعاملين مع المركز. فأى مشروع يحتاج إلى تمويل ودعم، وغياب الإرشاد والمعلومة في وسائل التمويل يجعل من المستثمر غير قادر على الإبداع، لذا فإن الخبراء الاقتصاديين والاستشاريين الذين يحويهم المركز يسهرون على تقديم النصائح لتوفير الوقت وتسهيل الأعمال وإعداد دورات تكوينية في مجالات القيادة و الموارد البشرية، الإعلام والاتصال، الإشهار، التسويق والتسيير، التي تساعد أصحاب الأعمال على تطوير مؤسساتهم وأداء مهامهم

بكل تميز وبجودة عالية ، يضمن لهم اسم في السوق ويسهل عليهم تكوين علاقات مع مؤسسات أخرى ، من نفس القطاع وترجع بالفائدة على كلا الطرفين .

خلق قاعدة بيانات لأعضاء القطاع المستهدف: وهي خطوة مهمة يستخدمها المركز من أجل إنشاء علاقات جديدة أو التواصل مع مختلف زبائنهم ، من أجل إعلامهم عن كل خطوة جديدة يقوم بها المركز ، واللقاءات الثنائية التي تحدث داخل الجزائر أو خارجها. حيث يقوم المكلف بالعلاقات بهلاً قاعدة البيانات الخاصة بالعملاء عن طريق "بطاقة الأعمال الشخصية" ، التي يتحصلون عليها بواسطة المعارض أو ورشات الأعمال أو التوجه للشركات للتعريف بخدمات المركز. وتحتوي قاعدة البيانات على اسم الشركة ، مقرها ، بريدها الالكتروني ، رقم هاتفها وهذا يسهل الاتصال والتواصل معهم .

تقييم أهم الزبائن في القطاع السوقي المستهدف: ويكون ذلك من خلال تحديد أهم الزبائن الذين يتعامل معهم المركز منها:

-كشركة كوندور.

-الخطوط الجوية الجزائرية.

-AD DISPLAY.

-GEANT ELECTRONICS.

-TONIC INDUSTRIE.

-الإذاعة الجزائرية.

-قناة الجزائرية.

-KHARRAT GENERAL ENTREPRISE للأشغال العمومية.

وغيرهم من الزبائن الذين يقدمون الأرباح وإضفاء قيمة للمركز CAAID، وهذا عن طريق تدعيم مختلف الملتقيات والأنشطة التي يتميز بها ، ويكون كلا الطرفين رابحين .

إنشاء نظام فعال للاتصال من زبائن المنظمة: ويعتبر الاتصال مع الزبائن من الأساسيات التي يقوم عليها المركز ، ويعتمد عليها للاتصال والتواصل مع مختلف زبائنه وخصوصا الزبائن المتعامل معهم دائما ولهم مكانة خاصة ، وهذا للتعريف بخدماته أو تزويد الزبائن بأفضل العروض ومختلف اللقاءات المبرمجة ، في لقاءات الأعمال التي تحدث بشكل مستمر على مستوى المركز من خلال إرسال الدعوات عن طريق البريد الالكتروني الخاص بهم ، وتشمل هذه الدعوة تاريخ ومكان انعقاد اللقاء ، والمحاور التي ستناقش في اللقاءات الثنائية B TO B ، فكل من يهتم بالخدمة يُرسل له استمارة المشاركة التي تتضمن اسم المؤسسة أو الشركة ، وظيفتها ، بريدها الإلكتروني والموقع الإلكتروني site internet ، الولاية ، رقم جواز السفر ، نوع النشاط و قطاع اللقاءات الثنائية ، بالإضافة إلى رسوم الاشتراك في اللقاء. كما يمكن الاتصال بهم هاتفيا لتقديم الشروحات والتفسيرات وذكر مزايا التي يقدمها المركز في هذا اللقاء كالحجوزات الفندقية بأسعار منافسة ، وتخفيضات خاصة على تذاكر السفر ، توفير بطاقة دخول المعرض ، ضمان تنقل مريح من المطار إلى الفندق و من الفندق إلى المعرض. وتستخدم كذلك مواقع التواصل الاجتماعي فايسبوك الخاص بالمركز ، ليكون تواصل

دائم ومتواصل مع زبائن المركز للرد على الاستفسارات والخدمات التي يحتاجون إليها، مما يولد ثقة واعتماد بين الطرفين.

**المحافظة على ولاء الزبائن:** فما يهم مركز CAAID هو المحافظة على زبائنه لأطول فترة ممكنة من خلال تقديم عدة نشاطات وامتيازات منها: إعداد دورات تكوينية في إدارة المشاريع الذي نظم في سويسرا مارس 2016، تنظيم عمرة لزبائنه مع توفير الإقامة المريحة والنقل. في إطار رحلات الأعمال ينظم CAAID جولات سياحية، إعداد يوم دراسي حول قانون المالية وتحفيز الاستثمار الذي نظم في المكتب الجهوي بوهرا، تنظيم مخيمات صيفية لأطفال العملاء ضمن برنامج صيفي مميز من خلاله يتم تعليمهم اللغات وتقديم نشاطات متنوعة داخل المخيم: رسم، ألعاب، ركوب الخيل، أشغال يدوية، مسرح، زهات، بالإضافة إلى إعداد دورة تدريبية في التحرير والتقديم الإذاعي والتلفزيوني تتوج بشهادات وتتيح فرصة التأهيل في سويسرا، تركيا، تونس. هذا ميساهم في استمرار العلاقة ويصبح الزبون وفيانظرا للامتيازات والتسهيلات المتاحة له، حتى بعد انتهاء الخدمة.

#### 4. الإستراتيجيات التسويقية بالعلاقات المعتمدة لدى المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير:

**1.4 استراتيجيات التسويق بالعلاقات:** إن الاستراتيجيات التي اتبعتها مركز CAAID في ممارسته وتعامله للقاءات الثنائية، ارتكزت على أهمية بناء العلاقات مع مختلف الأطراف الحكومية التي لها وزن وثقل في الدولة وكذا إشارات الحكومية كالوزير السابق للاستشراق بشير مصطفى، ممثل الجمعية الجزائرية للبنوك BEF، والوفود الخارجية والسفراء التي تمثل مختلف الدول من أنحاء العالم مثل السفير الكوديفوارى السيد كوليبالي، وممثلة دولة غينيا، وممثل المركز الإسلامي لتنمية التجارة، ومدير هيئة الاستثمار بالأردن السيد خالد صعوب، وحتى إشارات الدولة التي تمارس الترويج المباشر كالخبير الاقتصادي احمد ملحة، والتي من خلالها استهدفت جماهير معينة، لذا تم تبني الاستراتيجيات التالية:

**إستراتيجية المنافع الهائلة:** فقد قام المركز بتخفيضات خاصة بعملاء المركز وخصوصا الزبائن الأوفياء وذلك بحضور الملتقيات الأعمال الذي يقيم المركز بإعداده كل سنة من أجل الإقامة العلاقات الثنائية التي تحدث بين رجال الأعمال من الداخل وخارج الوطن وهذا إعطاء حافز أكثر للزبائن للمشاركة في الملتقيات وتقريبهم لدى المركز وتكوين شراكات تكون ذات فائدة لهم لمؤسساتهم سواء مؤسسات متوسطة أو كبيرة عامة أو خاصة.

**المجموعة المتوافقة مع حاجات العملاء:** وهذا من خلال تقديم الحلول والمقترحات للعملاء بجعلهم يشاركون في الملتقى لتدعيم صورة منتجهم، والالتقاء بشركاء جدد في نفس ميدانهم وتبادل الخبرات مع مؤسسات أخرى دولية أو وطنية وتكوين علاقات مهمة مع إشارات الدولة وذلك بفتح قنوات معهم في إطار رسمي وغير الرسمي من أجل إيجاد حلول إستراتيجية تدعم مؤسساتهم الصغيرة والكبيرة. وإتاحة فرصة للالتقاء مع مؤسسات بنكية التي قد تساعدهم في تمويل منتوجاتهم.

ويتعامل المركز مع عملائه بعدة أساليب، الهدف منها توصيل معلومة حول الملتقى وإعطاء صورة واضحة عن المركز وأهدافه والتعريف بالملتقى وذلك بالاستعانة بمختلف وسائل التكنولوجيا وأبرزها المواقع الإلكترونية خصوصا مواقع التواصل الاجتماعي:

-الفايسبوك: f caaid ،

-انستغرام: caaidcarrefour .

-سكايب: caaid.carrefour .

والبريد الإلكتروني caaidcarrefour@gmail.com .

والموقع الرسمي للمركز العربي للاستثمار والتطوير /www.caaid.net/mc .

وأیضا استعمال الهاتف/الفاكس +21321 462 522 .

وهذا لتقريب المركز من العملاء والرد على مشاكلهم وشكواهم ، ومحاولة إيجاد الحلول وبعث لهم الدعوات في البريد الإلكتروني الخاص بهم ، من خلال الرجوع إلى قاعدة البيانات الموجودة لدى المركز والاتصال بهم هاتفيا من أجل طرح جديد خدماتهم والعمل على إقناعهم في الانخراط لدى المركز ، الذي تجعله قبلة كل رجل أعمال أو كل حامل لمشروع يعود بالفائدة عليه ، وتدعيم الماركة الجزائرية في الأسواق الدولية.(محمد أمين بوطالبي ، 2019).

#### خاتمة:

يعتبر المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير من بين المراكز التي تعطي أهمية لزيون باعتباره رأس مال الشركة ، وهي من المراكز المتخصصة بتسويق العلاقات لتسويق أعمالها من خدمات واستشارات تمنحها لزيائن لتطوير علاقاتها وبناء شبكة علاقاتية مع مختلف زبائنها من جميع القطاعات المستهدفة عملا منها على تكوين شراكات ورأس مال علائقي، ضمن إستراتيجية رابح-رابح عن طريق اللقاءات الثنائية التي تحدث على مستوى المركز ، ومن أجل توجه استراتيجي تسويقي جديد يطور المنظمة ويجعلها من مصاف منظمات الأعمال الرائدة في المجال التسويقي خاصة التسويق بالعلاقات .

فالزيون يعتبر عنصر أساسي في استمرار المركز وهذا من خلال ما يقدم له من خدمات واستشارات تفوق مستوى توقعاتهم وتزيد من رضا العميل ، ويترجم ذلك من خلال المشاركة العميل في الملتقى الأعمال ، الذي يسعى من خلاله إلى تكوين شراكات وخلق علاقات جيدة تساعد على تطوير مؤسسته ، وتدعمه في السوق سواء على مستوى المحلي والوطني والدولي وتدعم صورته وتروج لمنتجاته ، فاللقاءات الثنائية تعد المنفذ التي تعبر المؤسسة عن تواجدها مع مختلف الشركاء ، وتبادل الخبرات مع رجال الأعمال وذلك لتسهيل التواصل التجاري وبناء شراكات بين الحكومة ومختلف الأطراف ، سعيا لتحقيق تعاون بين مختلف المؤسسات التي يكون الاتصال فيها وسيلة لنقل المعلومات ، هذه الأخيرة تكون بشكل دائري من أجل التواصل وإيصال المعلومات بينهم ، بغية احتلال الصدارة على مستوى الوطني.

واختراق الأسواق العالمية مرهون بمستوى تكوين علاقات المركز الطيبة مع عملائه لأطول فترة ممكنة والسهرة على خدماتهم بأسلوب يرقى لتطلعاتهم وبصورة دائمة ، تضمن له تحقيق أرباح لكل الأطراف على المدى القصير والطويل بكفاءة وفعالية.

#### قائمة المراجع:

- أحمد حسن إلهام فخري (قطر 6-8 أكتوبر تشرين الأول 2003). التسويق بالعلاقات، الملتقى العربي الثاني للتسويق في الوطن العربي الفرص والتحديات، الدوحة-دولة قطر.
- البكري تامر. (2013). قضايا معاصرة في التسويق. عمان. الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع.

- الحناوي محمد صالح وآخرون(2001).مقدمة في الأعمال المالية.الإسكندرية: دار الجامعية للطباعة والنشر.
- القحطاني منصور عوض والسيد السيد محمود البحيري(2010). استخدام نماذج التخطيط الاستراتيجي في إعداد خطة إستراتيجية مقترحة لكلية التربية بجامعة الملك خالد، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد3، العدد12.
- النسور إيد عبد الفتاح و بن عبد الله الصغير عبد الرحمن.(2014). قضايا وتطبيقات تسويقية معاصرة، ط1، عمان، الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- بناولة حكيم(2013-2014). التسويق بالعلاقات وأثره على جودة الخدمة السياحية.أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم التجارية، تخصص تسويق، قسم العلوم التجارية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر.
- حسن ناصر مها محمد(2014). إدارة التسويق بالعلاقات وأثرها في الميزة التنافسية، بحث تكميلي لنيل شهادة ماجستير العلوم في إدارة الأعمال، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.
- عباس علي وآخرون(2001).وظائف منظمات الأعمال. ط1.عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- المطيري دخيل الله غنام.(2010). أثر جودة الخدمة والتسويق بالعلاقات على ولاء الزبائن.رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، كلية الأعمال، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا.
- أنيس أحمد عبد الله.(2016). إدارة التسويق وفق منظور قيمة زبون. ط1.عمان. المملكة الأردنية الهاشمية: دار الجنان للنشر والتوزيع.
- بنشوري عيسى، الداوي الشيخ(2009-2010) تنمية العلاقات مع الزبائن عامل أساسي لاستمرارية المؤسسات، مجلة الباحث، عدد7.
- ديلمي فتحية.(2008-2009). تنمية العلاقة مع الزبون كأساس لبناء ولائه للعلامة. مذكرة تدرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير في العلوم التجارية، تخصص التسويق، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر.
- صادق زهراء.(2016-2015). إدارة الصورة الذهنية للمؤسسات وفي مدخل التسويق بالعلاقات. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص:التسويق، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.
- فهي محمد العدوي.(2010). مفاهيم الجديدة في العلاقات العامة، ط1. عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- قلش عبد الله.(2012-2013).أهمية التسويق بالعلاقات في تحقيق الميزة التنافسية بالإسقاط على المؤسسات الاقتصادية العربية.أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التسيير. قسم علوم التسيير، كلية الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة حسيبة بن بوعلي: الشلف.
- مقابلة مع السيد محمد أمين بوطالبي، مدير المركز العربي الإفريقي للاستثمار والتطوير Caaid
- Kangel Nagasimha :Role of relationships Marketing incompetitive Marketing Strategy,Journal of Management and Marketing Research.
- Gumbs Barbra(2014).Elaborer une strategie de gestion de l'information et de la communication-instrument à l'usage des organisations de développement agricole et naturel,CTA,Wageningen,pays-Bas,

## الإعلام الجديد وإدارة الأزمات الاجتماعية

(دراسة تطبيقية على عينه من الإعلاميين بدولة الإمارات العربية المتحدة- 2019)

New media and social crisis management

( Applied study on a sample of media professionals in the United Arab Emirates - 2019)

الدكتور مصطفى حميد كاظم الطائي

الأستاذ المشارك بكلية الإعلام - جامعة عجمان - الإمارات العربية المتحدة

### مقدمة:

الإعلام الجديد وإدارة الأزمات الاجتماعية من المتغيرات المهمة في المجتمعات الحديثة بعد أن أصبح الإعلام الجديد من أهم القنوات المؤثرة في المجتمعات الحديثة، لأنه يمتلك الخصائص التقنية والفنية والموضوعية التي تؤهله لفرض واقع جديد لم تألفه البشرية، فخواص التنوع والبساطة وقلّة التكلفة وسهولة الحمل والاستخدام وشمولية الخدمات التي يقدمها للمستخدم، جعله أداة بيد الصغير والكبير وحولته إلى منافس قوي لوسائل الإعلام التقليدية التي تفتقر إلى العديد من هذه الخصائص والميزات.

لذلك سارعت العديد من المجتمعات المتقدمة إلى استثمار قنوات الإعلام الجديد للتعامل مع الأزمات الاجتماعية وبخاصة أزمة الهجرة غير الشرعية. وهذا ما سنتناوله في المباحث الآتية:

### المبحث الأول. الإطار المنهجي للبحث

أولاً. مشكلة البحث وأهميتها: تتضح مشكلة البحث من الظاهرة التي فاجأت العديد من المجتمعات، المتمثلة بالإعلام الجديد وسرعة التطورات التي حصلت في الاتصال الرقمي، مما أدى إلى تحولات وتغيرات عصفت بالعديد من المجتمعات التي تكن على استعداد للتعامل مع هذه المتغيرات والتحسب لها يمكن أن تحدثه من آثار وتداعيات، ونتيجة لذلك حصلت مشكلات مركبة شديدة التعقيد في المجتمعات الحديثة وتزداد أهمية هذا الموضوع أن هذه المتغيرات التقنية أدت إلى تغيرات لم تألفها البشرية من قبل، من حيث السرعة والشمولية وحجم الآثار التي تركتها والتي أضحت تهدد كيان المجتمعات الحديثة وكان من بينها مشكلة الهجرة غير الشرعية.

ثانياً. أهداف البحث: يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

- التعرف على المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالبحث.

- التعريف بالإعلام الجديد وبيان أنواعه وأهميته في إدارة الأزمات.

- تحليل دور الإعلام الجديد في إدارة الأزمات الاجتماعية.

- البحث في دور الإعلام الجديد في إدارة أزمة الهجرة غير الشرعية.

ثالثاً. تساؤلات البحث: يجب البحث عن التساؤلات الآتية:

- ما هو الإعلام الجديد وما هي القنوات والمواقع التي يتكون منها؟

- ما هي أهمية الإعلام الجديد في إدارة الأزمات؟



ما هو دور الإعلام الجديد في إدارة الأزمات الاجتماعية؟

هل كان للإعلام الجديد دور في إدارة أزمة الهجرة غير الشرعية؟

رابعاً. منهجية البحث: يستخدم الباحث المنهج الوصفي لتوصيف مجتمع البحث وتشخيص مشكلاته، والمنهج التحليلي لتحليل بيانات الدراسة الميدانية واستخلاص النتائج.

خامساً. أدوات البحث: يستخدم الباحث الاستبانة أداة لجمع المعلومات والبيانات، كما يستخدم الملاحظة العلمية أداة لتشخيص الظواهر المتعلقة بمشكلة البحث والاستقراء كأسلوب لدراسة المصادر المتعلقة بموضوع البحث.

سادساً. المعالجات الإحصائية: استخدم الباحث النسب المئوية للخروج بمؤشرات موضوعية تسمح للباحث بإجراء المقارنات وحساب تأثير المتغيرات عند تحليل جداول الدراسة الميدانية، واستخدم الباحث برنامج كاي تربيع لدراسة العلاقة بين المتغيرات وبين طبيعة التأثير والتأثر بين متغيرات الدراسة، وذلك لأن هذه المعالجات تتيح للباحث المقدرة على الاستنتاج والاستنباط لتدعيم نتائج الدراسة المدعومة للبحث.

سابعاً. حدود البحث: يلتزم الباحث بالحدود الموضوعية لموضوع البحث، ويلتزم بالحدود الجغرافية لمجتمع البحث المحددة بعينة من العاملين في الإعلام الخاص العام والدارسين في الحقول الإعلامية والناشطين بمواقع التواصل الاجتماعي، كما يلتزم بالحدود الزمنية للبحث المتمثلة بالعام 2019-2020 م.

المبحث الثاني. الإطار النظري ويتناول المحاور الآتية:

أولاً. الدراسات السابقة ومناقشتها.

الدراسات المتعلقة بالإعلام الجديد وإدارة الأزمات حديثة وقليلة عند مقارنتها بالبحوث والدراسات الاجتماعية والنفسية والتاريخية وحتى الدراسات المتعلقة بالإعلام التقليدي إلا أن ذلك لا يمنع من تناول بعض الأبحاث والدراسات التي تناولت موضوعات تقترب في بعض جوانبها من هذا البحث ودراسته الميدانية وأشير إلى أهم الدراسات التي اطّلع عليها كما يلي:

دراسة الدكتور وجدي حلمي، الأستاذ المساعد بكلية العلوم الاجتماعية - جامعة أم القرى والتي كانت بعنوان: دور وسائل الإعلام الحديثة في التوعية بمواجهة الأزمات الأمنية، حيث اقتربت هذه الدراسة من دراستي بتناولها موضوع الأزمة وأهميتها وإدارتها، إلا أنها ركزت على الجوانب الأمنية وناقشت أهمية وسائل الإعلام في التوعية بكيفية مواجهة الأزمات الأمنية. إلا أنها لم تتطرق إلى الأزمات الاجتماعية وكيفية إدارتها لحماية النسيج الاجتماعي الذي يعد ضماناً لسيروية وحياة أي مجتمع. (دور وسائل الاعلام الحديثة في التوعية ومواجهة الأزمات الأمنية، 2013)

دراسة دكتوراه للباحث بن عربي يحيى، دور الإتصال في إدارة الأزمات، 2016: تناولت دراسة الدكتور بن العربي يحيى الأستاذ المحاضر بجامعة وهران في الجزائر دور الإتصال في إدارة الأزمات بشكل عام وقد اختلفت هذه الدراسة عن دراستي التي تناولت دور الإعلام الجديد في إدارة الأزمات الاجتماعية بالعديد من الجوانب النظرية والتطبيقية. وبذلك فإن دراستي تعد أكثر تحديداً وتخصصاً من دراسة العربي بتناولها لدور الإعلام الجديد في إدارة الأزمات ولم تتطرق إلى الإعلام التقليدي الذي كثرت الدراسات فيه. فضلاً عن أن دراسة العربي كانت نظرية تناولت الموضوع من وجهات نظر باحثين آخرين، بينما اعتمدت دراستي على

دراسة تطبيقية على عينة من (100) محووظ العاملين والدارسين في الإعلام ومن المستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي.

دراسة فهد محمد نعمان ، وكانت بعنوان: أثر التدريب على مقدره المؤسسات الدولية العاملة في قطاع غزة على إدارة الأزمات ، رساله ماجستير تقدم بها الباحث إلى كلية التجارة بالجامعة الإسلامية في غزة سنة 2012 وعلى الرغم من أن هذه الدراسة اعتمدت منهجية تطبيقية على عينة من العاملين في إدارة الأزمات ، إلا أنها ركزت على أهمية التدريب للعاملين في المؤسسات والمنظمات الدولية في إدارة الأزمات ولم تتناول إدارة الأزمات الاجتماعية (نعمان ، 2012).

ثانياً. المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالدراسة:

الأزمة: حالة أو موقف أو ظرف يتعرض له فرد أو مؤسسة أو دولة أو جماعة أو مجتمع يتطلب التخطيط والإعداد المسبق لمواجهة الموقف الذي قد يطول أو يقصر من خلال حشد الإمكانيات المادية والمعنوية لإدارته والخروج منه بأقل تكلفة. ويقاس النجاح في إدارة الأزمة بالنتائج التي تترتب على الخروج منها بأقل الخسائر.

ويعرفها الباحث الفرنسي في اتصال الأزمات باتريك لغاتيك بأنها: "الحالة التي تكون عليها مجموعة من المؤسسات في مشاكل وانتقادات وضغوط خارجية قوية ، قد تتوسع في الداخل وتستمر لمدة طويلة ، ضمن مجتمع جماهيري تتيح له وسائل الاتصال الجماهيرية التغطية الإعلامية لها (Lagadec., 1986). ويمكن أن تعبر الأزمة عن انشاقات عنيفة في العلاقات بين الفاعلين تتطلب اليقظة ، داخل مناخ شديد التقلب والتعقيد والتردد من حيث صيرورة الأحداث ونتائج اتخاذ القرارات المتعلقة بالأزمة وخطورة نتائجها وحجم الآثار الناتجة منها.

المشكلة: تختلف الآراء المتعلقة بتعريف المشكلة وتحديد مفهومها وذلك لتعدد المشكلات واختلاف مستوياتها ودرجة الاهتمام بها وتعدد أطرفها ودرجة تعقيدها والمخاطر الناتجة من تطورها ، إلا أن ذلك لا يمنع من تعريف المشكلة على أنها: " حالة من التششت الذهني والقلق وعدم الاستقرار الناتج عن الغموض وعدم الوضوح ونقص المعلومات المتعلقة بموقف أو قضية تتطلب اتخاذ قرار بشأنها تحت ضغط الوقت وتسارع الأحداث والمتغيرات المرتبطة بها" (الطائي ، 2012).

الصراع: الصراع على العكس من التنافس يتجه إلى غايات غير نزيهة وأحداث تؤثر في مسارات هذا الصراع ، الذي يوصف بأنه أكبر عمراً من الأزمة ويأخذ أشكالاً وصور متعددة مادية ومعنوية متعددة تستخدم فيه كافة الأدوات والأساليب. فالصراع قد ينتهي بانتهاء أسبابه وقد يختفي تبعاً للظروف ويعود للظهور بتوفر الأسباب المؤدية إلى ظهوره ، ويذهب هولستي إلى أن الصراع قد يؤدي إلى العنف المنظم بين مجموعة محددة من الأطراف ذات المصالح والتوجهات المتعارضة حول قضية معينة وتوجهات عدوانية ، تعبر عنها تلك الأطراف من خلال سلسلة من الأعمال والإجراءات المثيرة والمحفزة للعداء والكرهية. (Holsti, 1976)

اتصال الأزمة : هو اتصال اقناعي تفاعلي بين المنظمة أو المؤسسة وجمهورها الخارجي قبل وقوع الأزمة يهدف إلى تثقيف الجمهور وإقناعهم بأنشطة المؤسسة وضمان ولائهم لها ودعمهم لسياساتها عند تعرضها إلى أزمة خطيرة تهدد كيانها ومستقبلها(محمد ، 2004).

**الاتصال التفاعلي:** هو الاتصال الذي يحدث بين المعنيين بإدارة الأزمة في المؤسسة وجمهور المؤسسة قبل الأزمة وخلالها وبعدها ، ويعتمد على ما تقدمه إدارة الأزمة من معلومات ونصائح وإرشادات كما يعتمد الدقة والمصداقية في المعلومات المقدمة إلى الجمهور وسرعة وصولها إلى الجمهور ، ومقدار الاستجابة لرجع الصدى المقدم من الجمهور والإجابة عن تساؤلاته في الوقت المناسب(يحي ، 2016).

**ثالثا. الإعلام الجديد مفهومه وأنواعه وتأثيره في المجتمعات الحديثة:**

**تعريف الإعلام الجديد وتحديد مفهومه:** الإعلام الجديد من نتاج ثورة الاتصال الحديثة ، التي طورت تقنياتها وآليات عملها في ورش ومعامل الجامعات ، وظهرت على شبكة الانترنت بنهاية القرن العشرين بأشكال مختلفة: مواقع الكترونية ومدونات ومحركات بحث وقنوات للاتصال والتواصل ، وقد أثارت هذه التطورات جدلاً واسعاً بين الباحثين والمهتمين حول تسميتها ووظائفها وآثارها ومستقبل تنافسها مع الإعلام التقليدي وأبعاد تطورها على الأفراد والمجتمعات.

تجدر الإشارة إلى أن التسميات المتعلقة بالإعلام الجديد مازالت مثار جدل ونقاش بين الباحثين حول تأصيل المفاهيم المتعلقة بها ، لأنها أظهرت مفاهيم ومصطلحات متعددة تمثل اتجاهات مختلفة ، وكان من أبرز اصطلاحاتها: "الإعلام الجديد ، ومواقع التواصل الاجتماعي ، والإعلام البديل ، ومواقع الاتصال الالكتروني... الخ.

وتأسيساً على ما تقدم فإن الأخلاق في التسميات انعكس على تعريف هذه التطورات في الإعلام الجديد. ونتيجة لذلك ظهرت العديد من وجهات النظر حول توصيف وتعريف الإعلام الجديد ، كان أهمها التعريف الذي ورد في قاموس ليستر الذي عرف الإعلام الجديد بأنه: " مجموعة تكنولوجيات الإتصال التي تولدت من التزاوج بين الكمبيوتر والوسائل التقليدية للإعلام والطباعة والتصوير الفوتوغرافي والصوت والفيديو(الإعلام الجديد وآثاره التربوية والاجتماعية على الشباب العربي ( دراسة ميدانية على عينة من الشباب العربي بدولة الامارات العربية المتحدة 2015)، 2015)، بينما يعرفه قاموس التكنولوجيا الرقمية على أنه: العملية الناتجة من اندماج ثلاثة عناصر هي: الكمبيوتر والشبكات والوسائط المتعددة.

**أنواع قنوات ومواقع الإعلام الجديد:** تعددت تصنيفات وأنواع الإعلام الجديد مع تعدد وتنوع قنواته ، ويمكن الإشارة هنا إلى أنه من الصعب وضع تصنيف محدد لأنواع قنوات ومواقع الإعلام الجديد ، وذلك لأن التطورات التقنية الحديثة مستمرة بشكل متواصل في إضافة مواقع وقنوات جديدة دون توقف. وان هذا الإعلام مازال في مرحلة التشكيل والتأسيس والتأصيل الفكري. وعلى الرغم من ذلك يمكن بيان بعض المواقع والقنوات المكونة للإعلام الجديد بالآتي: 1-الفيس بوك facebook 2- مواقع ماي سبيس My Space 3 – المواقع والمدونات 4- الويكي Wiki 5-البودوكاست 6- المنتديات 7- مجتمعات المحتوى 8- موقع يوتيوب 9- موقع Flaker 10- التدوين المصغر Micro blogging 11- تويتر الفايفر – فليكر – تمبرلر – بلارك – أوركوت – ماي سبيس ميكسي... الخ ، إلا أن هناك من يحصر مواقع وقنوات الإعلام الجديد بالتصنيف الآتي(22 فبراير 2019): -المدونات بسعاتها واستخداماتها المختلفة.

تقنية الواقع الافتراضي المعزز الذي تطورت استخداماته لتشمل الطب والهندسة والعلوم التطبيقية والفن والترفيه وسيفتح آفاق جديدة أمام الباحثين لتطوير الحياة الإنسانية بمختلف مجالاتها.

مواقع التواصل الاجتماعي بتعددتها ومستويات استخدامها وشيوعها والآثار الإيجابية والسلبية المترتبة عن استخدامها.

-الصحف والمجلات الالكترونية ، التي أضحت أكثر شيوعاً من الصحف والمجلات الورقية ، فكل صحيفة أو مجلة أصبح لها موقع الكتروني ، فضلاً عن العديد من الصحف والمجلات الالكترونية التي ليست لها إصدارات ورقية.

-قنوات الإذاعة والتلفزيون على شبكة الإنترنت التي أضحت تجذب طيفاً واسعاً من الجماهير وخاصة فئة الشباب.

-العباب الفيديو وهي من الوسائل التي أضحت تستقطب استثمارات مالية كبيرة على المستوى الدولي ، بعد أن طورت من أدواتها وأساليبها لتصبح صناعة كبيرة لها قاعدة جماهيرية واسعة تنذر بآثار اجتماعية وثقافية وصحية كبيرة.

رابعاً. دور الإعلام الجديد في إدارة الأزمات الاجتماعية: أصبح الإعلام الجديد يمثل أهمية كبيرة للأفراد والمؤسسات والمجتمعات والدول في المجتمع الدولي الحديث ، وذلك لمقدرته على التأثير بمختلف المستويات الاجتماعية ، وان سرعة التطورات وما نتج عنها من متغيرات اتسمت بالآنية والشمولية وترتب عليها ظهور فوارق كبيرة بين المجتمعات والطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد ، الأمر الذي تسبب بمشكلات اجتماعية زاحفة شملت مختلف الدول بآثارها كما في مشكلة الهجرة الداخلية من القرى والأرياف إلى المدن الكبيرة ، التي أضحت تعاني من التضخم السكاني الكبير والبطالة وأزمات مزمنة بمختلف الخدمات. والهجرة الخارجية من الدول الفقيرة إلى الدول الغنية التي شهدت منحنيات متصاعدة ألفت بظلالها على العلاقات الدولية ، وتحولت إلى أزمة عالمية تسببت في ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية: للمهاجرين والمجتمعات التي يهاجرون إليها والمجتمعات التي يهاجرون منها.

وكان للإعلام الجديد بمختلف مواقعه وقنواته الرقمية دوراً كبيراً في مشكلة الهجرة غير الشرعية ، وما نتج عنها من أزمات اجتماعية تحتاج إلى استخدام أحدث وسائل الاتصال والتواصل لإدارتها والحد من الآثار والنداعيات الناتجة عنها. لذلك تنبّهت العديد من الدول والمؤسسات الوطنية والدولية إلى استثمار الإعلام الجديد في إدارة أزماتها الاجتماعية ومنها أزمة الهجرة غير الشرعية.

وذلك لأن الإعلام الجديد أضحي يلعب أدواراً مختلفة متوافقة أو متعارضة حيث يمكن استغلاله في إثارة الأزمات وتضخيمها وتوجيهها لتحقيق أهداف عدوانية ضد الخصوم. وبالإمكان استثمار هذا الإعلام المؤثر في إدارة الأزمات بمختلف أنواعها وتحقيق حلول ومخرجات إيجابية ، سيما وان الإعلام الجديد يمتلك وسائل متعددة سهلت الاستخدام ومتاحة أمام الجميع وفي نفس الوقت أصبح أداة للتفاعل بين الأمة والعديد من أطرافها وحتى لمن لم يكن طرفاً مباشراً فيها ، ومما يزيد من أهمية مواقع التواصل الاجتماعي في الإعلام الجديد ان الصمت والتعتيم لم يعد ممكناً في المجتمعات الحديثة ، لأن وسائل النشر والبلث الإعلامي المباشر أصبحت متاحة وحاضرة في كل زمان ومكان من العالم وجاهزة لتغطية أي حدث أو أزمة مهما تفاوتت في حدتها أو حجمها ، فعلى سبيل المثال ، كان يمكن في الماضي للسلطات في أية دولة من دول العالم أن تمنع نشر المعلومات بشأن أية كارثة أو أزمة قد تقع في محيط الدولة ، أما اليوم فلم يعد ذلك ممكناً لظهور ما

سمي بالصحفي المواطن الموجود في كل مكان ، ولديه إمكانية نقل الأحداث تحت أي ظرف مباشرة دون أية معوقات (الحديدي ، 2018).

#### خامساً. التخطيط للتحرّك الإعلامي لإدارة الأزمات اجتماعية (أزمة الهجرة).

التخطيط الإعلامي استعار مفهومه وأساسه من التخطيط العام ، إلا ان التخطيط الإعلامي يختلف عن التخطيط للأنشطة الحياتية الأخرى ، لأنه يتصف بالشمولية ويجمع بين العمل الآتي الذي يتطلب سرعة التحرك والسبق الصحفي وبين الرؤيا المستقبلية التي تتطلب التأني والتأمل والانتظار والمراقبة والتعمق في البحث والتحليل ، وعندما يرتبط التحرك الإعلامي بإدارة أزمة اجتماعية كالهجرة غير الشرعية ، فلا بد من وضع خطة إستراتيجية تنقسم إلى مراحل وفقاً للأسببية وأولويات التنفيذ بما يحقق الأهداف التي تقوم عليها الخطة الإستراتيجية ويمكنّ الجهاز التنفيذي من استثمار الطاقات المتاحة وتطويرها لخدمة إدارة الأزمة بنجاح وتحقيق مكاسب تخدم المؤسسة القائمة على وضع الخطة وإدارة الأزمة (ربيع ، 1988 ، ص48).

#### متطلبات الخطة الإستراتيجية لإدارة الأزمات الاجتماعية بواسطة الإعلام الجديد:

إن مواقع التواصل الاجتماعي في الإعلام الجديد لم تستثمر وتوظف في إدارة الأزمات وحل المشكلات في العديد من المجتمعات ، وببذل المستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي جهوداً كبيرة ويهدرون الوقت والجهد والمال دون أن تستفيد منهم مجتمعاتهم ، فضلاً عن أن تركهم للاستخدام العشوائي لهذه المواقع يتسبب بمشكلات معوقة لتنمية وتقدم هذه المجتمعات ، لذلك فإننا نقترح من خلال هذه الدراسة وضع خطة إستراتيجية لإدارة الأزمات باستثمار مواقع التواصل الاجتماعي في الإعلام الجديد ، ونرى أن تقوم هذه الخطة الإستراتيجية على العناصر الآتية:

-إنشاء مؤسسات لتنظيم وإدارة استخدام الأنشطة الوطنية لمواقع التواصل الاجتماعي ، بحيث تستقطب هذه المؤسسات الناشطين بمواقع الإعلام الجديد وتوظيفهم بهذه المؤسسات المستحدثة ، ورصد الحوافز التي تمكنهم من تطوير مهاراتهم وتوظيف أنشطتهم العلمية والثقافية والفنية والسياسية والاقتصادية ، في الخطط التنموية للمجتمع .

-وضع مناهج وطنية للإعلام الجديد تبدأ من المراحل الدراسية الأولية وتنتهي بالتعليم العالي لتخريج متخصصين في استخدام وإدارة مواقع التواصل والمواقع الإلكترونية في الإعلام الجديد.

-وضع قوانين وتشريعات تنظم عمل هذه المواقع وتقنين المضامين المحلية بما يخدم المجتمع وتقدمه ورفاهيته .

-إشراك الناشطين بمواقع التواصل الاجتماعي في إدارة الأزمات التي تمر بها المجتمعات بعد تحديد الأدوار وتوزيعها على الناشطين في المجتمع حسب الرغبة والمهارة والخبرة وتدعيم نجاح هذه الممارسة بمحفزات مادية ومعنوية لإنجاح هذه التجربة.

-تأسيس محركات بحث وإنشاء مواقع وطنية مسيطر عليها وطنياً لحصانة المستخدمين من المضامين الوافدة .  
تهيئة قيادات شبابية وإعدادها تقنياً وتربوياً وأخلاقياً لقيادة المجاميع والفرق بمواقع التواصل وتوجيهها بما يخدم المصالح العليا للمجتمع .

الدراسة الميدانية لدور الإعلام الجديد في إدارة اجتماعية:

أولاً مجتمع الدراسة: يوصف مجتمع الدراسة بالبيئة الإنسانية والحياتية للمجتمع الذي تجرى به هذه الدراسة ، وبحسب هذا الوصف يعد مجتمع الإمارات العربية المتحدة الإطار الجغرافي والسكاني لمجتمع هذا البحث ، ويتصف مجتمع الإمارات بالتنوع الاجتماعي كونه مركزاً اقتصادياً نشيطاً يحتضن نحو (200) جنسية من مختلف أنحاء العالم ، ونتيجة لذلك يعد مثل هذا المجتمع من أصلح المجتمعات لموضوع البحث نظراً لكثرة المهاجرين إليه ولتعدد وتنوع وسائل الإعلام وبخاصة الإعلام الجديد.

ثانياً. عينة الدراسة: نوعها وحجمها وطريقة سحبها: اختار الباحث أسلوب العينة القصدية لسحب (100) مبحوث من مجتمع البحث بالطريقة العشوائية البسيطة ، وكان من أسباب اختيار هذا النوع من العينات لأنه هو الأكثر صلاحية لموضوع البحث ، الذي يتعلق بدور الإعلام الجديد في إدارة الأزمات الاجتماعية ، حيث أن التخطيط لإدارة الأزمة بوسائل الإعلام تتطلب متخصصين في الإعلام عارفين بفنون إدارته سواء كانت خبراتهم في الإعلام التقليدي أو العاملين بمواقع الكترونية أو دور إنتاج إعلامي أو ناشطين بمواقع التواصل أو دارسين في الإعلام.

أما تحديد حجم العينة فيعتمد على عناصر متعددة منها: موضوع الدراسة وبما أن موضوع الدراسة يتعلق بعينة من المتخصصين وليس جمهور عام فان نسب المتخصصين قليلة بكافة المجتمعات ، ولذلك فان نوع العينة لا يتطلب أعداد كبيرة ، كما يعتمد على خبرة الباحث وطبيعة تخصصه وفضلاً عن ذلك يعد مجتمع العينة من المجتمعات المتجانسة التي لا تحتاج إلى عينات كبيرة الحجم ، وبالرجوع إلى الدراسات السابقة وجد الباحث أن هناك العديد من البحوث العلمية الرصينة في هذا المجال انحصرت أحجام عيناتها بين (50-200) مبحوث باعتبارها تعتمد على متخصصين وليس جمهور عام .جميع هذه الأسباب والعوامل دفعت الباحث إلى تحديد نوع العينة وحجمها وأسلوب سحبها من مجتمع الدراسة.

ثالثاً. الخصائص العامة لعينة الدراسة يوضحها الجدول الآتي:

الجدول رقم ( 1 ) يوضح الخصائص العامة لعينة الدراسة

النوع	العدد	%
ذكر	46	%46
انثى	54	%54
العمر	27-18	
العدد	48	%48
التعليم	ابتدائي	
العدد	2	%2
المهنة	طالب	
العدد	22	%22
المهنة	موظف	
العدد	36	%36
الجنسية	مواطن	
العدد	38	%38
الجنسية	وافد عربي	
العدد	57	%57

5%	5	وافد اجنبي	14%	14	مهنة حرة	56%	56	جامعي	12%	12	47-38			
			2%	2	عاطل	6%	6	عليا	8%	8	48 فاكثر			
100%	100		100%	100		100%	100		100%	100		100%	100	الجموع

يظهر الجدول رقم (1) المتعلق بالخصائص العامة لعينة الدراسة تفوق نسبة الإناث على الذكور في العينة فقد بلغت نسبتهم 54% مقارنة بالذكور الذين شكلوا نسبة 46%، وهي ظاهرة اتسمت بها المجتمعات الحديثة المواكبة للتطورات التقنية ومنها مجتمع الإمارات، كما أظهر الجدول ان الشباب بين (18-27) سنة يشكلون 48% وهذه النسبة تمثل حوالي نصف حجم العينة وهي من الظواهر الطبيعية الشائعة في المجتمعات الحديثة. وفي مستوى التعليم يكون حملة الشهادة الجامعية أكثر من نصف العينة حيث بلغت نسبتهم 56% مقارنة بالمستويات الأخرى وهي من الظواهر الطبيعية أيضا باعتبار أن العينة من المتخصصين والعاملين والدارسين في مجالات الإعلام الجديد والتقليدي.

وينطبق الحال نفسه على الموظفين الذين شكلوا الغالبية كما مبين في الجدول المذكور، وفي مجال جنسية المبحوث كان الوافدون العرب هم الغالبية حيث بلغت نسبتهم 57% مقارنة بالمواطنين والوافدين الأجانب وقد تعود أسباب ذلك إلى أن الإعلام بدولة الإمارات يعتمد على اللغة العربية باعتبارها اللغة الرسمية للبلد ونظراً لتعدد المؤسسات الإعلامية في الدولة، وحاجة الدولة إلى من يدير الإعلام في هذه المؤسسات إلى جانب المواطنين هم الوافدين العرب كانت نسبتهم هي الغالبة.

#### رابعاً. الإجراءات الميدانية للدراسة:

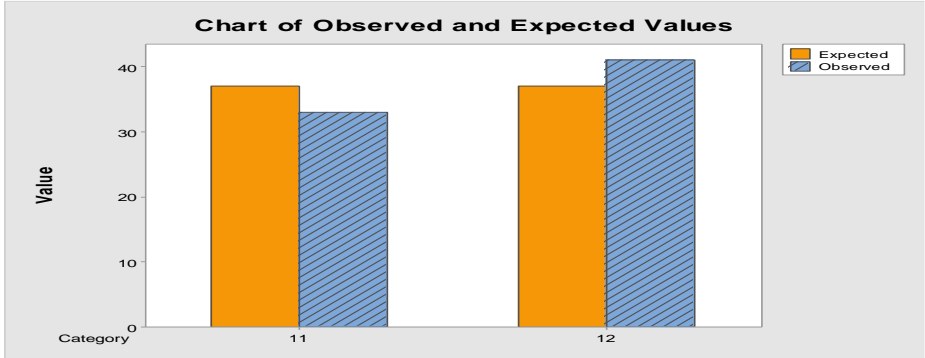
اختبار الصدق: اعتمد الباحث اختبار الصدق الظاهري من خلال عرض فقرات استمارة الاستبانة على (6) خبراء من المتخصصين في الإعلام والعلوم الاجتماعية والنفسية ومن ذوي الخبرات الطويلة في إعداد ونشر وتحكيم البحوث العلمية. فحصلت الاستبانة على موافقة (5) محكمين، وبذلك تكون قد حققت نسبة صدق مقدارها (83.3%) وهذه النسبة يعتد بها في إجراء الدراسات الميدانية. بعد أن تم حذف فقرة وتعديل ثلاث فقرات وبذلك تكونت الاستبانة النهائية من سبعة عشر فقرة تم اختبار الثبات عليها.

اختبار الثبات: تبنى الباحث أسلوب إعادة الاختبار لقياس ثبات الاستبانة، من خلال سحب عينة عشوائية من مجتمع الدراسة مقدارها (10) مبحوثين طبق عليهم الاختبار لأول، ثم أعيد عليهم الاختبار بعد أسبوعين، وبعد أن تمت المطابقة بين الاختبار الأول والثاني حصلت ثلاثة اختلافات في إجابة عينة الثبات وبحساب

النسبة المئوية كانت نسبة التطابق (70%) وان هذه النسبة تؤهل الاستبانة للتطبيق على العينة الرئيسية للدراسة ، والخروج بنتائج علمية يعتد بها في مثل هذا النوع من الدراسات .

خامسا. تحليل بيانات الدراسة الميدانية:

الشكل رقم (1) يوضح مدى انتظام المبحوثين في متابعة مواقع التواصل الاجتماعي في الإعلام الجديد.



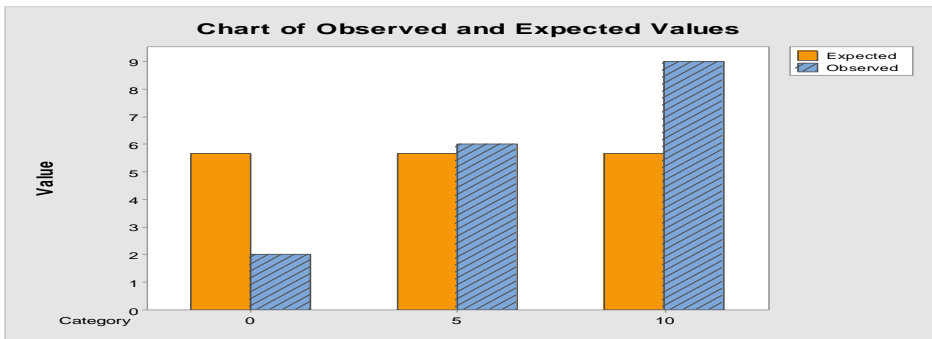
N DF Chi-Sq P-Value

74 10.864865 0.352

يوضح الشكل البياني رقم (1) أن 74% يتابعون الإعلام الجديد بانتظام و23% بين الحين والآخر مقابل 3% لا يتابعون ، مما يدل على أن هناك 97% من المبحوثين يتابعون مواقع التواصل الاجتماعي في الإعلام الجديد ، وان الغالبية منهم يتابع بانتظام .

وتشير النتائج المتعلقة باختبار كاي تربيع أن قيمة P-Value عند مستوى الدلالة 0.05 تدل على عدم وجود علاقة بين جنس المبحوث ومستوى انتظام متابعته لمواقع التواصل الاجتماعي في الإعلام الجديد .

الشكل رقم (2) يوضح نوع الآثار التي تسببها قنوات الإعلام الجديد وفقاً لمستوى التعليم لعينة الدراسة .



N DF Chi-Sq P-Value

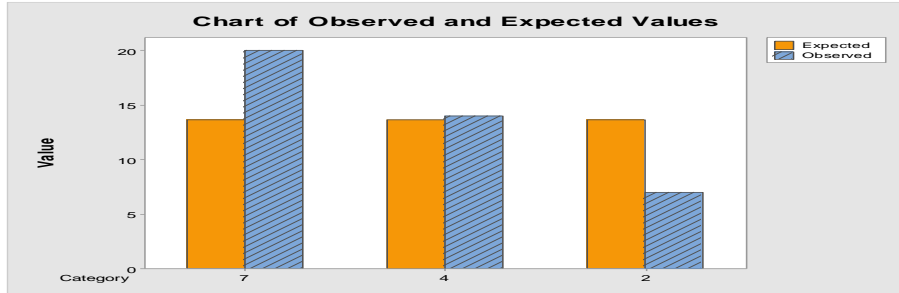
17 2.4.35294 0.11

يبين الشكل البياني رقم (2) أن هناك 17% من عينة الدراسة يعتقدون بأن مواقع الإعلام الجديد لها آثار إيجابية على المستخدمين مقابل 15% يؤمنون بأن لها آثار سلبية وكان هناك 68% يعتقدون بوجود آثار



إيجابية وسلبية وهو الاتجاه الأكثر معقولة لأن طبيعة الآثار تعتمد نوع المستخدم ومستوى ثقافته ومهاراته ومقدرته على توظيف عملية الاستخدام لتحقيق أهداف إيجابية. لذلك كان لمستوى التعليم دور في مدى إيجابية المستخدم وطبيعة الآثار الناتجة عن استخدامه فقد تبين من اختبار كاي تربيع عند مستوى دلالة 0.05 أن ليس هناك علاقة تأثير وتأثر بين مستوى التعليم والآثار التي يتعرض لها المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي.

الشكل رقم (3) يبين القضايا والموضوعات التي يهتم بها المبحوثين بمواقع التواصل وفقاً لمتغير السن.



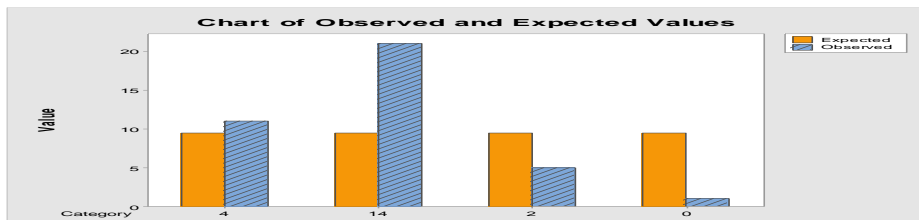
N DF Chi-Sq P-Value

41 2 6.19512 0.045

يظهر الشكل البياني رقم (3) القضايا والموضوعات التي يهتم بها المستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي حيث تشير النسب المئوية إلى أن 41% يهتمون بالقضايا الاجتماعية يليها السياحة والاقتصاد بنسبة 23% ثم القضايا الثقافية والسياسية بنسبة 15% وموضوعات الرياضة والشباب بنسبة 10% والدعاية والإعلان 9% وموضوعات أخرى بنسبة 2%.

نستنتج من ذلك أن هناك ميل كبير لمتابعة الموضوعات والقضايا الاجتماعية التي جاءت بنسبة 41% وهو ما يشكل حوالي نصف العينة، وقد تعود أسباب ذلك إلى أن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي يهتم بقيمه وعلاقاته الاجتماعية التي تحدد سلوكه وسلوك الآخرين اتجاهه وتنعكس على تكيفه مع بيئته الاجتماعية. وقد أظهرت نتائج اختبار كاي تربيع عند مستوى الدلالة 0.05 وجود علاقة تأثير وتأثر بين سن المبحوث والموضوعات التي يهتم بها مما يدل على أن جميع الفئات العمرية تهتم بمتابعة القضايا والموضوعات الاجتماعية إذا استثنينا الأطفال الذين لم تشملهم عينة الدراسة.

الشكل رقم (4) يوضح نوع الأزمة التي يهتم بها المستخدمين لمواقع التواصل الاجتماعي حسب متغير الوظيفة. للمبحوث



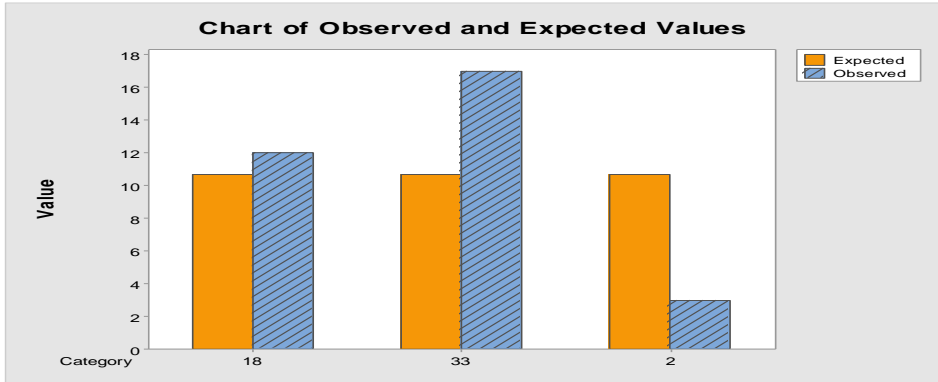
N DF Chi-Sq P-Value

38 3 23.8947 0.000

يتضح من الشكل البياني رقم (4) أن 38% من العينة يهتموا بالأزمات الاجتماعية و20% يهتموا بالأزمات الاقتصادية و19% اهتموا بالأزمات الصحية ولم يهتم بالأزمات السياسية سوى 19% وكان هناك 5% يهتموا بأزمات شخصية أخرى.

مما يؤكد أن الأزمات الاجتماعية تعد أكثر أهمية للمبحوثين مقارنة بالأزمات الأخرى التي كانت بنسب أقل وجاءت بنسب متقاربة. وتشير النتائج المستخلصة من اختبار كاي تربيع عند مستوى دلالة 0.05 إلى وجود علاقة تأثير بين مهنة المبحوث ونوع الأزمة التي يهتم بها.

الشكل رقم (5) يوضح مدى اهتمام المبحوثين بأزمة الهجرة غير الشرعية حسب جنسية المبحوث



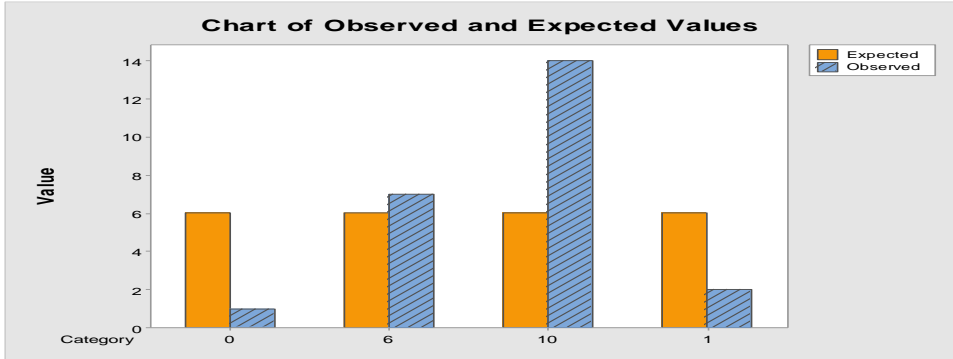
N DF Chi-Sq P-Value

32 2 9.4375 0.009

يتضح من الشكل البياني رقم (5) أن 53% من عينة الدراسة يهتمون بموضوع الهجرة غير الشرعية بدرجة متوسطة وان 32% يهتموا بدرجة كبيرة مقابل 15% لا يهتموا بموضوع الهجرة غير الشرعية مما يؤكد أن الغالبية العظمى من عينة الدراسة تهتم بموضوع الهجرة غير الشرعية. وكان 57% من المهتمين بموضوع الهجرة من الوافدين العرب بدولة الإمارات.

وأشارت نتيجة كاي تربيع عند مستوى الدلالة 0.05 أن هناك علاقة بين جنسية المبحوث ومدى اهتمامه بموضوع الهجرة غير الشرعية.

الشكل رقم (6) يوضح رؤية أفراد عينة الدراسة بمن يتأثر بالهجرة غير الشرعية وفقاً لمتغير مستوى التعليم.



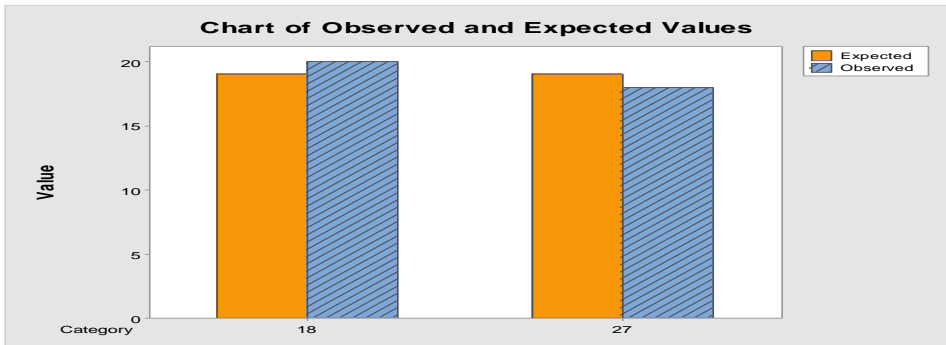
N DF Chi-Sq P-Value

24 3 17.6667 0.001

يوضح الشكل البياني رقم (6) أن 37% من عينة الدراسة يعتقدون أن للهجرة غير الشرعية آثار سلبية على المهاجر والمجتمع الذي يهاجر إليه والمجتمع الذي يهاجر منه ، مقابل 24% يعتقدون أن المهاجر هو من يتأثر. وتبين أن 22% يرون أن المجتمع الذي يهاجر إليه المهاجر هو الذي سوف يتأثر. وكان هناك 17% يعتبرون مجتمع المهاجر هو المتضرر المتأثر الوحيد ونعتقد أن الرأي الأرجح هو ما ذهب إليه الفريق الأول الذي يرى بشمولية التأثير.

ويظهر من اختبار كاي تربيع عند مستوى دلالة 0.05 أن هناك علاقة بين متغير نوع المتأثر بالهجرة غير الشرعية ومتغير مستوى التعليم وتظهر هذه العلاقة أكثر وضوحاً عند خريجي الجامعة الذين يمثلون 56% من عينة الدراسة.

الشكل رقم (7) يبين رؤية المبحوثين لدور الإعلام الجديد في حث الشباب على الهجرة غير الشرعية وفقاً لمتغير النوع.

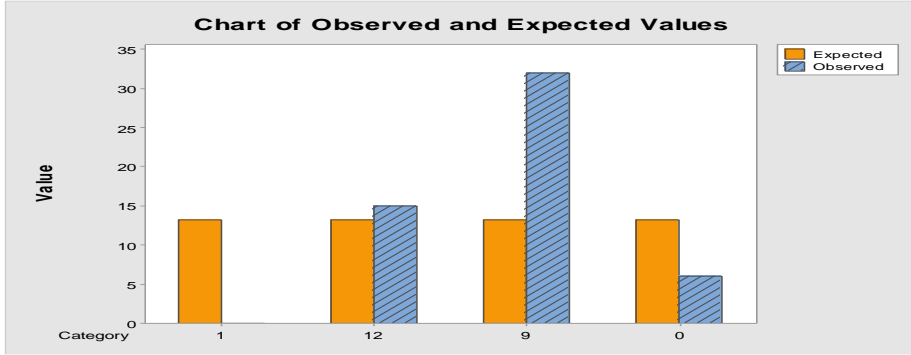


N DF Chi-Sq P-Value

38 1 0.105263 0.746

يبين البياني رقم (7) أن 45% من العينة يرون أن للإعلام الجديد دور في حث الشباب على الهجرة بدرجة متوسطة وان هناك 38% يرون أن للإعلام الجديد دور في حث الشباب على الهجرة غير الشرعية بدرجة كبيرة ، مقابل 17% يرون أن ليس لها دور.

نستنتج من ذلك غالبية عينة الدراسة يرون بوجود دور للإعلام الجديد في حث الشباب على الهجرة غير الشرعية إذ بلغت نسبتهم 83% مقابل 17% لا يرون ذلك. وأظهرت نتائج كاي تربيع عند مستوى الدلالة 0.05 عدم وجود علاقة بين جنس المبحوث ومتغير دور الإعلام في حث الشباب على الهجرة. الشكل رقم (8) يوضح مدى اعتقاد المبحوثين بإمكانية استخدام مواقع الإعلام الجديد لإدارة الأزمات الاجتماعية وفقاً لمستوى التعليم.



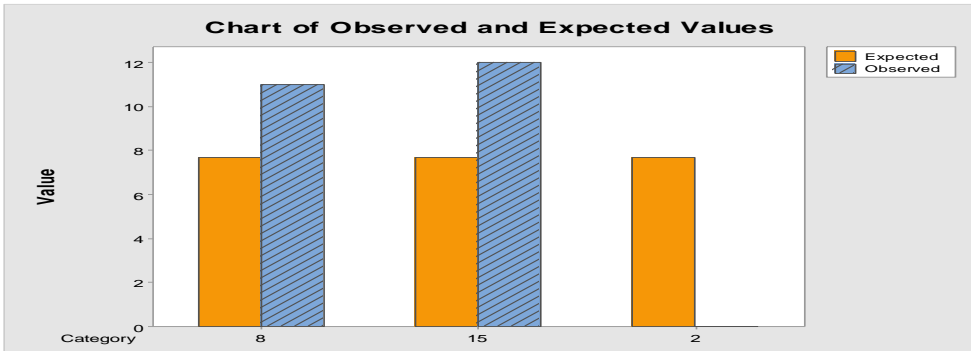
N DF Chi-Sq. P-Value

53 3 43.9811 0.000

يتضح من الشكل البياني رقم (8) أن 43% من المبحوثين يعتقدون بإمكانية مواقع التواصل الاجتماعي في الإعلام الجديد من إدارة الأزمات الاجتماعية مقابل 22% لا يعتقدون بهذا الدور و25% لا يعلمون بحقيقة هذا الدور.

وبذلك فإن الغالبية من عينة الدراسة يرون أن لمواقع التواصل الاجتماعي دور في إدارة الأزمات الاجتماعية حيث بلغت نسبتهم 43% مقابل 22% لا يعتقدون بهذا الدور غالبية من حملة الشهادة الجامعية. وتبين من اختبار كاي تربيع عند مستوى الدلالة 0.05 وجود علاقة تأثير بين مستوى التعليم والاعتقاد بإمكانية مواقع التواصل الاجتماعي في إدارة الأزمات الاجتماعية.

الشكل رقم (9) يوضح الإجراءات المناسبة لإدارة أزمة الهجرة غير الشرعية وفقاً لجنسية المبحوث.



N DF Chi-Sq P-Value

23 2 11.5652 0.003

يتضح من الشكل البياني رقم (9) 31% من عينة الدراسة يعتقدون بوجوب إجراء دراسات وبحوث لمعرفة أسباب الهجرة غير الشرعية ومواجهتها، بينما يرى 25% منهم بضرورة تنظيم حملات توعية لتعميق الشعور الوطني وعدم الاغتراب، وكان 23% من المبحوثين يرغبون بسن قوانين تحاسب من يشجع الشباب على الهجرة غير الشرعية من خلال مواقع التواصل، مقابل 16% يرون بالحاجة إلى وضع رقابة لحذف المضامين الإعلامية التي تحت الشباب على الهجرة غير الشرعية.

وبذلك نجد أن غالبية المبحوثين يميلون إلى الدعوة إلى إجراء بحوث ودراسات لدراسة أسباب الهجرة وتنظيم حملات إعلامية لتوعية الشباب بالآثار السلبية للهجرة غير الشرعية حيث بلغت نسبة من يعتقدون بهذه المعالجة 56% من عينة الدراسة. وأظهرت نتائج كاي تربيع عند مستوى الدلالة 0.05 وجود علاقة بين جنسية المبحوث ونوع المعالجة للهجرة غير الشرعية.

**نتائج البحث:** أظهرت النتائج النظرية والتطبيقية للبحث المؤشرات الآتية:

-أظهرت نتائج الدراسة أن هناك 97% من المبحوثين يتابعون مواقع التواصل الاجتماعي في الإعلام الجديد، وان الغالبية منهم يتابعون هذه المواقع بانتظام.

-تبين من نتائج الدراسة التطبيقية أن هناك 17% من عينة الدراسة يعتقدون بأن مواقع الإعلام الجديد لها آثار إيجابية على المستخدمين مقابل 15% يؤمنون بأن لها آثار سلبية وكان هناك 68% يعتقدون بوجود آثار إيجابية وسلبية وهو الاتجاه الأكثر معقولية لأن طبيعة الآثار تعتمد نوع المستخدم ومستوى ثقافته ومهاراته ومقدرته على توظيف عملية الاستخدام لتحقيق أهداف إيجابية. لذلك كان لمستوى التعليم دور في مدى إيجابية المستخدم وطبيعة الآثار الناتجة عن استخدامه لهذه المواقع في الإعلام الجديد.

-أوضحت نتائج الدراسة أن 41% يهتمون بالقضايا الاجتماعية يليها الذين يهتمون بمتابعة لسياحة والاقتصاد بنسبة 23% ثم القضايا الثقافية والسياسية بنسبة 15% وموضوعات الرياضة والشباب بنسبة 10% والدعاية والإعلان بنسبة 9% وموضوعات أخرى بنسبة 2%. مما يدل على أن هناك ميل كبير لمتابعة الموضوعات والقضايا الاجتماعية التي شكلت حوالي نصف العينة. وقد تعود أسباب ذلك الاهتمام إلى أن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي يهتم بقيمه وعلاقاته الاجتماعية التي تحدد سلوكه وسلوك الآخرين اتجاهه وتنعكس على تكيفه مع بيئته الاجتماعية. وكان لمتغير السن عند المبحوثين علاقة قوية وتأثير كبير على القضايا والموضوعات التي يتابعونها على مواقع التواصل الاجتماعي.

-أظهرت النتائج المستخلصة من الدراسة التطبيقية أن 38% من العينة يهتموا بالأزمات الاجتماعية و20% يهتموا بالأزمات الاقتصادية و19% اهتموا بالأزمات الصحية ولم يهتموا بالأزمات السياسية سوى 19% وكان هناك 5% يهتموا بأزمات شخصية أخرى. مما يؤكد أن الأزمات الاجتماعية تعد أكثر أهمية للمبحوثين مقارنة بالأزمات الأخرى التي كانت بنسب أقل وجاءت بنسب متقاربة. وتشير النتائج المستخلصة من اختبار كاي تربيع عند مستوى دلالة 0.05 إلى وجود علاقة تأثير بين مهنة المبحوث ونوع الأزمة التي يهتم بها.

تبين من نتائج الدراسة أن 53% من عينة الدراسة يهتمون بموضوع الهجرة غير الشرعية بدرجة متوسطة وأن 32% يهتمون بدرجة كبيرة مقابل 15% لا يهتموا بموضوع الهجرة غير الشرعية، مما يؤكد أن الغالبية العظمى من عينة الدراسة تهتم بموضوع الهجرة غير الشرعية. وكان 57% من المهتمين بموضوع الهجرة من الوافدين العرب بدولة الإمارات. وكانت هناك علاقة تأثير بين جنسية المبحوث ومدى اهتمامه بالهجرة غير الشرعية. وأوضحت نتائج الدراسة التطبيقية أن 37% من عينة الدراسة يعتقدون أن للهجرة غير الشرعية آثار سلبية على المهاجر والمجتمع الذي يهاجر إليه والمجتمع الذي يهاجر منه، مقابل 24% يعتقدون أن المهاجر هو من يتأثر. وتبين أن 22% يرون أن المجتمع الذي يهاجر إليه المهاجر هو الذي سوف يتأثر. وكان هناك 17% يعتبرون مجتمع المهاجر هو المتضرر والمتأثر الوحيد. ونعتقد أن الرأي الأرجح هو ما ذهب إليه الفريق الأول الذي يرى بشمولية التأثير. كما تبين وجود علاقة بين متغير نوع المتأثر بالهجرة غير الشرعية، ومتغير مستوى التعليم. وتظهر هذه العلاقة أكثر وضوحاً عند خريجي الجامعة الذين يمثلون 56% من عينة الدراسة. أظهرت نتائج الدراسة ان غالبية عينة الدراسة يعتقدون بوجود دور للإعلام الجديد في حث الشباب على الهجرة غير الشرعية إذ بلغت نسبتهم 83% مقابل 17% لا يعتقدون بوجود هذا الدور. وتبين من التحليل الإحصائي عدم وجود علاقة بين جنس المبحوث ومتغير دور الإعلام الجديد في حث الشباب على الهجرة. تبين من نتائج الدراسة أن 43% من المبحوثين يعتقدون بإمكانية مواقع التواصل الاجتماعي في الإعلام الجديد من إدارة الأزمات الاجتماعية مقابل 22% لا يعتقدون بهذه الإمكانية وكان 25% من أفراد العينة لا يعلمون عن ذلك شيء. وقد أظهرت نتيجة التحليل الإحصائي وجود علاقة تأثير وتأثر بين مستوى التعليم والاعتقاد بإمكانية مواقع التواصل الاجتماعي في إدارة الأزمات الاجتماعية. وأوضحت نتائج الدراسة أن غالبية المبحوثين يدعون إلى إجراء بحوث ودراسات لمعرفة أسباب ودوافع الهجرة وتنظيم حملات إعلامية لتوعية الشباب بالآثار السلبية الناتجة عنها. حيث بلغت نسبة من يعتقدون بهذه المعالجة 56% من عينة الدراسة. وأظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود علاقة تأثير بين جنسية المبحوث ونوع المعالجة التي يقترحها للحد من الهجرة غير الشرعية.

**التوصيات:** انطلاقاً من البحث بموضوع الإعلام الجديد وإمكانية استخدامه لإدارة الأزمات الاجتماعية والنتائج النظرية والتطبيقية التي توصلت إليها أوصي بما يلي:

-أدعو إلى ضرورة تكثيف البحوث والدراسات المتعلقة باستثمار مواقع وقنوات الإعلام الجديد لخدمة الأهداف والمصالح العليا للمجتمع، وعدم تركها للتظاهر والتناحر والصراعات وإثارة النزعات والشائعات وإثارة العقد والمخاوف وبث الأحقاد والكراهية التي تهدد بنية المجتمعات الحديثة.

-أوصي بمأسسة الإعلام الجديد من خلال تأسيس منظمات ومؤسسات لقنوات ومواقع الإعلام الجديد واستقطاب الطاقات الشابة والمهنية من المتخصصين الناشطين بمواقع التواصل الاجتماعي وتوجيه طاقاتهم واستثمار مهاراتهم وخبراتهم لتنمية وتطوير المجتمع.

-وضع خطط إستراتيجية لتوجيه أنشطة الشباب بمواقع التواصل الاجتماعي لخدمة المصالح العليا للمجتمع من خلال دعم القيادات الشابة بالمحفزات المادية والمعنوية لإنجاح هذه التجربة.

-إشراك القدوات من الناشطين بمواقع التواصل الاجتماعي في إدارة الأزمات الاجتماعية والاستفادة من قوتهم التأثيرية في الرأي العام لتعبئة هذا الرأي وتوجيهه نحو الأهداف الإستراتيجية العليا للمجتمع.  
-استثمار مواقع وقنوات الإعلام الجديد لتنفيذ حملات تربوية وثقافية وأخلاقية تعزز المنظومة القيمية في المجتمع وتبرز هويته الحضارية.

#### قائمة المراجع:

- Holsti, K.J. ,1976. *International- Politics* . London : Prentice Hall international Ine, ,1976.-  
K.J. Holsti- International - Politics ( London:Prentice Holl international Ine, 19. 1976. *International - - Politics*. London : Prentice Holl international Ine, 1976. P 240.  
Lagadec., Patrick. 1986. *Strategies de Communication de Crise*. Paris : Futuribles, 1986. pp6-8. -  
مصطفى حميد الطائي ، 2015 ، الإعلام الجديد آثاره التربوية والاجتماعية على الشباب العربي ، (دراسة ميدانية على عينة من الشباب العربي بدولة الامارات العربية المتحدة 2015) ، جودة التعليم وتحديات المستقبل " (رؤى وأفاق) لمؤتمر العلمي الدولي الثالث لكلية التربية النوعية - بجامعة المنوفية. بجمهورية مصر العربية  
المصدر السابق نفسه.  
منى الحديدي 2018. الإعلام ومواجهة الأزمات ، القاهرة: متاح على الرابط :  
مصطفى حميد الطائي ، 2012 ، مناهج البحث في الإعلام وعلوم الاتصال 1ط ، مكتبة الجامعة ، اماره الشارقة ، الامارات العربية المتحدة  
<https://www.arabmediasociety.com>, 2018-  
حامد ربيع 1988-. التخطيط للتحرك الإعلامي في إدارة الصراع. مجلة البحوث. معهد البحوث والدراسات العربية - بغداد ، العراق ، ص 48.  
مصطفى حميد الطائي. 2012. مناهج البحث في الاعلام وعلوم الاتصال. امصدر سابق  
- وجدى حلبي ، 2013 ، دور وسائل الإعلام في مواجهة الأزمات ، جامعة أم القرى ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .  
- وجدى حلبي ، دور وسائل الاعلام الحديثة في التوعية ومواجهة الازمات الامنية متاح على الرابط :  
Conference Paper · publication at: <https://www.researchgate.net/publication/309195835>,  
- سمحي محمد. 2004. دور العلاقات العامة في التعامل مع الازمات والكوارث(دراسة تطبيقية على ادارة العلاقات العامة في الدفاع المدني). الرياض: 2003 متاح على الرابط:  
<https://library.nauss.edu.sa/cgi-bin/koha/opac-detail.pl?biblionumber=13182>.2004  
- فهد محمد نعمان ، 2012 ، أثر التدريب على مقدرة المؤسسات الدولية العاملة في قطاع غزة على إدارة الأزمات ، رسالة ماجستير ، في الإدارة قدمت الى قسم إدارة الأعمال بكلية التجارة - الجامعة الإسلامية . متاح على الرابط:  
<https://www.mobt3ath.com/uploade/book/book-13771.pdf>, 2012.  
- وسائل الاعلام الجديد ، موقع موضوع. متاح على الرابط :  
<https://mawdoo3.com>. [Online] فبراير 22، 2019-2-22  
- بن لعربي يحيى ، 2016 ، دور الاتصال في ادارة الازمات ، دراسات ، ع 15 ، ص 10-3: اكااديمية الدراسات الاجتماعية والانسانية ، وهران ، الجزائر .

#### المرفقات: نموذج الاستبانة



جامعة عجمان  
AJMAN UNIVERSITY

كلية الإعلام  
استبانة

يقوم الباحث بإجراء دراسة ميدانية لبحته الموسوم: دور الإعلام الجديد في إدارة الأزمات الاجتماعية (دراسة ميدانية على عينة من الإعلاميين في المجتمع الإماراتي 2020/2019) ويتطلع الباحث إلى الحصول على معلومات تتصف بالدقة والصرحة والمصادقية عند الإجابة عن تساؤلات هذه الاستبانة ، علماً أن المعلومات التي ستدلون بها يكون لها أثر في خدمة المجتمع. ولكم جزيل الشكر والتقدير..

تعليمات الاستبانة:

يرجى الإجابة عن السؤال المناسب بوضع إشارة (√)

نفضل الإجابة على كافة التساؤلات

نرجو قراءة الاستبانة والاستفسار ممن يوزعها عن أي فقرة تحتاج إلى إيضاح قبل ملأها.

إذا كانت لديكم أية ملاحظات تودون الإدلاء بها يرجى تدوينها في السؤال المفتوح في نهاية الاستبانة إذا اخترت أكثر من إجابة في السؤال الواحد سلسلها حسب الأهمية.

الباحث: الدكتور مصطفى حميد الطائي.

أولاً.البيانات العامة:

النوع: ذكر ( ) ، أنثى ( )

السن: 18-27 ( ) ، 28-37 ( ) ، 38-47 ( ) ، 48 فأكثر ( )

مستوى التعليم: ابتدائي ( ) ، ثانوي ( ) ، جامعي ( ) ، عليا ( )

المهنة: طالب ( ) ، موظف ( ) ، مهنة حرة ( ) ، عاطل عن العمل ( )

الجنسية: مواطن ( ) ، وافد عربي ( ) ، وافد لأجنبي ( )

ثانياً.البيانات الشخصية:

1.هل تستخدم الإعلام الجديد (مواقع التواصل) ؟

نعم بانتظام ( ) ، نعم بين الحين والآخر ( ) ، لا استخدمها ( )

2.ما نوع الآثار التي تسببها مواقع التواصل على المستخدمين ؟

آثار إيجابية ( ) ، آثار سلبية ( ) ، إيجابية وسلبية ( )

3.ما هي المشكلات والقضايا التي تهتم بها في مواقع التواصل الاجتماعي ؟:

- المشكلات والقضايا الاجتماعية	
القضايا الثقافية والسياسة	
الرياضة والشباب	
- السياحة والاقتصاد	
- الإعلان والدعاية	
أخرى	

4.أي الأزمات تهتم بها في مواقع التواصل الاجتماعي ؟

-الأزمات الاجتماعية	
-الأزمات الاقتصادية	
الأزمات السياسية	
الأزمات الصحية	
أخرى	

5.إذا كنت ممن يهتم بالأزمات الاجتماعية في مواقع التواصل هل تهتم بأزمة الهجرة ؟

نعم بدرجة كبيرة ( ) ، نعم بدرجة متوسطة ( ) ، لا أهتم بها ( )

6.هل تعتقد أن هناك آثار سلبية للهجرة غير الشرعية ؟

نعم بدرجة كبيرة ( ) ، نعم بدرجة متوسطة ( ) ، لا ليست لها تأثيرات سلبية ( )

إذا كنت ممن يرى أن للهجرة غير الشرعية آثار سلبية فمن يتأثر بهذه الآثار ؟

الشخص المهاجر	
مجتمع الشخص المهاجر	



	المجتمع الذي يهاجر إليه الشخص
	جميع تلك الجهات

8. هل تعتقد أن لمواقع التواصل دور في حث الشباب على الهجرة؟

نعم بدرجة كبيرة ( ) ، نعم بدرجة متوسطة ( ) ، ليس لها دور ( )

9. هل تعتقد أن الهجرة غير الشرعية أصبحت أزمة عالمية؟

نعم اعتقد ( ) ، لا اعتقد ( ) ، لا أعلم ( )

10. هل يمكن إدارة الأزمات الاجتماعية من خلال مواقع الإعلام الجديد؟

نعم ( ) ، لا يمكن ( ) ، لا أعلم ( )

11. ما هو الإجراء المناسب لإدارة أزمة الهجرة غير الشرعية عن طريق الإعلام الجديد؟

	سن القوانين التي تحاسب من يشجع الشباب على الهجرة غير الشرعية.
	تنظيم حملات توعية لتعميق الشعور الوطني وعدم الاغتراب
	وضع رقابة لحذف المضامين التي تحث على الهجرة في مواقع التواصل
	الدعوة لإجراء دراسات حول أسباب الهجرة ومعالجتها
	أخرى.

12. إذا كانت لديكم أية ، معلومات أو مقترحات تودون ذكرها بالإمكان تدوينها في السطور الآتية:

## التحولات السوسيو مجالية للقصبات: من المركزية إلى الهامشية

### حالة قصر آيت بن حدو بورزازات / المغرب

The sociological domain transformations of the kasbahs: from central to marginal

The Case of Ait Ben Haddou in ouarzazate Morocco

مريم اقداد: فريق البحث حول المدن والجهوية بالمغرب، جامعة السلطان مولاي سليمان كلية الآداب

والعلوم الإنسانية بني ملال، المغرب

كمال احشوش: مختبر البحث في التاريخ والتراث، جامعة السلطان مولاي سليمان كلية الآداب والعلوم

الإنسانية بني ملال، المغرب

#### مقدمة:

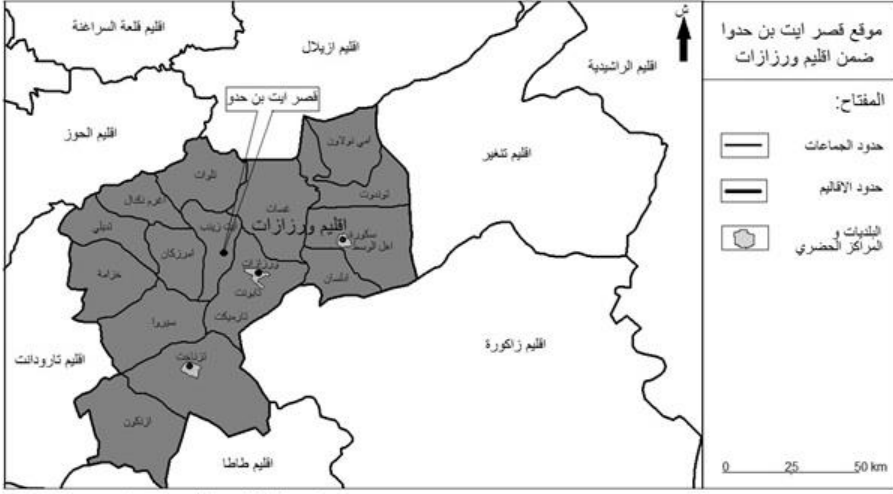
كان التراب يستعمل كمادة لبناء في جميع قارات المعمور إلا أنها "نادرة هي الحضارات التي كانت لها الشجاعة في تشييد بنايات تشبه تلك المنتشرة في الوديان المتاخمة للصحراء في المغرب (CERKAS, 2005). فهذه المباني الطينية الهائلة يعود الفضل في وجودها إلى توافر مهارات فريدة ومعرفة عميقة بهواد ذات جودة عالية. فهي تراث لا يقدر بقيمة، وذاكرة مازالت تنبض بالحياة، تعكس خبرة السكان وتعطي فكرة عن تنظيمهم الاجتماعي وعن حياتهم اليومية. غير أن الشروط الضرورية للمحافظة عليها لم تعد متوفرة، ولذلك فإن مشكل المحافظة على المباني الطينية في المغرب يطرح بحدة أكبر، وهو ما يجعل تكتلات القصور والمدن العتيقة، تعاني من مشاكل لا حصر لها.

"إن هذا الإرث الثقافي المكون أساسا من مساكن الأعيان (تيفرغمتين بالأمازيغية والقصبات بالعربية) والقرى الجماعية (إيغمران أو القصور) يعاني من عواقب تطور المجتمع بشكل يصعب التحكم فيه، الشيء الذي يهدد الرأسمال الثقافي لأجيال عديدة ويهدد باندثار مجموعة من الروائع المعمارية" (CERKAS, 2005). فهذه المجموعات البشرية التي كانت تتميز فيما مضى بتماسك نسيجها وفق قواعد مجتمعية محددة تتعرض لعملية انفجار تؤدي أحيانا إلى انقطاع الروابط التي تجمع الناس بمحيطهم الاجتماعي والطبيعي.

وكثيرا ما تؤثر هذه التحولات على البنيات الاجتماعية التقليدية وتتسبب في ظهور عادات جديدة. وهكذا بدأت مواد جديدة تحل بالتدريج محل اللبن والطين وتغير شيئا فشيئا من مظهر هذه المناطق الجميلة في المغرب.

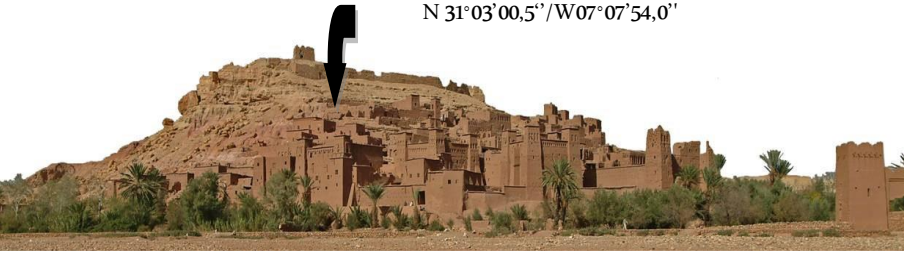
1. التطور التاريخي للسكن التقليدي: أسست مدينة ورزازات سنة 1928 على يد المستعمر الفرنسي بسبب إدراكه للأهمية الاستراتيجية للمنطقة في تحقيق أهدافه العسكرية وبسط نفوذه على البلاد، وكانت نقطة انطلاق الطائرات الفرنسية التي أخضعت قبائل المنطقة والتي قاومت ببسالة نادرة قوات الجنرال الفرنسي هنري دو بورنازيل، الشهير باسم الرجل ذي الرداء الأحمر. (مريم اقداد، 2012)، وتشتهر مدينة ورزازات بعدة قصبات وقصور تاريخية شكلت جزءا طبيعيا من اللوحة الطبيعية التي تهديها المدينة مجانا لزوارها. ويعتبر قصر آيت بن حدو من أشهر قصبات وقصور الجنوب الشرقي المغربي.

تقع آيت بن حدو على بعد 30 كلم شمال غرب مدينة ورزازات وتدخل في مجال الجماعة القروية لايت زينب، دائرة أمرزكان. تحتل الجزء الغربي من حوض ورزازات ويخترقه واد مرغان (الوادي المالح) ويتكون من مجموعة من القصبات أشهرها قسبة أيتاكرام المعروفة حاليا بأيت جمال الدين.  
خريطة رقم 1: موقع قصر آيت بن حدو ضمن إقليم ورزازات



صورة رقم 1: الإحداثيات الجغرافية لقصر آيت بن حدو في القمة:

N 31°03'00,5"/W07°07'54,0"



المصدر: المخطط التسييري لقصر آيت بن حدو 2007

يعتبر قصر آيت بن حدو واحد من أهم وأشهر قصبات مدينة ورزازات التي تمتاز برونقها الهندسي الرائع، فضلا عن كونه واحد من هذه القصور التي استطاعت أن تتحدى عوادي الزمن، وقساوة الظروف المناخية بفعل إصرار الإنسان الذي سكن هذا المجمع العمراني المتفرد على ترميمه كلما دعت الضرورة إلى ذلك وهذا ما مكن من إنقاذ جزء كبير من هذا القصر من الخراب.

وبالنظر لها يتميز به هذا القصر من جمالية معمارية استثنائية، قررت منظمة الأمم المتحدة إدراجه ضمن لائحة المواقع المصنفة للتربية والثقافة والعلوم يونسكو منذ سنة 1987 "كتراث إنساني"، كما أقدمت السلطات المغربية المختصة على إدراجه ضمن لائحة المواقع الأثرية الوطنية، وهذا ما سببته عليه التقيد بعدد من القوانين (الجريدة الرسمية، 2006) والالتزامات التي تهدف إلى حماية المآثر التاريخية العمرانية من التلف.

وتؤكد المعلومات المتوفرة لدى مركز صيانة وتوظيف التراث المعماري بمناطق الأطلس والجنوب CERKAS أن تاريخ قصر آيت بن حدو، حسب نص الترتيب على لائحة التراث العالمي، يعود إلى القرن 18 الميلادي. لكن الرواية الشفوية التي تعتبر أهم مرجع للباحث في غياب النصوص المكتوبة والأبحاث الأثرية، تشير إلى أن تاريخ القصر أقدم بكثير من ذلك، حيث أن المخزن الجماعي الموجود في أعلى الهضبة التي شيد عليها القصر يعتبر أقدم بناية في الموقع، ويعتقد أنها تعود إلى مرحلة ما قبل مجيء الإسلام (المهدي بن صالح، 2011). ويعتقد أن أمغار بن حدو، الذي يحمل القصر اسمه كان يسكن المنطقة إبان فترة حكم الدولة المرابطية في القرن 11 الميلادي، حيث كان القصر يشكل محطة ضمن مسار القوافل التجارية التي كانت تربط بلاد السودان بمملكة مراکش عبر وادي درعة و ممر " تيزي ن تلوات " (Jean-Louis Michon, 2000). كما عرف قصر آيت بن حدو خلال القرن 19 مرور السلطان المولى الحسن الأول خلال " حركته " بين سنتي 1893 و 1894 وذلك في طريق عودته إلى مراکش عبر تلوات. و بقي القصر مأهولا بسكانه إلى ما بعد فترة الاستقلال حيث هاجرت سكانته إلى الضفة الأخرى لمجرى وادي المالح (المهدي بن صالح، 2010). ويصف الباحث والمؤرخ المهدي بن علي الصالحي قصر آيت بن حدو بكونه " نموذجاً بارزاً لنمط من البناء الذي يمثل مرحلة أو مراحل هامة من التاريخ البشري " (المهدي بن صالح، 2001). كما أن القصر يقدم نموذجاً واضحاً لتجمع سكاني بشري تقليدي ولأسلوب استخدام الأراضي، حيث يعكس بذلك ثقافة أو ثقافات متداخلة وكذا التفاعل بين الإنسان وبيئته.

ويتخذ قصر آيت بن حدو شكل تجمع سكاني ومعماري متراس ومحصن فوق هضبة مرتفعة، تم اختيارها لأسباب اقتصادية تتمثل في استغلال حوض الوادي الذي يمر مجراه بمحاذاة القصر إلى جانب الأراضي الزراعية المجاورة، وأسباب أمنية حيث أخذت الاتحاديات القبلية الجانحة للاستقرار تضغط على المزارعين لأخذ مكانها فابتدع الرحل القصور كحصون دفاعية ويظهر ذلك جلياً كما تشير المراجع التاريخية (عبد اللطيف البرينسي، 1996) في الولوج إلى القصر والخروج منه كان يتم عبر بوابتين وذلك قصد مراقبة التحركات حول محيط القصر.

وفي سياق التطور التاريخي للمنطقة، ووجب ذكر تموقعها على الطريق القديمة للقوافل التجارية بين درعة وتافيلالت والحوز، حيث لعبت دوراً رئيساً في سلامة التجارة الصحراوية مما جعل آيت عيسى تستفيد من موقعها الاستراتيجي. لذلك "أمر السلطان يوسف بن تاشفين إبان منتصف القرن 11، أمغار بن حدو على الاستقرار فيها لكي يحكم بها" ما مكن العائلة من فرض سلطتها على مجتمع آيت عيسى (محمد آيت حمزة، 1992).

وعند مرور مولاي الحسن الأول من الأطلس عند عودته من تافيلالت جعل سي المدني خليفة له على تودغي وتافيلالتو الفايجة. وبعد ذلك تزوج الإخوة الكلاوي المداني التهامي وحسي ب ثلاث بنات من عائلة أمغار بن حدو هذا ما جعل الجنوب المغربي يفتح أمام عائلة لكلاوي. كما أصبحت عائلة بن حدو ترتبط بالكلاوي والإدارة الكولونيلية، مما خول لها الإمساك بزمام أمور القبيلة، وبذلك عوض اسم آيت عيسى وحماد آيت بن حدو. إلا أن اسم آيت عيسى لا يزال يذكر من خلال مجموعة من الجمعيات التي أطلقت عليها هذا الاسم ربما لكي تندد ولو على المستوى الرمزي بالممارسات الاحتكارية التي مورست من طرف آيت بن حدو.

عموماً، هذه الحركية التاريخية أورثت لنا معمار محلي أصيل وإطار سكني جد متكامل ومعقد عكس تشكيلة اجتماعية في تنظيمات سوسيو-مجالية مرتبة. ففي وضع إسقاطانسوسيو-اقتصادية للطبقات الاجتماعية المكونة للمجال السكني نجد القصور سكنا لدوي النفوذ والملاح تابع للطائفة اليهودية والمنازل الصغرى كانت الإطار السكني لمن ينحدرون من آيت عيسى وخدام الأمغار.

أ.الإطار السكني القديم: السكن هو انعكاس حقيقي للبيئة السوسيو-اقتصادية، السياسية والطبيعية التي تبرز فيها. فالسكن القديم لآيت بن حدو اتصل بالمنحدر الجنوبي للتل، وهذا الاختيار لم يكن اعتباريا لأن عدم الاستقرار وانعدام الأمن مناخ ساد في المنطقة ما انعكس على أعمال البناء التي كانت ذات طابع دفاعي (أبراج الحراسة، العلية، الأسوار،...)، فموقعها الاستراتيجي على الطريق التجارية ما بين الجنوب والشمال، والنزاعات الحاصلة حول الماء والرعي سهّل الدفاع عن المجال. واختيار هذا الموقع لم يكن اعتباريا بل لأنه يسمح بمراقبة الطرق والمناطق الفلاحية وساقى المياه، بغية الدفاع عنها من أي خطر محتمل، أما "المنازل فهي مجتمعة ومتلاصقة مع بعضها البعض لمواجهة الأخطار الخارجية. والأسوار الخارجية تكون عالية لدرجة يصعب رؤية داخل القصر، وأبواب الدخول إلى القصر مراقبة، حيث تتواجد به ثلاثة أبواب كبيرة مراقبة هي: "إيمي نغرم Imi n-Ighrem"، "إيمي ن ثلاث ن تيفورا Imi n-talat n-Tighoura" و "إيمي ن أوزركآيت بن حدو Imin'ouazergAit ben haddou" كلها تقفل ليلا" (محمد آيت حمزة، 1992).

ومجال القصور مقسم نظريا إلى قسمين: المجال الجماعي والمجال الخاص، يتشكل الأول من المساحات الواقعة على الهامش الشرقي للقرية، ويتكون من جناح خاص للدرس ومقبرتين (يهودية وإسلامية)، والمجالات الداخلية كدور الضيافة وساحة القصر التي تتوسط القصر بصفة عامة، وتخصص لإقامة الحفلات والأعراس بنحو خاص، ونجد المسجد الذي غالبا ما يكون عبارة عن بناية مستقلة تحتوي على جميع المرافق الضرورية لأداء الصلاة: بيت للصلاة، مرافق صحية خاصة بالوضوء، وغرف خاصة بتعليم الصبية.

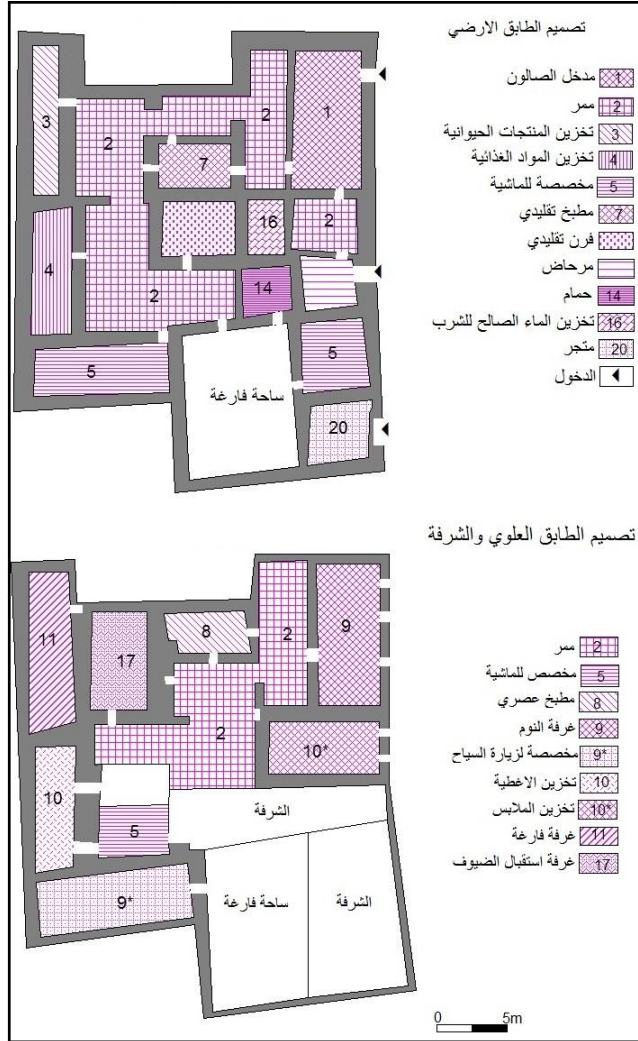
أما الفضاء الخاص فيتشكل من جميع المنازل والتي بدورها قسمت إلى نوعين حسب الهندسة المعمارية المعتمدة، "نجد منازل تعود إلى الأسرة الحاكمة (6 أو 7 قصبات) تتميز بالارتفاع" (محمد آيت حمزة، 1992)، فقصور أمغار بنيت على مستويين أو ثلاث مستويات والارتفاع كان محكوما بعدم الاستغلال الكامل للأرضيات، وأيضا بسبب القلق الاستراتيجي" (محمد آيت حمزة، 1992). ويتكون الطابق الأرضي عموما من عدة غرف محيطة بالفناء، يخبأ فيها - كما صرح به المرشد السياحي جمال الدين في مقابلة شفوية - الأسلحة والمؤونة. ووجب الإشارة إلى أن هذا النوع من الاستغلال متواجد فقط في القصبات التي يملكها أمغار، أي أن نفس البناءات لكن لملاك آخرين يكون الطابق الأرضي مخصص للمواشي والدواب، مستودع المعادن، الأعلاف، الأخشاب والآلات الفلاحية.

أما الطابق الأول كان بمثابة مخزن للحبوب والخضروات والحبوب والفواكه المجففة، بالإضافة إلى مواد أخرى كزيت الزيتون والزبدة.

والطابق الثاني يستغل في الحياة اليومية، حيث أن الأبراج تشكل مكانا جميلا لاستقبال الضيوف والشرفة لعبت أدوارا متعددة من بينها استغلالها لتجفيف المواد الفلاحية، والنوم بها في ليالي الصيف ذات الحرارة المرتفعة لذلك نجد أسوار الشرفات الخارجية مرتفعة بالمقارنة مع باقي مكونات السكن.

في المرحلة الراهنة ، حالة التدهور متقدمة جدا في المباني من الصعب التكهن بهندستها الداخلية ولا عن وظائفها المثيرة للاهتمام ، إلا أن بعض المشاريع التي تقوم بها الجهات المعنية تحاول بواسطة المسح المنهجي لجميع المنازل ، قصد التعرف على وظائفها الاقتصادية والاجتماعية ، كالدراسة المعمارية وتصميم المحافظة لقصر آيت بن حدو (تصميم التهيئة 2007) الذي تم إنجازه من طرف وزارة السكنى والتعمير والتنمية المجالية ، والوكالة الحضرية التي وضعت فيه بعض التصاميم الداخلية للمنازل داخل القصر.

الشكل رقم 1: التصميم الداخلي للمنازل المكونة لقصر آيت بن حدو



جعلت مواد البناء المستعملة من هذه التقنية الأكثر انتشارا في الجنوب المغربي ، حيث أن الجدران تبني بين لوحين بمقاييس مختلفة حسب ارتفاع وحجم الصناديق المراد بناؤها ، فالجزء العلوي يتم بناؤه بواسطة الطوب (التابوت) لكي تتحمل تأثير الرطوبة ، أما الطابق السفلي فتستعمل الأحجار الجافة في بنائه وتكون

كأساس للجدار أما الأمام والأشكال الهندسية التي تزخر الجدران بها يتم الحصول عليها انطلاقاً من ترتيبات مختلفة للطوب والصلصال والقش مع الماء والتي تستخدم أيضاً لتحسين الجدران التي نجد فوقها دائماً القصب لكي يحميها من المطر.

وختاماً يمكن القول ختاماً أن هذا النوع من السكن اندمج مع بيئته الطبيعية والبشرية وأعطى لنا هذا الشكل الهندسي ، إلا أن هذا الأخير تراجع بسبب هجرة الساكنة ما أدى إلى فقدانه لوظيفته السكنية وبالتالي إهمال أعمال الصيانة التي تم تعويضها بشكل آخر من البناء يعكس مدى الاستخفاف والنسيان اللذان طالا تقاليد وفن البناء.

2. عمليات تحول السكن: بعد الاستقلال ، فقد آخر شيوخ آيت بن حدو (أمغار ابراهيم) ووظائفه القيادية بدأت مجموعة من التكهنات تنبأ بتراجع دور القرية ، حيث تراجعت قوة القبيلة داخلياً وخارجياً بسبب مجموعة من العوامل التي بدورها سرعت في تفكيك النظام القبلي القديم.

أ.الضغط الديمغرافي: كان انتشار القصور في الجنوب المغربي موضوع العديد من الدراسات السوسولوجية والجغرافية ، وأغلب هذه الدراسات تبدأ بحثها انطلاقاً من الضغط الديمغرافي لما يعطيه من تفسيرات بسيطة للظاهرة ، ومع ذلك يجب ألا يغيب عن تصوراتنا أن مثل هذه التفسيرات ليست حاسمة ولا تصلح للتعميم ، لأنه في مجموعة من الحالات (تافيلالت ، درعة ، دادس) الظروف المناخية الاقتصادية تساهم في تفسير الظاهرة أيضاً إلا أن تطور الساكنة بقصر آيت بن حدو لعب دوراً كبيراً وهذا ما سنحاول شرحه.

جدول رقم 1 : تطور ساكنة آيت بن حدو:

السنة	1936	1960	1971	1982	1991	2004
الساكنة	444	214	387	406	584	1000

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى : 1936-2004

إن تحليل معطيات الجدول تشير إلى أن قصر آيت بن حدو لم يعاني من ضغط ديمغرافي ، لكن العكس عرف انخفاض في عدد ساكنه بسبب الهجرة ، حيث عرفت الفترة ما بين الحرب العالمية الثانية وعقد الستينات انخفاض حاد إلا أنه استرجع ساكنه انطلاقاً من عقد الثمانينات وقد كان آيت بن حدو المتضرر الأكبر بالمقارنة مع مجالات أخرى.

ويمكن تفسير هذا الانخفاض في عدد الساكنة بمجموعة من المشاكل كالمشاكل الاقتصادية وخصوصاً التي ترتبط بمشكل السكن ، وارتفاعها في السنوات الأخرى بانخفاض معدل الوفيات كما أن هناك عوامل تفسيرية أخرى تتمثل في:

-تأثير الجفاف والمجاعة لسنوات 46-47.

-النزوح الجماعي لليهود نحو الشرق الأوسط.

-الهجرة القوية التي عرفها الدوار صوب المدن.

-فقدان السلطة السياسية التي كان الدوار يحتكرها لمدة طويلة.

"فالمغرب شهد بعد الحرب العالمية الثانية فترة من المجاعة تسببت بخسائر كبيرة ، وكانت السبب الرئيس في العديد من الهجرات ، أما اليهود فقد كان عددهم 65 شخص سنة 1936 إلا أنهم غادروا (حسب بعض

العائلات المتواجدة في القرية كان عددهم ثمانية أسر) (محمد آيت حمزة ، 1992). أما انعكاس العوامل الأخرى فهي ليست قابلة للقياس الكمي فقط إذا استثنينا الهجرة فقد هاجر العديد من المتقاعدين القرية فحسب "عمل ميداني وجه لأربعة وثمانون منزل لوحظ أن 35 منزل عرف هجرة ، وإذا اعتبرنا أن الرجال فقط من يهاجر ، فإن المتوسط لكل منزل تقريبا 1.6 وعدد العائلات المستقرة خارج الدوار تقترب من 30 أسرة منها 12 أسرة تستقر في أوروبا والشرق الأوسط." (حبيب الناصري ، 2010).

جدول رقم 2: التقسيم الجغرافي لمهاجري آيت بن حدو:

أكادير	الدار البيضاء	ورزازات	مراكش	عمالات أخرى	ديار المهجر
%21,1	%12,9	%11,7	%4,7	%5,8	%21,1

المصدر: Cercas: 1991

"ومن بين المهاجرين ، نجد الموظفين إلا أنهم بنسبة ضعيفة أو نادرة أحيانا ، بينما نجد ارتفاع هجرة اليد العاملة في البناء وعمال المناجم والشباب الذين يعملون في المقاهي" (محمد آيت حمزة ، 1992). أما الآن هذا النوع الهجرة قد عرف تراجعا ، لأن الفترات الحاسمة في تاريخ الهجرة المعاصرة للقرية كانت في عقد السبعينيات والنصف الثاني من الثمانينات نحو الخارج بسبب اتفاقية الشراكة مع بلدان السوق الأوربي حيث كان المغرب في هذه الفترة يعاني من الجفاف الذي اعتبر ولو جزئيا المسؤول عن حركة السكان نحو المدن الساحلية.

وهذه الدينامية السكانية انعكست بالإيجاب ولو جزئيا على آيت بن حدو ، حيث تدفقت مجموعة من الأموال والمساعدات إليها ، وتغيرت السلوكيات والعلاقات الإنسانية ، ما أدى إلى ظهور وخلق وظائف جديدة كلها ساهمت في جعل آيت بن حدو قطب جذب (الصحة ، المدرسة ، السينما ، السياحة).

### 3. آيت بن حدو : التجهيزات والانفتاح

أثار المدرسة: كان حدث إقامة مدرسة حتى في أشكالها البدائية عند بداية الستينات (الخيمة) ، حدثا عظيما بالنسبة لسكان آيت بن حدو ، فقد كانت بمثابة انفتاح على العالم الخارجي ، حيث أصبح الحديث عن اللغات الأجنبية ، الجداول الزمنية ، السنة الدراسية ، سلوك المدرسين والتلاميذ ، برامج الدعم وتلقين المعلومة وحتى الشكل الهندسي للمدرسة الذي يعتبر غريبا عنهم ، إلا أن كل عوامل التغيير هذه لا تجد البيئة الملائمة لأنها تطرح مشكل التأقلم ، فنجد المدرسين يتحسرون على عدد الغيابات المسجلة في صفوف التلاميذ ، والآباء يعتقدون أن المدرسة غير قادرة بما يكفي على تعليم أبنائهم ، هذا ما ينعكس على معدلات الالتحاق بالمدرسة.

"أما نسبة الأمية فهي منخفضة جدا عند الجنسين معا ، إلا أن الإناث الأكثر تضررا في مسارهم الدراسي حيث يجبرون على مغادرة المدرسة عند وصولهن للمرحلة الثانوية ، لأنهن إذا أردن أن يتممن دراستهن ، على العائلة بأكملها أن تغادر معهن إلى مدينة أخرى ، وهذا ما يفسر تواجد موجزة وحيدة في الدوار." (محمد آيت حمزة ، 1992).



ورغم هذا النفور الذي تعرفه المدرسة من بعض سكان آيت بن حدو ، إلا أن تأثيرها ملحوظ جدا لأنها تشكل لدى البعض القطيعة مع هويتهم الثقافية (التقاليد) التي يتحررون منها وربما هي المكان المناسب للتفكير العميق في مستقبل التنمية والتي تتأكد لهم من خلال السياحة والهجرة ووسائل الإعلام.

ب.السياحة جانب آخر من الانفتاح: تتميز آيت بن حدو ، بتوفرها على مؤهلات سياحية هامة جدا ، حيث جلبت جمالية المناظر الطبيعية المتواجدة على ضفاف واد المالح وجبال الأطلس التي تحتضنها إضافة إلى القصب ، اهتمام العديد من محبي السياحة الواحية.

"فمنذ مطلع الستينيات ، استخدم قصرآيت بن حدو كإطار في تصوير وصناعة مجموعة من الأفلام العالمية أو جزء منها ، فتعبيد الطريق الرابطة بين تمضاخت والطريق الرئيسية رقم 31 التي تمر عبر آيت بن حدو ، أدت إلى تنظيم وبرمجة مجموعة من الزيارات السياحية التي تهم قصب الجنوب (تلوات ، تمضاخت ، آيت بن حدو ، تاوريرت) ، كما أن تسجيل القصر على قائمة التراث العالمي والدعاية التي تلقاها كلها قرارات أعطت القرية المكانة السياحية التي تملكها الآن. فصحيح أنه ليست لدينا أي فكرة عن عدد السياح الذين يزورون آيت بن حدو ، لكن يمكن تأكيد وبشكل كبير أن أغلب السياح الذين يعمرون من ورزازات قادمين من مراكش ، الراشدية ، أو أكادير يزورون آيت بن حدو حوالي " 214452 سائح سنة 1990 ، و266507 سائح سنة 2010" (محمد ايت حمزة ، 1992). أي زيادة قدرت بحوالي واحد بالمئة مقارنة من سنة 2009 (263184 سائح).

وتجدر الإشارة إلى أن تدفق السياح متفاوت في الزمن ، وفقا لموسم العطلوكذا تماشيا معالظروف الاقتصادية والسياسية.

وينقسم الموسم السياحي إلى 3 مواسم ، الأول يعرف وثيرة سياحية مهمة تمتد من شهر مارس إلى ماي ، والثانية أقل أهمية وتمتد من شهر غشت إلى أكتوبر وباقي الشهر تعرف معدل متوسط يميل إلى الانخفاض. لذلك فإن المرحلة المهمة هي الأولى لأنه انطلاقا من شهر ماي الحرارة تكون مرتفعة ، ويكون نقص في الماء والمحاصيل التي تحيط بالموقع تجف ويصبح المشهد محزن وكئيّب.

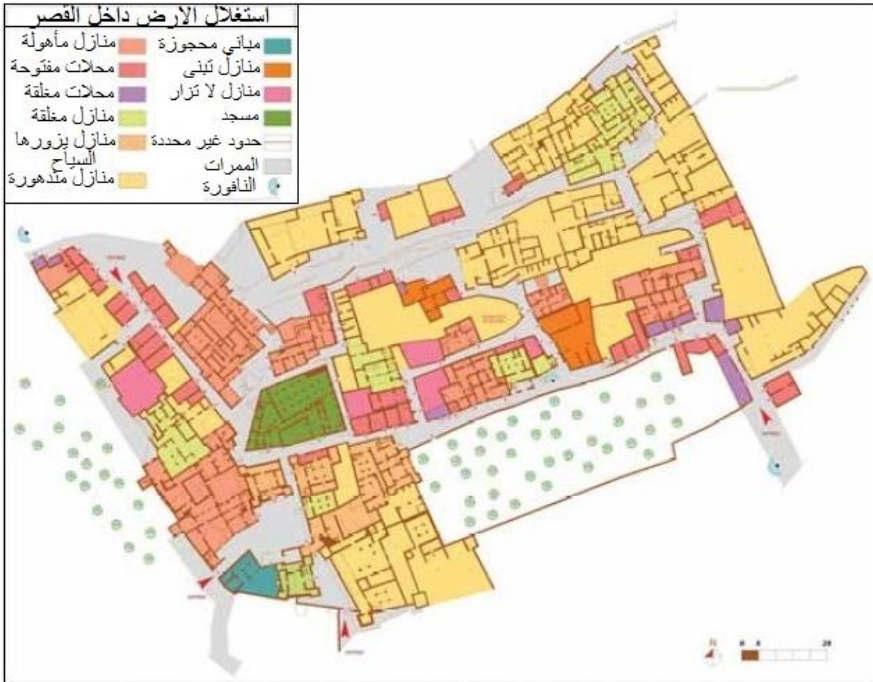
هذا التدفق المهم للسياح الأجانب ، لم يفوت على السكان فرصة خلق أنشطة اقتصادية جديدة تناسب الظاهرة. تمثلت في الاستثمار في مجموعة من المرافق السياحية كالفنادق ودور الضيافة ...

جدول رقم 5: أسماء الإقامات وتصنيفها في آيت بن حدو وآيت زينب 2010

تصنيفها	اسم الإقامة	
الفئة الأولى	رياض اغندا	آيت بن حدو و ايت زينب
الفئة الثانية	ضيقات القصبة	
الفئة الثانية	قصة اللوز	
الفئة الثانية	دار منى	
الفئة الثانية	واد الاحلام	
الفئة الثانية	قصة الرسام	
	دار الجنوب	

المصدر: مندوبية وزارة السياحة

اجتاحت حى السياحة القرية كلها ، حيث في كل مكان نجد المحلات التجارية ، البازارات ، بائعي الأحجار المنحوتة. وقد أشار المسح الذي قامت به الشرقي سعاد سنة 1990 في " عمل ميداني تواجد 16 متجر من بينهم متجران داخل القصر ، وقد ارتفع العدد الإجمالي خلال عام واحد إلى 28 محل، إلا أنه حسب خريطة استغلال الموقع يظهر تزايد في عددها خلال سنة 2007 ، حيث تجاوزت 30 محل. خريطة رقم 2: استغلال الأرض داخل قصر آيت بن حدو



المصدر: CERKAS 2007

وقد جذب هذا النشاط شباب تتراوح أعمارهم بين 16 و34 سنة بمستوى تعليمي لا يتجاوز التعليم الثانوي ومن بين هؤلاء 80% متزوجون وآباء لـ 5 أطفال قلة منهم من يعمل لحساب نفسه ، بل العكس تجدهم يتعاملون مع أشخاص من مراکش ، ألكموس ، إيميني ، تنغير أو العمال المغاربة القاطنين بالخارج" (محمد ايت حمزة ، 1992). وهذه الظاهرة أدت إلى ظهور محلات للإيجار (ما بين 100 و500 درهم في الشهر). كما أن هذا الجانب الاقتصادي للسياحة ، حفز نشاط المرشدين السياحيين لدى أغلب شباب المنطقة ، حيث هناك أطفال صغار تتراوح أعمارهم بين 7 و12 سنة ، فتيان وفتيات يقدمون خدمات للسياح كمساعدتهم على عبور الواد على ظهور الحمير أو تقديم أي نوع من المساعدات على شكل مقابل مادي هزيل. وباختصار ، فإنه من الصعب جدا في هذه المرحلة أن تقوم بتقييم تأثير السياحة على اقتصاد آيت بن حدو ، لأنه من السهل جدا رؤية مدى الإزعاج الجاري على عادات ومجال القرية لهذا من الضروري التدخل لتنظيم هذا القطاع ، بحيث يستفيد السكان منها بأفضل شكل ولكي تمنع تشويه الفضاء ومحتوياته.

ب. نشاط سينمائي في تقدم: اقتصر تصوير الأفلام في موقع آيت بن حدو على فيلم واحد إثنائية أفلام في السنة ، وأحيانا تمر السنة دون تصوير أي فيلم ، لكن الأنشطة المرتبطة بتصوير الأفلام تبقى لها أهمية على مستوى المقياس الجهوي وتزيد من فرص العمل:

-"نجد يد عاملة تتقاضى 120 درهم في اليوم المتخصصة في الزخرفة والديكورات اللازمة لتصوير الأفلام (نشاط يدون 3 إلى 4 أشهر) أو أعمال أخرى كنقل المياه من أجل البناء ، الحراسة (حبيب الناصري ، 2010).

نجد الكومبارس تتقاضى ما بين 150 و300 درهم في اليوم ، يتم اختيارهم من كلا الجنسين فالنساء المحليات يتم تقديمهن بملابسهن التقليدية وفي حالة الملابس العصرية ، يتم توظيف فتيات من ورزازات فاختر اليد العاملة بدوره يكون على أساس عدد العائلات والأفراد المطلوبة لمدة التصوير ويتم اختيار الكومبارس مباشرة من قبل المسؤولين عن التصوير.

وهذا النشاط السينمائي أدى إلى حركية اقتصادية في استئجار المنازل ، حيث أن استئجار المنازل تدر إيرادات تصل إلى 8000 درهم لمدة 20 يوم (حالة منزل جمال الدين) و500 درهم للمنازل التي يكون عليها إغلاق أبوابها خلال فترة التصوير خصوصا عندما يكون تصوير وقائع الفيلم في الأرقعة.

صورة رقم (1): صورة مأخوذة من فيلم المصارع (Gladiator) الذي صور بقصر آيت بن حدو



المصدر:المخطط التسييري لقصر آيت بن حدو 2007/2012

بالرغم من إسهام الإيرادات الصادرة من الأنشطة السينمائية إلا أنها تولد صعوبات على الساكنة المحلية ، حيث يضطرون إلى تغيير مساهمهم إلى أراضيهم الفلاحية خصوصا خلال فترة الحصاد ، والأضرار الناجمة عن تصوير الأفلام من تجمع النفايات ، يؤدي إلى تشويه المناظر الطبيعية.

#### خلاصة:

إذا كان السكن داخل قصر آيت بن حدو ارتبط بخصائص الوسط وإنتاجية الأرض وعنصر الاحتفاء ، فإن ثمة تحولات بفعل عوامل متعددة جعلته يتخذ شكل آخر ارتبط أساسا بوظيفته الاجتماعية والاقتصادية.

ويمكن تلخيص عوامل التحول التي لعبت دورا هاما في تغيير المعالم الوظيفية للقصر في عوامل موضوعية وأخرى ذاتية.

**العوامل الموضوعية:** ويمكن ان نشير في هذا السياق لثلاثة عوامل أساسية مهدت لهذا التحول، الأول بنوبة (الأزمة الأيكولوجية)، والثانية سوسيو ثقافية (الانفتاح على الخارج)، -الأزمة الأيكولوجية: وتتمثل في عاملين اثنين وهما: الفيضان والجفاف، فالأول أدى إلى انهيار الحقول المتواجدة على ضفة الواد، والثاني ترتب عن هندرة في الموارد المائية بفعل نضوب الآبار التقليدية، مما نتج عنه تراجع الإنتاج الفلاحي، وانتشار الفقر والعوز. وهو ما دفع بعض الأسر بالتخلي عن فلاحة الأرض والهجرة بحثا عن موارد جديدة خارج أسوار القصر أو خارج الدوار ككل، الشيء الذي سرع من وتيرة مغادرة القصر.

-التأثير السوسيو ثقافي: وهو نتيجة مباشرة عن قوة التفاعل مع العالم الخارجي بفعل تضايف مجموعة من العوامل، أهمها التأثير الثقافي الناتج عن انتشار التعليم ووسائل الإعلام، فالانفتاح على العالم الخارجي ارتبط بالسياحة والأنشطة السينمائية مما ساهم في إحداث تغيرات جوهرية في سلوك السكان وطموحاتهم السكنية. كما أن التبادل الاقتصادي الناتج عن نشاط دورة الاقتصاد المحلية ما بين المدينة والبادية منجحة، وإعادة توظيف عائدات الهجرة والوظيفة العمومية والأنشطة التي تمارسها بعض ساكنة القصر بالمراكز الحضرية في بناء أو إعادة بناء سكن وفق مواصفات عصرية منجحة أخرى ترتب عنه تغيير في السلوكيات اليومية للأفراد على مستوى الاستهلاك الغذائي واللباس وتجهيزات المنزل.

**العوامل الذاتية: وتتمثل في ما يلي:**

-تقلص إلى الحياة الجماعية واختفاء الحاجة إلى التجاور والتعايش.

-ارتفاع وتيرة التملك الفردي على حساب التملك الجماعي.

-تراجع الأسرة الممتدة لصالح الأسرة النواة بفعل تقسيم الإرث.

-ضعف التنظيمات التقليدية بالقصر بسبب تراجع وظائفها الاجتماعية والاقتصادية.

-دور الإدارة التي سمحت للبعض بمبادرة تجاوز الأعراف الجماعية المحلية على حساب المجال العمومي.

-كل هذه العوام ساهمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في التعجيل بمسلسل ظاهرة مغادرة القصر والتي

انعكست على حالة المباني والمنازل بالقصر.

-ونتيجة لهذه التحولات أصبحت الضرورة للتوفيق بينها وبين الحماية التراثية للقصر.

**المراجع:**

-الحسين أقبوح، النظام الحضري وتنظيم المجال بمنطقة درعة، رسالة لنيل دكتوراه دولة في الجغرافيا 2005، ص: 41.

-البهدي بن علي الصالحي، 2008: الرحلة الدرعية الكبرى، مطبعة Publisud ورازات، الطبعة الأولى.

-حبيب الناصري: التحولات السوسيو مجالية بالهوامش الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط حالة جماعتي أمركانوايت زينب، بحث لنيل شهادة الماجستير، 2010.

-كتيب المحافظة على التراث المعماري الطيني في الوديان المشرفة على الصحراء في المغرب، مركز صيانة وتوظيف التراث المعماري بمناطق الأطلس والجنوب، 2005.

-عبد اللطيف البرنيسي، وادي درعة والقبائل الدرعية من خلال المصادر القديمة، حوض درعة ملتقى حضاري وفضاء للثقافة والإبداع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، 1996، ص: 19-26.

- مريم أقداد ، بحث لنيل شهادة الماستر بعنوان " المكونات التراثية بهوامش مدينة ورزازات ودورها في التنمية المحلية حالة جماعة أيت زينب" تحت إشراف الدكتور محسن إدالي ، الموسم الجامعي 2011-2012 ، ص:20.
- CERKAS, Rapport sur l'état d'avancement 2006, PP : 14-16
- Jean-Louis Michon, 2000 : sauvegarde et réhabilitation du Ksar Ait Ben Haddou, Centre du Patrimoine Mondiale de l'UNESCO et le Gouvernement Marocain, P : 23.
- Mohamed Ait Hamza, 1992 : Projet de Réhabilitation du Ksar Ait Ben Haddou, Ministre des Affaires Culturelles appui au Centre de Conservation et de Réhabilitation des kasbahs du Sud (CERKAS), PP : 9-17.
- Plan de gestion 2007-2012 :Ksar Ait Ben HaddouPatrimoine Mondial, Ministère de la Culture et Centre du Patrimoine Mondiale de l'UNESCO.

## البحث العلمي بالمغرب والمسألة النسائية

### Scientific research in Morocco and the issue of women

د. حفيفة الداوي

جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب

#### مقدمة:

قاومت المرأة المغربية المستعمر من أجل الثوابت الوطنية، وبعدها انخرطت في معركة أخرى وهي إثبات الذات وتحقيق مواطنيتها، فلم يعرقل طموحاتها الإرث الثقافي بل ولد لديها روح التحدي وأمنت بأن الكفاح هو السبيل الوحيد للخروج من التوقع والمشاركة في التنمية، إن المرأة المغربية لم ترد أن تكون مواطنة مساكنة مجاورة، بل أرادت أن تكون مواطنة مساهمة فرسمت لها استراتيجية النضال من داخل الأحزاب والمنظمات والجمعيات، ومن داخل الجامعات باتخاذ البحث العلمي كرافعة أساسية للنضال والدفاع عن حقوقها ورفع الحيف عنها، باعتبار أن الجامعة أصبحت تلعب أدوارا مهمة، فهي تعتبر أحد أبرز منابر البحث العلمي المرتبط بمجمل التحولات التي تعرفها المجتمعات، إلى جانب أدوارها التكوينية والتربوية. فتنمية وتقديم الشعوب رهين بتوفر الجامعة على جهاز "البحث العلمي" لأنه قناة التواصل بين الشعوب.

إن حدود العلاقة التي تصل الجامعة بالمجتمع نلامسها انطلاقا من المسألة النسائية باعتبارها موضوعا أصبح الاهتمام به في هذا الفضاء العلمي التربوي وأصبح محط الدرس والبحث في الجامعات الأمريكية والأوروبية والعربية الإسلامية ضمنها المغرب، رغبة في النهوض بأوضاع النساء وإعادة توزيع الأدوار بين الجنسين من أجل إدماج حقيقي للمرأة في المسار التنموي.

سأقرب هذا الموضوع من خلال الوقوف على السياق التاريخي المحلي والعالمي الذي جعل المرأة المغربية تصبح موضوع بحث مساهمة في نفس الوقت في إنتاجه، ثم نوعية التراكم المعرفي الذي تم تحقيقه، خاصة بكلية الآداب، ومدى مساهمته في فهم أوضاع النساء وإيجاد حلول للمشاكل الراهنة، انطلاقا من طرح عدة أسئلة منها:

ما هي الشروط التاريخية والاجتماعية التي أدت إلى بروز الدراسات النسائية برحاب الجامعة المغربية؟ هل كان للتجربة الأمريكية والأوروبية تأثير على التجربة المغربية؟ ما مدى انخراط الجامعة المغربية في هذه التجربة؟ ما هي نوعية الأبحاث والتكوينات التي تم إنجازها في إطار المسألة النسائية؟ هل البحث الجامعي يساير تطورات المجتمع بصفة عامة وتطورات المسألة النسائية بصفة خاصة؟ هل كان هناك تنسيق وتكامل بين التخصصات باعتبار أن المسألة النسائية تلامس جميع المجالات؟ ما مدى مساهمة الدراسات النسائية في توسيع التواصل الفكري والعلمي في رحاب الجامعة وخارجها؟ هل نجحت هذه التجربة في النهوض بأوضاع النساء؟

1. تجربة الجامعة الأمريكية والأوروبية في الدراسات النسائية: بدأ الاهتمام بالدراسات النسائية داخل الجامعة الأوروبية والأمريكية منذ سبعينات القرن العشرين، وقد عرف هذا القطاع تطورا بعد تزايد مطالب

الحركات النسائية المطالبة بالمساواة بين الرجال والنساء وخلق أقسام للدراسات النسائية بالجامعات خاصة منها دراسات النوع.

وقد تم تأسيس أول برنامج للدراسات النسائية في الولايات المتحدة في جامع سان دييغو سنة 1970 وبعد ذلك انتشرت في كثير من الجامعات الأمريكية إلى أن بلغ عددها ستة مائة برنامج في تسعينات القرن الماضي، وفي سنة 2012 أصبحت ست عشرة مؤسسة تمنح درجة الدكتوراه في النوع (بسام حسن المسلماني، [www.lahaonline.com](http://www.lahaonline.com)) وكان نتيجة هذا أن أصبحت الدراسات النسائية خاصة منها الانجلو ساكسونية ثم الفرنسية تتبنى مقاربة النوع الاجتماعي "الجنندر" الذي يحيل على الأوضاع والأدوار التي يحددها المجتمع للنساء والرجال سواء في الحياة الخاصة أو العامة، وهي أدوار غير ثابتة وقابلة للتغيير في الزمان والمكان داخل المجتمع نفسه وكذا من مجتمع إلى آخر، وذلك نتيجة تأثير مجموعة من العوامل تتمثل في التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها كل من الذكر والأنثى.

أحدثت الدراسات حول المرأة تأثيرا كبيرا في الحقل الأكاديمي وأفضت إلى تدشين حقل معرفي بهرجية أكاديمية الهدف منه مقاربة دور المرأة في التاريخ والاجتماع والحياة الأسرية والبنيات الاقتصادية والتربية والآداب والعلوم. كما أنها أرادت ان تكشف من خلال الأبحاث (Morgan,1984) أن الحركة النسوية لم تكن تهتم فقط بهوم النساء في أمريكا وأوروبا بل هي حركة عالمية. وقد نالت الشرعية من خلال عقد مؤتمرات نسائية في الأمم المتحدة (مؤتمر مكسيكو سنة 1975 ومؤتمر كوبنهاغن سنة 1980 ومؤتمر نيروبي سنة 1985 ومؤتمر بكين 1995).

تعتبر فرنسا من الدول الرائدة في مجال البحث في المسألة النسائية، خاصة الجانب التاريخي الذي لم يعرف الاهتمام اللازم لذا ظهرت لدى النساء المثقفات رغبة "للتعرف على شروط حياتهم الماضية من اجل مواجهة أفضل لمشاكلهم الراهنة" (Christiane KlapsichK, 1986:282) وقد تزامن هذا مع التطورات التي عرفتها مناهج التاريخ واتجاه مدرسة الحوليات إلى التنقيب في مواضيع جديدة ودقيقة مثل تاريخ النساء. وهكذا تأسس أول درس حول تاريخ النساء سنة 1973 بجامعة باريس 7 جوسيوياشرف ميشيل بيرو، مما فسح المجال أمام انجاز مجموعة من الأعمال توجت سنة سنتي 1990 و1992 بصدور عمل حول "تاريخ النساء في الغرب" بإشراف مؤرخين فرنسيين ميشيل بيرو وجورج دوبي (محمد حبيدة، 1998: 126).  
فهذه الأبحاث والدراسات أحدثت تأثيرا كبيرا داخل الحقل الجامعي وأفضت إلى تدشين تراكم معرفي بهرجية أكاديمية.

2. البدايات الأولى للبحث العلمي بالمغرب في المسألة النسائية: أصبحت المرأة موضوع بحث عندما وعت بذاتها مما دفعها، وبمساندة الرجل، إلى البحث في الجذور التاريخية والديناميات الاجتماعية التي جعلت المرأة تتعرض للظلم والتهميش، لفهم السياقات التي فرضت الهيمنة الذكورية في المجتمع (RajaaNadifi,2000:78).

لهذا ناضلت النسائيات والنسائيون على عدة مستويات منها الفكر الذي تبناه كأداة لتفكيك أوضاع المرأة والوقوف على إشكالية العلاقة بين الجنسين، ومن تم تغيير الذهنيات والموروث الثقافي لذلك اعتبرت "الحركة الثقافية الأكثر أهمية في الوقت الراهن هي حركة النساء"، إنها ترفض شرط المرأة التقليدي ومن تم فهي

تغير صورتنا إلى الذات." (Alain Touraine, 1984: 15) إذ من المؤكد أن أحد وظائف البحث العلمي هو الكشف عن جذور الخلل الذي يؤثر على وظيفة المجتمع، الذي تترابط فيه القضايا. ظهرت الكتابات الأكاديمية الأولى حول النساء بمبادرة الباحثة السوسولوجية فاطمة المرينسي خلال سبعينات القرن الماضي، وقد تميز مشروعها الفكري بالنهل من التاريخ والتراث للاستعادة من خلاله أوضاع المرأة وإثارة قضايا ظلت لفترات طويلة تنطوي في إطار المقدس والثابت، معتمدة في تحليلها مناهج علمية. والهدف هو زعزعة المجتمع وبنياته "وهي في كل ذلك لا تقارب إشكالية المرأة فحسب، وإنما العقل العربي أيضا" (بديعة الطاهري، 2018: 8) لإعادة تصحيح العديد من القضايا المتعلقة بالمرأة، وتحقيق مساواتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، مع الدعوة إلى القيم المبنية على الديمقراطية والحرية والحدثة والتجديد (يحيى عمارة، www.yahyaaamara.co).

وأول عمل أنجزته المرينسي وهي الأستاذة الجامعية كان سنة 1970 والمتمثل في استجابات أعطت فيها الكلمة للنساء النشيطات والكادحات والمستغلات والفقيرات (Fatima Mernissi, 1991) وبعد ذلك تلتها مؤلفات بلغ عددها خمسة عشر كتابا نذكر منها "ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية" و"الحريم السياسي، النبي والنساء" و"هل انتم محصنون ضد الحريم" و"العالم ليس حريما، خطاب النساء في المغرب" و"سلطانات منسيات" و"شهرزاد ترحل إلى الغرب" و"نساء على أجنحة الحلم" و"الخوف من الحدثة الإسلام والديمقراطية"، كما نظمت العديد من ورشات الكتابة وشاركت بالكثير من المقالات تصب جلها في قضايا نسائية.

تناولت المرينسي المسألة النسائية في بعدها التاريخي والتراثي وساهمت عبر كتاباتها في الكشف عن تاريخ وواقع النساء ليس بهدف ترسيخه ولكن بغرض تغييره وتطويره بحس نقدي حداثي "ظهرت كتابتها لتدمير الثابت أو تهميشه في الثقافة الذكورية عن المرأة، مثل المرأة الشيء والمرأة الدونية والمرأة المثال والمرأة الرمز... لصالح بناء نموذج المرأة الإنسان.

فالكثافة عندها تمرد على التفكير السائد والمتحجر الذي ظل يقيد إنسانيتها المسلوبة" (يحيى عمارة، نفسه)، مما جعلها تركز على مواضيع بذاتها كالعلاقة بين الجنسين عبر التاريخ معتبرة أن تفعيل الديمقراطية<sup>1</sup> هو الذي سيساهم بشكل فعال في إعادة توزيع الأدوار والسلط القانونية والمجتمعية بينهما، وفق منطق المساواة وهذا لن يتأتى إلا بالتربية والتنشئة وإنتاج قيم جديدة لا تخلط بين الاختلافات البيولوجية والوجود المجتمعي فالأولى معطاة والثانية مبناة ثقافيا واجتماعيا (عائشة حليم، 2017: 117).

لقد ساهمت كتابات المرينسي في خلق تراكم معرفي علمي حول النساء، وما يميز خطابها هو أنها لم تضعهن في خانة الكائن المغلوب على أمره، ولم تتكلم عنهن كضحايا ولم تقف عند وصف معاناتهن، بل كانت دائما

<sup>1</sup>تعتبر فاطمة المرينسي أن الديمقراطية عند العرب ليست من الأمور المحبذة، نظرا لما تزعمه من خوف حول الحدود التي صنعوها لذواتهم وتعكسها ضوابط المعاملات والعلاقات مع انفسهم ومع الغير. F.Mernissi, Islam et démocratie, édition Albin Michel, collection "espaces libres", 2010 p.99



تبرز نماذج قوية في تاريخ النساء، جعلت منهن ندا للرجل وسلطة موازية تتمكن من خلالها من فرض وجودها القيمي والرمزي والواقعي في كل مناحي الحياة، لتبرهن بأن التاريخ العربي الإسلامي والمغربي يزخر بنماذج من النساء اللواتي تمكن من اختراق الحدود، وتحدي الواقع لممارسة نصيب من السلطة وبرهن على أنهن مخططات واستراتيجيات، تلك هي الفكرة المحورية في جل كتابات المرينسي، أرادت أن تبرز فيها الجوانب القوية والايجابية للمرأة (زبيدة أشهبون، 2017: 6). ولتثبت أيضا أن إنتاج التاريخ لم يكن فقط بصيغة المذكر وإنما ساهمت فيه أيضا النساء.

لم تقتصر المرينسي على تشخيص واقع النساء وتشريح الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية المتحكمة في تنظيم العلاقة بين الجنسين، بل عملت على خلخلتها مع تقديم اقتراحات، مؤكدة على أن النضال الفكري والعلمي هو الذي سيمكن من بناء مجتمع يؤمن بالحرية والعدل والمساواة والديمقراطية وهذه كلها مواضيع تناولتها المرينسي بالدراسة مزاجية إياها بالأبحاث الميدانية المرتبطة بالفعل والتدخل.

3. إسهامات علمية حول قضايا نسائية: تعتبر الجامعة، منذ نشأتها، فضاء لإنتاج البحث العلمي المرتبط بصورة أو بأخرى بمجمل التحولات إلي يعرفها المجتمع المغربي والعالم، كما أنها فضاء لدراسة قضايا بعينها، كواقع المرأة، ومحاولة تطويره على المستوى النظري والمعرفي، عن طريق الإسهامات العلمية المتعددة التخصصات والمقاربات. مما أدى إلى إغناء البحث حول النساء بإصدار العديد من البحوث مع بداية التسعينات من القرن العشرين، التي اعتبرت مرحلة إنتاج نظري خصب، استفادت من التجارب السابقة خاصة تجربة الباحثة فاطمة المرينسي، التي أصبحت تعتبر نموذجا مميّزا في البحث حول النساء.

من بين أهم هذه الإنتاجات سلسلة "مقاربات"<sup>2</sup> تحت إشراف الأستاذة عائشة بلعربي والتي تضمنت العديد من المواضيع الهامة قارب فيها، مجموعة من الباحثات والباحثين، أوضاع النساء على عدة مستويات، تاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية وتربوية وأسرية.

ابتداء من سنة 1990 رأت النور سلسلة "المرأة والمؤسسات" بإشراف فاطمة الزهراء أزرويل، والتي أصدرت مؤلفات منها "المرأة بين القدسي والثقافي" (زينب ميعادي، 1992) و"المرأة المثالية" (أنيسة الشامي، 1992) و"النساء والتحويلات في المغرب: بين المنظور التقليدي والحياة العصرية" و"نساء ورجال: التغيير الصعب (فاطمة الزهراء أزرويل، 1992) ومؤلف "صورة المرأة في المؤسسة التعليمية" (عائشة بالعربي، 1992). يبقى الهاجس الرئيسي من هذه المؤلفات كما تقول الباحثة فاطمة الزهراء أزرويل هو "الانكباب على واقعنا من أجل فهمه وتحليله لأن قيمة العمل الثقافي تقاس أساسا بمدى اقتراب الباحث من الواقع واستشرافه لأفاق المستقبل، ومن هنا كان اختيارنا للأبحاث الميدانية كمرتكز لطرح إشكالية التغيير والتنمية في مجتمعنا المغربي العربي الإسلامي الراهن، وترصد مظاهر التحول في مستوياتها المتعددة وتبين انعكاساتها على

<sup>2</sup>ذكر من هذه الإصدارات، 1987.Femmes et pouvoirs، 1988.Femmes partagées(famille jeune، 1994.Femmes rurales، 1995.Femmes et Islam، 1997.Initiatives Fe- travail)، 1989.Corps au féminin، 1990.Couple en question، 1992.Etre minines، 1999.Femmes et démocratie، 2001.

طبعت كل هذه الاعمال في دار النشر الفنك .

تصورات الجنسين ، والعوائق الذاتية والموضوعية التي تجعل النساء والرجال يعيشون بقلق الانتقال من أشكال العلاقات التراتبية بينهما إلى الاقتناع بالمساواة واحترام المرأة على مستوى الوعي والممارسة.... لأن هدفنا هو أن نقرا معا قضايانا الحميمة الذاتية والموضوعية من خلال هذه الكتب ،ونتساءل ونتقدم ما نطرحه ونتباحث بشأنه " (فاطمة الزهراء أزرويل ،1992: 7-8).

وهناك سلسلة "نساء المغرب في أفق 2000" من تسيير الأستاذة فاطمة الهريسي ، والتي أصدرت أكثر من عشرين مؤلفا من بينها "المرأة والقانون بالجزائر" (نور الدين السعدي ،1990) و"المرأة والقانون بالمغرب " (عبد الرزاق مولاي رشيد) ، و"المرأة والقانون بتونس" (علياء شريف شماري) ، ومؤلف "دراسات نسائية ، دليل ويبيلوغرافيا" (ثورية الحضراوي ومريم منقاشي ، 1991). ثم سلسلة "مغربات مواطنات الغد" بإشراف عمر عزيمان وفاطمة الهريسي (RajaaNadifi,2000:80-81)

كما ساهمت أعمال الندوات والمؤتمرات الوطنية والدولية المنظمة من طرف مجموعات البحث حول النساء في التراكم المعرفي ، نذكر منها "الخطاب حول المرأة" (1997) و"حلقات في تاريخ المرأة بالمغرب" (1998) "المرأة في القرن العشرين" (2000) و"دور المرأة المغربية في ملحمة الاستقلال والوحدة" (2000) و"فضاءات نسائية" (2001) و"المرأة في الحقل السياسي" (2002) و"تمثيلات المرأة في المتخيل الشعبي والتراث الشفاهي المغربي" (2008).

هذا إضافة إلى تعدد الأبحاث الأكاديمية من حيث التخصصات ، حول واقع المرأة ، بين حضورها في الكتابات التاريخية والأدبية وفي الاقتصاد وفي الدين والسياسة... نذكر منها "المرأة والوضع الأسري" (نادية بلحاج ، 1997) و"نساء قرويات" (عائشة بلعربي ، 1996) و"الشباب والحجاب في المغرب: دراسة سوسولوجية" (إدريس بنسعيد ، 2007) و"المرأة والكتابة" (رشيدة بن مسعود ، 1994) و"المجال والحجاب في سوسولوجيا تأنيث التعليم في المغرب" (العلمي الخمار ، 2005) و"صورة المرأة في الفكر العربي نحو توسيع قيم التحرر" (عبد اللطيف كمال ، 2006) (A. Moulay 2006) "La condition de la femme au Maroc" Rchid, (1985)

"المرأة والسياسة دراسة سوسولوجية للقطاعات النسائية الحزبية" (أسماء بن ععادة ، 2007) و"المرأة والسياسة ، التمثيل السياسي في المغرب" (رقية المصدق ، 1990) و"أوضاع المرأة بالغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي" (أربوح زهور ، 2003) و"المرأة والمجتمع 1822-1912" (فاطمة العيساوي ، 2009) و"المرأة القروية بين الثوابت والمتغيرات منطقة دكالة نموذجا" (خديجة المسدالي ، 1999) و"المرأة في خطاب العلوم الاجتماعية من متغير الجنس إلى سؤال النوع" (فوزي بوخرىص ، 2016)

4. نماذج من مجموعات ووحدات بحث في الدراسات النسائية: مع بداية التسعينات من القرن الماضي وفي سياق تنامي المنظمات النسائية ، تأسست مجموعة من بنيات البحث والتكوينات المهمة بالمسألة النسائية في مختلف التخصصات والمقاربات برحاب الجامعات المغربية ، حتى تستجيب لتطلعات المجتمع ، خاصة بعد انطلاق برنامج إدماج المرأة في التنمية وخلق كتابة الدولة المكلفة بالأسرة والطفولة والأشخاص المعاقين. ومع بداية الألفية الثالثة دخل المغرب في سلسلة من الإصلاحات همت الجانب الحقوقي والقانوني المتمثل في إصلاح مدونة الأسرة سنة 2004 ، ومصادقة المغرب على مجموعة من المواثيق الدولية خاصة

المتعلقة بالغاء جميع إشكال التمييز ضد المرأة واعتماده سنة 2006 إستراتيجية إدماج مقارنة النوع الاجتماعي في السياسات العمومية وبرامج التنمية.

ومحاولة من الباحثين في المسألة النسائية التوفيق بين ما جاء في دستور 2011 والبحث العلمي للنهوض بأوضاع النساء خاصة المادة 19 التي تنص على "تمتع الرجل والمرأة على قدم المساواة بالحقوق والحريات المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية" وفي مادته 26 على أنه "تدعم السلطات العمومية بالوسائل الملائمة تنمية الإبداع الثقافي والفني والبحث العلمي". واعتمادا أيضا على ما ينص عليه الظهير رقم 1-00-199 (19 ماي 2000) الذي يتناول تنظيم التعليم العالي على "أن التعليم العالي يمارس وفقا لمبادئ حقوق الإنسان والتسامح، وحرية التفكير، والإبداع والتجديد باحترام تام للقواعد والقيم الأكاديمية الخاصة بالموضوعية، والصرامة العلمية والنزاهة الفكرية (Gaëlle Gillot, Rajaa "Nadifi, Cristina Herghelegiu, 2018:26)

كل هذه التحولات كان لها بالغ الأثر على البحث العلمي حول النساء وعلى تنامي بنيات البحث والتكوين خاصة في مجال النوع الاجتماعي، لأن إدماج ثقافة المساواة في جميع المجالات أصبحت ضرورة فلسفية واجتماعية وسياسية واقتصادية بالنسبة لأي مجتمع يريد أن يكون ديمقراطيا وعادلا.

كان الهدف من إنشاء مجموعات البحث في البداية هو خلق فضاء للنقاش والتحاور بتنظيم العديد من التظاهرات العلمية التي أسفرت عن إصدار العديد من المؤلفات تعالج قضايا نسائية.

من أهم مميزات مجموعات بحث في الدراسات النسائية أنها متعددة اللغات والتخصصات وتتخذ التكامل بينها مبدأ ومنهجيا في العمل اقتناعا منها بأن الحوار بين التخصصات من شأنه إعطاء دينامية جديدة للبحث في الدراسات النسائية بمنحها الفرصة للباحثات والباحثين للتناظر في قضايا تهتم المرأة، وتبادل الآراء والتجارب وتنمية وتعميق البحث العلمي وسد الفراغ الحاصل في هذا المجال وتوعية المجتمع بأوضاع النساء وبالتالي وضع الجامعة المغربية في صلب الإشكالية النسائية.

وهكذا تأسست في سنة 1978 أولى مجموعات بحث متعددة التخصصات حول المرأة والأسرة. وفي سنة 1981 تحولت إلى عمل بحث جماعي اتخذ اسم "المرأة والأسرة والطفل"، مكون من مجموعة من الأكاديميين كعمر عزيمان وعائشة بلعربي وعبد الرزاق مولاي رشيد وفاطمة المرنيسي (79: Rajaa Nadifi, 2000). كما ضم ثلاثين باحثة وباحثا ومجموعة من الطلبة من عدة تخصصات من أهم أهدافه هو الكتابة والبحث عن منهجية لمقاربة المسألة النسائية. تمكنت هذه المجموعة من إرساء القواعد الأولى للبحث في هذا المجال بإنجاز كتاب (Carnet d'adresses, Femmes Maghreb, 1993, 2002) من طرف مريم منقاشي وبتنسيق نفيسة السباعي.

كل المبادرات التي ظهرت في ما بعد من بينها مجموعات البحث استلهمت الفكرة من هذا العمل الجماعي.

أ-بنيات البحث بالجامعة المغربية (Le genre et l'université au Maroc:29-30)

سنة التأسيس	الهدينة	الجامعة	بنية البحث
1992	القنيطرة	جامعة ابن طفيل ، كلية الآداب	مجموعة بحث تاريخ النساء بالمغرب(أنوي)
1992	مكناس	جامعة مولاي إسماعيل ، كلية الآداب	ثانيت ، فريق متعدد التخصصات في البحث حول المرأة
1993	الرباط ، أكادال	جامعة محمد V ، كلية الآداب	المجموعة الجامعي للدراسات النسائية
1995	مكناس	جامعة مولاي إسماعيل	مجموعة بحث في النساء
1996	أكادير	جامعة ابن زهر ، كلية الآداب	المجموعة الأكاديمية للأبحاث والدراسات النسائية
1996	الدار البيضاء	جامعة الحسن II ، بنمسيك	مركز الدراسة النسائية زرقاء اليمامة
1998	فاس	جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، كلية الآداب ، ضهر مهران	مركز الدراسات والبحوث النسائية
1999	إفران	جامعة الأخوين	مركز كلينتون لتمكين النساء
1999	الرباط	جامعة محمد V ، أكادال ، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية	مجموعة بحث في دراسات النوع والتنهية
1999	الرباط القنيطرة	جامعة محمد V ، السويسي ، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة ابن طفيل ، كلية الآداب	كرسي اليونسكو المرأة وحقوقها
2000	مراكش	جامعة القاضي عياض ، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية	مركز الدراسات والأبحاث حول المرأة والأسرة
2000	الدار البيضاء	جامعة الحسن II ، كلية الآداب ، عين الشق	فريق البحث والدراسات في النوع
2000	الدار البيضاء	جامعة الحسن II ، كلية الآداب ، عين الشق	مجموعة أبحاث ودراسات في النوع بالمغرب
2007	القنيطرة	جامعة ابن طفيل ، كلية الآداب	مجموعة بحث دراسات في النوع
2010	الرباط	مدرسة الحكامة والاقتصاد	مركز البحث حول إفريقيا والبحر المتوسط
2011	الرباط	الرابطة المحمدية لعلماء المغرب	مركز الدراسات والأبحاث النسائية في الإسلام
2012	وجدة	جامعة محمد الأول ، كلية الآداب	فريق البحث في الهوية والاختلاف
2013	الدار البيضاء	جامعة الحسن II ، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية ، طريق الجديدة	فريق البحث في الحقوق والاقتصاد والتدبير والنوع
2015	الدار البيضاء	جامعة الحسن II ، كلية الآداب ، عين الشق	مختبر النوع والتربية والاداب والإعلام

من أجل تحقيق الأهداف المنشودة عملت مجموعات البحث التي راكمت نضجا علميا حول المسألة النسائية على خلق شبكات من أجل تنسيق أفضل ، مع استغلال النظام المعلوماتي لتيسير التنسيق بين بنيات البحث حتى تعم الإفادة وبالتالي مساعد الباحثين والباحثات على بناء إطار نظري يسمح بفهم وتحليل أوضاع النساء بالمغرب .

لكن رغم المجهودات التي تبذلها هذه المجموعات ووحدات البحث من حيث التشبيك وتنظيم لقاءات علمية وخلق نقاش هادف ورغم ما تضمه من مؤهلات علمية ، فان إشكالية النسائية لازالت تعترضها مشاكل واقعية ونظرية ، من أهمها عدم توثيق وفهرسة كل الأبحاث التي أنجزت حول النساء مما يؤدي إلى صعوبة الحصول على المعلومة .

**ب- هياكل التكوين في مقارنة النوع الاجتماعي:** عرفت المنظومة التعليمية الجامعية مجموعة من الإصلاحات بتبنيها نظام الوحدات في الإجازة والماستر والدكتوراه (L.M.D) مما سمح بخلق هياكل التكوين خاصة في النوع الاجتماعي بدعم من باحثات وباحثين في الدراسات النسائية ، لإثبات العلاقة القوية بين البحث العلمي والتنمية والدور الذي يمكن أن تلعبه مقارنة النوع الاجتماعي في إعادة توزيع الأدوار بين الجنسين على أساس المساواة والديمقراطية ، وإيماننا بالدور الكبير الذي تلعبه المنظومة التعليمية في التوعية والتحسيس .

وعلى هذا الأساس تم فتح سبعة تكوينات في مقارنة النوع الاجتماعي في الماستر ودبلوم الدراسات المعمقة المتخصصة ودبلوم دكتوراه ما بين سنتي 2000 و2010 ، التي عرفت إقبالا من الطلبة وبالتالي تزايد عدد

البحوث في هذا المجال (Le genre et l'université au Maroc: 30)

سنة التأسيس	المدينة	الجامعة	التكوين
2000	مكناس	جامعة مولاي إسماعيل ، كلية الآداب	وحدة التكوين والبحث ، المرأة والتنمية
2004	مراكش	جامعة القاضي عياض ، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية	دبلوم الدراسات العليا المتخصصة ، النساء والحضارات والنظم القانونية
2006	الدار البيضاء	جامعة الحسن II ، كلية الآداب ، عين الشق	ماستر النوع والمجتمع والثقافة
2007	فاس	جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، كلية الآداب ، شهر مہراز	ماستر النساء ودراسات النوع
2008	طنجة	جامعة عبد المالك السعدي ، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية	ماستر النوع وحقوق النساء في ضفتي البحر المتوسط
2008	الدار البيضاء	جامعة الحسن II ، كلية الآداب ، عين الشق	تكوين في الدكتوراه ، النوع والثقافة والمجتمع
2009	الرباط	جامعة محمد V ، أكادال ، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية	ماستر النوع والسياسات العمومية
2009	وجدة	جامعة محمد الأول ، كلية الآداب	ماستر النوع والمجتمع والتنمية البشرية
2009	أكادير	جامعة ابن زهر ، كلية الآداب	ماستر الأدب المقارن (يهتم بالنوع)

الملاحظ أن كل هذه البنيات سواء البحثية أو التكوينية مؤسسة من طرف أستاذات و أستاذة جامعيين وأنها تصب في تخصصات متعددة كما أن موضوعاتها تسير تطورات المجتمع بصفة عامة والمسألة النسائية بصفة خاصة. مما جعل لها أثرا واضحا على النهوض بأوضاع النساء خاصة بعد دخول الدراسات النسائية في شراكات مع المجتمع المدني والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية والمنظمات الدولية ، وإن كانت هذه الأخيرة تدعم بشكل قوي ومستمر هذا النوع من البحث داخل الجامعة المغربية من أجل الدفع بالمساواة بين الجنسين لأنها أساس تقدم المجتمعات.

رغم كل الجهود المبذولة من طرف الباحثات والباحثين ، فإنه لازالت هناك بعض المعوقات التي تقف في طريق تطوير الدراسة حول النساء حتى تستجيب لتطلعات المجتمع المغربي منها ، غياب تنسيق ناجع بين الجامعات التي تهتم بالموضوع ، والذي يمكن أن يلعب دورا بارزا في تقاسم الموارد والوسائل وآليات العمل بين الباحثين وباقي مكونات المجتمع ، لذلك يطالبون بإنشاء مركز للبحث والتوثيق حول المرأة والنوع لتكون الاستفادة أكثر سواء على مستوى التكوينات أو الأبحاث التي تعاني من سوء التوزيع المنتظم إذ تبقى حبيسة دائرة أكاديمية ضيقة ومغلقة ولا تخرج إلى كل فئات المجتمع (Le genre et l'université au Maroc,2000: 58)

5. تجارب جامعية ، تجربة جامعة ابن طفيل نموذجا: تعتبر كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن طفيل بالقنيطرة والتي تأسست سنة 1985 من بين المؤسسات الرائدة في مجال البحث العلمي المرتبط بالمسألة النسائية من خلال تخصصات مختلفة ، إذ تأسست بها أول مجموعة بحث في "تاريخ النساء بالمغرب" بمبادرة مجموعة من الأساتذة سنة 1992 أطلق عليها اسم "أنوي" وهو اسم للأميرة أمازيغية عاشت في مدينة ولبلي قبل الإسلام(م. منقاشي، م. حبيدة ، 2009). من أهم أهداف المجموعة البحث في تاريخ النساء لإبراز أدوارهن في الحكم والسلطة والفكر والمجتمع ، والبحث أيضا في الأسباب التي أدت إلى النسيان أو التناسي في التوثيق لتاريخ النساء وبالتالي لذاكرة المجتمع ، وهي الأسباب المتصلة بتحديد ما هو مهم (العام الرسمي) يستحق التدوين وما هو غير مهم (العمل الاسري الخاص) لا يستحق التدوين ، لذا لم يبرز في التواريخ الكبرى إلا النساء الآتي لهن علاقة مباشرة مع دائرة السلطة والحكم والفئة العليا من نساء السلاطين والخلفاء والأثرياء.(مريم بوزياني ، 2017: 60) ، لأنه لا يمكن فهم الأوضاع التي تعيشها النساء اليوم دون الرجوع إلى الماضي وتفكيكه للوقوف على إشكالية العلاقة بين الجنسين ومراجعة المفاهيم والنظريات التي تم إنتاجها في القرون الماضية ، والتي تخللتها "نزعة ذكورية". لتحقيق هذه الأهداف قامت مجموعة "أنوي" بتنظيم لقاءات أسبوعية بكلية الآداب القنيطرة عرفت باسم "خميس أنوي" كان يحضرها أساتذة من تخصصات مختلفة ، يقدمون أمام الطلبة تجاربهم ونتائج أبحاثهم في الدراسات النسائية ، إلى جانب تنظيمها ندوات دولية والهدف هو إتاحة الفرصة للباحثين المغاربة والأوروبيين لمناقشة موضوع النوع وإشكالية العلاقة بين الجنسين من القديم إلى الزمن الراهن ، مع اجتناب السرد الخطي لوضعية النساء وتركيز الاهتمام على الأشكال الاجتماعية والقانونية والسياسية والدينية والثقافية التي شيدت أنماطا خاصة من العلاقات بين الجنسين ، احتذاء بالتجربة الأوروبية خاصة منها الفرنسية تحت إشراف ميشيل بيرو وكريستيان كلايش(م.منقاشي ، م.حبيدة ، 2009).

وفي سنة 1998 تأسست "جمعية شمل للأسرة والمرأة" برحاب الكلية من طرف أساتذة من مختلف التخصصات، والذي يميزها هو جمعها بين البحث العلمي والعمل والتراعى لتوفرها على آليات اكتساح المبدان والقيام ببحوث وامتلاكها أدوات منهجية أكاديمية تمكنها من تحليل المعطيات والخروج بنتائج تخدم القضية النسائية، مستفيدة في ذلك من الدعم الوطني والدولي وتبقى تجربة "جمعية شمل" تجربة فريدة من نوعها في الجامعة المغربية.

كما عرفت سنة 1999 احتضان الكلية لكرسي اليونسكو "المرأة وحقوقها" الذي اعتبر إضافة نوعية للبحث في المسألة النسائية. وفي سنة 2006 تأسست وحدة بحث في "دراسة النوع"

إضافة إلى البحث العلمي وإصدار أبحاث حول الدراسات النسائية عمل الأساتذة على تكوين الطلبة في النوع عن طريق خلق وحدات على مستوى الإجازة والماستر، وتوجيههم لإنجاز بحوث في الموضوع، نذكر منها "النساء المغاربيات زمن الاستعمار الموروثات والمتغيرات" (سعاد زبيطة، 2017) و"تعليم الفتيات المغربيات خلال فترة الحماية الفرنسية 1912-1956" (لبنى العماري، 2018)

"La représentation de la femme dans la littérature subsaharienne de 1953 à 2009, étude de treize romans" (Nabila Bhih, 2013).

ساهمت كل هذه البنيات العلمية والتكوينية في خلق تراكم معرفي مني على مقاربة النوع الاجتماعي، من خلال تنظيم الكثير من اللقاءات العلمية، وإصدار مؤلفات، مثل "إمكانية كتابة تاريخ النساء في المغرب" (1995) و"تاريخ النساء في المغرب الأقصى وردات الفعل" (1999) و"الأسرة والمواطنة" (2002) و"النساء والعنف في الجامعة المغربية" (2003) و"صورة المرأة ونظرة المجتمع" (2005) و"دفاتر النوع" (2007) و"النوع السلطة والمجتمع" (2012)... وهي مبادرات أساسية في طريق توسيع نوع من التواصل الفكري والعلمي في رحاب الجامعة وخارجها حول المسألة النسائية.

#### خاتمة

إن الهدف من البحث العلمي والإنتاج الفكري هو خلخلة الأفكار والممارسات التي تشرعن الحيف الممارس ضد النساء ومحاولة إعادة بناء العلاقات بين الجنسين التي عرفت، منذ البدايات الأولى لظهور أبحاث أكاديمية، تحولات عميقة في بعض جوانبها على مستوى تـمدرس الفتيات في جميع أسلاك التعليم، ولوجهن وظائف كانت حكرًا على الرجال ودخولهن المجالات العامة والمشاركة السياسية من خلال الانخراط في التنظيمات الحزبية. إضافة إلى التعديلات التي عرفتها مجموعة من القوانين التي تهتم المساواة والمناصفة والمواطنة وإن بقي تنزيلها تعترضه بعض المشاكل.

من أهم الاستنتاجات التي يمكن الخروج بها هي أن الانتاجات العلمية حول النساء تطورت مواضيعها تبعًا لتطور المجتمع المغربي، فمع بداية سبعينات القرن الماضي ركزت على الصحة والعمل والتربية وفي مرحلة التسعينات اهتمت بمسألة المشاركة السياسية للمرأة ومع حلول الألفية الثالثة وما صاحبها من تحولات تشريعية وقانونية، أصبح البحث العلمي يركز على مواضيع آنية ومستقبلية مثل المناصفة والديمقراطية والمطالبة بتبني مفهوم مقاربة النوع الاجتماعي في السياسات العمومية للقضاء على التمييز بين الجنسين وإدماج المرأة في التنمية. وفعلا فسحت هذه المقاربة للمرأة ارتياد مجالات غير مسبوقه لكي تساهم فيها ومن

مواقع شتى. كما وقع ارتفاع مفاجئ في عدد النساء الباحثات الآتي فرضن أنفسهن في مجال إنتاج المعرفة بالمغرب أصبحن يعبرن عن ذواتهن.

رغم الجهود المبذولة لازال البحث العلمي حول النساء يعاني من بعض المشاكل خاصة منها مسألة التنسيق بين الباحثين من جهة والتنسيق بينهم وبين جمعيات المجتمع المدني من جهة ثانية. لهذا يطالب الباحثون في هذا الميدان بتقوية بنيات البحث داخل الجامعة المغربية بخلق وتأسيس وحدات وإجازات ودبلوم الدراسات العليا المتخصصة وتطوير دراسات الدكتوراه في مجال الدراسات النسائية، أي مأسسة النوع الاجتماعي بخلق أقسام داخل الجامعة المغربية ودعمها لوجيستيكيا ومعنويا، نظرا للدور البارز للعلوم الإنسانية في السيرورة التنموية، ومدى استفادة مراكز القرار من البحوث التي تنجز في الجامعات المغربية.

#### قائمة المراجع

- أرزوي لفاطمة الزهراء، 1992، نساء ورجال: التغيير الصعب، الفنك، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.  
أشهون زبيدة، 2017، المرأة والسلطة قراءة في كتاب ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، فاطمة المريني مسار وعطاء، شعبة علم الاجتماع، كلية الآداب، فاس، المغرب.  
بوزياني مريم، 2017، عود إلى التاريخ قراءة في سلطانات منسيات لفاطمة المريني، فاطمة المريني مسار وعطاء، شعبة علم الاجتماع، كلية الآداب، فاس، المغرب.  
حبيدة محمد، 1998، البحث في تاريخ النساء تجربة الغرب نموذجاً، مجلة أمل، ع 13-14، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.  
حفصاوي حبيبة، 2018، النسائية تقاطع الفعل والفكر في حركة عابرة للقارات البعد النسائي في مشروع فاطمة المريني، فاطمة المريني ملامح من مشروعها الفكري والأدبي، جمعية الباحثات بجنوب المغرب، أكادير، المغرب.  
حليم عائشة، 2017، الجنس والديمقراطية: محددات العلاقة بين الجنسين في المجتمع العربي الإسلامي عند المريني، فاطمة المريني مسار وعطاء، شعبة علم الاجتماع، كلية الآداب، فاس، المغرب.  
ربيع مبارك، 1997، صورة المرأة في المتخيل الشعبي، الخطاب حول المرأة، مجموعة البحث الجامعي للدراسات النسائية، كلية الآداب، الرباط، المغرب.  
عمارة يحيى، فاطمة المريني بين الثابت والمتحول، [www.yahyaaamara.com](http://www.yahyaaamara.com)  
المسلماني بسام حسن، دراسات الجندر في جامعاتنا وتأثيرها على المجتمع، <https://www.lahaonline.com/articles/46789> 16 نونبر 2016.  
يقطين سعيد، 1997، الجامعة المغربية والمعرفة الأدبية، الجامعة والأدب والمجتمع، فكرة الجامعة، شعبة اللغة الإنجليزية وآدابها، كلية الآداب، الرباط، المغرب.

-Ammor Fouad, 2000, La démocratie au féminin enjeux et perspectives, un siècle de femmes, le féminin pluriel, Rabat.

-Christiane Klapsich – Zuber, 1986, Femmes, Dictionnaire des sciences historiques, P.U.F, Paris de l'acteur, fayard, 1984.- Touraine Alain, le retour-

-Gaelle Gillot, Rajaa Nadifi, Cristina Herghelegiu, 2018, Un développement menacé malgré un contexte favorable, le genre et l'université au Maroc, état des lieux, enjeux et perspectives, UNESCO, Rabat, Maroc

-Le genre et l'université au Maroc, état des lieux, enjeux et perspectives, 2018, UNESCO, Rabat, Maroc.

-Mernissi Fatima, 1991, Le Maroc raconté par ses femmes, S.M.E.R, Rabat, Maroc. 16

-Islam et démocratie, 2010, édition Albin Michel, collection "espaces libres, Paris, France.

-Nadifi Rajaa, 2000, La recherche sur le féminin au Maroc essai d'approche, un siècle de femmes, le féminin pluriel, Rabat.

-Robin Morgan, sisterhood is global, 1984.

-joseph. ucdavis.ed/ ewic../all/women\_gender\_studis .pdf.



## تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية داخل الوسط الجامعي

- دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة العربي التبسي - الجزائر
- د. صافي لطيفة ، جامعة الشيخ العربي التبسي - الجزائر
- د. غربي رمزي ، جامعة الشيخ العربي التبسي - الجزائر

### الجانب المنهجي:

#### 1: مقدمة:

لقد أحدثت شبكات التواصل الاجتماعي تطورا كبيرا على كافة المستويات ، و شكلت فضاء افتراضيا نقل المستخدم من متلقي سلبي و غير متفاعل إلى مستخدم أكثر نشاطا و تفاعلا، وتعد شبكات التواصل الاجتماعي من أكثر المواقع الإلكترونية استخداما في العصر الرقمي لها لها من مميزات وانتشار واسع و تفاعل، وهي نتاج طبيعي نشأ لحاجة الأفراد إلى وجود علاقات اتصالية و إنسانية فيما بينهم ، و فتح مجال للحوار التفاعلي بشكل متطور. حيث أصبحت شبكات التواصل الافتراضي الظاهرة الإعلامية الأبرز في وقتنا المعاصر متخطية بذلك وسائل الإعلام التقليدية ، وباتت مصدرا للأخبار والمعلومات والترفيه وهذا ما جعلها تصبح قبلة لمختلف فئات المجتمع خصوصا فئة الشباب ، ورغم تعدد وتنوع شبكات التواصل الاجتماعي إلا أن الفيسبوك يعتبر أكثر المواقع أهمية وأحدث منتجات تكنولوجيا الاتصال والأكثر شعبية ، وهذا لما يميزه من قدرة على التواصل والتحاور مع الآخرين حيث صار بإمكان الواحد منا أن يربط علاقات مع الآخر وهو بعيد عنه زمانيا ومكانيا ، وهذا ما ساعد على تشكيل شبكة من العلاقات الاجتماعية عبر هذا الفضاء الافتراضي ، وقد امتد استخدامه ليشمل مختلف المجالات سياسية واقتصادية وحتى على المستوى الجامعي والأكاديمي ، حيث عرف انتشارا كبيرا في صفوف الشباب الجامعي وهذا للتواصل مع الزملاء والأصدقاء ، وهذا ما ساهم في بناء علاقات اجتماعية افتراضية عبر هذه الشبكات الإلكترونية ، وإذا كانت هذه الوسائط قد ساعدت على بناء نسيج من العلاقات الاجتماعية واختزال المسافات واختصار الوقت ، فإنها بالمقابل عملت على عزل الأفراد وتفكيك العلاقات فيما بينهم ، وهذا ما خلق نوعا من الانطوائية وعزلة الأفراد وعزوفهم عن محيطهم الأسري والاجتماعي.

لهذا سنحاول في هذه الورقة البحثية التطرق إلى مفهوم شبكات التواصل الاجتماعي، نشأة الشبكات الاجتماعية ، أنواع موقوع الشبكات الاجتماعية ، مجالات استخدام الشبكات الاجتماعية وخصائص الشبكات الاجتماعية ثم سنعرج على العلاقات الاجتماعية من حيث معناها ومضمونها ، أنواعها وتصنيفاتها ، ثم سنسلط الضوء في الأخير على الدراسة الميدانية بجامعة العربي التبسي مرفقة بالنتائج.

#### 2: أسباب اختيار الموضوع:

- ظهور وسائل اتصال حديثة أفرزت ما يسمى الاتصال الشبكي عبر فضاء افتراضي كسر حاجزي الزمان والمكان هو ما دفعنا إلى محاولة معرفة مدى فاعلية هذه التقنيات والوسائل في المحيط الأكاديمي.
- حداثة المجال الذي تتناوله الدراسة وقلّة الدراسات والبحوث التي عالجتة.

### 3: أهمية وأهداف الدراسة:

#### أ: أهمية الدراسة:

- تأتي هذه الدراسة مواكبة للتطورات التكنولوجية الحديثة واستخدامها على المستوى الجامعي.
- إسهامها في توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في المجال الأكاديمي لتسهيل التواصل بين الطلاب.

#### ب: أهداف الدراسة:

- التعرف على أبرز استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي في مجال التعليم العالي ومدى الاستفادة المرجوة منها.
- التعرف على مدى التأثير الذي تحدثه الشبكات الاجتماعية على العلاقات الاجتماعية لدى الطلبة الجامعيين.

### 4: الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: استخدام مواقع التواصل الاجتماعي ال (Facebook) وتأثيرها في العلاقات الاجتماعية ، لأفنان محمد شعبان ، جامعة بغداد ، مركز بحوث السوق وحماية المستهلك ، يتناول موضوع البحث استخدام الفيسبوك وتأثيراته التي يتركها في العلاقات الاجتماعية ، حيث تم إجراء دراسة ميدانية على عينة قوامها 130 طالب من طلبة جامعة بغداد من الذكور والإناث في كلية العلوم السياسية والزراعة والعلوم والتربية بنات ، وباستخدام استمارة استبانة ، واعتمادا على المنهج الوصفي ، وكشفت النتائج عن وجود تأثير كبير للفيسبوك في العلاقات الاجتماعية للمستخدمين وابتعادهم عن واقعهم وقضاء أوقات طويلة أمام الوسائل التي تتيح التعامل مع الفيسبوك مما يترك تأثيرات إيجابية وسلبية على المستخدمين .

الدراسة الثانية: استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية -دراسة على عينة من مستخدمي موقع الفيسبوك في الجزائر-، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال ، لمريم ناريمان نومار ، 2012 ، تتناول الدراسة أثر استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية على المستخدمين الجزائريين من خلال دراسة عينة منهم لمعرفة مدى تأثير الاستخدام المفرط لمواقع الشبكات الاجتماعية التي تسمح بنسج علاقات اجتماعية افتراضية ، مبنية على التشارك والتقاسم لمجموعة من التطبيقات والفيديوهات والصور ، وباستخدام استمارة استبانة ، واعتمادا على المنهج الوصفي ، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

تقضي النسبة الأكبر من الباحثين أكثر من ثلاث ساعات في استخدام الفيسبوك ، ويفضل أغلبهم خدمة التعليقات والردود بالدرجة الأولى . يستخدم أغلب أفراد العينة موقع الفيسبوك بدافع التواصل مع الأهل والأصدقاء إلى جانب الترفيه ، وقد بينت النتائج أن هنالك فروق ذات دلالة إحصائية بين استخدام الذكور والإناث ، وتبين أيضا أن الباحثين الأكبر سنا يتعاملون بنوع من الوعي عند استخدامهم لموقع الفيسبوك ، كما أسفرت الدراسة أن استخدام هذا الموقع يؤثر في الاتصال الشخصي وجها لوجه ، وفي تفاعل المستخدمين مع أسرهم وأقاربهم وأصدقائهم كما يؤدي إلى الانسحاب الملحوظ للفرد من التفاعل الاجتماعي .

الدراسة الثالثة: أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية "الفيسبوك وتويتر نموذجاً" ، دراسة ميدانية على عينة من طالبات جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع ، لحنان بنت شعشوع الشهري ، 1434هـ ، تأتي هذه الدراسة لرصد أثر استخدام شبكات التواصل الإلكترونية وتحديد الفيسبوك وتويتر على العلاقات الاجتماعية لعينة من طالبات جامعة الملك عبد العزيز

بعده مكونة من 150 طالبة بطريقة قصدية، وباستخدام أداة الاستبيان، واعتمادا على منهج المسح الاجتماعي،

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن من أقوى الأسباب التي تدفع الطالبات لاستخدام الفيسبوك وتويتر هي سهولة التعبير عن آرائهن واتجاهاتهن الفكرية التي لا يستطعن التعبير عنها صراحة في المجتمع وأشارت النتائج كذلك أن الطالبات استفدن من هذين الموقعين في تعزيز صداقاتهن القديمة والبحث عن صداقات جديدة. والتواصل مع أقربهن البعيدين مكانيا. كما تبين أيضا أن لاستخدام الفيسبوك وتويتر العديد من الآثار الإيجابية أهمها الانفتاح الفكري والتبادل الثقافي فيما جاء قلة التفاعل الأسري أحد أهم الآثار السلبية. وتشير النتائج -أيضا- إلى وجود علاقة ارتباطية عكسية بين متغيري العمر والمستوى الدراسي وبين أسباب الاستخدام وطبيعة العلاقات الاجتماعية والإيجابيات والسلبيات كما توجد علاقة ارتباطية موجبة بين متغير عدد الساعات وبين أسباب الاستخدام ومعظم أبعاد طبيعة العلاقات الاجتماعية والإيجابيات في حين أثبتت النتائج وجود علاقة ارتباط طردية بين متغير طريقة الاستخدام وبين أسبابه وطبيعة العلاقات الاجتماعية والإيجابيات والسلبيات.

**5:منهج البحث:** وتتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي الذي يعتبر طريقة لوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كما وكيفا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة و تصنيفها وتحليلها، و يعرف أيضا لأنه الطريقة المنظمة لوصف الظواهر وذلك عن طريق جمع و تصنيف وتحليل وتفسير المعطيات النظرية، والبيانات الميدانية بغية الوصول إلى النتائج العلمية(رشيد، زرواتي، 2004).

**6.عينة البحث:** وتعرف العينة على أنها مجموعة الأفراد المختارة من المجتمع على أسس علمية وتأخذ أشكالاً مختلفة بناءً على ظروف البحث(محمد، عبد الحميد، 2002)، وقد كانت عينة دراستنا عشوائية قصدية والتي شملت الشباب الجامعي من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي من مختلف التخصصات والمستويات في كل من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية وكذا كلية الحقوق والعلوم السياسية وأيضاً كلية الآداب واللغات الأجنبية بجامعة العربي التبسي.

**7.أدوات جمع البيانات:** إن دقة أي بحث علمي تتوقف إلى حد كبير على اختيار الأدوات المناسبة التي تتماشى وطبيعة الموضوع وإمكانيات الباحث للحصول على البيانات والمعطيات.

**الاستبيان: Questionnai:** يعد الاستبيان وسيلة من وسائل جمع المعلومات. وقد يستخدم على إطار واسع ليشمل الأمة أو في إطار ضيق على نطاق المدرسة، وبطبيعة الحال فهو يختلف في طوله ودرجة تعقيده(منذر، عبد الحميد الضامن، 2007).

وقد اشتملت استمارة الاستبيان على 15 سؤالاً موزعة على ثلاثة محاور هي :

المحور الأول: البيانات الشخصية للمبحوثين والتي شملت: النوع، السن، المستوى التعليمي، والتخصص العلمي.

المحور الثاني: استخدام شبكات التواصل الاجتماعي داخل الوسط الجامعي.

المحور الثالث: تأثير استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية لدى الطلبة الجامعيين.

الجانب النظري:

### أولاً. شبكات التواصل الاجتماعي:

1. مفهوم شبكات التواصل الاجتماعي: وتعرف الشبكات الاجتماعية بأنها: "شبكة مواقع فعالة جدا في تسهيل الحياة الاجتماعية بين مجموعة من المعارف والأصدقاء، كما تمكن الأصدقاء القدامى من الاتصال بعضهم البعض وبعد طول السنوات، وتمكنهم أيضا من التواصل المرئي والصوتي وتبادل الصور وغيرها من الإمكانيات التي توطن العلاقة الاجتماعية بينهم(حسن، محمود هتيمي، 2015).

2. نشأة الشبكات الاجتماعية: بدأت مجموعة من الشبكات الاجتماعية في الظهور في أواخر التسعينيات مثل Classmates.com عام 1995م لربط زملاء الدراسة وموقع SixDegrees عام 1997 وركز ذلك الموقع على الروابط المباشرة بين الأشخاص. وظهرت في تلك المواقع الملفات الشخصية للمستخدمين وخدمة إرسال الرسائل الخطية مجموعة من الأصدقاء وبالرغم من توفير تلك المواقع لخدمات مشابهة لها توجد في الشبكات الاجتماعية الحالية إلا أن تلك المواقع لم تستطع أن تدر ربحا لها لكيها وتم إغلاقها. وبعد ذلك ظهرت مجموعة من الشبكات الاجتماعية التي لم تستطع أن تحقق النجاح الكبير بين الأعوام 1999 و2001 في السنوات اللاحقة ظهرت بعض المحاولات الأخرى لكن الميلاد الفعلي للشبكات الاجتماعية كما نعرفها اليوم كان سنة 2003. لكن لم يتم التوافق على شروط الاستحواذ، في النصف الثاني من نفس العام ظهرت في فرنسا شبكة skyrock كمنصة للتدوين، ثم تحولت بشكل كامل إلى شبكة اجتماعية سنة 2007. وقد استطاعت بسرعة تحقيق انتشار واسع لتصل حسب إحصائيات يناير 2008 إلى المركز السابع في ترتيب الشبكات الاجتماعية حسب عدد المشتركين.

ومع بداية 2005 ظهر موقع يبلغ عدد مشاهدات صفحاته أكثر من جوجل وهو موقع ماي سبيس الشهير ويعتبر من أوائل وأكبر الشبكات الاجتماعية على مستوى العالم ومعه منافسه الشهير فيس بوك والذي بدأ أيضا في الانتشار المتوازي مع ماي سبيس حتى قام فيس بوك في عام 2007 بإتاحة تكوين التطبيقات للمطورين وهذا ما أدى إلى زيادة أعداد مستخدمي فيس بوك بشكل كبير ويعتقد أن عددهم حاليا يتجاوز 900 مليون مستخدم على مستوى العالم(ماهر، عودة الشمايلة، محمود، عزت اللحام، مصطفى، يوسف كافي، 2015).

### 3. أهم مواقع الشبكات الاجتماعية: يمكننا تلخيص هذه المواقع فيما يلي:

موقع الفيس بوك: يعتبر الفيس بوك واحدا من أهم مواقع التشبيك الاجتماعي، وهو يمثل منتدى اجتماعي وقاعدة تكنولوجية سهلة بإمكان أي شخص أن يفعل بواسطتها ما يشاء ويعتمد الموقع في ذلك على معطين هنا:

- حجم المشتركين فيه.

-تميزه من الناحية التكنولوجية التي تريد أن تجعلها متاحة للجميع.

التويتير Twitter: وهو عبارة عن موقع شبكات اجتماعية مصغر، يسمح لمستخدميه بإرسال وقراءة تعليقات لا تتجاوز 140 حرف ورمز، وهذه التعليقات تعرف باسم تغريدات تويتير، تم إنشاؤه في مارس 2006م، بواسطة الأمريكي جاك دورسي.

**يوتيوب Youtube:** تأسس اليوتيوب كموقع مستقل في 14 فيفري 2005، بواسطة ثلاث موظفين هم: الأمريكي تشاد هيلري والتايواني تشين والبنغالي جاود كريم الذين يعملون في شركة Paypal المتخصصة في التجارة الالكترونية، غير أن جاود كريم ترك رفقاءه للحصول على درجة علمية من كلية ستانفورد ليصبح الفضل الحقيقي في ظهور هذا الموقع للثنائي الآخرين اللذان نجحا في تكوين أحد أكبر الكيانات في عالم الويب في الوقت الحالي (باديس، مجاني، 2019).

4. مجالات استخدام الشبكات الاجتماعية: ويمكن إيجازها بالنقاط التالية:

-التعارف والصداقة: وهو أهم أوجه استخدامات الشبكات الاجتماعية، وهي بداية كل مستخدم في إقامة علاقات اجتماعية من خلال الشبكة.

-إنشاء شبكات للجهات والمؤسسات المختلفة: من أهم مميزات الشبكات الاجتماعية في بيئة الويب 2.0 هي إمكانية شراء شبكات داخلها تجمع الأفراد تحت مظلتها، فيمكن لأي جهة إنشاء شبكة لها ويشترك فيها كل العاملين في تلك الجهة.

-إنشاء مجموعات اهتمام: وهي متاحة على الإنترنت منذ وقت بعيد، وكذلك مواقع شهيرة تقدم تلك الخدمة مجاناً بعدما كانت تقدم بمقابل مادي في بداية ظهور الخدمة، إلا أن تقديم هذه الخدمة من خلال الشبكات الاجتماعية جعل لها مذاق خاص مختلف تماماً، فمن خلال الشبكات الاجتماعية يمكن إنشاء مجموعات اهتمام ودعوة جميع الأصدقاء للاشتراك في تلك المجموعة.

-إنشاء صفحات خاصة بالأفراد والجهات: وهي من الإمكانيات الجديدة التي أضافتها الشبكات الاجتماعية في بيئة الويب 2.0، فيمكن إنشاء صفحة للمشاهير والشخصيات المتميزة وكذلك الجهات والمؤسسات، ويقوم محبو صاحب الصفحة بالاشتراك فيها للتعرف على أخباره وأنشطته.

-البرمجيات المتوفرة داخل الشبكة الاجتماعية: نشأ داخل الشبكات الاجتماعية مجتمع كبير جداً من المبرمجين، حتى أصبحت الشبكة الاجتماعية بيئة عمل للبرمجيات، وفي هذا المجال يأتي الفيس بوك Facebook على رأس الشبكات الاجتماعية من حيث البرمجيات، حتى أصبح بيئة (منصة) تطوير للبرمجيات، هذه البرمجيات منها ما هو ترفيهي، ومنها ما هو بحثي.

-استخدامات ترفيهية: تضم الشبكات الاجتماعية العديد من الألعاب الترفيهية المسلية، إلا أنها تعمل بفكر الويب 2.0 حيث يتنافس الأصدقاء في اللعبة الواحدة.

-وسائل الاتصال بين أفراد المجتمع: توفر الشبكات الاجتماعية سبل مختلفة للتواصل بين أفراد المجتمع الالكتروني، من أشهر تلك الوسائل، الرسائل الالكترونية، وهي تدار عبر موقع الشبكة الاجتماعية وليس لها برنامج خاص لإدارتها مثل البريد الالكتروني المتعارف عليه، كذلك من الوسائل المتاحة المحادثة الفورية بين الأعضاء.

-الدعاية والإعلان: يمكن استخدام الشبكات الاجتماعية لأغراض الدعاية التجارية، فهناك العيد من الشركات تؤسس مجموعات لها كنوع من أنواع الترويج، كما يمكن عمل إعلانات مدفوعة الأجر عبر الشبكة الاجتماعية (ياس، خضير البياتي، 2014).

5. خصائص شبكات التواصل الاجتماعي: تتميز شبكات التواصل الاجتماعي بخصائص كانت سببا في انتشارها على مستوى العالم منها:

التفاعلية والتشاركية: يتسم التواصل عبر شبكات التواصل الاجتماعي بالتفاعلية إذ يقوم كل عضو بإثراء صفحته الشخصية سواء ما يتعلق بشخصيته (رياضة، أزياء، أو موسيقى)، أو ما يتعلق بهوطنه (أحداث سياسية، خرائط أو صور لمدينته، وبعض المعالم الأثرية) التي يرغب بتقديمها إلى الآخرين.

التلقائية: يتسم التواصل عبر شبكات التواصل الاجتماعي بأنه تلقائي وغير رسمي أو متوقع، فليس هناك تخطيط أو تنسيق للتواصل بين الأعضاء وكذلك عدم وجود لوائح وقيود تنظيمية تحكم ذلك التواصل فهو يتسم بالتلقائية بين طرفي الاتصال.

قلة التكلفة: إن التسجيل في شبكات التواصل الاجتماعي مجاني فعلى الصفحة الرئيسية لشبكة الفيس بوك مكتوب "مجانى ويبقى مجانى".

سهولة الاستخدام: لا يحتاج العضو إلى مهارات خاصة لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي، ومعظم شبكات التواصل الاجتماعي توفر صفحات خاصة باللغة الرسمية لكل مجتمع.

إذ لا تتطلب عملية الاتصال الحضور الدائم: إذ يمكن للعضو الاتصال بالعضو الآخر عن طريق ترك رسالة نصية، أو صور أو معلومات عن أفلام، أو موسيقى، أو غيرها من مجالات اهتمام الشخص الآخر، الذي يمكن أن يرد عليه بالطريقة نفسها من دون أن يلتقيا في وقت متزامن، كما يمكن لهما الاتصال مباشرة، وهذا لا يتوافر في وسائل الاتصال التقليدية التي تشترط التزامن للقيام بعملية التواصل بين طرفي الاتصال.

الانفتاح: يمثل المحتوى المرسل من المستخدمين أغلبية المحتوى المنشور على مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك يزيد الرغبة لدى الأعضاء بالمزيد من التواصل والتفاعل والمشاركة لأنهم هم من يقوم بعملية إنتاج المحتوى، عكس وسائل الإعلام التقليدية التي يمثل بها الشخص دور المتلقي أو المستهلك للمحتوى.

دعم التجمعات: أي تتوافر في شبكات التواصل الاجتماعي خدمة تتيح للأشخاص بإنشاء مجموعات تشترك بالاختصاص أو الانتماء الديني أو الاجتماعي مثل الفيس بوك.

المرونة: إمكانية فتح تلك الشبكات عن طريق الهواتف النقالة فلا يشترط وجود جهاز حاسوب للولوج لتلك الشبكات بل إن الشركات المنتجة للأجهزة المحمولة أصبحت تضمن أنظمة التشغيل تطبيقات خاصة تسمى برامج التواصل الاجتماعية.

عالم افتراضي للتواصل: إن شبكات التواصل الاجتماعي، أصبحت تزاخم الجلسات والمجالس العائلية والاجتماعية، ولم السفر مشروط لرؤية الأصدقاء، أو سماع أصواتهم أو للبيع والشراء أو الدراسة.

إذابة الفواصل الطبقيّة: إذ توفر شبكات التواصل الاجتماعي فرصة للاتصال بالدعاة، وطلبة العلم، والأدباء، والعلماء بصورة مباشرة دون وسائط (حسين، محمود هتيمي، 2015).

وبالرغم من تلك الإيجابيات التي تتميز بها شبكات التواصل الاجتماعي فإنها لا تخلو من السلبيات أهمها: ضياع الوقت بسبب الإبحار والاستغراق في هذه الشبكات الأمر الذي أدى إلى التلاشي التدريجي لعملية التواصل المجتمعي على أرض الواقع.

-استخدام البيانات والمعلومات الشخصية قد يؤدي في بعض الأحيان للاستخدام المضاد أو السيئ لهذه المعلومات.

-إن الاستخدام المفرط لهذه الشبكات من قبل فئات الشباب والذي ترافق معه استخدام دارج لبعض اللغات وعلى رأسها العربية ، سوف يؤدي إلى قتلها بشكل تدريجي.

-إهدار الوقت من خلال قضاء أوقات طويلة في استخدام الشبكات الاجتماعية قد يشغل المستخدم عن أمور أساسية في حياته كالجلوس مع العائلة ، مرتجعة الدروس وغيرها.

-تعتبر الشبكات الاجتماعية تجاوزا للرغبة في الهروب من الواقع واللجوء إلى العالم الإلكتروني الذي ليس له حدود.

-إن استخدام هذه الشبكات من خلال الملفات الخاصة قد أدى إلى انعدام الخصوصية ، كما أنه لا توجد قوانين عقابية رادعة تعاقب من يقتحم خصوصية الأشخاص من خلال هذه المواقع.

-فتور الحس الأخلاقي ، حسب ما أوردته دراسة أجرتها جامعة ساوثرن كاليفورنيا في الوم.أ حيث أكدت أن تلك الكمية الهائلة من المعلومات مليئة بالدمار والعنف.

-تغيير سلوكيات واكتساب سلوكيات جديدة غير حميدة من خلال ربط العلاقات مع أناس مجهولين يتسمون بالأخلاق السيئة(باديس ، مجاني ، 2019).

#### ثانيا. العلاقات الاجتماعية:

1.العلاقات الاجتماعية: معناها ومضمونها: تعني العلاقات الاجتماعية الروابط التي تقوم بين أفراد مجتمع ما ، وهذه الروابط تعبر عادة عن حاجة الإنسان للإنسان ، وهي الحاجة التي دفعت ابن خلدون إلى أن يقول: "الإنسان مدني بالطبع" ومعنى كلمة مدني أي "لا بد له من الاجتماع" لأنها كلمة تدل على الحاجة إلى الاستقرار ، ولا يمكن أن يكون استقرار الإنسان بشكل متفرد ، بل لا بد أن يكون في جماعة متعاونة في سبيل تحقيق المطالب والحاجات التي يحتاجها الإنسان ، وهي كثيرة لا يقدر إنسان واحد على الوفاء بها.

تقوم العلاقات على المصلحة المشتركة المتبادلة بين أفراد المجتمع ، ولا بد من قوانين تنظم هذه المصلحة وترعاها وتضمن لكل فرد أن يصل إلى إشباع حاجات بصورة لا تؤذي غيره ، وقد تمثلت هذه القوانين الاجتماعية في مظاهر هي العادات: والأعراف الاجتماعية التي تواضع عليها الناس وحكمت علاقاتهم ببعضهم ، وكذلك تمثلت هذه القوانين في الأفكار القيمة والمعايير التي انبثقت من مصادر معينة: كالأديان السماوية أو القوانين الوضعية. وبرزت كل هذه القوانين (بمضامينها وأسسها المختلفة) لتكون ثقافة متميزة للمجتمع ، ولتصبح هذه الثقافة في المراحل اللاحقة أساس العلاقات الاجتماعية التي تعتبر المظهر العملي التطبيقي لتلك المنظومة الثقافية بكل محتوياتها (من عادات وأعراف وقيم وأفكار). (حسن ، عبد الرزاق ، منصور ، 2006).

2:تصنيفات العلاقات الاجتماعية: لقد صنف العلماء العلاقات الاجتماعية إلى أربعة أصناف تتمثل فيما يلي:  
أولا: علاقات اجتماعية طويلة الأجل وقصيرة الأمد:

- العلاقات الاجتماعية طويلة الأجل: هي نموذج المتبادل الذي يستمر لفترة معينة من الزمن ، تؤدي إلى ظهور مجموعة توقعات اجتماعية ثابتة وتعتبر علاقة الدور المتبادل بين الزوج والزوجة ، والعلاقة بين الأب والابن من العلاقات الاجتماعية طويلة الأجل .

- العلاقات الاجتماعية قصيرة الأمد: هي نموذج التفاعل المتبادل الذي لا يستمر إلا فترة قصيرة من الزمن ، كما هو الحال بالنسبة لقائد السيارة الذي يريد إقناع رجل الشرطة بأنه لم يكن مخطئاً.

ثانياً: العلاقات الاجتماعية المباشرة وغير المباشرة: إن تواجد العلاقات الاجتماعية بين الناس لا يعني بالضرورة دخولهم في مواجهة مباشرة سوية ، وإنما يمكن أن تتم هذه العلاقات بطريقة غير مباشرة بشكل المؤسسات التنظيمية العامة التي تشمل المجتمع ككل ، وبالتالي فإن الواجبات المتبادلة تتم بدون اللجوء إلى الإحساس الذاتي بالواجب نحو الطرف الآخر ، وأيضاً بدون أن يكون الهدف هو الحفاظ على استمرار هذه العلاقة وإنما يتم في إطار المؤسسات التنظيمية العامة.

ثالثاً: العلاقات الاجتماعية الداخلية والخارجية: وتمثل العلاقات الاجتماعية الداخلية في علاقات الأعضاء داخل الجماعة والعواطف التي بينهم.

وتمثل العلاقات الاجتماعية الخارجية في علاقات الجماعة مع البيئة المحيطة بها.

رابعاً: العلاقات الاجتماعية الإيجابية والسلبية: العلاقات الاجتماعية الإيجابية تؤدي إلى الاتفاق أو الإجماع ، وهذا النوع من العلاقات يساهم في تماسك ووحدة وتكامل المجتمع ، ومن أمثلة هذه العلاقات ، العلاقات التعاونية أساسها التعاون .

بينما العلاقات الاجتماعية السلبية أو المفرقة هي التي تؤدي إلى عدم الاتفاق وعدم الإجماع. وهذا النوع من العلاقات يساهم في عدم التماسك والتفكك في المجتمع ، ومن أمثلتها: التنافس والصراع (سامية ، معاوي ، 2009).

### 3. خصائص العلاقات الاجتماعية:

التفاعل الاجتماعي: ويتخذ التفاعل الاجتماعي صوراً وأساليب متعددة ، فقد يحدث هذا التفاعل بطريق مباشر أو غير مباشر ، بين عدد محدود من الأفراد أو عدد كبير ، ويكون عن طريق استخدام الإشارة والإيماء واللغة في مصنع أو منزل أو بين أشخاص بينهم صلات قرابة أو جوار ، ويأخذ التفاعل الاجتماعي أنماطاً مختلفة تتمثل في التعاون والتكيف والمنافسة والصراع والقهر ، وحينما تستقر أنماط التفاعل وتأخذ أشكالاً منتظمة فإنها تتحول إلى علاقات اجتماعية كعلاقات الأبوة والصدقة وغيرها.

وللتفاعل الاجتماعي مميزات أهمها:

الاتصال: إن الاتصال ضرورة إنسانية لتماسك الأفراد والجماعات ، وهو القدرة على مشاركة أفكارهم وخبراتهم وعقولهم ومعرفة حاجاتهم والقدرة على إشباعها ، وهو عملية التفاعل الاجتماعي بين الأفراد في موقف اجتماعي ما ، ويقوم على أساس وجود المجتمع واستمراره .

التعاون: يمثل صورة اجتماعية تبدو من خلال جهود الناس المتظاهرة من أجل الوصول إلى هدف مشترك وقد يكون مباشر أو غير مباشر .



التنافس: يشير "سعد جلال" إلى أن التنافس هو: "شكل من أشكال الكفاح الاجتماعي"، فالتنافس هو أكثر العمليات الاجتماعية تمثيلاً للتنافس والتعارض الاجتماعيين، ويرتبط التنافس بالحاجات المشتركة بين فردين أو جماعتين يسعى كل منهما للحصول عليها، كما أن التنافس أو المنافسة ماهي إلا ظاهرة طبيعية في حياة الأفراد والمجتمعات.

الصراع: تتواجد وضعية الصراع عندما يوجد: اختلاف بين فاعلين (أفراد أو جماعات) والذين هم على علاقة مع بعضهم البعض، لأن مصالحهم، أهدافهم، قيمهم، مناهجهم، أدوارهم ومكانتهم متناقضة، فالصراع يتطلب وجود علاقة بين فاعلين في حالة تعارض أو تناقض في الرأي، أو أن نجاح أحدهما يؤدي إلى اختلاف أو إقصاء الطرف الآخر (لعناني، لطفي، 2006).

ثالثاً. العلاقات الافتراضية عبر الشبكات الاجتماعية ومستقبل العلاقات الاجتماعية التقليدية: أبدى الدارسون المهتمون باستخدامات تكنولوجيايات الاتصال تخوفاتهم عن إمكانية تأثر الروابط الاجتماعية بين الأفراد، بفعل ظهور هذه الطرق والقنوات الحديثة للاتصال التي قلبت التواصل في المجتمع رأساً على عقب بعد أن جعلت الحضور الفيزيائي أو الحضور الاجتماعي والتقارب الجغرافي، التوافق الزمني، والتماثل الثقافي، أمور لا يشترط توفرها لإقامة التواصل بين الأفراد حيث أصبح الأفراد داخل البيئة الاتصالية الجديدة يتمتعون بقدرة على خلق فضاءات اتصالية افتراضية يلتقون فيها طرفياً كأسلوب تعبيرى جديد يمكنهم من الاتصال بالآخرين ومع تزايد الاعتماد على هذه الفضاءات الافتراضية بدأت تتجلى العديد من التساؤلات حول ما إذا كان انتشار العلاقات الافتراضية الناتجة عن استخدام الإنترنت يؤثر سلباً على العلاقات الاجتماعية التقليدية في المستقبل أو يساهم في دعمها وتقوية روابطها.

في دراسة على 895 مفردة من مستخدمي الإنترنت توصل Pew Research Center's Internet و American Life Project إلى أن 86% يعتقدون بأن في عام 2020 عندما سيقومون بحياتهم بصورة عامة، صداقاتهم وعلاقاتهم الزوجية وغيرها من العلاقات سيجدون بأن الإنترنت كان لها قوة إيجابية على علاقاتهم الاجتماعية في حين يرى 14% عكس ذلك، ويعتقدون بأنهم في عام 2020 عندما ينظرون إلى صداقاتهم الشخصية وعلاقاتهم الزوجية وغيرها من العلاقات، سيجدون بأن الإنترنت كان لها قوة سلبية على علاقاتهم الاجتماعية (مريم نريمان، نومار، 2012).

#### الجانب التطبيقي:

جدول رقم 01:

النسبة	التكرار	
21	16	ذكر
79	62	أنثى
100	78	المجموع

يبين هذا الجدول توزيع الباحثين من حيث النوع، حيث جاءت فئة الإناث بنسبة 79%، في حين جاءت فئة الذكور بنسبة 21%.

جدول رقم 02:

النسبة	التكرار	
95	74	29-20
5	4	39-30
0	0	49-40
0	0	59-50
0	0	60 سنة فأكثر
100	78	المجموع

يوضح هذا الجدول توزيع الباحثين من حيث السن ، حيث جاءت أكبر نسبة للفئة العمرية ما بين 20-29 سنة وذلك بنسبة 95% ، في حين جاءت الفئة العمرية ما بين 30-39 سنة بنسبة 5% ، أما باقي الفئات العمرية فجاءت معدومة.

جدول رقم 03:

النسبة	التكرار	
21	16	سنة أولى
10	8	سنة ثانية
23	18	سنة ثالثة
6	5	ماستر 1
40	31	ماستر 2
0	0	دكتوراه
100	78	المجموع

يبين هذا الجدول توزيع الباحثين من حيث المستوى التعليمي ، حيث جاءت فئة ماستر 2 كأعلى نسبة وذلك ب 40 % ، في حين جاءت كل من فئة السنة الثالثة والسنة الأولى وذلك بنسبة 23% و 21% على التوالي ، أما فئة السنة الثانية وماستر 1 فجاءت بنسبة 10% و 6% تواليا ، في حين جاءت فئة الدكتوراه معدومة.

جدول رقم 04:

النسبة	التكرار	
8	6	إعلام واتصال
17	13	تاريخ
3	2	مكتبات
32	25	علم الاجتماع
18	14	حقوق
0	0	علوم سياسية
19	15	أدب عربي
0	0	لغة فرنسية
4	3	لغة إنجليزية
100	78	المجموع

يوضح هذا الجدول توزيع المبحوثين من حيث التخصص العلمي ، حيث جاءت أكبر نسبة لاختصاص علم الاجتماع وذلك بنسبة 32% ، ثم يأتي كل من اختصاص أدب عربي ، حقوق وتاريخ وذلك بنسبة 19% ، 18% و 17% على التوالي ، في حين جاء في الأخير كل من تخصص لغة إنجليزية ومكتبات وذلك بنسبة 4% و 3% تواليا ، أما كل من تخصص علوم سياسية ولغة فرنسية فجاءا بنسب معدومة.

جدول رقم 05:

التكرار	النسبة	
73	94	نعم
5	6	لا
78	100	المجموع

يبين هذا الجدول مدى استخدام شبكات التواصل الاجتماعي ، حيث جاءت نسبة المستخدمين لها ب 94% في حين لم تتجاوز نسبة غير المستخدمين لها عتبة 6% ، وهذا لكونها أصبحت ضرورة حتمية لا غنى عنها في وقتنا المعاصر خصوصا لدى الطلبة الجامعيين.

جدول رقم 06:

المجموع	لا						نعم
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
100	73	5	4	95	69	فايسبوك	
100	73	37	27	63	46	يوتيوب	
100	73	85	62	15	11	تويتر	
100	73	67	49	33	24	أنستغرام	
100	73	96	70	4	3	سكايب	
100	73	89	65	11	8	أخرى تذكر	

يوضح هذا الجدول أهم أنواع شبكات التواصل الاجتماعي المستخدمة حيث جاء الفاييسبوك واليوتيوب أولا وذلك بنسبة 95% و 63% على التوالي ، ليليهما كل من أنستغرام وتويتر وذلك بنسبة 33% و 15% تواليا ، ليأتي في الأخير كل من خيارات أخرى كواتساب ، إيمو ، سنابشات... إلخ إضافة إلى خيار سكايب وذلك بنسبة 11% و 4% لكل منهما.

جدول رقم 07:

المجموع	لا						نعم
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
100	73	79	58	21	15	سياسية	
100	73	82	60	18	13	اقتصادية	
100	73	40	29	60	44	اجتماعية	
100	73	33	24	67	49	ثقافية	
100	73	48	35	52	38	دينية	
100	73	41	30	59	43	ترفيهية	

يبين هذا الجدول أنواع الصفحات التي يتم تشاركها وتبادلها بين الأصدقاء المستخدمين لمنصات التواصل الاجتماعي ، حيث جاء على رأس القائمة الصفحات الثقافية والاجتماعية وذلك بنسبة 67% و 60% تواليا ،

ليليهما كل من الصفحات الترفيهية والدينية وذلك بنسبة 59% و 52% على التوالي ، ليأتي في الأخير كل من الصفحات السياسية والاقتصادية وذلك بنسبة 21% و 18% لكل منهما.

جدول رقم 08:

المجموع		لا		نعم		
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
100	73	18	13	82	60	التواصل مع زملائك
100	73	62	45	38	28	التواصل مع الأساتذة
100	73	47	34	53	39	متابعة الأخبار والإعلانات
100	73	40	29	60	44	البحث عن كتب وأبحاث

يوضح هذا الجدول استخدامات الشبكات الاجتماعية من قبل الطلبة الجامعيين ، حيث جاء خيار التواصل في الزملاء أولاً وذلك بنسبة 82% ، يليه كل من البحث عن كتب وأبحاث وكذا متابعة آخر الأخبار والإعلانات وذلك بنسبة 60% و 53% لكل منهما ، ليأتي في الأخير خيار التواصل مع الأساتذة وذلك بنسبة 38%.

جدول رقم 09:

النسبة	التكرار	
88	69	نعم
12	9	لا
100	78	المجموع

يبين هذا الجدول آراء المبحوثين حول فتح صفحات فاييسبوكية أكاديمية تكون حلقة وصل بين الجامعة والطلبة حيث نسبة المؤيدين لذلك ب 88% ، في حين جاءت نسبة المعارضين لذلك بنسبة 12%.

جدول رقم 10:

المجموع		لا		نعم		
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
100	78	27	21	73	57	إيجابي
100	78	65	51	35	27	سليبي

يوضح هذا الجدول نوعية تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على الأداء الأكاديمي للطلاب ، حيث يرى 57% من المبحوثين أن هذا التأثير إيجابي ، في حين يرى 27% منهم أن التأثير سلبي.

جدول رقم 11:

النسبة	التكرار	
99	77	نعم
1	1	لا
100	78	المجموع

يبين هذا الجدول آراء المبحوثين حول مدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي في تغيير أنماط الحياة اليومية وفي علاقتهم مع بعضهم البعض ، حيث جاءت نسبة المحييين بنعم ب 99% ، أما المحييين بلا بنسبة 1%.

جدول رقم 12:

نعم	لا		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
منتديات الحوار والنقاش	39	53	34	47
غرف المحادثات والدرشة	27	37	46	63
الانضمام إلى مجموعة صداقة	37	51	36	49

يوضح هذا الجدول أشكال التفاعل الافتراضي عبر منصات التواصل الاجتماعي ، حيث جاء كل من الخيارين منتديات الحوار والنقاش ، الانضمام إلى مجموعات صداقة بنسب متقاربة وذلك بنسبة 53% و 51% لكل منهما ، في حين جاء الخيار غرف المحادثات والدرشة وذلك بنسبة 37%.

جدول رقم 13:

نعم	لا		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
تأسيس صداقات جديدة	25	34	48	66
التعرف على ثقافات جديدة	37	51	36	49
اكتساب معلومات جديدة	47	64	26	36
مشاركة أفكارك مع أصدقائك	35	48	38	52

يبين هذا الجدول أن علاقات المبحوثين عبر الفضاء الافتراضي ساعدتهم في اكتساب معلومات جديدة وذلك بنسبة 64% ليأتي كل من التعرف على ثقافات جديدة ومشاركة الأفكار بين الأصدقاء وذلك بنسبة 51% و 48% تواليا ، وفي الأخير يأتي تأسيس صداقات جديدة وذلك بنسبة 34%.

جدول رقم 14:

نعم	لا		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
الاعتراب	6	8	72	92
الشعور بالعزلة والوحدة	36	46	42	54
الإصابة بالإدمان	56	72	22	28
أخرى تذكر	4	5	74	95

يوضح هذا الجدول أخطر تأثير سببه الاستخدام المفرط لشبكات التواصل الاجتماعي ، حيث جاء الإصابة بالإدمان أولا وذلك بنسبة 72% ، ثانيا الشعور بالعزلة والوحدة وذلك بنسبة 46% ، ليأتي في الأخير كل من الاعتراب وخيارات أخرى وذلك بنسبة 8% و 5% لكل منهما.

جدول رقم 15:

نعم	لا	المجموع
77	1	78
99	1	100

يبين هذا الجدول مدى دور شبكات التواصل الاجتماعي في إزالة العلاقات التقليدية وهذا في ظل الفضاء الذي نعيشه حيث جاءت أغلب إجابات المبحوثين بنعم وذلك بنسبة 99% ، وهذا مقابل 1% من المجهين بلا.

### النتائج العامة للدراسة:

**النتائج المتعلقة بالسؤال الفرعي الأول:** استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي داخل الوسط الجامعي: إن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي أصبح ضرورة حتمية لا غنى عنها في الوقت المعاصر وهذا تماشيا مع تطورات العصر الحديثة، حيث أصبح استخدامها يمس مختلف شرائح المجتمع خصوصا لدى فئة الطلبة الجامعيين، وتتنوع أشكال الشبكات الاجتماعية المستخدمة من قبل الطلبة نذكر منها شبكة فايسبوك، باعتباره الوسيلة الأكثر استخداما والأكثر انتشارا وهذا لما يتيح من سهولة تواصل وإرسال واستقبال للرسائل بصفة مباشرة وآنية، وهذا إضافة إلى اليوتيوب لمتابعة أحدث الفيديوهات في مختلف المجالات والتخصصات، كما نشير إلى أن نوعية الموضوعات التي تثير اهتمام الطلبة وتحظى بالمشاركة والمتابعة فيما بينهم نذكر الصفحات الثقافية، وهذا من خلال التطرق إلى معلومات ثقافية قديمة أو حتى جديدة لنشر المعرفة والاستفادة منها وأيضا التعرف على ثقافات الشعوب والأمم الأخرى، إضافة إلى الصفحات الاجتماعية التي تعنى بالظواهر والقضايا الاجتماعية السائدة في المجتمع وهذا بهدف التوعية والتحسيس، وهذا دون نسيان متبقي الصفحات الترفيهية من خلال مشاهدة منشورات وفيديوهات ذات طابع هزلي، وكذلك رواد الصفحات الدينية من خلال معلومات دينية إسلامية أو أحاديث نبوية شريفة أو آيات قرآنية معبرة، أما فيما يخص الاستخدام داخل الوسط الجامعي والأكاديمي فقد كان مقتصرًا على التواصل مع الزملاء، وهذا إما بغرض الدردشة والحوار أو للتناقش في الدراسة، وكذلك البحث عن كتب وأبحاث وهذا لإنجاز البحوث أو المذكرات، كما وجدنا من استطلاع آراء الطلبة حول مدى جدوى فتح صفحات فايسبوك أكاديمية تربط بين الجامعة والطلبة فقد وجدنا تأييدا من طرف الأغلبية، وهذا من خلال إيصال صوت الطالب إلى الإدارة الوصية قصد التكفل بمشاكله وانشغالاته من جهة، ومن جهة أخرى التعرف على أحدث المنشورات التي تخصه، وفيما يخص مدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على الأداء الأكاديمي للطلاب فقد جاء التأثير إيجابيا، وهذا يعكس مدى الاستفادة من المعلومات المتوفرة على منصات التواصل الاجتماعي وهذا لتحقيق التفوق الدراسي، وهذا دون نسيان الأضرار السلبية لها نتيجة الاستخدام المفرط لساعات طويلة على صحة ونفسية مستخدميها.

**النتائج المتعلقة بالسؤال الفرعي الثاني:** تأثير استخدام الشبكات الاجتماعية على العلاقات الاجتماعية لدى الطلبة الجامعيين:

إن الانتشار الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي أدى إلى تغيير في أنماط حياة الأفراد اليومية وفي علاقاتهم مع بعضهم البعض، وهذا بحكم انتشارها وتوسعها واستخدامها من طرف مختلف شرائح المجتمع وما أحدثه هذا من تغيير على نمط عيشتهم وعلاقتهم مع بعضهم البعض، ويتخذ التفاعل الافتراضي أشكالا عديدة إلا أن الأكثر استعمالا كان منتديات النقاش والحوار، والتي تعتبر فضاء للنقاش الجاد والهادف بين الأعضاء وهذا من خلال إبداء الآراء ووجهات النظر في مختلف القضايا التي تشغل الرأي العام، إضافة إلى الانضمام إلى مجموعات صداقة في مختلف المجالات للتعرف على أصدقاء جدد وتحقيق الاستفادة المشتركة، كما أن علاقات الأفراد عبر الفضاء الافتراضي ساعدهم على اكتساب معلومات جديدة خصوصا عبر الاشتراك في صفحات تعنى أساسا بالجانب العلمي والمعرفي أو من خلال المنشورات التي ينشرها أصدقاؤهم، وكذا التعرف

على ثقافات جديدة تخص التعرف على ثقافات وعاداته وتقاليده ، إضافة إلى مشاركة الأفكار بين الأصدقاء حول قضية معينة أو موضوع ما ، ورغم تعدد التأثيرات السلبية بسبب الاستخدام المتنامي لشبكات التواصل الاجتماعي إلا أن أخطر التأثيرات نذكر الإصابة بالإدمان ، وهذا نتيجة الاستخدام المطول لهذه الشبكات لمدة تفوق 5 ساعات يوميا ، إضافة إلى الشعور بالعزلة والوحدة نتيجة الإبحار في العالم الافتراضي والبعد عن العالم الحقيقي ، وفي الأخير نشير إلى أن أغلبية المبحوثين يرون أن شبكات التواصل الاجتماعي أدت إلى زوال العلاقات التقليدية وإلى ذوبان الأفراد في العالم الرقمي ، وهذا يدل على القوة الطاغية التي باتت تحظى بها الشبكات الاجتماعية ومدى قدرتها على استبدال العلاقات الاجتماعية الحقيقية بأخرى افتراضية .

#### خاتمة:

وفي الأخير نشير إلى أن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي أصبح هو المهيمن على المشهد الحاضر ، وهذا بين مختلف فئات المجتمع خصوصا داخل الوسط الأكاديمي والجامعي ، هذه الشبكات وإن حملت في طياتها العديد من الإيجابيات كسهولة التواصل وسرعة الحصول على المعلومة وبناء شبكة من العلاقات الاجتماعية ، إلا أن هذا لا يجب أن ينسينا آثارها السلبية في العزوف عن الحياة الاجتماعية الواقعية بسبب الإفراط في استخدامها ، وهذا خصوصا بالنسبة للطلبة الجامعيين وهذا في تبادل الرسائل والمحادثات ومشاركة الصور ومقاطع الفيديو وغيرها وهذا ما يحول دون تحقيق الاستفادة المرجوة منها على المستوى العلمي والثقافي ، لهذا وجب العمل على تنمية ثقافة الحوار والنقاش الجاد والبناء وتبادل المعلومات مع الآخرين عبر هذه الوسائط ، وأيضا العمل على تنمية معارفهم وقدراتهم ومهاراتهم ، واعتبارها وسيلة تعليمية من خلال الانخراط في دورات تدريبية أو تعليمية ، والعمل على الاستفادة مما تتيحه من مخزون علمي ومعرفي ، وهذا دون أن يؤثر على علاقتهم مع محيطهم الأسري والاجتماعي .

#### قائمة المراجع:

- باديس ، مجاني ، تكنولوجيا الإعلام والاتصال ، منشورات ألفا للوثائق ، جانفي ، 2019.
- حسن ، عبد الرزاق منصور ، الحضارة الحديثة والعلاقات الإنسانية في مجتمع الريف ، دار فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة ، ط2 ، 2006.
- حسين محمود ، هتيمي ، العلاقات العامة وشبكات التواصل الاجتماعي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن-عمان ، ط1 ، 2015.
- رشيد زرواتي ، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية ، دار الكاتب الحديث ، 2004.
- سامية ، معاوي ، الثقافة التنظيمية والعلاقات الاجتماعية داخل المؤسسة الجزائرية (دراسة حالة بالمؤسسة المينائية لسكيكدة) ، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع ، جامعة باجي مختار عنابة ، 2009.
- لعناني ، فتحي ، علاقات الجيزة في المناطق السكنية الحضرية الجديدة ، - حي الزمامنة بمدينة سكيكدة نموذجاً- ، مذكرة ماجستير في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، جامعة منتوري-قسنطينة ، 2006.
- ماهر ، عودة الشمايلة ، محمود ، عزت اللحام ، مصطفى ، يوسف كافي ، الإعلام الرقمي الجديد ، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع ، عمان-الأردن ، ط1 ، 2015.
- محمد عبد الحميد :البحث العلمي في الدراسات الإعلامية ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2002.
- مريم نزيهان ، نومار ، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية- دراسة على عينة من مستخدمي موقع الفايسبوك في الجزائر- ، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال ، جامعة الحاج لخضر -باتنة- ، 2012.
- منذر ، عبد الحميد الضامن ، أساسيات البحث العلمي ، دار المسيرة للنشر والتوزيع-عمان ، ط1 ، 2007 ،
- ياس ، خضير البياتي ، الإعلام الجديد الدولة الافتراضية الجديدة ، دار البداية ناشرون وموزعون ، عمان ، ط1 ، 2014.

التراتبية الاجتماعية في مجتمع وادي زيز بتافيلالت.  
The social hierarchy of the Society of Wadi Ziz tafilalt.

سارة ماموني علوي ، باحثة في علم الاجتماع ، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة ، المغرب

Sara MamouniAlaoui, sociologist, University of Ibn Tofail, Kenitra, Morocco.

المفاهيم الرئيسية:

المجتمع/society: جماعة من الناس يشتركون في ثقافة عامة ، ويقومون في حيز مكاني خاص بهم ويشعرون أنهم يمثلون معا كيانا واحدا متميزا (جون سكوت وجوردون مارشال ، 2011 ، ص 101).

التراتبية الاجتماعية/social stratification: وجود أشكال من عدم المساواة البنوية بين الجماعات في مجتمع الدراسة من حيث قدرتها على النفاذ إلى الموارد المادية أو الرمزية ، وتعد التقسيمات الطبقيّة أكثر أشكال هذا التدرج تميزا في المجتمعات (أنتوني غدنز ، 2005 ، ص 741).

الواحة/oasis: بيئة تتشكل من نظام زراعي يتميز بخصوصية معاشيه تجمع بين غراسة النخيل والبساتين الحقلية (أحمد عبدلاوي علوي ، 1996 ، ص 44) ، وهي عبارة عن منظومة بيئية شديدة الهشاشة ، ترادفها تعريفات تحيل على شح الموارد الطبيعية وسط محيط بيئي قاحل (عبد المجيد السامي . حسرامو . بوجمعة بوتوميت ، 2016 ، ص 31).

وادي زيز/vallyziz: يمثل أهم وحدة هيدرولوجية بمنطقة تافيلالت ، حيث يعتبر مصدر جل المياه المغذية للحوض ويتميز بنظام ذي نزعة صحراوية مع جريان شبه دائم مع فيضانات متوالية بالخريف والربيع (Meunie.DJ ,1670,p149) ، إذ يأخذ منبعه من التلال العالية للأطلس ، بعده يدخل لأيت حديدو ويستمر حتى تافيلالت داخل أشرطة من النخيل والقصور. حيث يقع حوض وادي زيز في الجنوب الشرقي المغربي وهو جزء من الأخدود الجنوبي الإقليمي (Ch. DeFoucaud, 1888,p347).

تافيلالت/Tafilalet: مجموعة من المناطق الواقعة على ضفاف مجرى وادي زيز وغريس وتدغة وجزء من وادي كبير ، إذ تمتد على جنوب مضيق جبل تاغيا "مضيق الخنك" إلى جبل صاغرو وبومعيز وما إليها ، ولقد استبدل اسم سجلماسة قديما بلفظة تافيلالت (أحمد عبدلاوي علوي ، 1996 ، ص 112).

القصر/ksar: تجمع سكاني تنضوي تحته مجموعات سكانية تعيش داخله وفق نظام خاص به ، وهو شبه بهرادف القرية.

الطبقة/class: ليس هماك تعريف موحد حولها ، إذ نجد ماركس يعرفها بأنها "مجموعة من الناس يشتركون في امتلاك وسائل الإنتاج" ، فحين أن ماكس فيبر يراها "فئة اقتصادية غير أنه أكد على تفاعلها مع المكانة الاجتماعية والوشائج التي تربطها بالأحزاب" (أنتوني غدنز ، 2005 ، ص 754).

تقديم:

"واحات وادي زيز بتافيلالت .....تنوع وتفرد":

تشكل واحات المغرب الصحراوي وخاصة الجنوب الشرقي المغربي ثروة حقيقة للتنوع الجغرافي والإيكولوجي والتي تمتد لأنماط العيش التي أسست لثقافة غنية ذات خصوصية مميزة لمجتمع الواحات.



لعبت واحة وادي زيز بتاڤيلالت دورا بارزا في التبادل التجاري عبر التاريخ ، حيث شكلت جسر عبور مهم بين إفريقيا وأوروبا ، جعلها تشهد دينامية متعددة المستويات ساهمت في خلق ثقافة واحاتية متفردة ، تعبر عن التواصل الثقافي الذي تبلور مع ارتحال مجموعة من القبائل خلال العصر الوسيط للاستقرار بمحيط سجلها قديما "تاڤيلالت اليوم" (الرشيدية) لا سيما منها قبيلة آيت عطا النازحة من الأطلس الصغير ، إلى جانب عرب بني هلال وبني سليم .

بالرجوع إلى التاريخ نجد أن مجال واحة وادي زيز تميز بالتنوع والتفرد على مستوى الإنتاج الاقتصادي – التجاري ، وكذلك الفلاحي لينتقل فيما بعد إلى مجال العلم والمعرفة من خلال تمركز رجال الفقه ، ليصبح مقرا للتصوف والزهد العلمي ، مما جعله مهدا ومنطلق المجموعة من السلالات الحاكمة أبرزها السعديين ، العلويين .

وبالنظر إلى ما هو اجتماعي- ثقافي ، نجد أن واحة وادي زيز بتاڤيلالت زخرت بتشكيلات وبنيات اجتماعية متعددة تتموقع في الهرم الاجتماعي بين طبقات تترأس الهرم وأخرى في قاعدته وفق تراتبية تزامنية Synchronic ، وقد نتج عن التمايز الطبقي بالواحة نوع خاص ومتفرد من الثقافة العامة ، إذ إن كل تشكيلة اجتماعية تتفرد بثقافتها الخاصة وتجتمع في الأخير تحت لواء ثقافة المجتمع الواحاتي ، كل هذه المميزات كفلت لواحة وادي زيز صبغة التفرد والتنوع . إلا أن السؤال المطروح في ظل هذه الخصوصية هو: ما هي هذه التشكيلات أو المكونات الاجتماعية المكونة لمجتمع واحة وادي زيز؟ وهل فعلا لكل مكون ثقافة خاصة تميزها عن الأخرى؟

التراتبية الاجتماعية لمجتمع واحة وادي زيز بتاڤيلالت .

1. المكونات الاجتماعية لمجتمع واحة وادي زيز بتاڤيلالت: تعدد ونشأة خاصة: تتسم ثقافة الواحات بتعقيدها الثقافي مما يجعل الباحث الذي يشتغل على هذه المناطق يجد نفسه أمام مجال مركب ومتشابك الخيوط تتداخل فيه العديد من الأبعاد التاريخية ، السياسية والاجتماعية والثقافية ، فالتركيبة الاجتماعية لساكنة واحة زيز بتاڤيلالت يغلب عليها التعدد والتنوع من خلال الخليط الإثني المتواف عليها منذ أزمان غابرة ، وما يميز ساكنة الواحة هو ذلك التدرج القائم داخل "القصر" أو "القصبية" بين مختلف المكونات الاجتماعية ، التي تخضع لتراتبية اجتماعية داخلية يجعل مكون "الأشراف" في قمة الهرم متبوعة 'بالأحرار' ، في حين تبقى مكون "الحراطين" و"العبيد" في قاعدته . إذ نجد داخل الواحة هذا الترتيب الاجتماعي ، التي تتداخل فيه عدة عوامل والذي يضم المكونات والفئات التالية:

الشرفاء: يشكلون شريحة اجتماعية متميزة داخل الواحة بحكم نسبها وانتمائها الشريف إلى آل البيت \* ، لذلك فهي فئة اجتماعية سلالية تعتمد على الترتيب السلالي أكثر مما هو اقتصادي-سياسي ، إذ أن نظام القرابة والدم هو المساهم في تصنيف البنيات الاجتماعية داخل واحة وادي زيز بتاڤيلالت .

ما يميز هذه المكون هو تبوؤها مكانة اجتماعية عالية بالرغم من عدم امتلاكها وسائل الإنتاج أو ملكيات لافتة للأرض ، ولكنها استمدت مكانتها من المعرفة الدينية –الروحية والتي أنيطت بها عبر التاريخ ، بالإضافة إلى توليها رئاسة المشيخات ومسؤولية الإشراف على القصور والقصبات . باعتبار رجالاتها أهل الحل والعقد وأصحاب القرار السياسي (أحمد عبدلاوي علوي ، 1996 ، ص 161) من خلال توليهم دور الوساطة وحل

النزاعات والخلافات القائمة داخل القصر أو القصبه بين مختلف الشرائح الاجتماعية، وهذا راجع بالإساس لما تتسم به هذه المكون من جاه وحضور رمزي قوي داخل الواحة باعتبارهم سلالة نقيمة تنتمي إلى آل البيت<sup>1</sup>. الأحرار: تتكون هذه الفئة من عناصر بشرية منحدره من أصول أمازيغية وعربية، تعاقبت على واحة وادي زيز بتافيلالت لتستقر في قصور مختلطة وأخرى منفردة. اشتهرت بواحة وادي زيز مجموعة من القصور الخاصة بفئة الأحرار من بينها قصر "أسرير" و "ابن محلي" وغيرها من القصور والقصبات، إلا أن ما يميز هذه الفئة هو امتلاكها لمجال مهم من الأراضي الفلاحية وحصص كبيرة من الماء (Larbi Mezzine, 1687, p26) تتكفل بمفردها بتبدير شؤونها دون الحاجة لفئة أخرى، مع العلم أنها كانت تترفع عن مزاوله مجموعة من الأعمال اليدوية والحرف، باعتبارها حرفا ليست من اختصاصها بل من اختصاص فئة العبيد والحراطين واليهود (أحمد البوزيدي، 1994، ص141) فهم يميزون أنفسهم عن فئة الحراطين من خلال تنظيمهم السلالي وبشرتهم البيضاء وكذلك امتلاكهم الأرض "فلاحون أحرار".

الحراطين: تعتبر فئة الحراطين من المكونات الاجتماعية الموجودة في أسفل الهرم الاجتماعي لمجتمع وادي زيز بتافيلالت، وهي مكون تتعاطى للفلاحة في معظم الأوقات، ولهذا أشتق اسمها من لفظ "حراثين". حيث نجد أحمد البوزيدي في كتابه "التاريخ الاجتماعي لدرعة" يصف مكون الحراطين في القولة التالية: «الحراطين ظلوا ولقرون طويلة معتمد الواحات وسكانها في الأعمال الزراعية وما يتفرع عنها من صيانة السواقي وأبار الري وتلقيح النخيل» (أحمد البوزيدي، 1994، ص141)، وهذا دليل على أن فئة الحراطين يشكلون الشريحة الأم لاقتصاد مجتمع الواحات.

تتكون هذه الفئة من ساكنة ذات بشرة سوداء وأخرى تميل للبياض، وبالرغم من النظرة الدونية التي تطالهم إلا أنهم يتحلون بجانب من ملكية الأرض، علاوة على حصص الماء داخل الواحة (الزهيد علوي، 2016، ص38).

العبيد: تشكل هذه المكون الاجتماعية الفئة القليلة في الهرم الاجتماعي لمجتمع واحة وادي زيز بتافيلالت، إذ نجدها في بعض القصور فقط دون أخرى. ويعتبر قصر "مسكي" القصر الذي يضمها بكثرة (أحمد عبدلاوي علوي، 1996، ص169) إلا أن الملاحظ أن هذا المكون اندثر بعد فترة الاستعمار، وخاصة بعد تحرير رقاب العبيد التي كانت تتواجد عند بعض الأسر الثرية.

اليهود: تشكل هذه الفئة الحاضنة للحياة الحرفية والمالية بالواحة، تختص بالحرف والصناعة التقليدية. حيث أنها كانت تهيمن على معظم المبادلات التجارية بالمنطقة. إلا أن ما يميزها هو استقرارها بشكل جماعي في أماكن خاصة تدعى "الملاح"، ولقد طبع التعايش العلاقة بينهم وبين المسلمين داخل الواحة والقصور بالرغم من أن الموروثات الثقافية داخل الواحة كانت ترفض وجودهم من خلال المقولات الشعبية السائدة المقصية لهذه الفئة، لكن حضورها كان قويا بتافيلالت (أحمد عبدلاوي علوي، 1996، ص174)، ونلاحظ اليوم اختفاء هذه الفئة من السلم الاجتماعي الواحي نظرا لرحيلها وهجرتها إلى الخارج.

ما ميز هذه المكونات الاجتماعية داخل مجتمع واحة وادي زيز بتايفيلالت هو التمايز القائم بين مختلف الشرائح الاجتماعية، إلا أنه في ذات الوقت يحضر بقوة التضامن والتعايش بالرغم من عدم تكافؤ بين المكونات إلا أن العلاقة القائمة بين "المالك" و"المملوك" كانت تتسم بنوع من التعاقد المنظم لكل طرف من أطراف العقد ولو أنه عقد شفهي -رمزي.

التمايز القائم بين مختلف المكونات كان له أثر كبير على مستوى العلاقات الاجتماعية، إذ كان من المحرم زواج الشريف المنتمي لطبقة "الشرفاء" من حرطانية المنتهية لفئة "الحرطين". أي أن الانسحاب بين هاتين الفئتين محرم قطعاً لأن هذا الفعل يندس النسب الشريف ويقطع السلالة الشريفة إلا أن الشريف كان مسموحاً له الزواج من "أمازيغية" أو "حرة" وهذا العرف ظل سائداً في بقاع واحة وادي زيز عند بعض الأسر رغم وضعيتها الاقتصادية والثقافية.

السؤال الذي يبقى مطروحاً هو: هل ظل هذا العرف قائماً إلى حدود اليوم؟ أم أن هناك تحولات مجتمعية غيرت من هذه الأعراف المحددة للعلاقات الاجتماعية؟

2. العلاقات الاجتماعية لمجتمع واحة وادي زيز بتايفيلالت: تنافر/صراع، تضامن/التحام: شكلت الأعراف المحلية السبيل المنظم للعلاقات الاجتماعية والحياة العامة داخل الواحة. وذلك من خلال تموضع وتوزيع كل مكون وسلالة في نطاقها الخاص، بالإضافة إلى بسط نظام متفرد يجنب من الصراع والتنافر بين مختلف الشرائح الاجتماعية، لتحقيق التوازن والتضامن الداخلي عبر المساهمة في توزيع حصص الماء والحصاد وأيضاً بناء تحصينات وأبراج ودور عبادة (أحمد عبدلاوي علوي، 1996، ص185). وغيرها من الأعمال الجماعية التي تشترك فيها مختلف المكونات بالرغم من موقعها داخل الهرم الاجتماعي.

إلا أن هذا التعايش والتضامن القائم بين مكونات مجتمع الواحة لم يحل بينها وبين الانجراف إلى الصراع والتنافر حول مسألة توزيع الثروات الاقتصادية والطبيعية وخاصة مشكل الماء الذي شكل عبر التاريخ سبباً في سفك الدماء بين القبائل وبين مختلف المكونات لأن البنية الاجتماعية للواحة عبارة عن وحدات تتجزأ إلى وحدات صغرى تدعى أفخاذ هذه الأخيرة تتحد فيما بينها خلال النزاع، ليتحول هذا الإتحاد من فخذات إلى سلالات.

يتحول الصراع الاقتصادي من صراع بين القبائل حول مشكل ما إلى صراع سلالي-اجتماعي (تتدخل الروابط الدموية) في نوعية الصراع وطبيعته، إذ إن اللحمة السلالية "الإثنية" هي أساس منظومة العلاقة الاجتماعية داخل الواحة. فخصوصية المجال تكسبه تفرداً في تنظيم العلاقات الاجتماعية القائمة على التضامن والصراع في ذات الوقت، لأن طبيعة التراتب الاجتماعي تنبني على مرتكزات ثقافية بامتياز.

شكل التفاوت الاقتصادي (امتلاك وسائل الإنتاج-الثروة) عاملاً بارزاً في تعيين التمايز الاجتماعي داخل واحة وادي زيز، إلا أنه بجانب هذا التفاوت نجد النسب-السلالة محددات فاعلاً هو الآخر في تحديد التراتبية الاجتماعية داخل الواحة، إذ يشكل رأسمالاً رمزياً-اجتماعياً محددات للوضعية الاجتماعية داخل "القصر" أو "الواحة". إلا أن هذه المحددات ليست الوحيدة بل كذلك يدخل العامل الديني-الروحي كإسهام ثقافي في تحديد المكانة الاجتماعية. جل هذه العوامل تتداخل فيما بينها لتحديد تموقع المكون داخل الهرم الاجتماعي لواحة وادي زيز بتايفيلالت.

لهذا يظل مجتمع الواحات من أكثر المجتمعات المتفردة في الخصوصية الاجتماعية والثقافية ، الاقتصادية والسياسية ، الجغرافية. بهذا التنوع والتفرد تصح التراتبية الاجتماعية خاضعة لمجموعة من المحددات التي تفوق المحدد الاقتصادي المحدد لتراتبية المكونات الاجتماعية أو الطبقات كما يرى "كارل ماركس".

#### خاتمة:

لقد شكل مجتمع الواحة منذ القدم مجالاً للاستقرار البشري ، نظراً لما يتوفر عليه من ظروف ملائمة تغري الإنسان بالبقاء إلا أن هذه المميزات المشجعة للاستقرار قد تكون في ذات الوقت عوامل محفزة على الصراع والقتال بين مختلف الشرائح الاجتماعية في ظل التمايز الحاصل بينها ، والذي انبثق عن مجموعة من التفاعلات بين قبائل وثقافات متعددة استوطنت بالواحة من خلال الترحال المتوالي ، خاصة وأن تافيلالت كانت جسر عبور لمختلف القوافل التجارية العابرة بين إفريقيا وأوروبا.

هذا التمازج بين مختلف الثقافات تفرد بخلق نموذج خاص بالحياة العامة داخل الواحة أو "القصر" ففي الوهلة الأولى ترى أن المجتمع الواحاتي غير متراتب من خلال نوعية وطبيعة الحياة وأيضاً أن جل الفئات تقطن داخل أسوار القصبه والقصر الواحد ، إلا أن باطن الأمر يخفي تراتبية من نوعية خاصة تحدد موقع المكون داخله ، وفق محددات وأبعاد متعددة. إن السؤال الذي يظل قائماً ما هو الثابت والمتحول في منظومة التراتبية الاجتماعية بواحة وادي زيز بتافيلالت؟ هل ساهمت التحولات المجتمعية في قلب الهمم الاجتماعي لمجتمع واحة وادي زيز؟

#### قائمة المراجع:

- الزهيد، 2016، من سجلماسة إلى قصر السوق: الاستعمار ودوره في التحولات السياسية والاجتماعية بتافيلالت الطبعة الأولى ، مركز دراسة وتنمية المجالات الواحية والصحراوية ، الجرف-الرشيدية.
- أحمد البوزيدي ، 1994 ، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17-مطلع القرن 20: دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية ، أفاق متوسطة لنشر ، المغرب.
- أحمد عبدلاوي علوي ، 1996 ، مدغرة وادي زيز: إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث ، الجزء الأول ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط.
- أنتوني غدنز ، 2005 ، علم الاجتماع ، ترجمة: فايز الصياغ ، الطبعة الأولى ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت.
- جون سكوت ، 2009 ، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية ، ترجمة: محمد عثمان ، الشبكة العربية لأبحاث والنشر بيروت.
- جون سكوت وجوردن مارشال ، 2011 ، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون المجلد الثالث الطبعة الثانية المركز القومي للترجمة ، القاهرة.
- عبد المجيد السامي وبوجمعة بوتوميت وحسن رامو ، 2016 ، الواحات رهانات التنمية المستدامة بالمغرب الصحراوي ، مركز الدراسات الصحراوية ، دار أبي رفاق لطباعة والنشر ، الرباط.
- Ch. De Faucauld, 1888, Reconnaissance Au Maroc (1883-1884), Chalumet et éditeurs, Librairie coloniale, Paris.
- Larbi Mezzine, 1987, Le Tafilalet Contribution à L'histoire Du Maroc Aux 17 et 18 Siècle, 1 Vol, Universitaire Mohammed 5, Rabat.
- Menuie.DJ, 1982, « Le Maroc Saharien Des Origines à 1970 », t1, Librairie, Paris.

## مدينة الصويرة التراث المعماري و التنمية

د.نعيمة الحضري

جامعة ابن طفيل ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة-المغرب

يخزن التراث الثقافي المادي المغربي مواقع أثرية ومعالم تاريخية متنوعة ومتميزة ، تبرز إبداع مهارة جماعات بشرية مختلفة من معماريين وفنانين وحرفيين محليين ... ، هؤلاء الذين خضعوا جميعهم لتقاليد ومفاهيم وأسس ، ثم إرساء قواعدها من قبل البدء في بناء أغلب المنشآت المعمارية بالمغرب ، وقد تجلى هذا الإبداع وهذه العبقرية في كثير من المباني بمدينة الصويرة منذ تأسيسها .

تفرد هذه المدينة بمعالم أثرية ذات خصوصيات معمارية وفنية ، تعد ثمرة جهد أسهمت بها الحضارة المغربية في إغناء التراث الإنساني ، ومن هذا المنطلق ، نقترح عليكم هذه الدراسة التي تدخل في إطار إبراز التراث المعماري الخاص بمدينة الصويرة<sup>1</sup> .

أهداف العرض

هناك أهداف عامة وأخرى خاصة

أما الأهداف العامة فتتناول الجوانب التاريخية والأثرية لمدينة الصويرة مند أسسها السلطان محمد بن عبد الله (1757م-1790 م) سنة 1764 م حتى دخول الحماية .

وأما الخاصة فتتمثل فيما يلي:

-التعريف بتاريخ المدينة و أسباب تأسيسها .

- جرد المعالم التراثية للمدينة الدينية والعسكرية والمدنية ، وإعطاء خلاصات عامة عن خصائصها المعمارية وسمايتها الفنية .

المحور الأول: الجانب التاريخي

لمحة تاريخية عن مدينة الصويرة:

إذا كان تاريخ مدينة الصويرة يبدأ من عام 1764م ، فإن تاريخ الموقع الذي بنيت فيه المدينة يعرف بما قبل الميلاد ، وكثيرا ما تذكر النصوص المتعلقة بما قبل التاريخ في شمال أفريقيا هذا المرفأ ، وقد أظهرت المعطيات الأثرية أن خليجها ، قد استوطن منذ العهد النيوليتي (2500-6000 قبل الميلاد).

<sup>1</sup> - مكنتنا دراستنا المفصلة التي تناولت الجوانب التاريخية و الأثرية لمدينة الصويرة مند نشأتها إلى بداية فترة الحماية ، من تمحيص مقوماتها المعمارية و الفنية انظر :

Naima El hadari, Recherches sur la ville d'Essaouira : Histoire et Archéologie monumentale. Thèse pour le Doctorat, Université de Paris. Panthéon –Sorbonne 1995.

كانت الجزيرة واحدة من المستعمرات الفينيقية التي أسسها حانون (القرن الخامس قبل الميلاد) و ،من المحتمل أنها كانت تسمى "جزيرة حيرة" أو "جونن " (Pierre de Cenival, Junon) 1936p. 622 وأسس بها الملك الموريتاني جوبا الثاني ، المصانع الأرجوانية les teintureries de pourpre . و بفضل الأرجوان الغزير في هذه المنطقة ، ربط الملك جوبا الثاني اتصالات تجارية مع روما ، ومن هنا جاء إسم

lesilesPurpuraires الجزر الأرجوانية ، و جعل الملك من هذا الموقع من المملكة ، محطة وصول القوافل الآتية من إفريقيا السوداء ، والمحملة بالذهب والعاج وريش النعام.

في عام 1955م أجريت الحفريات الأثرية على الجزر القريبة من خليج الصورة ، من قبل "ديجاكوكوبيري" Desjacques et koeberlé. الذين توصلوا الى أن هذه الجزيرة تمثل للملاحين القدماء جميع ظروف الاغتنام

الملائمة التي كانوا يبحثون عنها، وهي تتألف من مجموعة متنوعة من الحجر الرملي المميز على الساحل المغربي

( DesjacquesJean,et Koeberlé, Paul , 1955, p. 195.)

وفي عام 1960م كشف "أندري جودان" AndréJodinبوضوح التاريخ القديم لهذه الجزر، و هذه هي المرة الأولى ، التي يتم فيها العثور على البقايا القديمة على مسافة من المواقع الكلاسيكية ، (مثل سلا ، ليكسوس ..). وأظهرت دراسة طبقات الأرض l'étudestratigraphique لهذا الموقع ، أنه في موكادور ، تم جمع الآثار الفينيقية ، في تل تبلغ مساحته ربع هكتار ، وفي وقت لاحق تم تغطيتها بآثار موريتانية ورومانية. (André Jodin 1966, p. , 47)

قدم الموقع خلال الحفريات لقي أثرية مهمة و هي عبارة "عن مادة و فيرة من السيراميك الفينيقية ، وهي تتألف من مزهرجات ،وأطباق مغطاة بطلاء أحمر مشرق ، مع قوارير من الطين اليونانية ، وكانت الآثار الفينيقية تفوق بكثير اللقى اليونانية حسب أندري جوليان" (André Jodin, 1966, p. , 12) كما أكدت هذه المخلفات على وجود الملاحين القدماء بالموقع .

نستخلص أن موكادور ، كانت المكان الجنوبي من المحيط الأطلسي، والأكثر زيارة من طرف الفينيقيين والقرطاجيين والرومان والبيزنطيين .

موكادور في القرنين السادس عشر والسابع عشر :

اهتم البرتغال سنة 1506م بمرسى أمكدول ، و قد أفادنا الأرشيف البرتغالي عن استقرار البرتغال بالموقع ، و بناء حصن الكاستيلريال castillo real أي "الحصن الملكي " ، و قد كلف بينائه ديوكوازامبوجا Diogo Azambuja على اليابسة قبالة جزيرة موكادور" (Pierre (de) Cenival 1934, p. ,120) .

ويعتبر الرحالة و الملاح البرتغالي بشيكو برير Duarte Pacheco Pereira ،خير من يفيدنا عن الحصن الملكي رغم أن إشارته كانت مقتضبة حول أمكدول ، و فيما يلي ما جاء في حديثه عن الحصن « في سنة 1506 ميلادية أمر سموكم بتشيد حصن بساحل هذه القرية (Vila) المسماة أمكدول Mogador ،عرف بالحصن الملكي ، و قد شيده و حكمه بأمر منكم ديوكوازامبوجا Diogo d'Azambuja الفارس

ببلاطكم...الذي حورب و تعرض مشروعه لكل أنواع المضايقات. و هم أعداد هائلة من الأمازيغ و العرب، اجتمعوا لمهاجمة المكلفين ببناء الحصن».

(Duarte Pacheco Pereira , 1957, p., 61) هذا النص شهادة حية ، و تعتبر الأخبار التي وردت فيه ذات أهمية ، و يمكن ذكرها إجمالاً في الانجازات الآتية: أن الحصن بني بأمر ملكي ، و شيد على يابسة تعرف باسم موكادور ، و يقع بالقرب من البحر ، ولم يطل استقرار البرتغاليين بموقع أمكدول ، حيث أجبروا على إخلائه بعد أربع سنوات ، و بذلك يكون الموقع قد عرف أقصر مدة في تاريخ الغزو البرتغالي بالمغرب. (أحمد بوشارب ، 1994 ، ص 111). خرب هذا المشروع المعماري دون أن تتوفر على معالمه المعمارية أو على عناصره التشكيلية.

### القرن الثامن عشر: من موكادور إلى الصويرة

أنشأ السلطان العلوي سيدي محمد 1757 م- 1790 م مدينة الصويرة على بقايا بناء سالف ، و لم يكن تأسيسها في عام 1765 م على يد السلطان عن طريق الصدفة ، ولكن كان نتيجة لتفكير اقتصادي وسياسي جديد ، حيث شهد المغرب في القرن الثامن عشر تطوراً ملحوظاً ، مدفوعاً لتلبية حاجيات جيش قوي ، والإقرار الضريبي الشرعي عبر تطبيق نظام جبائي واسع النطاق ، وكان بناء الصويرة وسيلة مباشرة لهذه الرغبة ، و قد اعتمد سيدي محمد على التجارة ، كمصدر رئيسي لمداخيل للمخزن ، و النفقات الدورية للرسوم الجمركية. أسباب تأسيس مدينة الصويرة: من هذه الأسباب أسباب سياسية واقتصادية وطبيعية ، كانت الأسباب السياسية هي الأسباب الرئيسية التي حددت تأسيس هذه المدينة ، بل هي السبب الرئيسي في أصل تشييد هذا البناء ، وقد تحدث الناصري عن هذا العامل معتمداً على غيره ، قائلاً "أن الباعث على بناء الصويرة هو أن حصن أكادير كانت تتداوله الثوار من أهل سوس مثل الطالب صالح و غيره ، و يسرحون وسق السلع منه اقتياتاً و يستبدون بأرباحها. فرأى أن حسم تلك المادة لا يأتي بإحداث مرسى آخر أقرب إلى تلك الناحية و أدخل في وسط المملكة من أكادير حتى تتعطل على أولئك الثوار منفعته فلا يتشوق أحد إليه فاخترت الصويرة". (أحمد بن خالد الناصري ، 1954-1956 ص 20)

أدى ميناء الصويرة دوراً سياسياً وعسكرياً أكثر منه تجارياً في المنطقة ، ومع ذلك كانت فكرة التهريب أحد الأسباب الرئيسية لتأسيس موكادور ، ومن الممكن أن الملك سيدي محمد أراد منه أن يكون ميناء تتركز فيه معظم التجارة المغربية مع الخارج ، حيث سيوفر له عائداً مهمة.

ولاحظ أوجين أوبين Eugène Aubin من جانبه ، "أن السلطان أغلق ميناء أكادير ، وبنى محله مدينة موكادور ، ومنذ ذلك الحين ، إلا في فترات نادرة ، لم يعد لأكادير إقبال أمام التجارة الأوروبية ، وكان ازدهار موكادور كحظ سوء على السوسيين"<sup>21</sup> (Eugène Aubin , 1913, p.-)

وأما الأسباب الاقتصادية لتأسيس الصويرة في القرن الثامن عشر ، فتتمثل في تركيز تجارة القوافل واستيراد السلع الأوروبية ، وبحسب شينيه ، Chénier بنى سيدي محمد موكادور ، لأنه أراد أن يجعل منها نقطة وصول القوافل الصحراوية ومكاناً لتجمع التجار الأوروبيين. (Louis Chénier , 1787, p p., 39-41)

فأصبح هذا المرسى الجديد مرتبطا بتجارة القوافل ، التي كانت مهمة بالقوى الأجنبية . و كان السلطان سيدي محمد بن عبد الله يريد أن يجعل من ميناء موكادور همزة وصل بين جنوب المغرب والتجارة الخارجية ، ويرغب بدون شك في جعل هذا المرسى أكبر ثغر تجاري بين المغرب وأوروبا .

(Henri Terrasse, 1949 p., 298)

لم ينتظر الملك طويلا لكي يأمر جميع التجار الأوروبيين بالاستيطان في الصويرة ، وللقيام بذلك ، خفض الرسوم الجمركية ، و أصبحت موكادور الأكثر نشاطا تجاريا في البلاد ، واحتوت وحدها على أكثر المؤسسات من جميع المجموعات الأخرى ، وفي عام 1780 م ، تم إنشاء العديد من الدور التجارية في هذه المدينة ، التي نَهت بالتأكيد الصويرة .

وأما الأسباب الطبيعية فتتجلى في أن مدينة الصويرة تحتوي على خليج محمي من الأمواج العالية للمحيط ، يفسح المجال بسهولة وبشكل دائم إلى الملاحه ، خلافا لبعض الموانئ الواقعة على مصبات الأنهار التي لم تكن صالحة للاستعمال على طول السنة .

و يقول الغزال في رحلته "تسافر منها القراصين متى شاءت من غير أن تقتفر لطيب هواء.....وقد شاع خبرها في سائر الآفاق ، وأجمع الكل على تفضيلها وتقديرها على ما سواها بالاستحقاق ، وبادعائها وإنشائها تتابع الجهاد" .

( أحمد بن المهدي الغزال ، ص 12 )

والغزال كان يعلم أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، اختار هذا الموضع لمشروع المرسى بالمدينة ، على الساحل الأطلسي ، لأن السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان مولعا بالجهاد في البحر ، وكانت له قراصين بهرسي العدوتين ، ومرسى العرائش ، وكان سفرها في البحر مقصورا على شهرين في السنة ، ففكر السلطان في حيلة يتأتى بها سفر قراصنه ، في سائر أيام السنة في ثغر الصويرة .

اختار السلطان هذا المنفذ للتجارة وجهزه ، ولكن بعض الكتاب وجدوا أن هذا الميناء ليس كبيرا بما فيه الكفاية للسفن ومن هؤلاء شينيه Chénier الذي وصف المنفذ بقوله: "ويتكون ميناء موكادور من قناة بين الأرض والجزيرة التي لديها أكثر من ألف في الطول. هذه القناة مصبها في الشمال الغربي ، وخروجها في الجنوب ، وهي آمنة للسفن المتوسطة الحجم ، ولكن عموما ليس لها عمق جيد ، خاصة وأنها تزيد في الانغلاق جراء كميات الرمال التي تتراكم ، وخطام العديد من السفن التي لقوا حتفهم في فصل الشتاء في هذا المنفذ من قبل بسبب قوة الرياح العاصفة من الجهة الجنوب الغربية ، توقع في أحوال جوية سيئة " ( Louis Chénier, 1787, p39-41 ) يبدو من خلال هذه الفقرة ، أن هذا المؤلف يعني ببساطة أن هذه القناة ليست عميقة ، وغير آمنة ضد سوء الأحوال الجوية .

وأفاد جيمس غريغ James Graig بدوره أن "ميناء موكادور يتكون من تسنن من الجهة الساحلية... ومن جزيرة صخرية تلي الاتجاه العام لخط الساحل من الشمال والشمال الشرقي إلى الجنوب والجنوب الغربي ، في الواقع هي قليلة الأمان ، كميناء مفصول من الداخل بحزام من التلال الرملية 188 p. ( James Craig, 1870. p. 188 )



و أورد أوجين غرنبي EugèneGuernier " أن موكادور لم تخطط لاستيعاب السفن التي ترسو في الميناء 800 متر أو 1000 متر، بل هي مخصصة لتخزين المعدات المخصصة لتفريغ البضائع " , Eugène Guernier ( Paris, 1940, p., 349)

والجدير بالذكر أنه على الرغم من هذه العيوب، تم تحصين الميناء الجديد، وتجهيزه بمدافع، وهكذا، كانت موكادور محمية من عمليات القرصنة والتفريغ الضارة بالتجارة في الجنوب وفي جميع أنحاء البلد.

### المحور الثاني التراث الديني

المنشآت الدينية: فرضت الممارسات الدينية بالمجتمع الصوري التمييز بين عدة منشآت دينية تختلف في تخطيطها وفي زخرفتها وهي: الجوامع والمساجد والزوايا والأضرحة والكنائس و البيع، وهي تنتشر في أحياء المدينة العتيقة ومنها ما يوجد خارجها.

المساجد الجامعة: أكد كل من جون و دومنيك سوردي لأن "المسجد المبنى الطقسي الأكثر تميزا في الإسلام والحضارة الإسلامية، بأشكاله الهندسية و الوظيفية المتعددة، من المصلى البسيط إلى المسجد الجامع هو مكان للسجود أمام الله، المسجد الكبير أو الجامع" (ج. و د.سورديل، 2009 ص893)

و المسجد هو بيت عبادة المسلمين، و"مكان إلزامي للتعبد بالمدينة الإسلامية، إنه المركز السوسيو اجتماعي للجماعة الإسلامية، ففيه يتم تمرير خطابات الخليفة أو الأمير أو السلطان الذي يزول السلطة الدينية و السياسية" (29 p, 1987, Michel van der Meerschen), و يعتبر المسجد معلمة دينية ضرورية وجب بناؤها في كل بقعة إسلامية.

وأول نموذج له ذلك الذي أعده النبي محمد صلى الله عليه وسلم في منزله في المدينة المنورة، وهو يتألف بحسب التقليد، من قاعة للصلاة، يقوم سقفها على جذوع من أشجار النخيل، ومن باحة أكثر اتساعا(ج. و د.سورديل، 2009، ص893).

و لقد كان لتصميم هذا النوع من البيوت أثره في المغرب، حيث شيدت فيه مساجد و جوامع منذ العصر الإدريسي. ويضم المسجد الكبير أو الجامع الكبير المخصص للصلاة الخمس و خطبة الجمعة: قاعة للصلاة، و صحن ومئذنة، فضلا عن مرافق أخرى بها في ذلك المكتبة، مصلى الجنائز والمدارس، ومدينة الصويرة مثل معظم المدن المغربية تتوفر على بنايات من هذا الصنف.

كانت مدينة الصويرة في السنوات الأولى للبناء في عهد سيدي محمد بن عبد الله تتوفر فقط على مسجدين جامعين هما: جامع القصبه أو الجامع العتيق، وهو الأقدم وجامع سيدي يوسف بن علي، و في أواسط القرن التاسع عشر انضم إليهما جامع البواخر<sup>2</sup>.

### مميزات المساجد الجامعة

### العناصر الإنشائية

<sup>2</sup> - شيد هذا المسجد الخاص بعبيد البخاري في القرن الثامن عشر، وحول إلى جامع وعرف عدة توسيعات سنة 1844 م.

- تتميز الجوامع بمقاييس متواضعة تحتضن ساحة مكشوفة بها أروقة جانبية في الصحن (مسجد القصبه) و(مسجد سيدي يوسف) أكثر من بيوت الصلاة<sup>3</sup> وهذه الخاصية توجد في جامع السنة المشيد من طرف نفس السلطان (Jacques Caille, 1949, p., 457).

-انعدام الأروقة الجانبية في الصحن (جامع البواخر) ،  
-بيوت للصلاة مقسمة عن طريق بلاطات<sup>4</sup> موازية لجدار القبلة (مسجد القصبه).  
-الاكتفاء بعدد قليل من البلاطات ،

-بلاطات متساوية وهذا يخالف ما وجد في المعالم الدينية لسيدي محمد عبد الله :جامع الروى بمكناس و  
بريمة بهراش، ( Marianne Barrucand, , 1985, p. 39)

- الاعتماد على ركائز مربعة الشكل (جامع القصبه - جامع سيدي يوسف) و ركائز مستطيلة (جامع البواخ ر).  
- وجود الصومعة المربعة (مسجد سيدي يوسف و مسجد البواخر) و المستطيلة (القصبه) بواجهات بسيطة  
يغطيها جير أبيض متوجة بسقوف هرمية من القرميد الأخضر ،  
-بيت الوضوء ،

-خزانة للكتب (مسجد القصبه).

-مؤسسات تعليمية.

-مصلى الجنائز (مسجد سيدي يوسف).

-بيت صلاة للنساء.

- استعمال الأقواس النصف الدائرية و الحدودية و المنكسرة و العبياء و المفصصة و المتقاطعة و المنخفضة.

-التسقيف بالبرشلة<sup>5</sup> في بيت الصلاة ، والأقبية في المآذن.

مواد البناء: الحجارة و الطابية و الجير و الخشب و الجبس و الآجر و الزليج .

### العناصر الزخرفية

-زخرفة نباتية تشمل زهورا وأوراقا ،

-زخرفة هندسية تتكون من صنجات معينات و مشبكات و أشكال نجمية و إفريزات وإطارات و شرفات  
ومقرنصات .

-زخرفة خطية تشمل الخط الكوفي و الخط النسخي و خط الثلث .

المساجد: تتوفر المدينة على عدة مساجد متفرقة في حومات المدينة ،مخصصة للصلوات الخمس باستثناء  
صلاة الجمعة.

<sup>3</sup>- كان هذا الجامع خاليا من الأروقة الجانبية ، و أخبرنا صاحب الشموس المنيرة أن الناظر عبد الرحمن الجوع ، هو الذي أضاف إلى مسجد سيدي يوسف هذه الأروقة في بداية القرن العشرين. للزميد راجع ، الرراكي أحمد ، 1935، ص 44. وكذلك الصديقي محمد بن سعيد 1964، ص 134.

<sup>4</sup> البلاطة هي المكان المحصور بين صفين من القناطر ، و تطلق بشكل خاص على الأروقة الداخلية في الكنائس و قاعات الصلاة ، راجع عبد القادر الريحاوي ، 1990، ص 622

<sup>5</sup>البرشلة : سققشبي مزوق ذو انحدار .

و منها من تؤدي وظيفة المسجد و الزاوية في نفس الوقت ، و نذكر مسجد الشبانات أو مسجد سيدي عبد الله أو عمر ، و مسجد أهل أكادير ، و مسجد حاحا ، و مسجد الحدادين ، و مسجد الشياضي ، و مسجد مسكينة ، و مسجد سيدي علي بن داود ، و مسجد السوق أو حماد و محمد ، و مسجد جبالة ، و مسجد الرحالة ، كما توجد مساجد خارج الأسوار مسجد الذيابات ، و مسجد الجزيرة الكبرى ، و هذه المعالم الدينية و ترتبط بتقاليد العمارة الإسلامية في عناصرها الإنشائية و تشترك في معظم تفاصيلها المعمارية و الزخرفية مع البنايات الدينية الإسلامية المغربية.

### الخصائص المعمارية و الزخرفية

- بنايات متواضعة في هيأتها العامة.

- التميز بالبساطة في المظهر الخارجي والداخلي.

- احتواء بعض المساجد على العناصر المسجدية و على بعض المرافق ، كالصومعة و الميضأة و السقاية و المسيد و الغرف ،

- توفر الصحن المكشوفة على أروقة في بعض المساجد و خزان مائي.

- وجود بلاطات موازية لجدار القبلة في قاعة الصلاة لبعض المساجد.

- اعتماد الصومعة المربعة.

- استعمال الأقواس النصف الدائرية ، و الطفيفة الانكسار ، و المفصصة.

- وجود ركائز مربعة و سوارى اسطوانية الشكل من الحجر المنجور ، متوجة في بعض الأحيان بتيجان.

- القوس النصف الدائري ، و الطفيف الانكسار ، و المتعرج ، و المنكسر ، و المفتول و المفصص ، و الأصم.

- تزيين بعض المساحات بعناصر هندسية و نباتية و خطية.

- تغطية السقوف بالقطع الخشبية أو بالقصب ، و هي إما سقوف مسطحة أو هرمية الشكل ، كما نجد الأقباء (مسجد الجزيرة) ، و هي السقوف المعقودة les vouûtes بشكل محذب و تكون على أشكال.

- استخدام الشكل الخماسي ، و المثلث الأضلاع و التشبيكات الهندسية ، و الشرفات و الصنجات و الرصيغات و الأهلة croissantsles ، و النجمة المثلثة الأضلاع و القوقعات و الزهريات.

الزوايا: الزوايا نوع من الأبنية الدينية ، و هي عبارة عن مكان معد للعبادة و إيواء الواردين المحتاجين و إطعامهم ، و لم تعرف الزاوية في المغرب إلا بعد القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي (محمد حجي ، 1988 ، 23).

انطلقت الزوايا المغربية في بادئ الأمر كمؤسسات دينية و تعليمية و اجتماعية ، و تشعب دورها إبان المد الابيري للسواحل المغربية و عجز السلطة عن الدفاع عن حوزة الوطن ، و غدت تلعب أدوارا سياسية و جهادية. تحتوي مدينة الصويرة على غرار المدن المغربية على زوايا ، و هناك البعض من هذه المنشآت شكل زاوية و مسجد ا في نفس الوقت. و هي كما يلي: الزاوية الكتانية التي تعرف كذلك بمسجد الشراي ، و زاوية الرمي و زاوية سيدي الشيخ و الزاوية التيجانية و الزاوية الركاكية و الزاوية الدرقاوية و الزاوية القادرية و الزاوية الناصرية و الزاوية الوزانية و الزاوية الجزولية و الزاوية العيساوية و الزاوية الغازية و زاوية كناوة و زاوية حمادشة .

## أهم خصوصياتها

- البساطة وعدم الانتظام في البناء ،
- لا يختلف تصميم أغلب الزوايا عن تخطيط الدور ، وربما كانت بعض الزوايا في الأصل دور سكنية أو رياض صغير ، و يدل على ذلك وجود مدخل ملتوي و أسطوان و غرف.
- وجود قاعة الصلاة بمحراب في بعض الأحيان ،وفناء وهو إما مكشوف وإما مغطى ، به أروقة و سوارى و قاعة مقببة تشكل أهم عنصر معماري في الزاوية ، وقاعة معمدة salle hypostyle ومطبخ وقاعة لإيواء الزوار ، وبيت للوضوء ، وركن مخصص للنساء.
- تسقيف الأروقة بقناطر خشبية.
- استعمال الأقواس النصف دائرية والطفيفة الانكسار والعمياء ،
- الاعتماد على الزخرفة النباتية والهندسية و الخطية ،
- تزيين المساحات بالجبس و الصباغة والحجارة المنجورة وتبليط الجدران والأرضية بقطع الزليج أو بالتراب المدكوك.

**الأضرحة:** يطلق الضريح على مدفن السلطان ، أو أمير أو رجل صالح أو أي إنسان آخر ، له مكانة تدعو إلى تخليد ذكراه.(عبد الرحيم غالب ، 1988 ، ص25).

انتشرت الأضرحة في المغرب في المدن و القرى ، و اختلفت في مستواها المعماري و الزخرفي حسب المناطق تزخر مدينة الصويرة بالعديد من الأضرحة ، التي كانت تعد قبورا مقدسة تحتوي على رفات الصالحين والأولياء ، وكان شكلها المعماري يتميز بوجود القبة ، والتي تدل بالمعنى التقني على القبر المقدس ، و تتواجد معظم الأضرحة بالصويرة داخل الأسوار ، و نذكر منها ضريح سيدي عبد الدايم ، و ضريح سيدي الحسن أو الحسين ، و ضريح ميمون ، و ضريح سيدي علي بن عبد الله. كما يوجد ضريح خارج الأسوار و يدعى ضريح سيدي مكحول وهو عبارة عن مركب معماري ، كما تفتقر جل الأضرحة بالصويرة إلى جمال الصنعة و الدقة في البناء.

## مواصفاتها المعمارية و الزخرفية

- بنايات متواضعة وتصميمها قريب من تصميم المنازل .
- تتخذ أغلب الأضرحة شكلا مربعا.
- وجود قبة في بعض الأضرحة.
- من عناصرها الإنشائية: بيت الصلاة و فناء مكشوف و محاط بأروقة.
- تتوفر الأضرحة على مرافق كبيت الوضوء وقاعة للإيواء ومستودع.
- جل البنايات بداخلها رفات لولي .
- تشتمل أغلب الأضرحة على سوارى و أقواس وتغطي سقوفها بقناطر خشبية.
- الهنشآت العسكرية: حصن السلطان سيدي محمد بن عبد الله في نهاية القرن الثامن عشر ثغر الصويرة حماية لتجارها وتنمية لعمرانها. وتتكون تحصينات الصويرة من أسوار ، وأبواب ، وأبراج ، وصقالات.

## المميزات المعمارية

- أبواب بسيطة الشكل والزخارف مقارنة مع الأبواب العلوية التي بنيت قبلهم.
- بعض واجهات المداخل تتكون من فتحات.
- تزويد بعض الأبواب بدهليز وغرف للحراس وكذلك للمشرفين من أجل أخذ الجباية.
- التسقيف بالقبب والقبو النصف الدائري و البرشلة.
- تحصين الأبواب إما بمراقب échauguettes أو بأبراج.
- الاعتماد على ركائز مضلعة و سوار بأقواس نصف دائرية ومتجاوزة أو مفصصة مكللة بتيجان في بعض الأبواب.

#### المميزات الفنية

- استعمال زخرفة هندسية من الأشكال نذكر الإفريز bandeau والصنجات والأهلة والنوع الدوري والجبهية.
- الرصيعة<sup>6</sup> médaillon (باب السبع و باب المرسي) تتخذ شكلا هندسيا تتجسد فيه الكتابة و الزخرفة.
- تزيين أعلى الباب بمتراس تعلوه شرافات ، منبطة ومتسعة أو مشطوفة الرأس .
- الزخرفة النباتية ونجدالسعيفة palmette اليونانية (بياب المرسي).
- الزخرفة الكتابية في باب السبع و باب المرسي<sup>7</sup>.

#### مواد البناء

- استعمال الحجارة كمادة أساسية للبناء بدون ملاط enduit.
- بناء جدران بعض الأبواب بالدبش والملاط.
- استعمال الحجارة المنجورة في الأقواس وفي إطار المداخل .
- الأبراج: حافظت أبراج الصورة على وجه الشبه مع سابقتها ، لذلك توزعت على طول سور المدينة ، وعلى واجهات الأبواب منفصلة عن بعضها البعض .

#### المكونات المعمارية المميزات الفنية

- تتخذ هذه البنايات الشكل الأسطواني .
- تتعزز هذه الأبراج بغرف يتم الدخول إليها عبر فتحة بسيطة.
- وجود أهلية للمؤن والأسلحة و خزان مائي في بعض الأبراج.
- تتوفر الأبراج على فتحات مستطيلة الشكل للمراقبة أحيطت بها إطارات .
- بناء سطحة تتحكم في مختلف جوانب البرج تنتهي بمتراس .
- توفر بعض الأبراج على مستويين (برج باب مراکش و برج البرميل) .
- استعمال الأقواس النصف الدائرية في الفتحات المحمولة على ركائز.
- التسقيف بقبب أو بأقباة نصف الأسطوانية.

<sup>6</sup> تبدو الرصيعة المستعملة في مدينة الصورة الحاملة للكتابة ، غريبة في شكلها عن سجل الزخارف الهندسية الإسلامية المغربية ، و الظاهر أن هذا الشكل من الأوسمة ظهر مع أسلوب الباروك Baroque في القرن الثامن عشر ، و يظهر أن التفاعل بين المغرب و الجاليات الأجنبية هو الذي ترك آثاره في المعمار .

<sup>7</sup> عن النقوش الكتابية بباب المرسي بمدينة الصورة ، انظر نعيمة الحضري ، 2019 ص 272- 296

- كوات في أعلى الجدران للتهوية و دخول الضوء.
- يتم الاتصال بالقاعة والسطح عن طريق درج مستقيم.
- تزويد بعض قاعات البرج بمراقب.
- وجود الشرفات (برج باب مراکش و برج البرميل) وانعدامها (برج مولاي محمد).
- زخرفة الكتائية (برج مراکش و برج الصقالة).
- زخرفة هندسية ( برج البرميل).
- الاعتماد في البناء على الطابية و الحجر المنجور وغير المنجور.

#### الصقالات

#### الخصائص المعمارية و الشكلية

- صقالات بمستويات محمولة على مخازن بنواذف.
- مطفية.
- أسطوانو بيوتات.
- وجود فتحات مستطيلة للمدافع و أخرى اسطوانية .
- أقواس نصف دائرية.
- أقباة اسطوانية. voûtes en berceaux.
- مراقب مستديرة مغطاة بققب.
- زخرفة هندسية ( الرصيعة- الإفريز- الصنجات- الشرفات). كما نجد زخرفة نباتية و زخرفة كتابية.

#### مواد البناء: الحجر والأجر والخشب.

المنشآت السكنية: تعد الدور السكنية من أغنى و أكثر المعالم المعمارية ، و تعني الدار منزل نزول القوم و مكان سكنهم ، و صارت تطلق على كل بيت.(غالب ، نفس المرجع ، ص408) ، وقد مثلت هذه الدور نمطا معماريا مدنيا أكثر تشبيدا ، بغرض السكن و العيش والحماية و الأمن ، كما تحكمت في معمار الدور السكنية الإسلامية ظروف مناخية ، و شروط أمنية ، و عوامل صحية واجتماعية ، و دور الصويرة لم تخرج عن هذه الظروف.

أما من الناحية المعمارية و الجمالية ، نلاحظ أن الدور السكنية في الصويرة اتبعت التخطيط المعماري في الدور المغربية التقليدية ، و نجد داخل المدينة أنماطا معمارية ، منها الدور المتواضعة و المتوسطة و الفخمة ، و قد سكن هذه المنشآت المسلمون و اليهود و المسيحيين .

الدور السكنية الفخمة: أغلب الدور السكنية تأسست منذ أواسط القرن الثامن عشر ، وهي منازل أغلبها يتسم بالفخامة ، و كان يمتلكها السلاطين والقياد و الباشاوات والأعيان والتجار والقناصل والأجانب ، و نذكر منها دار

المخزن أو الدار الملكية و قد اندثرت ، و جل هذه المباني توجد داخل الأسوار ، أما خارجها فقد تأسست دار السلطان<sup>8</sup> جانب قرية الديابات .

**النظام المعماري:** يسود في الدور الضخمة الطابع الأندلسي المغربي ، والطابع الأوربي ، وسنحاول أن نعطي الخصائص العامة عن تخطيطها ، وتتجلى في :  
-اختلاف في المساحات ،

-تتكون من طابقين فما فوق(William Lemprière, , Paris, 1801, p .67)

-واجهة بسيطة بباب به خوخة (الباب الصغير داخل الباب الكبير) في بعض الأحيان.  
-مدخل ملتو يحمي المنزل من الرياح المحملة بالأتربة ، و يذكر بالدور المغربية الإسلامية التقليدية ، كما نجد مدخلا مستقيما<sup>9</sup>.

-وجود مستودع للسلع في بعض منازل التجار.

-صحن مكشوف بأروقة و أعمدة.

-غرف مختلفة القياسات ومتعددة الوظائف بها نوافذ قليلة و أبواب عالية.

- من المرافق مطبخ و بيت الوضوء و حمام و خزين للسلع و سطح.

-إلحاق بعض الدور بالمنزه.

-وجود الدربوز والموقد للتدفئة في بعض الدور.

-أقواس نصف دائرية و أقواس طليفة الانكسار و أقواس مفتولة و أقواس منخفضة — أقواس عمياء.

**النظام الزخرفي:** الزخرفة الهندسية خاصة الشماسيات ، و النجمة السداسية ، و الأشكال المربعة في الزليج.

**مواد البناء والتزيين:** الحجر و الزليج و الزجاج العراقي و الخشب و الصباغة.

**الدور السكنية الكبرى أو الرياض:** من أشهر الدور في الصورة رياض العثماني ، رياض أشقر ورياض شكير.

**الشكل المعماري:**

-مساحة شاسعة.

-واجهة تقريبا خالية من الزخرفة.

-وجود مدخل مستقيم أو ملتو.

-صحن بأروقة تتوسطه حديقة تنتظم على شكل ممرات متعامدة ، ووجود فسقية في بعض الأحيان.

-وجود بهو/ إيوان في الدور الصورية.

-إلحاق الرياض بالدورية البيت الصغير المخصص للحريم أو للخدم.

<sup>8</sup> - بني دار السلطانسيدي محمد بن عبد الله على الشاطئ قرب الديابات ، و هي اليوم مخربة و تلاشت كل مكوناتها المعمارية ، وتعرف بالدار البيضاء.

<sup>9</sup> لعبت التجارة دورا فعالا في بناء دور مدينة الصويرة في تصميمها وتنظيمها الداخلي ، ووجود المدخل المستقيم عنصر أمله الوضيفة التجارية ، لتسهيل دخول السلع في الطابق الأرضي.

-وجود الهري للسلع و الروى للدواب و المصرية الحجره الخاصة بالضيوف أو لصاحب البيت ، و تكون مستقلة

-غرف ذات وظائف متعددة ، و خاصة غرفة الاستقبال (الصالة) التي تحظى باهتمام بالغ في زخرفتها.

-النوافذ الكبيرة و العالية.

-السطح.

-أقواس و أعمدة في الصحن ، و أقباء في بيت التخزين.

الشكل الزخرفي: نقوش هندسية كالرصيعة والصنجة ...

مواد البناء: البناء بالطابية و الحجر و الحجارة المنجورة في الأعمدة و في الأقواس واستعمال الزجاج الملون و

الجبس المنقوش والزليج العادي و المزخرف والجبس .

المنشآت الصحية: حرصت كل الدول المتعاقبة على حكم المغرب ، على بناء حمامات بدءاً بالأدراسة ووصولاً

إلى العلويين في القرن الثامن عشر، و في هذه الفترة اشتهر سيدي محمد بن عبد الله بتشبيد هذا النوع من

المعالم البارزة في المدن المغربية كمرآش ، و قد ورد عند الزياتي في هذا الشأن أن "سيدي محمد بن عبد الله

لما حل بمرآش سنة 1169هـ 1756م ، بنى حمامات" (أبو قاسم الزياتي ، 1886 ، ص 12) ، كما جهزت الصورة

منذ هذه الفترة بهذه المؤسسات الصحية و قد كانت لها وظيفة دينية واجتماعية واقتصادية ، والتسقيف

بالعرعار والبرشلة.

حمامات الصورة: تعج مدينة الصورة منذ تأسيسها بهذه المرافق العمومية الشعبية للنظافة ، وتوجد في

داخل أسوارها ، وهي مشابهة للحمامات المبنية في المدن المغربية ، من أهمها حمام عامرو حمام الشياضي

وحمام عبد السميح وحمام الشبانات ، إلى غير ذلك ومن خلال دراستنا و معاينتنا الميدانية لهذه المؤسسات ،

سجلنا ملاحظات في شأنها و هي كالتالي:

-التشابه مع الحمامات المغربية من حيث التوزيع الهندسي.

-البساطة في البناء و التواضع في المقاييس.

-اختلاف بسيط في التفاصيل بين هذه الحمامات.

-فضاء الاستقبال يتألف من غرفة للجلوس ، و فضاء خلع الملابس به دكانات.

بيت الوضوء: فضاء الاستحمام يتكون من القاعة الباردة و الدافئة و الساخنة ، بها صهريج للماء البارد و

الساخن ، و هذه القاعة تجاور مكان تسخين الماء ومصدر الوقود ، أو ما يطلق عليه بالعامة "الفرناتشي" .

-مداخل بسيطة و ملتوية .

-استعمال الأقواس و الأقباء والضوايات .

-انعدام الزخرفة .

المنشآت التجارية: اشتهر العرب بمعرفتهم للأسواق منذ زمن بعيد ، و بعد الإسلام اتسعت للمسلمين و

لغيرهم لضرورة التجارة ، و السوق مجموعة من الدكاكين تفتح على جانبي الطريق ، و قد يعرف السوق باسم

السلعة التي تباع فيها ، أو باسم مؤسسه ولكل صناعة سوق ، و لكل تجارة أيضا سوق .



ومن الأسواق المتخصصة ، نذكر سوق الخباطين ، و السماكين ، و العطارين إلى غير ذلك ، و من الأسواق الإسلامية المشهورة نذكر على سبيل المثال لا الحصر سوق الحميدية بدمشق .  
أما أسواق الصويرة فقد احتلت مكانة رفيعة بعد إعادة بنائها و تعميمها ، حيث أصبحت المدينة الجديدة حاضرة بفضل التجارة البرية و البحرية التي منحتها ، وسيلة لضمان التطور الاقتصادي للمدينة ، و قد تأسست بها بنايات تجارية مختلفة في مورفولوجيتها المعمارية ووظائفها ، نذكر منها :  
سوق الحدادين و سوق آفا و سوق العطارين و سوق الأسماك و سوق الجزارين و الحضاريين و سوق الرقيق و سوق المجوهرات و سوق الغزل و الرحبة وللإشارة فقد غيرت بعض الأسواق وظيفتها فيما بعد .

#### المميزات العامة لأسواق المدينة

- توجد هذه الأسواق داخل الأسوار .

- تشكل صفوف منتظمة من الحوانيت .

- تختلف الدكاكين في حجمها و تخصصها .

- تسقف بالتقنية المحلية و الجايزة و الورقة و الأقباء .

- واجهة بسيطة بها أبوابها منعدمة الزخرفة و يميزها فقط شواف من القرميد الأخضر .

- أروقة معمدة و أقواس نصف دائرية .

- وجود فناء مكشوف في الرحبة و سوق الدلالة مع أروقة جانبية .

الفنادق: الفندق بناء شيد من قبل الإسلام لتقوم بوظيفة إيواء المسافرين على طرق القوافل ، سماه العرب " فندقا " ثم عرف في فارس و تركيا " بالمسافر خانة " و " الكرفانسراي " كما كانت تعرف أيضا بالخان (فريد محمود شافعي ، 1982 ، ص 124) .

انتشر بناء هذه العمائر في المغرب منذ العصر الوسيط ، بعد ازدهار التجارة الخارجية والداخلية ، و ظهور المدن و نمو و تنوع ساكنتها ، مثل مدينة فاس و مراكش و سلا و غيرها<sup>10</sup> . وتشتبه فنادق مدينة الصويرة التي لعبت دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية ، فيما تؤديه من خدمات مع فنادق شمال إفريقيا و المشرق ، " أي منامات تؤوي المسافرين و دوابهم و قطعانهم " (محمد حجاج الطويل ، 2003 ، ص. 6549 )

أما من الناحية المعمارية وبصفة عامة فقد كان الفندق يتكون من صحن تحيط به وحدات ، و من طابقين ، الطابق السفلي مخصص لعرض السلع و التبادل التجاري ، و مستودعا للبضائع أو حوانيت و اصطبلات للدواب و تقديم العلف لها ، أما الطابق العلوي ، فكان يضم غرفا مرصوفة تطل على الساحة مهمتها استقبال المسافرين<sup>11</sup> .

احتضنت مدينة الصويرة فنادق منذ القرن الثامن عشر ، أخذت في بعض الأحيان إسم السلعة التي تباع فيه كفندق الزيت ، و منها من ارتبط بأسماء أشخاص كفندق الحاج لحبيب إلى غير ذلك ، وقد قمنا بدراسة

<sup>11</sup> - ارتبطت هذه الفنادق بالحركة التجارية التي عرفتها الصويرة منذ تأسيسها ، للأسف لم تعد تحتفظ هذه البنايات بهندستها المعمارية ، منها من غيّر الوظيفة ومنها من اندثر .

معمارية وفنية لثلاثة فنادق فقط ، نظرا لكثرتها وقلة النصوص المكتوبة أو النقوش التي تقيد في تأريخها ، وهم فندق المحمام ، و فندق لوغوLeroux أو القايد مبارك ، وفندق هومير .

#### المميزات المعمارية و التشكيلية للفنادق:

-التشابه مع مثيلاتها في المدن المغربية من حيث التصميم.

-بنايات متواضعة الشكل .

-غرف بأحجام متفاوتة تطل على الصحن.

-وجود مدخل بمصطبات للجلوس في بعض الأحيان (فندق هومير).

-صحن بأروقة وأعمدة أسطوانية.

-انعدام النوافذ ووجود كوات للضوء .

-سطح .

#### مواد البناء:

-الحجارة و الزليج و الجير و التراب و الخشب.

#### المحور الثالث: المعالم التاريخية بالصويرة و دورها في التنمية السياحية

يعتبر التراث المادي في مدينة الصويرة عاملا من عوامل جذب السياح ، فهو إرث حضاري تعزز به هذه المدينة . و الأمة المغربية لأنه يرسخ الهوية الوطنية ، لذلك يجب إظهار قيمته في التنمية الاقتصادية ، و توظيفه كرافد أساسي من روافد السياحة .

وكان الهدف من التطرق هذه المعالم التاريخية ، هو إنماء التنمية و النهوض بالقطاع السياحي المحلي .

إن الموروث الثقافي الذي تزخر به بمدينة الصويرة يجعل منها قطبا سياحيا بارزا للعديد من السياح ذات قيمة فعلية و تنمية فعالة ، كما يمكن أن نعتبره أداة فعالة في العملية التنموية لأن هذا الموروث ، له بعد جمالي قادر على تأهيل مجالها و منحها قيمة مضافة ، ولذلك على الجهات المسؤولة توظيف هذه المعالم التاريخية توظيفا مهما في مشاريع تنموية ، مرتبطة بالسياحة الثقافية لأن هذه المدينة لها دلائل مادية تكون ثرائها يمثل تراكما غنيا ، و يختزل تاريخ المدينة ، و اثارها تحدد هوية المجتمع المغربي والصويري خصوصا .

#### خاتمة

كان هذا البحث مساهمة سلطت الضوء على التراث المعماري للمدينة العتيقة للصويرة ، استهل بأبرز المرحل التاريخية التي مرت من المدينة بدءا بامكدول و موكادور وصولا إلى الصويرة في القرن الثامن عشر ، وهي المرحلة التي خلفت تراثا معماريا متنوعا يجمع المنشآت الدينية و العسكرية و المدنية .

و توجت الدراسة بخلاصات و هي كالتالي:

-عمارة المباني المدروسة ذات قيمة فنية ، تجمع بين البساطة و الضخامة و الرصانة في كثير من الأحيان .

-ثرات مادي شاهد على ما بلغه فن العمارة المغربية من ازدهار ورقي في كل عصر من عصور المدينة .

-معالم أثرية جمعت بين مواد البناء التقليدية وبين الزخرفة الهندسية والنباتية والكتاتبية ، التي نفذت على الزليج والجبس والخشب والحجر .

بنايات من آثار البنائين والحرفيين وجهودهم في مجال العمارة ، شاهدة على ما قدموه من إنجازات في صرح الحضارة المغربية.

تراث فيه أثر التواصل الحضاري والثقافي بين الصويرة وأوروبا .

وجود بعض المرافق تحتاج إلى إلتفاتة وعناية و صيانة من أجل الحفاظ على التراث المعماري بالصويرة .

تقديم نماذج من التراث المادي و الثقافي و الدعوة إلى الحفاظ عليه و صيانه و تميمته.

توظيف المعالم التاريخية في مشاريع تنموية مرتبطة بالسياحة الثقافية.

تتمين هذا التراث المعماري باعتباره مكونا اساسيا للذاكرة الثقافية للمدينة يجب تميمه و تأهيله و المحافظة عليه باعتباره المنتج المعماري يجمع بين التاريخ القديم و الحديث.

### الببليوغرافيا

أحمد بن المهدي الغزال ، كتاب نتيجة الاجتهاد في المهادة و الجهاد ، مخطوط ، الخزانة العامة الرباط ، تحت رقم ج 77.

### المصادر:

باللغة العربية

أبو القاسم الزباني ، 1886 ، الترجمان المعرب عن دول المشرق و المغرب 1631م - 1812 م ، نشر و ترجمة هوداس ، باريس .

أحمد بن خالد الناصري ، 1954-1956 ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، تحقيق و تعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري – محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء .

باللغة الفرنسية

Eugène Aubin, 1913. Le Maroc d'aujourd'hui, édition Armand Colin, Paris .

Louis Chénier , 1787 . Recherches historiques sur les maures et histoire de l'empire du Maroc .Paris.

William Lemprière, 1801 . Voyage dans l'empire du Maroc et de royaume de Fès, fait pendant les années 1791- 1792, Hachette, Paris.

### المراجع

باللغة العربية

ج. و د.سورديل ، 2009 ، معجم الإسلام التاريخي ، ترجمة د. ا.الحكيم ، مراجعة الدكتورة ، ه. الأيوبي و ا. ، بوضون ، و ف. ، الكيك. الدار اللبنانية للنشر الجامعي ، لبنان .

الركراكي أحمد ، 1935 ، كتاب الشموس المنيرة في أخبار مدينة الصويرة ، المطبعة الوطنية ، الرباط .

الصادقي محمد بن سعيد ، 1964 ، إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة ، الجزء الأول ، مطبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء .

عبد الرحيم غالب ، 1988 ، موسوعة العمارة الإسلامية ، عربي- فرنسي – انجليزي- جروس برس ، بيروت.

عبد القادر الريحاي ، 1990 ، العمارة في الحضارة الإسلامية ، مركز النشر العلمي ، جامعة الملك عبد العزيز جدة .

فريد محمود شافعي ، 1982 ، العمارة العربية الإسلامية ، الناشر ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، الرياض .

محمد حجي ، 1988 ، الزاوية الدلائية ودورها الديني و العلمي ، الطبعة الثانية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء .

باللغة الفرنسية

André Jodin, Mogador, 1966, Comptoir phénicien du Maroc atlantique . Edition Marocaines et Internationales, Tanger.

Duarte Pacheco Pereira , 1957.Esmeralda do situ orbis, Pisboa.

Hamza ben Driss Atmani , 1997. Une cité sous les alizés Mogador des origines à 1939. Editions, La Porte, Rabat.

Duarte Pacheco Pereira , 1957.Esmeralda do situ orbis, Pisboa.

Eugène Guernier , 1940, Le Maroc, Edité par Encyclopédie coloniale et maritime, Paris.

Henri Terrasse, 1949 . Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français, édition Atlantides, Casablanca.

Jacques Caille, 1949, La ville de Rabat jusqu'au protectorat français, édition d'Art et d'Histoire, V ., 1, Paris.

Marianne Barrucand, , 1985 .Urbanisme princier en islam, édition, Paul Geuthner, Paris.

Michel van der Meerschen, 1987. Les médinas maghrébines, U.N.E.S.C.O. Paris.

#### المقالات

##### باللغة العربية

أحمد بوشارب، 1994، أمكدول في المخططات التوسعية البرتغالية (ق 16 م ) ، ضمن أعمال الأيام الدراسية حول الصورة الذاكرة و بصمات الحاضر ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، أكادير ، ص 111-123  
محمد حجاج الطويل، 2003 مادة فندق، معلمة المغرب ، الجزء 19 ، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر ، نشر مطابع سلا. 6533- 6534

نعيمة الحضري ، 2019 ، الكتابات المنقوشة على المبانى المعمارية المغربية: الكتابات التأسيسية نموذجا . ضمن أوراق المؤتمر الدولي التفاعل بين الآداب و الفنون الأخرى ، الأردن ، عالم الكتب الحديث ص 272-295  
باللغة الفرنسية

André Jodin, 1966. L'archéologie phénicienne au Maroc, ses problèmes et ses résultats, in HesperisTamuda, T.VII .pp. , 9-16.

DesjaguesJean,et Koeberlé , 1955, Mogador et les îles purpuraires, in Hespéris, T ., XLII.pp. ,193-202.

James Craig, 1870. Un aperçu du Maroc, in Bulletin de la Société de Géographie, 5° série, T. XIX . .pp., 177 -203.

Jean Desjagues, et Paul Koeberlé, 1955 . Mogador et les îlespurpuraires, in Hesperis, T ., XLII, .pp. ,193-202.

Pierre (de) Cenival, 1934, Mogador, in Sources Inédites de l'histoire du Maroc .Archives portugaises,T. I. , Guenther Paris, pp. ,120-129

Pierre (de) Cenival, 1936 Mogador, in Encyclopédie de l'Islam , T ., III. Paris, p p.,622-623.

### التعدد اللهجي في الجزائر وأثره على اللغة العربية

#### The multiplicity of Dialects in Algeria and its Impact on the Arabic Language

أ. نجية عباو، جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف- الجزائر.

د. يمينة فلاق عربوات، جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف- الجزائر.

#### توطئة:

تمثل اللغة بالنسبة للمجتمع مقوما أساسيا من مقومات وجوده، فهي تشكل جزءا من هويته وماهيته. ولكن، يحدث أن يجد الفرد نفسه أمام مستويين اثنين للغة، أحدهما فصيح رسمي وآخر عامي، واللغة العربية كغيرها من اللغات تعيش هذا الضرب من الازدواجية إذ تفرعت عنها عدة لهجات بفعل عوامل وظروف خاصة. واللهجة الجزائرية كواحدة من هذه اللهجات العربية لها وضعها الخاص وظروفها المميزة، فالمجتمع الجزائري يعيش في كنف هذه الازدواجية بين لغة رسمية تستعمل في المؤسسات الرسمية والمدارس والجامعات، وأخرى عامية يتخاطب بها الأفراد ويتواصلون.

انطلاقا من هذا الطرح تعالج هذه الورقة البحثية الموسومة ب: التعدد اللهجي في الجزائر وأثره على اللغة العربية " إشكالية فحواها: ما طبيعة اللهجة الجزائرية وما أصلها؟ أو بعبارة أخرى: كيف نحافظ على وجود اللغة العربية في ظل هذا التعدد اللهجي الهجين في الجزائر؟

1. السمة التفرعية للغة: يكاد يتفق الإجماع بأن اللغة هي جزء من تكوين الفرد وماهيته، فوظيفة اللغة لا تتوقف عند حد التواصل وحسب، بل هي "حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنظم، وهي جزء من السلوك الإنساني" (محمود السعران، 1963، ص:17).

فبقاء اللغة حية مرهون بطبيعة المجتمع الذي يتكلمها ويتخذها لسانا له ومدى انسجامه وتماسكه " إذا كانت حياته الاجتماعية، والأرض التي يعيش عليها متحدة في أهدافها وعوامل تكوينها، فإذا تغير شيء من ذلك كان إيذانا بانسحاب تلك اللغة إلى لهجات" (عبد الغفار حامد هلال، 1993، ص:43).

ويحدث أن تعرف المجتمعات الإنسانية أنماطا مختلفة لتعدد اللغات منها ما يعرف ب:النائية اللغوية (bilinguisme): وهو وجود تعايش بين لغتين في مجتمع واحد "وممارستهما من قبل فرد أو جماعة" (larrousse,2004,p:160).

وهناك الازدواجية اللغوية (diglossie): التي تعني وجود "مقابلة بين ضربين بديلين من ضروب اللغة، ترفع منزلة أحدهما فيعتبر المعيار ويكتب به الأدب المعترف به، ولكن لا يتحدث به إلا الأقلية، وتحط منزلة الآخر، ولكن تتحدث به الأكثرية" (لوس جان نكافي، 2008، ص:79).

واللغة العربية كغيرها من اللغات عرفت هذا الضرب من التشعب، إذ تفرعت عنها عدة لهجات واتخذت منحى آخر واكتست صفة خاصة بها، فأصبحت كل لهجة تنفرد بسماتها وبنيتها وخصائصها الصوتية والتركيبية.

ولعلنا نلمس طبيعة اللهجة من خلال مفهوميها اللغوي والاصطلاحي، ففي لسان العرب جاء تعريف مادة (ل ه ج) كالتالي: "لهج: لهج بالأمر لهجا، ولهوج وألهج، كلاهما: أولع به واعتاده، وألهجته به. ويقال: فلان ملهج بهذا الأمر، أي مولع به" (ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، 1968، ص: 359).

من خلال هذا التعريف اللغوي لمادة: "لهج" يتضح بأن اللهجة هي ما يعتاده الفرد وما يألفه، أما في مفهومها الاصطلاحي فيرى "إبراهيم أنيس" بأن اللهجة "هي عبارة عن مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة وتشارك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة" (أنيس إبراهيم، 2003، ص: 15).

في حين يعرفها "عبد الغفار حامد هلال" بأنها "طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة" (هلال عبد الغفار حامد، 1993، ص: 33)، وهذا يعني أن اللهجات تختلف عن بعضها البعض من حيث الاستعمال وطريقة نطق الأصوات.

2. أصل اللهجة: إن وجود اللهجة في المجتمع الواحد تحكمه عدة عوامل وأسباب اتحدت مع بعضها البعض لتولد لهجة أو لهجات مختلفة من حيث النطق وطريقة استعمال اللغة، غير أن هناك "عاملين اثنين يعزى إليهما تكون اللهجات في العالم وهما:  
- الانعزال بين بيئات الشعب الواحد.

- الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات" (أنيس إبراهيم، 2003، ص: 30).

ولكن تبقى الأسباب والظروف المختلفة التي أدت إلى وجود اللهجات متعددة بتعدد المجتمعات وبطبيعة وتكوين كل مجتمع، فعلى سبيل المثال انقسمت اللغة العربية "منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة تختلف فيما بينها في كثير من الظواهر الصوتية والدلالية، كما تختلف في مفرداتها وقواعدها تبعا للقبائل المختلفة" (عبد التواب رمضان، 1997، ص: 65).

نستخلص من خلال هذا النص المقتبس أن المجتمع العربي في بداياته كان يحكمه النظام القبلي فأصبح لكل قبيلة أرضها وتاريخها ولهجاتها الخاصة بها أيضا، وهذه القبائل متفاوتة من حيث تفوقها الاقتصادي والسياسي واللغوي أيضا.

ويذكر "علي عبد الواحد وافي" أن أصل اللهجة نابع من اللغة الأم، فعندما تنتشر أي لغة من اللغات تحت عوامل معينة وتتكلم بها جماعة معتبرة من الأفراد يستحيل عليها "الاحتفاظ بوحدها الأولى أمدا طويلا، فلا تلبث أن تنتشر إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها وبين أخواتها حتى تصبح لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها" (وافي علي عبد الواحد، 2004، ص: 173، 172).

غير أن الإلهام بخصائص اللهجات العربية يستدعي "ظهور قواميس مختصة، ودراسات تاريخية وتأصيلية تكشف مابين العربية ولهجاتها المختلفة من دينامية وتطور من حيث الأصوات والأبنية الصرفية، وخاصة المعجم، لا فقط من جهة الكم ولكن أيضا من جهة الكيف" (النصراني الحبيب، 2014، ص: 86).

ويكمن الهدف من وضع القواميس الخاصة في معرفة حجم القرابة وطبيعة الصلة التي تربط اللهجات باللغة الأصل (العربية)، ودراسة أوجه التقارب بين اللغة المعيار والمستويات الأخرى المتفرعة عنها (اللهجات). ولكن وعلى الرغم من وجود مظهرين مختلفين للغة في المجتمع إلا أن المتكلمين لديهم قناعة راسخة باتحاد

هذين المظهرين "ويظنون يعتبرون اللغة المشتركة واللهجة المحلية مجرد مستويين للغة واحدة ، وليستا لغتين مستقلتين"(النصراني الحبيب ، 2014 ، ص:100). والواقع أن هذا التفرع جاء نتيجة عوامل وظروف مختلفة كالاختكاك الثقافي ، أو نتيجة الحروب والغزوات وغيرها من الأسباب .

غير أن الأمر المتفق عليه هو أن هذا التفرع الطبيعي للغة لا ينكر بأي حال من الأحوال متانة الصلة التي تجمع الفرع بالأصل ، "فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص ، فاللغة تشتمل على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية ، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات "(أنيس إبراهيم ، 2003 ، ص:15).

فاللغة الفصحى واللهجة العامية تظنان ملازمين للفرد جنبا إلى جنب ، فالطفل يتعلم اللهجة في مرحلته العمرية المبكرة ثم ما يلبث في المراحل اللاحقة يتعلم الحروف والكلمات وتركيب الجمل المختلفة ، وهنا ينتقل إلى المستوى الرسمي الفصحى . وهذا يؤكد وجود عامل التأثير والتأثر ، وذلك أن اللهجات العامية أخذت مادتها الأساسية من اللغة المعيار ، أما تأثير اللهجة على الفصحى فهي تمثل الصورة المتنوعة لها (اللغة الرسمية) ، أي أن اللهجة هي الوجه الآخر أو المستوى الآخر لهذه اللغة .

3. طبيعة اللهجة الجزائرية: تعرف الجزائر مع شساعة مساحتها البالغة مليوني كيلومتر مربع صورا شتى من التعدد اللهجي ، فكل منطقة من مناطقها لها لهجتها الخاصة والتي تختلف عن المنطقة الأخرى ، بل أحيانا "تختلف من قرية إلى قرية مجاورة لها ، وهذه اللهجات تخضع لعوامل لغوية كثيرة ، منها ما ينشأ عن الوراثة والطبيعة ، ومنها ما ينشأ عن البيئة والجوار ، ومنها ما ينشأ عن الاختلاف الناشئ عن اختلاف الجنس واللغة والطبيعة الفيزيولوجية نفسها ، فاللغات تتأثر وتؤثر ، كما يتأثر ويؤثر الناطقون بها "(مرتاظ عبد الجليل ، 1981 ، ص: 07).

ويتحدث "عبد المالك مرتاظ" عن أصل اللهجة الجزائرية بقوله: "هي إحدى اللهجات العربية وتستعمل في الجزائر وهي كغيرها من اللهجات العربية سليلة العربية الفصحى ، طرأت عليها تغييرات "(مرتاظ عبد المالك ، 2008 ، ص: 07).

ففي قول "مرتاظ" ما يؤكد بأن اللهجة الجزائرية هي لهجة عربية تفرعت عن اللغة الجامعة (العربية ) واتخذت لها سمات ومميزات خاصة بها .

أما عن أسباب وجود اللهجات في الجزائر وتعددتها فيرى "مبارك بن محمد الميلي" في كتابه "تاريخ الجزائر القديم والحديث" أن السبب سياسي إذ غزا العرب الشمال الإفريقي وفتحوه وأسسوا به إمارة عربية تابعة للخلافة الشرقية ، وأخضعوا البربر لإمارتهم حينما من الدهر ، ثم أخذوا كعادتهم يسترجعون قوتهم الحربية ويعملون للاستقلال "(الميلي . مبارك بن محمد ، ص:06).

وهذا يؤكد أن البربر احتكوا بالعرب بعد اعتناقهم الإسلام فاختلطت لغة السكان الأصليين والتي هي الأمازيغية بلغة الفاتحين التي هي العربية ، فتمخض عن هذا التلاقي لهجة خاصة هي عبارة عن خليط من الأمازيغية والعربية ، وهنا حدث التأثير والتأثر بين هذا وذاك .

غير أننا في مقابل ذلك لا يمكن أن ننكر الأصل العربي للهجات الجزائرية والتي هي علاقة اتصال وارتباط أكثر منها علاقة انفصال وانفكاك ففي المجتمع الجزائري "هناك لغة واحدة بالمعنى العلمي والاجتماعي للكلمة

هي اللغة العربية، وأن هناك وسيلة اتصال أخرى هي العامية والتي هي أداة تعبير تغلو وتهبط حسب المستويات التي تستعمل فيها " (بكري عبد الكريم، 2014، ص:224)، وهذا يعني أن اللهجة الجزائرية هي مستوى من مستويات اللغة الأم والتي هي: العربية.

وللهجة الجزائرية وضع خاص جدا مقارنة باللهجات العربية الأخرى؛ إذ غدت لهجة هجينة اختلط فيها الأمازيغي والتركي والعربي والفرنسي المعرب والإسباني أحيانا، وقد تهجنت هذه اللهجة لدرجة أن سامعها يعتقد بأنها لهجة غير عربية.

والتهجين اللغوي بمعناه الاصطلاحي "هو حالة من التداخل المعيب، والتمازج المشين، والخلط السيئ بين اللغة العربية وغيرها. إنها عملية تفتيق لغوي معيب لكلمات لا صلة لها باللغة العربية دخلت حديثا وأنشأت مسخا لغويا مزدوجا" (أبو غريبة عصام عيد، 2012، ص:218).

ولهذا الاختلاط ظروفه الخاصة وأسبابه الحقيقية ذكرها الباحث "عثمان سعدي" بقوله: "العامية قبل الاستقلال راقية غير مشوهة قريبة جدا من الفصحى، ولم يتسرب إليها التشويه إلا في عهد الاستقلال، بحيث صارت لهجة مسخا، خليطا من الكلمات العربية والكلمات الفرنسية، سماها اللوبي الفرنكفوني المتحكم في الدولة الجزائرية (العربية الجزائرية)، وطالب بترسيما بدل الفصحى" (سعدي عثمان، 2008، ص:111).

وهذا يؤكد أن اللهجة الجزائرية تعبش غزوا حقيقيا من قبل لغة أخرى \_ الفرنسية \_ لاعلاقة لها باللغة الأم، ولا هي من فصيلتها، فأصبحت جارية على ألسن الأفراد وغدت وسيلة مهمة من وسائل التواصل، بل وصل الأمر إلى حد اعتبارها مقياسا للتحضر، وهي لا تعدو أن تكون لغة تخاطب وتواصل.

فاللغة الفرنسية أصبحت واقعا موجودا في المجتمع الجزائري وأضحت جارية على الألسنة كاللهجة المحلية بالضبط، فسنوات الاستعمار الطويلة جعلت هذه اللغة تأخذ مكانة هامة في المجتمع الجزائري، وهو ما أثر سلبا على اللهجات المحلية الأخرى، إذ غدت لهجة الجزائريين مزيجا من: اللهجات العامية و الفصحى، وأخرى فرنسية معربة.

غير أن هذا الوضع كان مختلفا تماما قبل الاستقلال، إذ كان الجزائريون " يناضلون للتخلص من الاستعمار واللغة الفرنسية أذاته الرئيسية، فيتكلمون لهجة صافية، فحتى المتعلمون منهم بالفرنسية، إن استعملوها تكلموها، وإن استعملوا اللهجة الجزائرية تكلموها صافية غير مخلوطة. وبعد الاستقلال صارت اللغة الفرنسية لغة الدولة الجزائرية والتمدن، فصار المواطن لكي يثبت تطوره وتقدمه يخلط كلامه بكلمات فرنسية بالرغم من معرفته للعربية التي تعلمها في مدرسة الاستقلال" (سعدي عثمان، 2008، ص:112).

ولكن رغم هذا الغزو المخيف إلا أننا إذا أمعنا النظر في بنية اللهجة الجزائرية فسنجد أنها كلها "موجودة في اللهجات العربية القديمة، وأن ما نظنه غير عربي معظمه عربي في الفصحى، إنما دخله تغيير ظاهر أو خفي لا يدركه السامع إلا بإعمال الفكر والرجوع المستمر إلى المعاجم العربية وغير العربية وإلى الدراسات المتخصصة، وقد تتغير دلالة اللفظ الفصيح بالتوسع والمجاز والكناية والتهكم وغير ذلك من أساليب البلاغة، تتغير ضرورة لأداء معنى جديد يتطلبه العصر أو الحاجة أو للجهل بأصلها في اللغة الفصحى" (مختار نويوات، 2008، ص:132).

ولنا أن نذكر بعض الألفاظ من العامية الجزائرية لتتعرف على أصلها الفصيح من المعاجم العربية:



الزردة: زرد الشيء واللحمة بالكسر زردا وزرده وازدرده زردا: ابتلعه ، والازدراد: الابتلاع (ابن منظور ، 1968 ، ص:194).

هدر: هدر البعير يهدر هدرا ، صوت فيغير شقشقة ، وردد صوته في حنجرته (ابن منظور ، 1968 ، ص:258).

سرط: الطعام والشيء ، بالكسر سرطا وسرطانا: بلعه (ابن منظور ، 1968 ، ص:313).

الفروج: الفتى من ولد الدجاج وفروجة: دجاجة ، جمع فرايج (ابن منظور ، 1968 ، ص:344).

عفس: العفس ، الدوس (ابن منظور ، 1968 ، ص:143).

الخنين: خروج الصوت من الأنف ورجل أخن ، أي أغن مسدود الخياشيم (ابن منظور ، 1968 ، ص:143).

4. الخصائص التركيبية والدلالية للهجة الجزائرية: تتميز اللهجة الجزائرية بنظامها الخاص وهيكلها العام سواء من حيث أصواتها أو مفرداتها أو حتى تراكيبيها.

ففي المستوى الصوتي مثلا عرفت بعض اللهجات الجزائرية تغييرا في الحروف وإبدالها بحروف أخرى ، كنطق الغين قافا في مدن السهوب كالحلقة والمسيلة والأغواط ، وهذه الخاصية نجدتها في القبائل العربية كقبيلة مضر وغيرها ... كأن نقول مثلا: تقديت: بمعنى: تغديت أو قولنا مثلا: والله قاتجي بمعنى: والله غير تجي .

ويحدث أيضا أن تستبدل "القاف ألفا" كأن نقول: "نؤولك" بمعنى: نقولك أي: "أقول لك" ، وهي ميزة معروفة في الغرب الجزائري وبالأخص في بعض ضواحي مدينة تلمسان .

غير أن هناك من يذهب إلى أن اللهجة الجزائرية " ليس لها نظام خطي محدد يضبطها ، إلا أنها توظف بكثرة فشكلت مساحات عريضة من الناطقين بها وحازت رقعة جغرافية كبيرة " (بوترعة عبد الحميد ، 2004 ، ص:204).

ونحن نقول بأن للهجة ما دامت متفرعة عن اللغة العربية فإن لها نظاما خاصا وإن لم يكن بنفس دقة نظام اللغة العربية ، وهذا ما سنلاحظه من خلال الخصائص التركيبية والدلالية لهذه اللهجة .

فإذا ما تحدثنا عن الخاصية التركيبية للجملة في اللهجة الجزائرية فإنه يمكننا القول بأن العامية الجزائرية حافظت على نفس نسق تركيب الجملة في العربية الفصحى ، فعليه كانت أم إسمية ، كقولنا مثلا جات المراه: تتكون هذه الجملة من: جات =فعل بمعنى: جاءت

المراه=فاعل بمعنى: المرأة

أما إذا كانت الجملة إسمية فيتم الاحتفاظ بموقعي المبتدأ والخبر نحو قولنا: السها صافية: تتكون هذه الجملة من:

السها= مبتدأ بمعنى: السماء.

صافية =خبر بمعنى: صافية.

أما الطابع التهجيني للهجة الجزائرية فيتجلى في الألفاظ التي يستعملها الأفراد لتكوين الجمل والتراكيب فتجدها مزيجا من العامي ، العربي الفصحى والإسباني والفرنسي المعرب ، كأن نقول مثلا: الرفايراهو يصوني: تتكون هذه الجملة من:

الرفاي=ال+رفاي: كلمة فرنسية بمعنى: المنبه.

راهو=كلمة تستعمل في اللهجة العربية للدلالة على الحال ك: راهو مريض ، راهو فرحان .

يصوني = ي: المضارعة + الفعل "sonné" بمعنى: يرن:  
ويصبح معنى الجملة بالفصحى: المنبه يرن ، أو نأخذ مثالا آخر مع جملة: "أعطيني بورسة": تتكون هذه الجملة من:

أعطيني = فعل أمر بمعنى: هات

بورسة=كلمة إسبانية بمعنى: كيس بلاستيكي.

فيصبح معنى الجملة باللغة العربية الفصحى: أعطني كيسا.

أو جملة: هز البورتابل: تتكون من:

هز =كلمة فصيحة بمعنى: شد أو أمسك

البورتابل=ال+بورتابل:كلمة فرنسية بمعنى المحمول

فيصبح معنى الجملة بالفصحى: أمسك المحمول.

وقد نجد الجملة في اللهجة الجزائرية مركبة من العربية والتركية أحيانا كقولنا على سبيل المثال: "راح للمسيد": تتركب هذه الجملة من:

راح =ذهب

ل=حرف جر

مسيد=كلمة تركية بمعنى: مدرسة ، فيصبح معنى الجملة بالعربية الفصحى: "ذهب للمدرسة

وهناك كذلك بعض الألفاظ المهجنة التي اعتاد الجزائري على توظيفها في لغته اليومية ، سواء بإضافة اللواحق لها أو بتعريبها من خلال إضافة الألف واللام: كأن نقول على سبيل المثال لا الحصر:

"يدوموندي = يطلب

يكوبي = ينقل

يكاموفلي = يغطي

نفيريفيي = أتأكد

نبريزونتيك = أقدم لك

التارمو =الكاظمة

الكليماتيزار=المكيف

وللهجة الجزائرية كذلك سمات دلالية خاصة متعلقة بمعاني مفرداتها وألفاظها والعلاقات التي تحكيها ، كالترادف والمشارك اللفظي والتدقيق في الدلالة ، نحو كلمتي "شوية وجفمة":

شوية = كلمة تدل على القلة في الأشياء اليابسة كقولنا: شوية خبز ، قمح ، شعير.

جفمة= كلمة تدل على القلة في الأشياء السائلة كقولنا: جفمة ما ، حليب ، لبن.

أما ماهو من قبيل الترادف فنجد كلمات: بزاف ، ياسر ، قاوي:

بزاف=كثيرا يتحدث بها سكان الوسط عادة كالعاصمة وما جاورها.

ياسر =تدل على الكثرة كذلك يتحدث بها سكان الشرق عموما.

قاوي=لها نفس المعنى يتحدث بها بعض المدن الغربية كالشلف وما جاورها من مدن.

وقد يعتري الألفاظ بعض التطور الدلالي فينتقل معنى اللفظة من العام إلى الخاص كلفظة: الشتاء والتي تدل في الأصل على فصل الشتاء، لكنها وظفت في اللهجة الجزائرية بالمعنى الخاص وأصبحت تدل على المطر الذي هو لازمة من لوازم الشتاء، كقولنا: راهي تصب الشتاء بمعنى:المطر يسقط.

لقد أخذت اللهجة الجزائرية هذه الميزة -"التطور الدلالي"- من اللغة الأصل، فالعربية عرفت أنواعا شتى من التطور اللغوي والتغير الدلالي طيلة حقبة زمنية متتابة وبفعل عوامل متعددة.

ختاما وبعد هذه الدراسة الوصفية لقضية التعدد اللهجي في الجزائر توصلنا الى جملة من النقاط واقترحنا في الآن ذاته مجموعة من الحلول والتي تهدف إلى الحفاظ على سلامة اللغة الأم في ظل وجود هذا التعدد اللهجي الهجين في الجزائر وهي كالآتي:

-لقد أخذت اللهجة الجزائرية مادتها الأساسية من اللغة الأم- العربية- وهذا ما يؤكد فعل التأثير والتأثر بين الأصل والفرع أي بين اللغة الجامعة واللهجة المحلية.

-إن تنوع اللهجات في الجزائر وتعددتها هو جزء من التركيبة الثقافية للمجتمع الجزائري إلى جانب العادات والتقاليد وغيرها، غير أن هذا التعدد لم يؤثر سلبا بقدر ما أثر التهجين الذي أخفى حقيقة هذه اللهجة إلى الحد الذي يجعل سامعها يعتقد بأن اللهجة الجزائرية هي لهجة مختلفة تماما ولا تنتمي إلى اللغة العربية. ضرورة المحافظة على اللغة الأم وبقائها من خلال تعميم استعمالها في المؤسسات الرسمية وفي المدارس والجامعات.

-وضع مجموعة من القواميس والأطالس التي تعنى بجمع المواد المعجمية الخاصة باللهجة الجزائرية الخاصة -أي ذات الأصل العربي- وذلك من أجل تخليصها من ظاهرة التهجين المشوهة، وهذا لن يحدث إلا بتوحيد الجهود وتضافرها، ونعني هنا توحيد جهود علماء اللغة والاجتماع وعلم النفس وعلم الاتصال وغيرهم. وجوب زرع قيم الفخر والانتماء لدى المجتمع الجزائري وهذا كي يتربى الفرد على حب اللغة والاعتزاز بها وترسيخ قناعة أن اللغة هي جزء من الهوية الوطنية.

-العمل على إقامة العديد من الملتقيات والمؤتمرات التي تعنى بقضايا اللغة العربية ومناهج تدريسها والحفاظ عليها من التشويه والتهجين.

-وجوب تنمية وترقية الاتصال بين أفراد المجتمع الجزائري لما له من أهمية تحسيسية في جعل الفرد يدرك أهمية اللغة الأم وفاعلية اللهجة المحلية أيضا، فيستعمل اللغة الرئيسية في الأماكن الرسمية، ويوظف لهجته المحلية الصافية للتعبير عن وجوده الفكري والفني.

#### قائمة مراجع:

- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين(1968). لسان العرب. بيروت. دار صادر.  
-أبو غريبة عصام عبد(2012). التهجين اللغوي لدى طلاب الجامعات العلمية. مجلة اللسانيات واللغة العربية. جامعة عنابة. العدد.08.  
-أنيس ابراهيم(2003). في اللهجات العربية. المكتبة الأنجلو مصرية. مصر.  
-بكري عبد الكريم(2014).التعدد اللساني والهوية الثقافية في الجزائر. ندوة دولية. الجزائر.  
-بو ترعة عبد الحميد(2004).واقف الصحافة الجزائرية في ظل التعددية اللغوية. مجلة الدراسات والبحوث. جامعة الوادي. العدد.08.

- سعدي عثمان(2008). اللغة العربية واللهجات المتفرعة عنها :مقارنة بين عامية الجزائر قبل الاستقلال وبعده. الجزائر. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر .
- السعران محمود(1963) . اللغة والمجتمع. دار المعارف. ط2. مصر .
- عبد التواب رمضان(1997). مدخل إلى علم اللغة. مكتبة الخانجي. مصر .
- مرتاض عبد الجليل(1981). العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر .
- مرتاض عبد المالك(2008). فصيح العامية الجزائرية. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر .
- الميلي مبارك بن محمد. تاريخ الجزائر القديم والحديث. دار الغرب الإسلامي. ج2. بيروت .
- النصراني الحبيب(2014). الاحتكاك اللغوي وأثره في العربية الحديثة. عربية تونس أنموذجا. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. ج1. الجزائر .
- نويوات مختار(2008). الصلة بين العربية الفصحى وعاميتها بالجزائر. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر .
- هلال عبد الغفار حامد(1993). اللهجات العربية ، نشأة وتطورا ، مكتبة وهبة. ط2. القاهرة .
- وافي علي عبد الواحد(2004). علم اللغة. نهضة. ط9. مصر .
- لوسن جان نكايفي(2008). حرب اللغات والبيانات اللغوية. تر:حسن حمزة. المنطقة العربية للترجمة. بيروت
- Le petit lrousse illustré(2005).paris.

## الأسرة المهاجرة الثابت والمتحول في العلاقات الأسرية

حنان بوكطاية استاذة علم الاجتماع

جامعة ابن زهر كلية الاداب والعلوم الانسانية اكادير - المغرب

**الهجرة والعلاقات الأسرية الداخلية:** ترتبط ظاهرة الهجرة بنويها بالقيم الروحية والفكرية ، فعملية انتقال الإنسان من الوسط الاجتماعي الأم إلى أوساط اجتماعية أخرى ، تنطوي على تحولات تمس قيم الفرد والمجتمع. يصبح من البديهي القول ، أن الهجرة الداخلية والقروية تترك انعكاسات قوية تؤثر على الأسر في وضعية الهجرة. فما هي الآثار التي تتركها الهجرة على الحياة الأسرية ، وعلى العلاقات داخل الأسرة ، والقرابة ، والجوار بالنسبة للنازحين؟ ما مدى قدرة المهاجر على التعايش مع مقتضيات الحياة الحضرية؟

تطرح الهجرة القروية تأثيرات تمس بالأساس الحياة الأسرية للمهاجر ، علاقته بالزوجة والأبناء والعائلة ، ودرجة تواصله مع أقاربه وأصدقائه وجيرانه ، ومخاوفه من الحياة الحضرية ، وتفاعله مع النمط الحضري ، ثم مدى اندماجه ومواجهته للصعوبات الجديدة لوضعية الهجرة.

**أ.العلاقة الزوجية:** إن أنماط المعيشة المختلفة في المجتمع التقليدي تعتمد توزيعا للأدوار وتقييم فصلا صارما بين الجنسين ، وفق نظام محدد للقيم يشكل عناصر المخيال الأبوي ، بصورة لا يمكن معها للمرأة أن تكون لها إلا المكانة التي منحها إياها مجتمع الرجال. فالتمييز الجنسي حسب مونيك غادان (Monik Gadant, 1981, p43) ليس فصلا بين الذكور والإناث فحسب ، بل هو معارضة وترابنية بين عالمين مختلفين. إنه تمييز يتجلى في الأدوار وفي المجالات المقسمة بينهما ، بحيث لا يكون ثمة شيء يدعو للالتباس ، وإلا فإن المرأة لا تكون امرأة والرجل لا يكون رجلا.

إن المرأة والرجل داخل المجتمع ليسا بكتائين يميز بينهما الاختلاف البيولوجي ، وإنما هما علاقة وتصور: تصور لمفهومين (الرجل - المرأة) تم بناؤهما وتشكلهما عبر سرورة تاريخية وعبر دينامية الفعل الاجتماعي والثقافي. وإذا ما اعتبرناهما على أنهما كذلك لا يمكن أن نتحدث عن المرأة دون استحضار الرجل كطرف للثنائية التي عمل فيها الفعل الثقافي عمله. إنها علاقة بين الجنسين أو كما يسميها الأنجلوسكسونيون بعلاقات الجنس " الجندر". فالمرأة وحدها كمفهوم لا وجود لها إلا داخل العلاقة الاجتماعية والثقافية بين الجنسين. ولهذا يقتضي التفكير في المرأة والرجل داخل فضاء ثقافي واجتماعي معين (رحمة بوقرية ، 1995).

المجتمع التقليدي قائم بالرجال وقرار كل شيء إليهم يعود. أما المرأة فهي عنصر ثانوي داخل الأسرة ، التي تجد تمثيلها الاقتصادي في الأب وحده ، بوصفه شخصيتها المعنوية. إن مكانة المرأة وإن وجدت فهي دونية تتحسن أو تسوء تماشيا مع مراحل الأسرة الحياتية. لذلك فإن مكانة المرأة الحديثة العهد بالزواج تختلف عن مكانتها أما أو حماة. وبين النساء أنفسهن فإن الاعتبار الأكبر يذهب إلى المرأة التي تجتمع فيها أكثر الصفات الإيجابية من نسب أصيل وشرف وحسب ودين ، بالإضافة إلى إبدائها كفاءتها وقيمتها وخصوصيتها الأنثوية.

إن التمييز بين دور المرأة التعبيري ودور الرجل الأداتي يطابقه تمييز بين عالمين يمارس فيه الجنسان أدوارهما. ولا يتجاوز أحدهما عالمه إلى عالم الآخر إلا بناء على قواعد محددة. فليس من الرجولة في شيء أن يلازم الرجل البيت وسط النساء منهنمكات في أشغالهن المنزلية، وباستثناء تناول وجبة الغذاء، فإن للرجال عالمهم المفتوح يؤمنونه في أوقات الشغل والفراغ أو يجتمعون في غرفة بعيدا عن عالم النساء. من جهتها فإن المرأة إذا تحتم عليها اختراق عالم الرجال، وجب عليها أن تلتزم في تحركها الحشمة والتستر والحياء وغض البصر وفتور الطرف وأن تحجب حسننها بما لا يدع فرصة لإثارة الرغبة الجنسية عند الرجال. ولهؤلاء بالمقابل أن يسلكوا تجاه المرأة التي تضطرها الحاجة إلى الخروج والمرور قريهم، سلوكا متحفظا.

شهادات النساء المهاجرات عن تغير العلاقة بين الزوجين في الوسط الحضري: إن علاقة المهاجر بزوجه غالبا ما تضبطها قيم الثقافة القروية التقليدية التي ترسخ في ذهنه تبعية الزوجة لقراراته وسلطته. وفي انتقاله لنمط الحياة الحضرية يمتنع أن تقيم زوجته علاقات جديدة مع النساء الحضريات، ويبدأ تدريجيا في التخلي عن بعض المواقف في علاقته بزوجه وأبنائه، كأن يسمح لها بالخروج والتسوق ومرافقة الأبناء للمدرسة، والذهاب للحمام، وأحيانا السفر بمفردها. وقد يكون التحول جذريا بأن يترك للزوجة مسؤوليات البيت ونفقاته، ويدعمها لتغير وضعيتها. صرح العديد من المبحوثين عن تخوفهم من العلاقات الجديدة في الوسط الحضري "لا أسمح لزوجتي بالتعارف مع النساء الحضريات لأن أخلاقهن غير جيدة وسيعلمونها أشياء جديدة" وتقول إحدى النساء المبحوثات "لدي علاقات مع جارتي وزوجي لا يمانع ويسمح لي بهرافقة الأبناء للمدرسة وقضاء الحاجيات المنزلية والتسوق". تقول أخرى: "لقد تحسنت علاقتي بزوجي بعد الهجرة، وأصبح يمنحني حرية أكبر سواء على مستوى اللباس أو الخروج لشراء بعض الأغراض التي تخص البيت، لكن دون الخروج عن المألوف". وتقول أخرى: "زوجي متفهم فهو لا يعارض طريقة لباسي أو سفري أو علاقتي بالنساء الأخريات". ويقول أحد الرجال: "علاقتي بزوجتي جيدة فهي تحترمني وأنا أحترمها ونتشاور فيما بيننا، لكنني لا أفضل خروجها من البيت بشكل متكرر وأفضل ألا تختلط بالناس هنا، فالنساء في هذه المدينة عديمات الأخلاق وأخاف أن تتأثر زوجتي بهم، أما لباسها فلم يتغير".

إن علاقة الزوجين في المجتمع القروي، لا يمكن أن نتحدث فيها عن وجود مفهوم "الزوجين" بالمعنى المستقل والحر للكلمة، إذ يخضع "الزوجين" للآباء وكبار السن، وتخضع الزوجة للحماة وقراراتها وتوزيعها للأدوار، هذه الممارسات عرفت نوعا من التحول كاستقلالية الزوجين عن الأسرة الممتدة والاستقلال في السكن (Mokhtar El Harras, 2005, p120).

تقول إحدى المبحوثات عن علاقتها بزوجه بعد الهجرة: "بعد أن هاجرنا إلى مدينة سلا تحسنت العلاقة مع زوجي وأصبح يعطيني حرية أكثر سواء على مستوى اللباس أو الخروج لشراء بعض مستلزمات البيت، لكن دون الخروج عن المألوف" "للهمجرة أثر إيجابي على علاقتي بزوجتي وكذلك الأبناء، لأنه في السابق كنت أسكن بمفردي بالمدينة وأسرتي الصغيرة بعيدة عني وهذا كان يشكل لي مجموعة من المشاكل إذ لا أعرف أحوالهم وماذا حل بهم. الآن أنا أشارك زوجتي في تربية أبنائي وتقوت علاقتي بزوجتي. يقول أحد أرباب

الأسر المهاجرة. وتضيف إحدى النساء المهاجرات: "علاقتي جيدة بزوجي، فهو إنسان متفهم، وابن المدينة التي هاجرت منها، فهو لا يعارض علاقتي بالأشخاص ولا يتدخل في طريقة لباسي، لكنني أشعر بالغربة في هذه المدينة لأن طباع الناس هنا وعاداتهم مختلفة، كما أن علاقتهم بالناس جد محدودة وغير اجتماعيين، على العكس من ذلك الناس في مدينتي (الراشيدية) طيبون واجتماعيون".

توزيع الأدوار بين الزوجين: إن التحولات التي تعيشها الأسرة المغربية أفرزت وظائف جديدة داخل الأسرة، بحيث حددت أدوارا جديدة للزوجين والأبناء وتوزيعها وفق مقتضيات هذا التحول المجالي والاقتصادي والاجتماعي. ومنحت المرأة القروية المهاجرة أدوار جديدة وحضورا فعالا داخل الأسرة.

في وقت سابق، وفي إطار التنشئة الاجتماعية التقليدية نجد فصلا متوافقا عليه بين المجالات والأدوار بين الجنسين، بحيث يتم إعداد النساء لوضعيات عائلية واضحة المعالم (ابنة، زوجة، أم، جدة). أما في الوقت الراهن فإن المرأة تواجه مواقف غير واضحة. فالبنات يمكنهن أن تتابع تعليمها وتحصل على عمل، وقد تتأخر عن سن الزواج ويصبح بإمكانها تقديم المساعدة المالية لعائلتها، فيما تستطيع أخريات يد من هن في وضعية أسوأ، أصبحت النساء المتزوجات العاملات توجدن بكثرة في سوق العمل، ويلاحظ تزايد نشاطهن الاقتصادي مقارنة مع وضعيتهن في إطار الأسرة التقليدية، واكتسبت ربات البيوت، ليس فقط الحضرية منهن، أدوارا جديدة تتعلق بتربية الأبناء وتعليمهم والعلاقات الإدارية الخارجية، كما هو الشأن، بالنسبة لتدبير المجال الداخلي ونفقات الأسرة، وتراجع مكانة وأدوار الجدات بفعل التحول نحو الأسرة النووية، إذ يستقل الزوجين بعيدا عن الأسرة الأبوية، التي تحتضن داخلها فقط الأبناء غير المتزوجين.

مادام المجتمع يعرف تمييزا وتخصصا، فالأسرة أيضا تسير نحو التمييز الجنسي للأدوار حول قاعدة التكامل الوظيفي بين الجنسين، الذي يعطي للأب والمعمل الهادي للأسرة، وتتحصر أدوار الأم داخل المجال الأسري، فالمرأة مثلا لأنها قريبة من الأطفال أكثر فهي مهياة جيدا لضمان الحياة العاطفية للأسرة والاهتمام بالأعمال المنزلية. أصبحت هذه الصورة النمطية لتوزيع الأدوار بين الجنسين تعرف تحولا بفعل دخول المرأة ميدان العمل، ومشاركتها في القرارات الأسرية، وتدخل المؤسسات في الاعتناء بالأسرة وأعضائه (François) De Sinly, 1993, p 5.

ظهرت أدوار جديدة للمرأة المهاجرة، تختلف تماما عن الأعمال التي تعودت القيام بها في القرية، فرغم العمل المنزلي الذي يعتبر أقل تعباً مما كان عليه سابقا، تستطيع المرأة مشاركة زوجها في قراراته لأن انتقالهم إلى المدينة سمح لهم بالاستقلالية عن سلطة الأسرة الممتدة. يلاحظ في الأسرة المعاصرة تحرر من مجموعة من الممارسات التي تخص المرأة، حيث تمارس النساء أنشطة اقتصادية، وتشارك في الأعمال الإدارية والخدمات مثل الرجل، وتستطيع المرأة أن تقود سيارتها بنفسها، أو تستعمل وسائل النقل العمومية. كما يتم توزيع الأدوار بين الزوجين داخل البيت وخارجه، كأن يساعد الزوج زوجته في الأعمال المنزلية (François) De Sinly, 1993, p 5-16

أصبح بإمكان المرأة الخروج إلى التسوق أو مرافقة أبنائها إلى المدرسة ، والتنزه دون مرافقة الزوج. هذه الأدوار الجديدة تعتبر تميزا ومكسبا حقيقيا للمرأة المهاجرة التي تعودت تبعيتها للغير سواء الزوج أو الأب أو الأخ. وقد صرحت نساء من المهاجرات عن مشاركتهن في مصروف المنزل بحكم عملهن الغير قار، حيث يخدمن في المنازل ، أو بالمصانع والشركات القريبة من مساكنهن ، رغم تكتم أغلب الأزواج المبحوثين عن هذا العمل الذي تقوم به النساء لرفضهم التصريح بعمل المرأة خارج البيت.

تقاسم المسؤوليات الأسرية بين الزوجين: إن النظام الاجتماعي هو الذي يربط الأدوار والتصورات ، وينتج التقسيم الجنسي للعمل الذي يوزع المكانات والمواقع ، ثم يبني القواعد والقيم التي تسند وتعزز تصورا معيناً لطبيعة هذه المكانات ، وتساهم في عملية التوزيع المذكورة الأساطير والتمثلات والرموز البانية للتصورات والقواعد ، لتصبح بعد ذلك أمام نظام رمزي صانع لقيم بعينها ، وضمن هذا التصور العام ، تمت عملية تحويل السوق إلى فضاء للرجال ، وتم إعلان أن البيت هو المكان المناسب للنساء(كمال عبد الطيف ، 2010 ، ص 8) تؤكد معظم البحوث على أن عمل المرأة قد أحدث تغييرا في القيم التي يعتنقها أفراد الأسرة ، فعندما تعمل المرأة فإن الزوج يساهم في الأعمال المنزلية مسجلا خروجاً عن مفهوم دوره التقليدي.

العمل المنزلي: تتميز المجتمعات الحديثة بتقسيم العمل بين الزوجين ، بحيث أصبح الزوج يشارك في الأعمال المنزلية لمساعدة زوجته ، كما أصبح يقوم برعاية الأطفال. فمشاركة الزوج الزوجة في الأعمال المنزلية ، غير هذه المسؤولية ، باعتبارها المهمة الرئيسية للمرأة ، لتصبح مسؤولية كل أفراد الأسرة. إن غياب المرأة العاملة عن بيتها تضطر زوجها وأبناءها لتعويض نقصها من خلال القيام بمتطلباتهم دون الاتكال عليها تماما. أغلب الرجال يعتبرون مزاوله الأعمال المنزلية مساس بذكوريتهم ، وأنهم إذا ما قاموا بذلك ، فإنهم سيفقدون تلك الهيبة التي يحضون بها داخل الأسرة باستثناء بعض الرجال (المثقفون) ممن يرون بأنه لا وجود لأي مانع من تقاسم الأدوار داخل الأسرة ، وأنه لا وجود لأي اختلاف بين المرأة والرجل من حيث قدرتهما على احتلال مواقع القرار شريطة أن يكون إسناد هذه المسؤولية خاضعا لعاملي الكفاءة والخبرة.

والملاحظ أن المواقف التي تدعو إلى تقاسم الأدوار بين الزوجين ومشاركة المرأة في صنع القرارات ، هي أغلبها مواقف لفئة تمتلك رأسمال ثقافي واقتصادي معين. في حين تبقى هذه المواقف غائبة تماما في ظل الأسرة الفقيرة والمهمشة. وعلى هذا الأساس يعتبر المختار الهراس أن ثقافة النوع هي الأخرى وبقوة في مدى وطبيعة مشاركة النساء في صنع واتخاذ القرار. وما احتكار الصنف الذكوري لمناصب القرار إلا نتيجة لتمثل المرأة كنوع اجتماعي دوني يتم استبعاده من مناصب القرار(المختار الهراس ، 2008).

شهادات المبحوثين: لمعرفة التغيرات التي حصلت في الأسرة المهاجرة على مستوى توزيع الأدوار الأسرية ، وفي مقابلتنا لرؤساء الأسر المهاجرة وجهنا السؤال لرب الأسرة حول مدى مساعدته لزوجته في الأعمال المنزلية ، حصلنا على النتائج التالية:



-يرفض الزوج في الغالب القيام بالأعمال المنزلية باستثناء بعض رؤساء الأسر الذين تعمل زوجاتهم خارج البيت، ويضطرون حسب تعبيرهم للقيام ببعض الأعمال البسيطة كتحضير وجبات لأطفالهم، أو غسل الأواني.

-إن مساعدة الزوجة في المنزل حسب مجموعة من أرباب الأسر يكون تحت ضغط الظروف الصحية للزوجة أو في مناسبات معينة. "أساعد زوجتي في أشغال البيت، في التنظيف، وأحياناً في المطبخ" "أحياناً أساعد زوجتي في أشغال البيت أو في بعض الحالات عندما تكون مريضة، أو كلما طلبت مساعدتي" "نادراً ما أساعدها، وقولي هذا لا يعني أن العمل المنزلي هو حكر على المرأة وحدها، ولكن النساء يتقن العمل المنزلي أفضل منا" "أساعد زوجتي خاصة عندما يزورنا الضيوف" "لا أساعد زوجتي فابنتي الكبرى تقوم بذلك، وأنا أعمل طيلة النهار وعمل البناء شاق جداً". ويقول أحد المبحوثين المقاولين: "يمكنني مساعدة زوجتي في العمل المنزلي، لكن طبيعة عملي لا تسمح بذلك". بينما يؤكد آخر "أن مساعدة الزوجة وتقاسم الأدوار معها أصبح مسألة جوهرية وضرورية، ويضيف قائلاً: "لا مشكلة عندي في القيام بأعمال المنزل في غياب زوجتي عن البيت أو حتى في حالة حضورها"، وهناك موقف يعترض على تقاسم أو مشاركة الزوجة أعمال البيت، لأن العمل المنزلي يرتبط بطبيعة المرأة وواجبها تجاه أسرته "من الضروري أن يحافظ كل واحد على دوره الطبيعي، مكان المرأة بيتها" يضيف أحد المبحوثين.

-بالنسبة لأداء الأعمال المنزلية المعروف تقليدياً أنه من اختصاص المرأة. فقد بينت الدراسات المقارنة أن أزواج العاملات يكونون أنشط وأكثر تقبلاً للقيام ببعض أعمال المنزل من أزواج غير العاملات، وهذا ما بينته دراسة بلود وهاملين على سبيل المثال، كما بينت دراسة نولان وتاتل أن أطفال الأمهات العاملات يقومون بأعمال منزلية أكثر من أطفال الأمهات غير العاملات (نادية فرحات، 2012، ص 126)

سفر الزوجة: إن ما يحدد زيارات الزوجة لأهلها هي ظروف الزوج المادية ومزاجه ورغبته في السفر أو الامتناع عن ذلك، ويسمح للزوجة بالسفر عند أهلها شرط أن يرافقها أحد أبنائها، ويمنع عنها السفر بمفردها. سألنا رؤساء الأسر المهاجرة إذا ما كان يسمح للزوجة أن تسافر وحدها، فكان جوابهم كالتالي: "عادة ما نسافر جميعاً، أي مع زوجتي وأبنائي، لكنني لا أسمح لزوجتي بالسفر لوحدها" "لا أسمح بسفر زوجتي بمفردها، يمكنها أبنائها، لأنني أخاف أن تتعرض لحادث أو مكروه، أو السرقة والتحرش".

التشاور بين الزوجين هو أساس العلاقة الزوجية السليمة: إن مفهوم "الزوجين" لم يكن حاضراً في الأسرة الممتدة كممارسة مستقلة بين الزوجين، بحيث تتدخل الأسرة حتى في القرارات التي تهتم أبناء الزوجين. إن اللامساواة بين الجنسين لم تسمح "للزوجين" في ظل هذه الأسرة بالقيام بوظائفهما كزوجين مستقلين، كما أن تقسيم السلطة بين الجنسين، لم يسمح للمرأة بالحسم في القرارات التي تخصها إلا بالمرور عبر الزوج وأحياناً بأم الزوج (Mokhtar El Harras, 2005, p120).

هناك اختلاف لا شك فيه في الطريقة التي يؤدي بها كل من الزوجين أدوارهما الزوجية. ففي الأسرة التي يقوم فيها الزوجان بأعمال مستقلة، وحيث يوجد تقسيم واضح للعمل في المنزل، يعطي الزوج زوجته مبلغاً معيناً من المال ولكن الزوجة لا تعرف شيئاً عن مرتب زوجها أو كيفية إنفاقه للنقود التي يقيها لنفسه، كما يقضي الزوج أوقات الفراغ مع أصدقائه وتزور هي أقاربها وقلما يقضيان وقت فراغهما معاً، وهما لا يشعران بأي غضاضة في ذلك، بل يعتقدان أن سلوكهما هو السلوك الطبيعي للملائم للدائرة الاجتماعية. وعلى النقيض من هذا النمط هناك الأسرة التي يشترك فيها الزوجان في العديد من الأنشطة ويقضيان معظم وقتها معاً وهما متساويان من جميع الوجوه، فجميع القرارات الهامة يتخذانها معاً ويساعد أحدهما الآخر حتى في الشؤون المنزلية البسيطة بقدر الإمكان كما أنهما يشتركان في نفس الاهتمامات السياسية والموسيقى والأدب وفي اتخاذ الأصدقاء.

تشارك الزوجين في اتخاذ القرارات الأسرية: بالرغم من الاتجاه الواضح نحو مشاركة الزوجين في اتخاذ القرارات المتعلقة بالأسرة، وفي بعض الأحيان اشتراك الأبناء أيضاً في هذه القرارات، خاصة تلك التي تتعلق بهم، فما زال كثير من الذكور يعتقدون بأن الزوج له حق طبيعي أو موروث يتيح له التعبير عن رأي الأسرة، ومثل هذا الموقف يعكس الاتجاهات التقليدية بصورة واضحة، إلا أن هذه السطوة الذكورية لا تجد قبولا عند كثير من الزوجات في الوقت الحاضر. هناك في الأسرة مسائل تحتاج إلى قرار حاسم، وخاصة في المسائل المتعلقة بزواج أحد الأبناء والادخار والاستدانة والسفر والتعليم والرعاية الصحية وفي حالة المرض، وغالبا ما يظهر الرجل في بعض الأمور، كأنه صاحب القرار ومنفذه على الرغم من أن القرار ذاته تعرض لمناقشات عديدة داخل الأسرة قبل أن يتبلور في صورته النهائية (Ibid, p 120).

في المجتمع الراهن يمثل تبادل المعلومات والمشاورات وتبادل النصيحة عاملاً أساسياً في تطور جودة الحياة، ومن خلال التشاور تعمل الأسرة على توجيه أبنائها وحل مشاكلها، كما أن حجم التشاور والتواصل يعكس متانة وقوة الروابط الأسرية. إن أرباب الأسر التقليديين كانوا ينفردون في اتخاذ القرارات المتعلقة بشؤون أفراد الأسرة ومستقبلهم، ولكن حالياً، نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي عرفتها الدول العربية، وارتفاع مكانة المرأة الاجتماعية، ونزولها إلى معترك الحياة العملية، بدأ الزوج العصري يستشير زوجته في الأمور المتعلقة بشؤون أفراد الأسرة ومستقبلهم وهذا ما أثبتته البحث الميداني.

الأسرة واتخاذ القرارات: نتفق مع الدراسة التي قامت بها الباحثة مرتينسون (Mona Martenson, 1979) في محاولتها معرفة طبيعة السلطة داخل الأسرة. أن سلطة القرار داخل الأسرة تتحدد بإمكانات كل من الزوجين، والمقصود هنا بالإمكانات، المستوى المادي، والمستوى الثقافي، والمستوى المهني، ومستوى العلاقة بالعالم الخارجي، وبالمستوى التعليمي للمرأة. من هنا فالمرأة الأمية تملك السلطة الأضعف، أما المرأة التي تدرست ولو لسنوات قليلة وحصلت على قليل من التعليم فإنها تملك سلطة أكبر. تعود القرارات الاقتصادية إلى الرجل، وتتكلف النساء بهذه القرارات في حالة الطلاق أو موت الزوج.

**الزوج واتخاذ القرار الأسري:** يعتبر الزوج رئيس الأسرة، إلا أن المناخ الاجتماعي المتغير أثر في نوعية العلاقات الداخلية في الأسرة من حيث علاقة الزوج بالزوجة والآباء والأبناء. وإذا كان الرجل لا يزال رئيساً للأسرة، فإن هذه الرئاسة لم تعد بنفس التسلط والعنف الذي كان عليه في الأسرة الممتدة التقليدية، لأسباب عدة بعضها اجتماعي مثل ارتفاع مستوى التعليم، وبعضها تسببت فيه عوامل التصنيع والتكنولوجيا. (سنة الخولي، 1984) يملك الزوج في تصور الأسر المهاجرة سلطة اتخاذ القرارات الأسرية، لأنه المعيل المالي للأسرة، هذا ما يمنحه أحقية اتخاذ القرارات. يعتبر هذا الرأي امتداد للنظرة التقليدية للأدوار الأسرية التي كانت سائدة داخل بنية الأسرة التقليدية والقروية بالخصوص.

**الزوجة واتخاذ القرار الأسري:** إن حضور الزوجة أضحت بارزا في الحياة الزوجية والقرارات الرئيسية العائلية، ويعكس ذلك جودة العلاقات وسبابتها في الأسر النووية، التي صارت تلعب فيها الزوجة دورها كزوجة وربة بيت. إن المرأة أصبحت تتحمل مسؤوليات اقتصادية واجتماعية، لم تكن تسمح لها بها ثقافة المجتمع الذكوري القروي. لقد قوى هذا التحمل للمسؤوليات من دور الزوجة في القرارات الأسرية. إن الزوجة أكثر أعضاء الأسرة ارتباطا بالمجال المنزلي، سواء ما يتعلق بمسؤوليات الأبناء اليومية أو الزوج، كما أن الزوجة تربط علاقات اجتماعية وتبادلية على مستوى الزيارات والمناسبات، مما يمنحها القدرة على الإحاطة بمستلزمات الحياة الاجتماعية.

إن انتشار ظاهرة خروج المرأة للعمل أدت إلى حدوث تغيرات في بنية ووظيفة الأسرة الحديثة، ومن أهم مظاهر هذا التغيير مشاركة المرأة العاملة في السلطة الأسرية، بحيث مكن استقلالها الاقتصادي من أن يضعها في مكانة تختلف عما هي عليه المرأة الماكثة في البيت. فخرج المرأة للعمل يزودها بالإحساس بالكفاءة ويخول لها كثيرا من السلطة. إن عمل المرأة أحدث تعديلا في الطبيعة السيكولوجية للعلاقات الزوجية التي كانت تقوم على علاقة السيد بالسود.

إن التحول الملموس في الأدوار الداخلية للأسر المهاجرة، يبرز مدى اندماج الأسر في أسلوب الحياة الحضرية، والتأثر به سواء على مستوى تعليم الأبناء، أو تصور عمل المرأة، أو اتخاذ القرارات الأسرية. والتشاور والحوار بين الزوجين أصبح اللغة التي تهيمن على العلاقات الأسرية. إن معرفتنا لهذا التصور يمكن أن يساعدنا في ضبط التغير أم الاستمرارية في سلوك وأسلوب حياة المهاجر. فمن هم الأشخاص الذين يساهمون في صنع القرارات داخل الأسرة؟ الزوج، الزوجة، أم التشاور والحوار بين أعضاء الأسرة؟

جدول رقم (1): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب الأشخاص المتدخلين في اتخاذ القرارات الأسرية

من يتخذ القرار		شراء عقار	تعليم الأبناء	تأثيث البيت	السفر	المناسبات العائلية			
التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
278	57.2	344	70.8	322	66.3	284	58.4	338	69.5

9.5	46	21.8	106	7.8	38	9.9	48	18.9	92	الزوج
8.6	42	5.8	28	13.6	66	6.6	32	2.1	10	الزوجة
5.8	28	3.3	16	9.1	44	3.3	16	3.3	16	تساور لكن الكلمة الأخيرة للزوج
6.6	32	10.7	52	3.3	16	9.5	46	18.5	90	تساور لكن الكلمة الأخيرة للزوجة
100		100	486	100	486	100	486	100	486	المجموع

المصدر: البحث الميداني بمدينة سلا وأحوازها ، 2015.

من خلال نتائج الجدول أعلاه نستنتج إذن:

-نظرة المهاجر للزوجة لم تعرف تغييرا ملموسا ، ماعدا بعض الأدوار الجديدة التي فرضتها مقتضيات الحياة الحضرية.

-عبرت مجموعة من النساء المهاجرات عن تغير في معاملة الزوج بعد الانتقال إلى المدينة ، بحيث أصبحت العلاقة بين الزوجين مشروطة بالتفاهم والتساور المتبادل بينهما ، وتمتع المرأة المهاجرة بحرية أكبر في اختيار اللباس والخروج رفقة الأبناء للتنزه وقضاء الحاجيات والانضمام إلى جمعيات لتعلم القراءة والخياطة ودروس محو الأمية ، وزادت مساحة مسؤولياتها وأدوارها ولم تعد خاضعة لسلطة آباء الزوج وإخوته وكذلك أسرتها.

-إن الأدوار الأسرية التقليدية للزوجين ، لم تتغير في أغلب الأسر المغربية ، باستثناء بعض الحالات التي تساهم فيها العوامل الثقافية بشكل بارز في الدفع بالمرأة المثقفة نحو المشاركة في القرارات المتخذة.

-هناك اختلاف كبير في مستويات القرار بين المرأة الموظفة التي تتخذ قراراتها بمحض إرادتها وبحسب إمكانياتها المادية ، وبين ربة البيت التي وبالرغم من اتخاذها بعض القرارات التي لها علاقة بالحياة اليومية للأسرة ، تبقى تحت سلطة الزوج وتابعة لما قرره هو ووافق عليه.

-إن عمل المرأة ومساهمتها في ميزانية الأسرة ، وتقسيم المصاريف بينها وبين زوجها ، سمحا لها باتخاذ بعض القرارات وفرض سيطرتها ومكانتها داخل الأسرة ، إذ أصبحت المرأة العاملة في غالب الأحيان تتكلف بمصاريف المطبخ والتجهيزات وملابس الأطفال ، فيما يتكلف الزوج بالكراء وفواتير الماء والكهرباء وتعليم الأبناء.

إن التدبير والحوار والمشاركة في اتخاذ القرارات بين الزوجين داخل الأسرة ، مسألة حساسة ومهمة في بناء أسرة منظمة ، إلا أن هذه المشاركة ، تبقى منعدمة في إطار الأسرة الفقيرة ، حيث ينعدم الحوار ويصير الطابع العشوائي هو السائد على القرارات المتخذة داخل الأسرة. ففي ظل غياب الإمكانيات المادية ، يبقى الزوجين عاجزين حتى عن صنع أبسط القرارات.

### العلاقة بين الأجيال:

علاقة آباء- أبناء: تتميز الروابط القرابية الداخلية في الأسرة التقليدية بسلطة شبه مطلقة للآباء على الأبناء ، بحيث يهيمن كبار السن على الحياة الاجتماعية والأسرية خاصة الآباء والأجداد والأخوة الكبار. فمسؤولية ضمان استمرارية التقاليد وسلطة القرار يتحكم فيها كبار فيما يتكيف الشباب مع هذا الوضع دون تغييره أو التدخل فيه سواء تعلق الأمر بالشباب العازبين أو المتزوجين (Mokhtar El Harras, 2005, p120)) مراعين في ذلك عاملي السن والجنس. هناك إذن ، أحداث وتفاعلات تقع في محيط الأسرة ، الشيء الذي يجعل منها مؤسسة متغيرة باستمرار ، في سياق التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي يعرفها المجتمع. (عبد الرحيم عنبي ، 2005 ، ص93)

الاستقلال الأسري: إن التساكن في نفس المنزل أو بالقرب من منزل الأبوين أو الأنساب يزداد في الوسط القروي أكثر من الوسط الحضري. (Mokhtar El Harras, 2005, p122)

من هنا ، إذا كان التغير السوسيو-ثقافي السريع والتباين في الاختلافات بين الأجيال يدفع الأسر الصغيرة التي تتكون أن تختار الاستقلالية في السكن لأجل اختيار فضاء خاص. فالهدف من القرب السكني هو أن تحافظ الأسر المهاجرة على التضامن الأسري.

يشكل الدور إطار سوسيو-مجالى يسمح بالقرب السكني مع الأبوين والأنساب بالمقارنة مع الحي في الوسط الحضري. فالبنية القروية للسكن في العالم القروي تفسر بشكل جيد الاختلاف الذي يميزه في هذا المستوى عن الوسط الحضري. إن هذه الحركية التي تأتي من نوية البنيات الأسرية واستقلالية الأفراد تسير نحو "الحد من التساكن".

إن السكن بالقرب من العائلة يجنب المهاجرين أزمة الانتقال الحاد والمفاجئ في حياتهم الاجتماعية. هذه الأزمة التي قد تتجلى في السلوك والعلاقات فيما هو مألوف ومعتاد. تميل الأسر حاليا إلى السكن في بيوت مستقلة وبعيدة عن مساكن الأهل والأقارب ، مفضلة السكن في الأحياء التي تتناسب مع أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والقريبة من أماكن العمل ، إن أمكن ذلك.

تعتمد العائلة النووية المغربية على العائلة الأصلية وعلى القرابة ، بمعنى أنها ليست مستقلة ، كما هو الشأن في الغرب ، بحيث تعود إلى هذه العائلة في حالة الأزمات ويتم اختيار السكن بجوار وبالقرب من العائلة الأصلية لضمان تبادل الزيارات والتضامن. (المختار الهراس ، ص49) من المتغيرات التي طرأت على العائلة

القروية المهاجرة نتيجة ظهور التحضر والتصنيع قيام أبناء العائلة المتزوجين بالسكن في بيوت مستقلة عن بيت الوالدين ، من هنا انخفض عدد الأجيال الذين يعيشون في الوحدة السكنية من جيلين إلى جيل واحد فقط. (شريف درويش ، 1990).

انطقنا من افتراض أن هناك اتجاها نحو الاستقلال السكني ، مع الحفاظ على القرب المكاني كضمانة سيكولوجية للآباء. "ابناؤنا هم رأسمالنا الوحيد" هكذا عبر أحد أرباب الأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها. تفاصيل ذلك يقدمها الجدول التالي:

جدول رقم: (2) توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب موقفهم من الاستقلال السكني للأبناء

الاختيار	التكرار	النسبة المئوية %
نعم	414	85.2
لا	72	14.8
المجموع	486	100.0

مبيان رقم (1) توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب تصورهم للاستقلال السكني للأبناء.

## رأي أرباب الأسر المهاجرة بخصوص العيش



المصدر: البحث الميداني بمدينة سلا وأحوازها 2015

تؤكد نسبة (85.2%) ضرورة استقلال أبناءهم سكنيا وبالتالي اقتصاديا ، إنما يفعلون ذلك انطلاقا من تصور خاص ، وهو أنهم لا يمكن أن يتعايشوا مع زوجات أبناءهم لسبب أو لآخر ، ونظرا لأنهم لا يرغبون في التسبب لأبناءهم وأسرهم في مشاكل قد يستغنون عنها ويتجنبونها باستقلال هؤلاء سكنيا. وفي مقابل هذا الموقف نجد نسبة (14.8%) ترى أن من طبيعة الأشياء أن يستقر الأبناء مع الوالدين والسهر على مساعدتهم والنفقة عليهم ، كما أن هناك رغبة لدى الآباء في الحفاظ على وحدة العائلة المادية والاقتصادية والاجتماعية.

إن مكان الإقامة المفضل بعد الزواج في كل فئات السن هو "السكن المستقل والقريب من الآباء". فالإتجاه الأكثر شيوعاً يتمثل في كون أكثر من نصف المبحوثين الذين يتراوح سنهم ما بين 12-55 سنة يتطلعون إلى تحقيق هامش من الاستقلال الذاتي في حياتهم الزوجية ويرغبون في الاستمتاع بقدر من الحميمية الشخصية والأسرية، لكن مع الإقامة قريباً من الآباء إن لم نقل إلى جانبهم، أي أن أغلب المبحوثين يحبذون أن يقترن الاستقلال السكني عن الأسرة الأصلية بالإبقاء على شروط العيش المواتية لتحقيق التضامن وتبادل الدعم بين الآباء والأبناء المتزوجين. ويرجع تفضيل السكن المستقل عن الأسرة الأصلية إلى مجموعة من الاعتبارات من بينها، الاهتمام بفوائد الاستقلال الذاتي سواء بالنسبة لراحتهم الشخصية وسعادتهم الزوجية، أو للحفاظ على علاقات طيبة مع الآباء والأولاد المتزوجين.

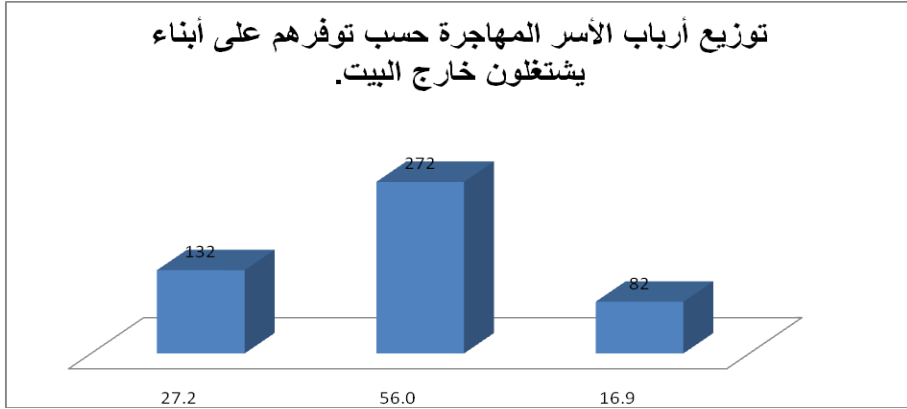
يعتبر القرب المكاني من العائلة ضماناً لاستمرارية العلاقات التضامنية وتبادل المساعدة والدعم في حالات اجتماعية مختلفة. يرغب 85.2 في المائة من أسر العينة الاستقرار بالقرب من أسرهم ومجاورتها سكنياً، فرغم تفضيل الكثيرين الاستقلال عن الأسرة والإقامة منفصلين عنهم، إلا أن تبعيتهم للعائلة الأصلية تبقى حاضرة، بحيث تذكرهم بنمط حياة الأسرة الممتدة التي عاشوا في كنفها في السابق، ويبقى الحنين إلى العائلة ودعمها وحضورها أساسيين بالنسبة لهذه الأسر.

**عمل الأبناء:** ارتأينا أن نعمق علاقة الأبناء والآباء، منتقلين من مستوى العلاقات الاجتماعية إلى مستوى آخر يقتضي نوعاً من الانفتاح على الممارسات الأسرية في بعدها الاقتصادي. إن المساعدات المالية للأبناء تبيين مدى متانة العلاقات الداخلية للأسرة في وضعية الهجرة، ولهذه الاعتبارات قد يدفع بعض أرباب الأسر أبناءهم للعمل لمساعدتهم في النفقات والمصاريف الأسرية. ويبين الجدول التالي مدى صحة توقعاتنا في شأن العلاقة القائمة بين الأجيال:

جدول (3): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب توفرهم على أبناء يشتغلون خارج البيت

أبناء يشتغلون خارج البيت	نعم	لا	بدون جواب	المجموع
التكرار	132	272	82	486
النسبة المئوية	27,2	56,0	16,9	100,0

مبيان رقم (20): توزيع أرباب الأسر المهاجرة حسب توفرهم على أبناء يشتغلون خارج البيت



المصدر: البحث الميداني بمدينة سلا وضواحيها ، 2015.

56.0% من الأسر المكونة لعينة البحث لا يشتغل ابناؤهم خارج البيت ، إما بحكم متابعة الأبناء لتعليمهم أو بحكم سنهم الذي لا يسمح لهم بدخول ميدان العمل ، لكونهم قاصرين لا يزالون تحت وصاية ومسؤولية الوالدين ، أو شباب عاطلون عن العمل رغم سنهم وكفاءتهم العلمية " ليس لدي أبناء في سن العمل " (حسب شهادة المهاجرين المبحوثين). مقابل 27.2% من المهاجرين على أبناء يشتغلون خارج البيت ، يساعدهم ماديا لمواجهة صعوبات الحياة بحكم الهجرة إلى المدينة ، ويتحملون مع آباءهم جزءا من المسؤولية. كما نجد أسرا مركبة يتعاون أفرادها لسد حاجاتهم اليومية. "يساعدني أبنائي في المصاريف اليومية للحياة" " إن الأجر الذي أتقاضاه لا يكفينا كعائلة مركبة ، يساعدني أبنائي حسب الاستطاعة".

لقد اعتاد المهاجرون القويون التكافل والتضامن الاجتماعي المتبادل بينهم ماديا ورمزيا ، لهذا يعي الأبناء جيدا ضرورة تقديم المساعدة والدعم الاقتصادي للآباء واجب ومسؤولية تجاه ذويهم ، ويعمل الفرد من أجل الجماعة الأسرية وسعادتها. إن قيمة التضامن الأسري لا يمكن تعميمها بالنسبة للأسر المهاجرة بمدينة سلا وضواحيها ، إذ تنفي نسبة 1.6% من الأسر تقديم أبنائها المشتغلين للمساعدة المالية في المصروف اليومي ، بل يمتنعون عن المشاركة في المسؤوليات الأسرية ، لضعف الأجور التي يتلقونها من عملهم والتي لا تكفي متطلباتهم الشخصية "أحد أبناء المبحوثين".

المهاجرون وتبني الأساليب التربوية مع الأبناء: إذا كانت التربية في نظر كانت "هي أعظم وأعقد مشكلة يمكن أن تطرح على الإنسان" ، فإن تربية الطفل اتخذت أبعاد جديدة ، ولم تعد وقفا على الأسرة وحدها ، بل أصبحت مهمة موكلة للمجتمع ومؤسساته ، وعلى رأسها مؤسسة المدرسة كمؤسسة لها نظامها الخاص ووظيفتها الخاصة المحددان من قبل القانون (E.Kant, 1993, p77)



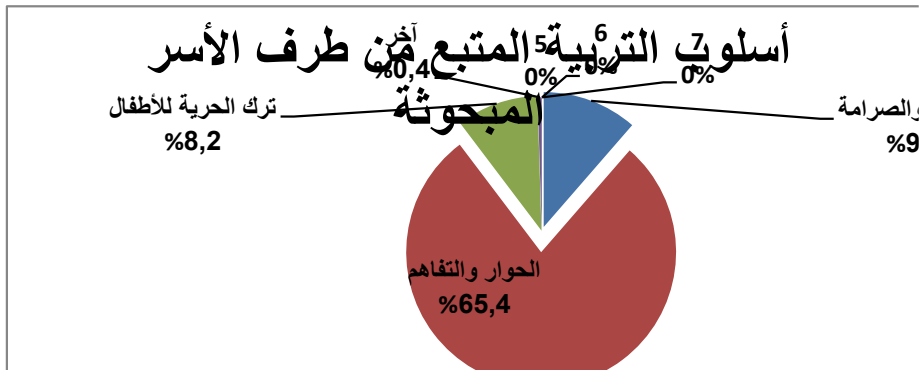
من التغيرات التي تعرضت لها الأسرة تطبيق الأساليب الحديثة في التربية، واختفاء التعارض في تربية الأطفال بين الزوج والزوجة. كان الآباء يقومون بأدوارهم الأسرية على أساس التسلسل والديكتاتورية، إلا أنه بعد حركة التعليم والاتصال داخل المجتمع، وتحديث الاقتصاد ظهرت لدى الأبناء مجموعة من الأفكار والآراء والقيم تختلف عن تلك التي حصل عليها الآباء في ظل ظروف متغيرة، مما أحدث تغييراً في نموذج (عبد القادر القصير، 1999، ص 87) العلاقة بين الآباء والأبناء، وبين الآباء والأمهات من علاقة خضوع وسيادة إلى علاقة حوار، ونتيجة كل هذا ظهور النموذج التحرري، أو الديمقراطي في الأسرة محل النموذج التسلسلي القمعي الذي كان يسود داخل الأسرة التقليدية.

أصبحت الأساليب التقليدية في التربية تتراجع لتترك المكان لأساليب عصرية وحديثة كالتفاهم والتشاور والحوار المتبادل. إن تراجع هذه الأساليب السلطوية التقليدية يعلن عن بروز فئات اجتماعية جديدة، تؤمن بضرورة الحوار عوض السلطة التي سادت في إطار العائلة البطريركية، التي كانت تمثل فيها سلطة الأب السلطة العليا في القرارات. وتراجع هذه السلطة أدى إلى ظهور أنواع حديثة في أساليب التعامل والتربية. إن الأسرة المعاصرة، أسرة تؤسس مقوماتها التربوية بناء على مرجعيات متعددة: نفسية وثقافية وتكنولوجية، كما تؤسس لثقافة الفردانية والاستقلالية الذاتية للأفراد وبناء خصوصياتهم في إطار شبكة متواصلة من العلاقات الاجتماعية. فما أسلوب التربية الذي ينهجه آباء الأُسَر مع أبناءهم؟

جدول رقم(3): توزيع آباء الأُسَر المهاجرة حسب أسلوب التربية

أسلوب التربية	الصرامة والسلطة	الحوار والتفاهم	ترك الحرية للأطفال	آخر	بدون جواب
التكرار	46	318	40	2	80
%	9,5	65,4	8,2	0,4	16,5

مبيان رقم(3): توزيع آباء الأُسَر المهاجرة حسب أسلوب التربية المتبع.



المصدر: البحث الميداني بمدينة سلا وضواحيها، 2015

-أسلوب التربية الذي تنهجه نسبة 65.4% من أرباب الأسر المبحوثة ، يتميز بالحوار والتفاهم بمنح الحق للأبناء في إبداء الرأي والتعود على المشاركة وتبادل النقاش مع باقي أعضاء العائلة. إن اختيار أسلوب الحوار جاء كبديل عن أسلوب السلطة والصرامة الذي ميز العلاقات في الأسرة التقليدية الأبوية ، التي كانت تتأسس على الرأي الواحد وسلطة الأب ، وغياب كل دور للأبناء أو الزوجة. فيما تركت نسبة 8.2% من الأسر الحرية لأطفالها وتمنحهم ثقتها كمسؤولين عن تصرفاتهم وسلوكياتهم وذواتهم وهي من الطرق الحديثة المعتمدة في بناء شخصية الطفل النفسية.

-تختلف الأسر في أساليب تربية الطفل ، تبعاً للمستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المختلفة. هذه الاختلافات لا تتوقف في مجال تربية الطفل ، ولكن أيضاً في مناهج التأديب ، وفي طرق إظهار العواطف ، وفي طريقة ترتيب اللعب ، وفي الطرق التي تتحدث بها الأمهات أطفالهن ، بالإضافة إلى طموحات الآباء في مستقبل أبنائهم. ويبدو أن هذه المتغيرات لا تعمل بصورة مباشرة ، وإنما تؤدي إلى نمو الاختلافات القيمة التي تكون حافزاً مباشراً للسلوك. (سنة الخولي ، 1984 ، ص191) من هذه الجماعات من يطبق الطرق التقليدية القائمة على السيطرة واستعمال وسائل قمعية في التأديب منها الضرب ، والإرهاب والتخويف ، هناك أسر تنهج الطرق الحديثة في التربية التي تقوم في الأساس على الديمقراطية والحب والإقناع والنصيحة والخبرة ، بدلا من أسلوب العقاب والتهديد ، وهناك أسر تطبق أسلوب التربية ، الذي يترك الحرية للأطفال ، لأن إتباع هذا الأسلوب ينتج أطفال قادرين على الاستقلالية وأكثر شعوراً بتحمل المسؤولية تجاه ذواتهم.

-إن الأساليب التربوية التقليدية التي كانت تعتمد على سلطة الفرد الواحد في إطار الأسرة الممتدة ، تترك المجال مفتوحاً أمام أساليب حديثة تعتمد الحوار والتفاهم والحرية في التعامل مع الأبناء. وهذا يشير إلى التحول الذي أصبح يمس شرائح متعددة من المجتمع المغربي ، هذا المجتمع الذي أصبح يفتح على التعليم والتقنيات الجديدة والآخر. هذه العوامل ستسهم في بروز تحولات في الحياة الأسرية ، وستشهد الأسرة المغربية المعاصرة وضعيات جديدة تجسد مثلاً في أساليب التربية الحديثة.

#### خاتمة:

إن ما يميز الأسرة المعاصرة منذ بداية من الستينات هو بنيتها النووية التي تتكون من الزوجين والأطفال غير المتزوجين يعيشون في منزل واحد ، ويقتسمون الأدوار. يعمل الزوج خارج البيت ويعتبر المعيل الاقتصادي للأسرة ، يقود السيارة ويقوم بأعمال التوضيب في آخر الأسبوع ، أما الزوجة فتسهر على تنظيم المنزل ونظافته وإعداد الواجبات المنزلية ويذهب الأطفال إلى المدارس الموجودة بالحي. غير أن هذه الصورة التي تبني على توزيع الأدوار ستبدأ في التغيير مع سنوات السبعينات ، حيث سترتفع معدلات الطلاق ، وسيظهر التعايش خارج الزواج ، ويرتفع عدد الأطفال خارج الزواج. سيصبح الحب هو الرابطة الأساسية بدون زواج أو أي رابط يحد من فردية الفرد وحريةته (J.F.Dortier, 2002, p 1-7). ومع تطور الفكر النسوي غيرت المدرسة النسوية الرؤية التي تعتبر العائلة وحدة أو مؤسسة تعاونية قائمة على المصالح المشتركة والنفع المتبادل نحو علاقات

السلطة غير المتوازنة والقوة غير المتكافئة داخل الأسرة والتي تعطي لبعض الأفراد منافع وامتيازات أكثر من غيرهم. كما توجهت النظرية النسوية الى العلاقات الأسرية الداخلية ، وإلى معاناة النساء في النطاق البيئي.

#### ببوغرافيا

- الخولي ، سناء (1984): الأسرة والحياة العائلية ، دار النهضة العربية ، بيروت.
- رحمة ، بورقية: (1995) "النساء والسلطة" ، مجلة دراسات عربية ، العدد 9 و10
- شريف ، درويش: "التغير الاجتماعي في الريف الجزائري ، تغير علاقة الإنسان بالأرض وآثارها الاجتماعية" ، مذكرة لنيل دبلوم الماجستير في علم الاجتماع الريفي والحضري ، تحت إشراف الدكتور علي مزيقي كمال ، السنة الجامعية 1989\_1990.
- العنبي ، عبد الرحيم (2005): الأسرة القروية والتحولات السوسيو- اقتصادية ، بحث لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع ، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- كمال ، عبد اللطيف(2010) ، المرأة في الفكر العربي المعاصر نحو توسيع قيم التحرر ، دار الحوار ، اللاذقية.
- المختار الهراس ، (2008): المرأة وصنع القرار في المغرب ، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث كوثر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت.
- المختار ، الهراس. "ملاحظات حول تغير أوضاع المرأة والأسرة في المغرب". ندوة التحول الاجتماعي للأسرة المغربية من الخمسينات إلى الثمانينات ، منشورات جمعية رباط الفتح.
- نادية فرحات ، (2012): عمل المرأة وأثره على العلاقات الأسرية في الجزائر ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، العدد 8.

François De Singly, (1993): Sociologie de la Famille Contemporaine. Edition Nathan.

-Monique Gadant,( 1981) "Les femmes, la famille et la nationalité Algérienne", In Peuples Méditerranéens, Avril — Juin n° 15, Paris.

-Mokhtar El Harras, (2005) : Les Mutations de la Famille au Maroc. Najah el Jadida, Casablanca.

-Mona Martensson(1979), Rôle de sexe dans la famille à Rabat, Document de B.E.S.M, n°138\_139.

## التمويل الإسلامي في الجزائر الواقع والتحديات- بنك البركة نموذجا-

### Islamic finance in Algeria reality and challenges -AL BARAKA BANK MODEL

د.سعاد رباح ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة- الجزائر

ط د. هنوز سكينه ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة- الجزائر

ط د. دربال رقية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة- الجزائر

#### مقدمة:

إن الواقع المعاصر يثبت الأهمية الكبيرة التي يحظى بها التمويل الإسلامي ، فقد اكتسحت صيغ التمويل الإسلامي النسبة الأكبر في معاملات البنوك الإسلامية ؛ بل وتعدى الأمر إلى فتح نوافذ إسلامية في بنوك ربوية تنشط أغلبها في دول غربية ، وهذا وإن دل على شيء ، فإنما يدل على النتائج الإيجابية التي حققتها صيغ التمويل الإسلامية من خلال مؤسساتها ، سواء كانت بنوكا إسلامية ، أو شركات التأمين التكافلي ، أو الأسواق المالية... وغيرها ، وعلى غرار هذه الدول فإن الجزائر تسعى جاهدة منذ إنشائها لأول بنك إسلامي قائم على مبادئ إسلامية ، والمتمثل في بنك البركة الذي بدأ نشاطه سنة 1991م ، إلى تفعيل هذه المؤسسة بما يخدم النشاط الاقتصادي داخل الوطن ، ومدى إسهاماته في تحقيق التمويل المناسب داخل الاقتصاد الوطني. مما سبق يمكن أن نصيغ سؤال إشكالية هذا البحث في التساؤل الرئيسي التالي: ما هو واقع التمويل الإسلامي في الجزائر؟

#### 1-الأسئلة الفرعية:

- ما المقصود بالتمويل الإسلامي؟

- ما هي أبرز المؤسسات الناشطة في التمويل الإسلامي داخل الجزائر؟

- ما هي أهم الصيغ المتبعة في عمليات التمويل داخل بنك البركة بالجزائر؟

#### 2- فرضيات البحث:

- للمؤسسات المالية الإسلامية دور كبير في تمويل المشاريع بالجزائر.

- حقق بنك البركة بالجزائر نجاحا كبيرا في عمليات التمويل الإسلامية.

#### 3-أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء حول واقع التمويل الإسلامي بالجزائر ، وأبرز المؤسسات الإسلامية الداعمة له.

#### 4- أهداف البحث:

- التعرف على التمويل الإسلامي وخصائصه.

- معرفة أبرز المؤسسات المالية في الجزائر.

- التعرف على بنك البركة في الجزائر.

#### 5- منهج البحث:

من أجل إعداد هذا البحث تم الاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي؛ بالإضافة إلى المنهج الإحصائي؛ وذلك بالتعريف بمفردات البحث وتحليلها وتحديد مفاهيمها، وهذا عن طريق جمع المعلومات والبيانات.

6- خطة البحث: لمعالجة هذا الموضوع قسم هذا البحث إلى المحاور التالية:

- المحور الأول: مفاهيم أساسية حول التمويل الإسلامي وخصائصه ومؤسساته.

- المحور الثاني: المؤسسات المالية الإسلامية بالجزائر ودورها في عملية التمويل.

- المحور الثالث: تجربة بنك البركة في الجزائر بين الواقع والتحديات.

المحور الأول: التمويل الإسلامي، مفهومه، خصائصه، مؤسساته.

أولاً: مفهوم التمويل الإسلامي:

لغة: جاء في القاموس المحيط: "المال: ما ملكته من كل شيء، ومُلْت تَمَالٌ ومُلْتٌ وتَمَوَّلَتْ واستَمَلَتْ: كَثُرَ مَالُكَ، ومَوَّلَهُ غيره، ومُلْتُهُ أعطيته المال". [الفيروزآبادي، 2005م، ج1، ص1059]. والتمويل من موله إذا صيره ذا مال. [شتوان الحميري، 1999م، ج9، ص6414].

اصطلاحاً: هو نشاط اقتصادي لتسهيل المبادلات والأنشطة الحقيقية، وتنمية الثروة، عن طريق تقديم الأموال اللازمة لذلك. [سامي بن إبراهيم السويلم، 2006م، ص2].

التمويل الإسلامي: عرفه منذر قحف: "هو تقديم ثروة، عينية أو نقدية، بقصد الاسترباح من مالها إلى شخص آخر يديرها ويتصرف فيها لقاء عائد تبيحه الأحكام الشرعية". [منذر قحف، 2004م، ص12].

فالتمويل الإسلامي يتمثل في تقديم أموال من أصحاب الفائض لأصحاب العجز لاستثمارها في مشاريع مربحة وفق الضوابط والأحكام الشرعية.

ثانياً: خصائص التمويل الإسلامي:

يتميز التمويل الإسلامي عن التمويل التقليدي بمجموعة من الأسس والمبادئ والضوابط المستندة إلى الشريعة الإسلامية، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

1- عدم التعامل بالربا أخذاً وعطاءً؛ سواء كان ربا فضل أو نسيئة، بفائدة كثيرة أو قليلة، وسواء كان ربا استهلاك أو استثمار، لقوله تعالى: "وأحلَّ اللهُ البيعَ وحرَّم الرِّبَا" [سورة البقرة الآية-275]، وهذا لانعدام التقابل بين الجهد والثمرة، وما يسببه من انهيار اقتصاد المجتمع وأخلاقه، وكذا انقسامه إلى طبقة المتحكمين وطبقة المستضعفين". [صالح بن غانم بن عبد الله السدلان، 1425هـ، ج1، ص105-107].

2- تحريم الشريعة اكتناز المال الذي يؤدي إلى تراجع عمليات الاستثمار الذي له دور في النهوض بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، لقوله تعالى: "والَّذِينَ يُكْتَنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" [سورة التوبة الآية-34].

3- تمويل المشاريع الجائزة التي هي من الطيبات التي أحلها الله والابتعاد عن كل ما حرمه الله، مثل: الاتجار بالخمور والمخدرات ولحوم الخنزير والملاهي وغيرها مما هو مخالف لأحكام الشريعة الغراء.

- 4- التمويل الإسلامي يستند إلى قاعدة معروفة في الفقه الإسلامي وهي: الغنم بالغرم والخراج بالضمان ، أي أن تحمل الربح والخسارة يكون مقسما على نسبة مشاعة. [محمد مصطفى الزحيلي ، 2006م ، ج 1 ، ص 543].
- 5- ارتباط التمويل الإسلامي بالجانب الحقيقي للاقتصاد ، أي عند تمويل مشروع منتج فإن الأرباح الناتجة حقيقة وليست وهمية ، كما يتيح التمويل الإسلامي للأموال فرصة التدفق إلى المشاريع الجديرة بالتمويل. [نبيل عبد الإله نصيف ، العدد 6 ، ص 1091].
- 6- التمويل الإسلامي ينكر قوة الاستغلال والاستبداد ، ويقدر حق العمل ، ويشجع أصحاب الكفاءات ، ويقرر مبدأ التكافل الاجتماعي. [محمد إبراهيم برناوي ، 1401هـ ، ج 1 ، ص 214].
- 7- التمويل الإسلامي يعمل وفق سلم الأولويات الشرعية التي حددتها مقاصد الشريعة الغراء ، فالضروريات مقدمة على الحاجيات ، والحاجيات مقدمة على التحسينيات ، والمصلحة العامة مقدمة على الخاصة دون ضرر أو إضرار.
- 8- التناسب بين مصادر الأموال والاستثمارات ، فمثلا استخدام أموال ذات أجل قصير في الاستثمارات طويلة الأجل ، مما قد ينعكس سلبا على حالة السيولة في البنك. [زبير العياش ، سميرة مناصرة ، العدد 3 ، 15\05\2016 ، ص 117].
- 9- اعتماد قاعدة "نظرة إلى ميسرة للمعسر" بضوابطها الشرعية ، فلا مكان لفوائد التأخير ، ولا فوائد إعادة جدولة الدين ، وهذا يحمي الاقتصاد من الآثار السلبية كي يستمر الإنتاج والطلب. [زبير العياش ، سميرة مناصرة ، العدد 3\15\05\2016 ، ص 117].
- 10- التمويل الإسلامي يقدم أفضل منهج لضبط المديونية والسيطرة عليها من خلال دمج المديونية الربحية بالتبادل والإنتاج. [سامي بن إبراهيم السويلم ، 2013م ، ص 83].
- 11- من أصول التمويل الإسلامي التوازن بين النشاط الربحي الذي يتمثل أصله الكلي في تحريم أكل أموال الناس بالباطل ، ويتفرع تحت هذا الأصل تحريم الإسراف والاحتكار ، وكذا الربا والغرر ، والنشاط غير الربحي الذي من أبرز أصوله الزكاة. [سامي بن إبراهيم السويلم ، 2013م ، ص 13 ، 14].

#### ثالثا: مؤسسات التمويل الإسلامي:

- 1- البنوك الإسلامية: هو مؤسسة مالية تقوم بتجميع الأموال واستثمارها وتنميتها لصالح المشتركين ، وإعادة بناء المجتمع المسلم ، وتحقيق التعاون على وفق الأصول الشرعية ، وأهم مميزات المصارف الإسلامية النزعة العقديّة والاجتماعية ، المساواة بين طرفي التعامل والوضوح في العمل والثقة في الاستثمار ، ومناط الربح تشغيل رأس المال والعمل ، العدالة في تقدير العمولة ، سعة رقعة التعامل مع العملاء. [وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دون سنة ، ج 5 ، ص 3755-3762].
- 2- الأسواق المالية الإسلامية: هي سوق منظمة تنعقد في مكان معين وفي أوقات دورية للتعامل الشرعي ببيعاً وشراءً لمختلف الأدوات المالية ، وتهدف إلى تعبئة المدخرات المالية النقدية وتوجيهها نحو المشروعات المنتجة. وهناك أنواع من الأسواق المالية الإسلامية لها دور فعال في تمويل المشاريع ، والنهوض بالتنمية الاقتصادية ، منها سوق النقد الإسلامي الذي من أدواته الصكوك الإسلامية التي حلت محل السندات الربوية ، كصكوك المضاربة والمشاركة ، والإجارة ، وصكوك صناديق الاستثمار الإسلامية ، وعمليات التصكيك

للأصول (التوريق)، وكلها أدوات فعالة لتوفير السيولة اللازمة لتمويل الاستثمارات. [شافية كتاف ، 2014م ، ص 9 ، 13 ، 14].

3- **مؤسسات الوقف:** هي مؤسسة دينية خيرية تقوم بدور هام في تمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة ، من خلال إنشاء صناديق وقفية مخصصة للتمويل بواسطة تبرعات صغيرة (صكوك الوقف)، وكذا تشجيع الوقف على القرض الحسن لتوسيع نشاط المشروعات. [حسن عبد المطلب الأسرج ، العدد6 ، سبتمبر 2009م ، ص 27-24].

كما أن التجديد الحديث لمؤسسات الوقف جعل منه آلية ومصدر لتمويل الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية ، وقد توسعت دائرة استخدام الوقف من السلطات القضائية الرئيسية للمالية الإسلامية ، مثل ماليزيا ودول الخليج العربي إلى الولايات المتحدة ، وكندا وجنوب إفريقيا والهند ، وهذا التوسع دليل على إسهامات الوقف .

4- **مؤسسات الزكاة:** هو مؤسسة دينية اجتماعية تعمل تحت إشراف ووصاية وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، إذ تقوم بتنظيم الزكاة عن طريق ترشيد أداء وصرف أموال الزكاة.

ويعد صندوق الزكاة بالإضافة إلى دوره الأساسي في تحصيل الزكاة وصرفها على مصارفها الثمانية ، موردا مهما أيضا يدخل في تمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة بصيغة القرض الحسن وفق شروط وإجراءات ، بالإضافة إلى صيغ أخرى تماشى مع أموال الزكاة ودون المخاطرة بها المتمثلة في التأجير والمشاركة ، وهذا تجسيدا لشعار صندوق الزكاة المتمحور في: " لا نعطيه ليقى فقيرا إنما ليصبح مزكيا" [نادية طيبي ، العدد 5 ، ديسمبر 2017م ، ص 261 ، 262 ، 266].

5- **مؤسسة التأمين التعاوني (التكافلي):** وهو أن يتفق مجموعة من الأقارب ، أو الأصدقاء ، أو الزملاء على أن يدفع كل منهم اشتراكا معينا ، لتعويض الأضرار التي قد تصيب أحدهم إذا تعرض لخطر معين من مرض ، أو خسارة ، أو احتراق. فهذا جائز لأنه من عقود التبرعات ، ومن التعاون على البر. [محمد بن إبراهيم التويجري ، 2009م ، ج 3 ، ص 446].

كما تعد شركات التأمين الإسلامية مؤسسات تمويلية ، إذ حددت بعض الأنظمة والتشريعات أوعية استثمار أموال التأمين ، والنسب المستثمرة في كل وعاء ، وقد نصت عقود التأمين الصادرة عن عدد من شركات التأمين الإسلامية على وجود علاقة مضاربة بين الشركة وحملة الوثائق ، فيما يتعلق باستثمار الاشتراكات المتجمعة عندها. [محمد سعدو الجرف ، ص 18 ، 37].

### المحور الثاني: المؤسسات المالية الإسلامية بالجزائر ودورها في عملية التمويل

تأخر ظهور المؤسسات التي تنشط وفق المبادئ الإسلامية في الجزائر مقارنة بدول الأخرى لعدة أسباب ؛ لعل أبرزها القوانين التي لا تتوافق مع عمل هذه المؤسسات من جهة ، ونقص الفعالية والشفافية من جهة أخرى ، وفي هذا المحور سوف نبرز أهم المؤسسات المالية الإسلامية في الجزائر ؛ ودورها في عمليات التمويل .

#### أولا: مجموعة بنك البركة بالجزائر:

يعتبر بنك البركة الجزائري أول مصرف برأس مال مختلط (عام وخاص) ، أنشئ في 20 ماي 1991م ، برأس مال اجتماعي قدره 500.000.000 دج ، بدأ أنشطته المصرفية بصفة فعلية خلال شهر سبتمبر. أما

المساهمون في رأسماله فهم بنك الفلاحة والتنمية الريفية (الجزائر)، وشركة دلة البركة (السعودية)، مسير بموجب أحكام القانون رقم 10/90 المؤرخ في 14 أبريل 1990 المتعلق بالنقد والقرض<sup>1</sup>، وهو مرخص بالقيام بجميع الأعمال المصرفية، التمويل والاستثمار؛ وفقا لمبادئ الشريعة الإسلامية<sup>2</sup>.

ثانيا: تجربة الخدمات التأمينية التكافلية في الجزائر (شركة السلامة للتأمينات):

بالرغم من قدم ظهور التأمين الإسلامي في العالم وانتشاره في دول الخليج وبعض الدول الإسلامية، إلا أنه لم يظهر إلا حديثا في الجزائر، نتيجة لتفرغ إحدى الشركات الخليجية (إياك) السعودية الرائدة في مجال التأمين التعاوني التي تمثلها حاليا شركة سلامة للتأمينات<sup>3</sup>.

وقد حققت شركة سلامة في الجزائر نتائج إيجابية خلال الأعوام الأخيرة، فهي تمتلك حصة سوقية تقدر بـ 3% من سوق التأمينات في الجزائر، تتوزع بين الشركات العمومية 80% والشركات الخواص 20% ويقدر استثماراتها المالية بـ 2.6 مليار دينار جزائري، وتوفر حاليا خدمات متعددة في السوق الجزائرية حيث تمتلك الشركة شبكة توزيع متكونة على 150 نقطة بيع موزعة على مستوى كافة التراب الوطني، مؤطرة من طرف 04 مديريات جهوية، إلا أنها تفرد بخدمات التكافل وهي الوحيدة من كل مؤسسات التأمين التكافلي الإسلامي. [أمينة بوزن، ديسمبر 2012م، ص 11، 12].

ثالثا: مؤسسات الزكاة والأوقاف في الجزائر:

1- مؤسسة الزكاة (صندوق الزكاة) في الجزائر: تم تأسيسه سنة 2003م، وأول تطبيق له كان في ولايتي عنابة وسيدي بلعباس؛ وذلك بفتح حسابين بريديين في الولايتين تابعين لمؤسسة المسجد، بغرض تلقي أموال الزكاة والتبرعات من المزمكين، والمتصدقين في شكل حوالات بريدية؛ كما أن زكاتهم لا تقبل إلا نقدا ولا تدفع بقوة القانون، وفي سنة 2004 تم تعميم هذه العملية لتشمل كافة ولايات الوطن؛ وذلك بفتح حسابات بريدية على مستوى كل ولاية<sup>4</sup>.

مراحل الحصول على التمويل من صندوق الزكاة في الجزائر: يمكن إجمال أهم المراحل التي يمر بها

التمويل من خلال صندوق الزكاة في الجزائر كما يلي [منصوري الزين، سفيان نعماري، 2013، ص 03]:

- يتقدم المستحق للزكاة بطلب الاستفادة من قرض حسن لدى اللجنة القاعدية لصندوق الزكاة.

- تتحقق اللجنة من أحيته على مستوى خلايا الزكاة في المساجد بالتعاون مع لجان الأحياء.

- بعد التحقق تصادق اللجنة القاعدية على طلب المستحق للزكاة.

- ترسل الطلبات المقبولة إلى اللجنة الولائية لصندوق الزكاة.

<sup>1</sup> قانون النقد والقرض 10/90 هو قانون متعلق بالقرض والنقد في النظام المصرفي الجزائري، حيث سمح بتحويل السلطة التقديرية إلى مجلس القرض والنقد؛ الذي يعتبر بمثابة مجلس إدارة بنك الجزائر، يتمتع بصلاحيات واسعة في مجال القرض والنقد ويرأسه محافظ بنك الجزائر.

<sup>2</sup> للمزيد من المعلومات يرجى زيارة الموقع الإلكتروني: <http://albaraka.bank.com/>

<sup>3</sup> شركة سلامة للتأمينات التعاونية "سلامة" هي جزء من مجموعة سلامة الدولية؛ التي تعتبر أحد المجموعات الرائدة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في مجال التأمين، حيث يقدر رأس مال المجموعة بحوالي 6 مليار ريال سعودي، وقد تم اعتمادها كشركة مساهمة في المملكة بموجب مرسوم ملكي في عام 2006، للمزيد انظر: <http://salama.com/>

<sup>4</sup> الموقع الرسمي لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف: <http://www.marw.dz/>



- ترتب اللجنة الطلبات حسب الأولوية في الاستحقاق على أساس الأشد تضررا والأكثر نفعاً (مردودية عالية ،  
توظيف أكبر).

- توجيه قائمة خاصة إلى الوكالة الوطنية لدعم وتشغيل الشباب ، لاستدعاء المستحقين بغية تكوين ملف  
وفق الإجراءات المعمول بها لديهم .

- توجيه قائمة خاصة إلى الصندوق الوطني للتأمين على البطالة ، لاستدعاء المستحقين بغية تكوين ملف وفق  
الإجراءات المعمول بها لديه .

- توجيه قائمة خاصة إلى بنك البركة بالمستحقين في إطار التمويل المصغر والغارمين لاستدعائهم لتكوين  
الملف اللازم .

- توجيه القائمة الخاصة بالمستحقين في إطار تشغيل الشباب والصندوق الوطني للتأمين على البطالة  
المصادق عليها من اللجنة الولائية إلى بنك البركة ليقرر البنك نهائياً قابلية تمويل المشاريع أم لا وهذا وفق  
المعايير التي يعتمدها عادة .

أما الدور التمويلي لصندوق الزكاة في الجزائر فيمكن إبرازه من عدة جوانب منها تقليل من البطالة ،  
مساهمته في تمويل المشاريع المتوسطة والصغيرة...وغيرها ؛ حيث أشارت التقارير السنوية لوزارة الشؤون  
الدينية والأوقاف في الجزائر وتبصريح من وزيرها المكلف ، بأنه تم إنشاء أكثر من 5000 مؤسسة مصغرة من  
قبل الشباب الذين استفادوا من القروض الممنوحة من طرف الوزارة بفضل صندوق الزكاة ؛ حيث أنه تم  
تخصيص جزء من أموال الزكاة من أجل دعم الشباب والمساهمة في القضاء على البطالة . [منصوري الزين ،  
سفيان نقماري ، 2013 ، ص 09].

2- مؤسسة الأوقاف في الجزائر: مرت الأوقاف بالجزائر بعدد من المراحل ، ونظرا لأهمية هذا القطاع فقد  
أولت له الجزائر عناية خاصة ؛ فهي تحتل المرتبة الثالثة بين الدول الإسلامية من حيث حجم الثروة الوقفية ،  
وتنوع الوعاء الاقتصادي للأوقاف من بساتين ومطاعم ، محطات بنزين وأراضي...وغيرها ، إلا أن أغلبية  
الأوقاف في الجزائر كانت تعاني من غياب المرجعية الوقفية والتي حالت دون الانطلاقة الحقيقية لعملية  
الاستثمار الوقفي ؛ هذا ما جعل الهيئات الوصية تبذل جهودا كبيرة للبحث عن العقود والمستندات الوقفية  
الموجودة لدى مختلف المصالح والهيئات في الداخل والخارج . [حمادي مورادي ، فرج الله أحلام ، 2013 ،  
ص 15].

حيث تم إصدار قانون رقم 07/01 المؤرخ ب 2001 حيث أضح هذا الأخير العديد من الصيغ التي يمكن من  
خلالها استغلال واستثمار الأملاك الوقفية حتى يتمكن هذا القطاع من المشاركة في عملية التنمية .

#### رابعا: الأسواق المالية الإسلامية في الجزائر:

مقارنة بالدول العربية والإسلامية فإن الجزائر تأخرت في إنشاء سوق مالي ؛ وهذا راجع لعدة أسباب منها ما  
هو اقتصادي كتنبي النظام الاشتراكي منذ الاستقلال إلى غاية 1990م من جهة ، وضعف التنفيذ والتجسيد لها  
خطط له من جهة أخرى . ويمكن القول أن المصطلح الشائع في الجزائر هو البورصة أو السوق المالي دون  
مصطلح الإسلامي ؛ وهذا يدل على أن السوق المالي الإسلامي في الجزائر بهذا المصطلح لا توجد ، وإنما الواقع  
هو وجود سوق مالي تسيره هيئات تم تأسيسها سنة 1991م بناءً على مراسيم تنفيذية ويمكن إجمالها فيما يلي :

شركة تسيير بورصة القيم المنقول (SGBV).

لجنة تنظيم ومراقبة عمليات البورصة (COSOB).

الوسطاء في عملية البورصة (IOB).

ومع التطورات السريعة التي تشهدها الأسواق المالية حاليا ودورها الكبير في تمويل الاقتصاد؛ فقد حاولت الجزائر تطوير وإشراك بعض الشركات الكبرى ذات الأهمية الكبيرة في الاقتصاد كشركة سوناطراك التي لها دور كبير في عمليات التمويل داخل الاقتصاد الوطني؛ حيث تعتبر هذه الشركة بمثابة العمود الفقري للاقتصاد الجزائري، إلا أنه لا يمكن القول أن السوق المالي في الجزائر يساهم بشكل كبير في عمليات التمويل، وهذا لعدة أسباب منها ما هو اقتصادي ومنها ما هو قانوني وتنظيمي.

المحور الثالث: تجربة بنك البركة في الجزائر بين الواقع والتحديات

أولاً: واقع بنك البركة في الجزائر:

لقد سبق لنا في المحور السابق ذكر نشأة بنك البركة في الجزائر، وما نوضحه في هذا المحور هو واقع وتحديات بنك البركة في الجزائر.

يصنف بنك البركة الجزائري على أنه شركة مساهمة، حيث يستحوذ بنك الفلاحة والتنمية الريفية<sup>5</sup> [BADR] على نسبة 50%؛ وشركة دلّة البركة القابضة الدولية على نسبة 50%، ويمتلك البنك 31 فرع موزع في العديد من الولايات ولها نشاطات مصرفية عديدة. حيث أشارت التقارير السنوية التقييمية لدلّة البركة، أن بنك البركة الجزائر حقق نتائج إيجابية وهذا راجع في الأساس إلى الارتفاع الطفيف في أسعار الطاقة التي تساهم بأكثر من 80% من الناتج المحلي الإجمالي، حيث يوضح الجدول أدناه أهم التقارير المتعلقة ببنك البركة الجزائر خلال السنوات 2015م، 2016م، 2017م، 2018م.

جدول رقم (01): توضح بعض التقارير السنوية للأصول المالية لبنك البركة الجزائر

2018م	2017م	2016 م	2015 م	
2.3	2.2	1.88	1.9	الأصول الإجمالية للبنك (الحساب مليار أمريكي)
105.4	82.1	82.2	83	إجمالي الدخل التشغيلي (الحساب بالمليون \$ أمريكي)
71.3	50	48.9	50	صافي الدخل التشغيلي (الحساب بالمليون \$ أمريكي)
45.5	42	37	32	صافي دخل البنك (الحساب بالمليون \$ أمريكي)

<sup>5</sup> بنك الفلاحة والتنمية الريفية: هو مؤسسة مالية وطنية جزائرية ينتمي إلى القطاع العمومي أنشئت في 13 مارس 1982 على شكل شركة مساهمة مهامه تنمية وتطوير القطاع الزراعي ودعم نشاطات الصناعة التقليدية والحرفية.

المصدر: من إعداد الباحثين بعد الاطلاع [/http://albaraka bank.com](http://albaraka bank.com).

يوضح الجدول أعلاه بعض الأرقام الإحصائية التي وردت عن بنك البركة الجزائر، حيث نلاحظ فيما يخص الأصول الإجمالية للبنك أنها في ارتفاع حيث سجلت في سنة 2015م ما يقارب 1.9 مليار دولار؛ ووصلت إلى 2.3 مليار دولار سنة 2018م أي بمعدل نمو سنوي يقارب 1%، في حين شهد إجمالي الدخل التشغيلي انخفاض طفيف في السنوات 2016م و 2017م حيث حققت على التوالي 82.2 و 82.1 مليون دولار أمريكي وهي أرقام متقاربة جدا، وارتفاع كبير خلال سنة 2018م حيث بلغ 105.4 مليون دولار أمريكي، أما صافي الدخل التشغيلي فنلاحظ انخفاض طفيف خلال سنة 2016م ب 48.9 مليون دولار أمريكي؛ وارتفاع كبيرة خلال سنة 2018م ب 71.3 مليون دولار أمريكي، ونفس الرقم بالنسبة لسنة 2015م و 2017م بمعدل 50 مليون دولار أمريكي. أما صافي دخل البنك فيمكن القول أنه يرتفع في كل سنة بمعدل 2%؛ حيث سجلت سنة 2015م 32 مليون دولار أمريكي تلتها سنة 2016م ب 37 مليون دولار أمريكي، في حين حققت السنين 2017م و 2018م على التوالي 42 و 45.5 مليون دولار أمريكي.

أما النشاطات التمويلية للبنك، فله نشاط واسع خاصة في التمويل عن طريق صيغة المراجعة التي تستحوذ على النسبة الأكبر من تمويل البنك بنسبة 70%، أو التمويل عن طريق الإجارة والاستئجار في القطاع العقاري الذي يتميز في الجزائر بالنشاط وزيادة الطلب بما يحقق أرباح كبيرة للبنك؛ بالإضافة إلى التمويل التجاري الذي يشكل نسبة 60%، كما يعتمد البنك على تمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة من أجل تشجيع عمليات التصدير والنهوض بالاقتصاد والاعتماد على عائدات خارج قطاع المحروقات، كما تجدر الإشارة أيضا إلى الخدمات المصرفية المتنوعة التي يقوم بها البنك مثل: فتح الحسابات الجارية وحسابات الإيداع المتنوعة، تلقي الودائع، وإصدار الكفالات وخطابات الضمان، تقديم الاعتمادات السندية، الخدمات المصرفية عبر شبكة الأنترنت، قبول الزكاة والتبرعات والهبات، توظيف الأموال واستثمارها بناءً على رغبة المودعين ووفق الضوابط الشرعية، استخدام الفيزا الذهبية والبلاتينية والمدفوعة مسبقا... وغيرها.

ثانيا: تحديات بنك البركة الجزائري: رغم النتائج الإيجابية التي حققها بنك البركة في الجزائر؛ إلا أنه توجد مجموعة كبيرة من التحديات والمعوقات التي حالت دون تنفيذ المخططات بالشكل المسطر له من قبل هيئات البنك، ويمكن أن نجمال أهم التحديات والمعوقات في النقاط التالية:

من الناحية القانونية: غياب الإطار القانوني المنظم له، فالعمل المصرفي الإسلامي في الجزائر ينظمه قانون النقد والقرض، وهو يتماشى مع مقتضيات العمليات البنكية الكلاسيكية القائمة على الفائدة الربوية، أما الصيرفة الإسلامية فإنها قائمة على الشراكة في الربح والخسارة، وغياب نصوص قانونية تراعي هذا العمل يؤدي إلى تحمل المصرف والعمل أعباء جبائية مرتفعة تقلل من درجته التنافسية فيما يعرضه من متوجاته المالية.

[محمد هشام القاسمي الحسيني، 2010م، ص 14، 15].

#### من الناحية الشرعية والأخلاقية:

- نقص الإطار المؤهلة للقيام بالأعمال المصرفية على أسس إسلامية.

- عدم التزام المقرضين بالآجال المحددة لدفع الأقساط مما تسبب هذا بأضرار في بعض الأحيان للبنك و المودعين.

من الناحية الوظيفية: افتقار موظفي البنك للتأهيل والتكوين، والتدريب والتثقيف الشرعي للعاملين بالمصارف الإسلامية، ومعرفة أصول المعاملات الإسلامية، والتأصيل الشرعي الصحيح لصيغ الاستثمار يجنب الوقوع في الكثير من العثرات التي تقع فيها البنوك الإسلامية. [سليمان ناصر، العدد 7، 2009م-2010م، ص 313].

من الناحية الإدارية: سوء تنظيم وهيكل الإدارة التمويلية، فالمصرف الإسلامي باعتبار تميزه عن غيره في الوساطة المالية، يفرض عليه اختلافا في التنظيم الداخلي إذ لا بد أن يعتمد نظام التخصص في الإدارات، وحتى في الإدارة نفسها لا بد من توزيع الأعمال والصلاحيات، حفاظا على التنفيذ الحسن، ومن ذلك تخصيص إدارة خاصة بالسلم وأخرى بالمضاربة، وهكذا. [محمد هشام القاسمي الحسني، ص 17].

خاتمة: وفي نهاية دراستنا لهذا الموضوع توصلت الباحثات للنتائج الآتية:

- التمويل الإسلامي هو عبارة عن تقديم أموال من أصحاب الفائض إلى أصحاب العجز لاستثمارها وفق ضوابط شرعية.

- يتميز التمويل الإسلامي بعدة خصائص لعل أبرزها عدم التعامل بالربا أخذاً وعطاءً، تمويل المشاريع الجائزة شرعا، الالتزام بالأخلاق والقيم... وغيرها.

- تعتبر البنوك الإسلامية وشركات التأمين التكافلي، ومؤسسات الزكاة والوقف، بالإضافة إلى الأسواق المالية الإسلامية، من أهم المؤسسات المالية التي تساهم في عمليات التمويل الإسلامي.

- تنشط العديد من المؤسسات المالية الإسلامية في الجزائر، ولها دور كبير في عملية التمويل الإسلامي وتمثله مجموعة بنك البركة في الجزائر، شركة السلامة للتأمين التكافلي، صناديق الزكاة والأوقاف؛ بالإضافة إلى السوق المالي في الجزائر رغم ضعف فعاليته.

- حقق بنك البركة في الجزائر نتائج إيجابية حسب التقارير السنوية للبنك الرئيسي؛ بمعدل سنوي قدر بـ 2%، وله نشاطات تمويلية عديدة منها: تمويل الشركات الصغيرة والمتوسطة عن طريق المشاركة، تمويل العقارات عن طريق صيغ الإجارة، التمويل الصناعي والتجاري عن طريق صيغ الاستصناع و المراجعة،... وغيرها.

- يواجه بنك البركة في الجزائر عدة تحديات ومعوقات منها ما هو قانوني وإداري، ومنها ما هو تنظيمي وأخلاقي.

#### قائمة المراجع

- سامي بن إبراهيم السويلم، مدخل إلى أصول التمويل الإسلامي، ط1، مركز البحوث والدراسات، بيروت، لبنان.  
- شتوان الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين العمري، مطهر الإيراني وآخرون، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان.  
- صالح بن غانم بن عبد الله السدلان(1425هـ)، رسالة في الفقه الميسر، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.  
- الفيروزآبادي(1426هـ-2005م) القاموس المحيط، ط8، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.  
- منذر حفح(1425هـ\2004م)، مفهوم التمويل في الاقتصاد الإسلامي، ط3، البنك الإسلامي للتنمية المعهد الإسلامي للبحث والتدريب، مكتبة الملك فهد الوطنية، جدة.  
- محمد مصطفى الزحيلي(1427هـ\2006م)، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، ط1، دار الفكر دمشق.  
- محمد بن إبراهيم التويجري(1430هـ-2009م)، موسوعة الفقه الإسلامي، ط1، بيت الأفكار الدولية.

- وهبة بن مصطفى الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ط4، دار الفكر، سورية-دمشق.
- حسن عبد المطلب الأسرح(سبتمبر 2009م)، الوقف الإسلامي كآلية لتفعيل وتنمية قطاع المشروعات الصغيرة في الدول العربية، مجلة دراسات إسلامية، العدد6.
- زبير العياش، سميرة مناصرة(15\05\2016)، التمويل الإسلامي كبديل تمويلي للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، العدد 3، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي الجزائر.
- سليمان ناصر (2009م-2010م)، متطلبات تطوير الصيرفة الإسلامية، العدد7، عبد الحميد بوشرمة جامعة جيجل بالجزائر، مجلة الباحث.
- محمد إبراهيم برناوي(1401هـ)، خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي، ط ربيع الآخر- رمضان، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- نبيل عبد الإله نصيف، الأسواق المالية من منظور النظام الاقتصادي الإسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد 6، دون ذكر البلد.
- نادية طيبي(ديسمبر 2017م)، مساهمة صندوق استثمار أموال الزكاة في دعم سياسة التشغيل، مجلة أبحاث قانونية وسياسية، العدد 5، كلية الحقوق وعلوم السياسة الصديق بن يحي جيجل.
- شافية كتاف(2013م-2014م)، دور الأدوات المالية في تنشيط وتطوير السوق المالية الإسلامية، رسالة دكتوراه، العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة سطيف1.
- أمينة بوزن، شركة التأمين التكافلي-تجربة شركة سلامة للتأمينات الجزائر-، الملتقى الدولي السابع حول:" الصناعة التأمينية الواقع العملي وآفاق التطور-تجارب الدول- جامعة حسبية بن بوعلي بالشلف، يومي 04، 03 ديسمبر 2012م.
- حمادي مورادي، فرح الله أحلام، دراسة الدور التمويلي لمؤسسات الوقف والزكاة للمشاريع الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، "المؤتمر العلمي الدولي الثاني حول دور التمويل الإسلامي غير الربحي (الزكاة و الوقف) في تحقيق التنمية المستدامة، مخبر التنمية الاقتصادية والبشرية في الجزائر، جامعة سعد دحلب بالبلدية-الجزائر يومي 21، 20 ماي 2013.
- محمد سعدو الجرف، التأمين التعاوني، الأحكام والضوابط الشرعية، مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة العشرون، مكة المكرمة.
- المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، تنمية التمويل الأصغر الإسلامي: التحديات والمبادرات، الورقة الثانية من حوار السياسات.
- منصور الزين، سفيان نقماري، " صندوق الزكاة الجزائري ودوره في التنمية الاقتصادية- دراسة حالة صندوق الزكاة في البلدية"، المؤتمر العلمي الثاني حول "دور التمويل الإسلامي غير الربحي (الزكاة و الوقف) في تحقيق التنمية المستدامة، مخبر التنمية الاقتصادية والبشرية في الجزائر، جامعة سعد دحلب بالبلدية، يومي 21، 20 ماي 2013.
- ./http://albaraka bank.com
- ./http://salama.com-
- 23./http://www.marw.dz

## إلزامية إعلام المستهلك في العقود الإلكترونية

### Mandatory consumer information in electronic contracts

د. بودليو سليم

ط. د. بوغروج شعيب

ط. د. بوغروج خولة

كلية الحقوق بجامعة الإخوة منتوري قسنطينة 01- الجزائر

#### مقدمة:

لقد شهد العالم منذ عقد التسعينات في القرن الماضي و حتى الآن فيضا من التحولات التي عكست في مجمل تجلياتها مظاهر تحول كوني- شمل كلا من المجالات السياسية والثقافية والإقتصادية (عبد الفتاح بيومي حجازي ، 2006) ، بحيث أصبح هذا العصر عصرا رقميا إنتشرت فيه الأترنت إنتشارا هائلا ، ما أدى إلى بروز التجارة الإلكترونية والتي تتيج العديد من المزايا ، فقد أصبح في متناول المستهلك الحصول على ما يريده دون تنقل أو الإنتظار في طابور لشراء منتج معين (خالد ممدوح إبراهيم ، 2007).

ولكن نتيجة هذا التطور العلمي والتكنولوجي وظهر شبكة الأترنت وإزدياد إستعمالها في مختلف المجالات التجارية زاد المعروض من السلع و الخدمات على مختلف الألوان و الأشكال ، مما أدى بالمستهلك إلى فقدان التركيز لتعرف على أصلح ما يحتاج له (خالد ممدوح إبراهيم ، 2007).

كما أصبح من المتعذر على المستهلك الإحاطة بخصائص تلك السلع و الخدمات وكيفية إستعمالها نظرا لنقص خبرتهم وإنعدام تخصصهم ، وأمام هذا الوضع أضحت مسألة إعلام وتبصير المستهلكين بطريقة إستعمال المنتجات وبيان مكامن خطورتها ووسائل توقي أضرارها ضرورة ملحة (مهدي علوش ، 2017).

وقد إهتمت القوانين المعاصرة بحماية المستهلك المتعاقد عن بعد وتووير إرادته تجاه ما يريد أن يتعاقد عليه من سلع تم الإعلان عنها على الموقع الإلكتروني الخاص بالمهني (كريمة بركات ، 2017).

ولم يكن المشرع الجزائري يبعيد عن هذه الظاهرة ، حيث نص على إلزامية إعلام المستهلك في القانون رقم 03-09 المتعلق بحماية المستهلك و قمع الغش (القانون رقم 09-2009، 03) ، وكذا في المرسوم التنفيذي 13-378 الذي يحدد الشروط و الكيفية المتعلقة بإعلام المستهلك (المرسوم التنفيذي 13-378 ، 2013) ، بالإضافة إلى القانون رقم 05-18 المتعلق بالتجارة الإلكترونية (القانون رقم 18-05-2018).

وهو الأمر الذي يدعو إلى التساؤل حول:

ما مدى نجاعة النصوص القانونية المتعلقة بالإعلام في حماية المستهلك المتعاقد إلكترونيا؟.

وللإجابة على هذه الإشكالية سيتبع المنهج الوصفي و التحليلي وستقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور.

المحور الأول: تحديد ماهية الإلتزام بالإعلام في العقود الإلكترونية

المحور الثاني: تحديد شخصية التاجر الإلكتروني

المحور الثالث: تحديد مواصفات المنتج محل التعاقد الإلكتروني وشروط البيع.

**المحور الأول: تحديد ماهية الإلتزام بالإعلام في العقود الإلكترونية:** إن تحديد ماهية الإلتزام بالإعلام في العقود الإلكترونية يقتضي التطرق إلى بيان مفهومه وطبيعته القانونية وهو ما سيتم تناوله في هذا المحور الأول.

**أولاً. مفهوم الإلتزام بالإعلام في العقود الإلكترونية:** وللإحاطة بمفهوم الإلتزام بالإعلام في العقود الإلكترونية سنتطرق إلى تعريفه (1) ثم تمييزه عما يشابهه من صور (2).

**تعريف الإلتزام بالإعلام في العقود الإلكترونية:** تجدر الإشارة بداية إلى أن الفقه يطلق على هذا الإلتزام عدة تسميات فالبعض يرى أنه إلتزام بالإعلام أو إلتزام بالتبصير و البعض الآخر يرى أنه إلتزام بالإفضاء ، بينما يرى آخرون أنه إلتزام بالإخبار ، أما فيم يتعلق بتعريف هذا الإلتزام بغض النظر عن التسمية التي تطلق عليه فإن الفقه منقسم في عذا الشأن(مصطفى أحمد أبوعمرو ، 2011).

فيعرف بأنه عملية توصيل الأحداث و الأفكار لعلم الجمهور عن طريق وسائل عديدة سواء كانت مسموعة أو مرئية أو مكتوبة ذات مصداقية ووضوح(علي بولحية بن بوخيس ، 2000).

ويعرف كذلك بأنه إلتزام يقع على عاتق العون الإقتصادي مفاده تزويد المستهلك بكل المعطيات و المعلومات و البيانات التي تتعلق بالمنتج المراد إقتناؤه(سليم سعداوي ، 2009).

كما عرفه بعض الفقه على أنه إلتزام يفرض على أحد طرفي عقد الإستهلاك إعلام الطرف الآخر بما يجمله من بيانات جوهرية مرتبطة بالتعاقد وذلك في الوقت المناسب مستخدماً في ذلك اللغة والوسيلة الملائمة لطبيعة العقد ومحلّه(هدى تريكي ، 2017).

بمعنى آخر هو إلتزام قانوني يفرض على المحترف الإذلاء بحقائق السلعة أو الخدمة محل التعاقد وتفصيلات إستخدامها ومواصفاتها و إمكانياتها(فاتن حسين حوى ، 2012).

ويعرفه كذلك جانب آخر من الفقه بأنه إلتزام قانوني سابق على إبرام العقد الإلكتروني ، يلتزم بموجبه أحد الطرفين الذي يملك معلومات جوهرية فيما يخص العقد المزمع إبرامه بتقديمها بوسائط إلكترونية في الوقت المناسب وبكل شفافية وأمانة للطرف الآخر(مصطفى أحمد أبوعمرو ، 2011).

وقد عرفه المشرع الجزائري بأنه كل معلومة متعقدة بسلعة أو خدمة موجهة للمستهلك بأية وسيلة كانت بما في ذلك الطرق التكنولوجية الحديثة(المادة 15/3 من المرسوم التنفيذي 378-13 ، 2013).

يتضح إذن أن الإلتزام بالإعلام الإلكتروني يقتصر على عدة معلومات يجب على المزود الإذلاء بها للمستهلك وذلك حتى يبرم هذا الأخير العقد الإلكتروني بناء على رضا مستنير(عبد الله ذيب محمود ، 2012).

**2. تمييز الإلتزام بالإعلام الإلكتروني عما يشابهه من صور:** يوجد تشابه بين الإلتزام بالإعلام وغيرها من الإلتزامات القريبة منه في الإستعمال ومنها الإلتزام بالنصيحة أو المشورة و الإلتزام بالتعاون(محمد العروصي ، 2012).

بالنسبة للإلتزام بالنصح: يبذل الفقه في فرنسا قصارى جهده من أجل بيان حدود الإلتزام بالإعلام و النصيحة ، إنتهى إلا أن الإعلام يهدف إلى تقديم إخبار محايد وموضوعي ، أما النصيحة فتهدف إلى إعطاء إعلام ملائم يؤدي إلى توجيه المتعاقد في إتخاذ القرار المناسب(محمد بودالي ، 2005).

بالنسبة للإلتزام بالتعاون: يهتم الإلتزام بالتعاون على خدمة طرفي العقد وتحقيق مصالحهما المشتركة ، أما الإلتزام بالإعلام فيهدف إلى تنوير إرادة المستهلك كما يعمل على إعادة التوازن العقدي بين المهني و المستهلك الذي يعد الأضعف إقتصاديا(مصطفى أحمد أبوعمرو ، 2011).

ثانيا: الطبيعة القانونية للإلتزام بالإعلام في العقود الإلكترونية: إختلف الفقه حول تحديد طبيعة هذا الإلتزام فهناك من يرى أنه إلتزام بتحقيق نتيجة بحجة أن عده كذلك هو الذي يجعله مجدي(أكرم محمد حسين التيمي ، 2010).

كما أن إعتبره إلتزاما بتحقيق نتيجة يخفف عبئ الإثبات عن المستهلك والذي يعد الطرف الأضعف في مواجهة طرف قوي متمتع بنفوذ إقتصادي(كوثر سعيد عدنان خالد ، 2012).

أما جانب آخر من شراح القانون فيرون أن الإلتزام بالإعلام هو إلتزام ببذل عناية ، لكون المتدخل لا يتحكم في نتيجة ما يقدمه للمستهلكين من إعلام ، كما لا يمكنه إلتزامهم بالإلتزام (زاهية حورية سي يوسف ، 2017). إلا أن المشرع الجزائري حسم الخلاف بموجب قانون حماية المستهلك و قمع الغش وإعتره إلتزام بتحقيق نتيجة وذلك بترتيب جزاء جنائي في حالة مخالفة هذا الإلتزام ولو لم يرتب ضررا للمستهلك ، أما إذا ترتب الضرر فتتقرر المسؤولية المدنية بالإضافة إلى جانب المسؤولية الجزائية(زاهية حورية سي يوسف ، 2017). ولا شك أن هذا هو ما يقتضيه منطق حماية المستهلك لأن في ذلك تخفيفا لعبئ الإثبات عنه ، خاصة وأنه يعد الطرف الضعيف في مواجهة مهني قوي له نفوذ إقتصادي كبير وخبرة واسعة من شأنها إحداث خلل في العلاقة العقدية(بوعبيد عباسي ، 2008).

المحور الثاني. تحديد شخصية التاجر الإلكتروني: إن من أهم المشاكل التي تثير قلق المستهلك وقد تحد من إقباله على إبرام عقود الإستهلاك الإلكترونية ، هي عدم معرفة شخصية البائع الذي يتعامل معه ، وذلك لأن تحديد شخصية البائع يوفر عنصر الأمان للمستهلك(خالد ممدوح إبراهيم ، 2007).

فيجب على المهني في نطاق الثقة المشروعة ومبدأ حسن النية أن يعلم المستهلك بكافة بياناته التي تحدد شخصيته بطريقة قاطعة وقت أن يعرض عليه الإيجاب الإلكتروني(أسامة أحمد بدر ، 2008) ، وعليه يجب بيان العناوين المادية والإلكترونية (أولا) وكذا رقم السجل التجاري (ثانيا).

أولا. إعلام المستهلك بالعناوين المادية و الإلكترونية للتاجر الإلكتروني: يجب على التاجر أن يكر عنوانه المادي (عنوان مركز نشاطه) ، وعنوانه الإلكتروني(عنوان موقعه على الأنترنت) الذي من خلاله يعرض أوجه نشاطه على جمهور المستهلكين ، حيث يعتبر إسم الموقع الإلكتروني أيضا جزء من تحديد شخصية البائع(كوثر سعيد عدنان خالد ، 2012).

وقد نص المشرع الجزائري في الفصل الثالث المعنون ب" المتطلبات المتعلقة بالمعاملات التجارية عن طريق الإتصال الإلكتروني" من القانون رقم 05-18 المتعلق بالتجارة الإلكترونية ، على وجوب ذكر المورد الإلكتروني لرقم التعريف الجبائي والعناوين المادية والإلكترونية ورقم هاتف المورد الإلكتروني(المادة 2/11 من القانون رقم 05-18 ، 2018).

ثانيا. إعلام المستهلك برقم السجل التجاري: نصت الفقرة الثالثة من المادة 11 من القانون 05-18 على وجوب ذكر المورد الإلكتروني لرقم السجل التجاري أو رقم البطاقة المهنية للحرفي.



فمن شروط ممارسة التجارة الإلكترونية إخضاع هذا النوع من التجارة للتسجيل في السجل التجاري (المادة 8 من القانون رقم 05-18 ، 2018).

كما نصت المادة 09 من القانون رقم 05-18 على أنه: "تنشأ بطاقة وطنية للموردين الإلكترونيين لدى المركز الوطني لسجل التجاري تضم الموردين الإلكترونيين المسجلين في السجل التجاري أو في سجل الصناعات التقليدية والحرفية.

لا يمكن ممارسة نشاط التجارة الإلكترونية إلا بعد إيداع إسم الناطق لدى مصالح المركز الوطني للسجل التجاري.

تنشر البطاقة الوطنية للموردين الإلكترونيين عن طريق الاتصالات الإلكترونية وتكون في متناول المستهلك الإلكتروني" فيجب إذا على المورد الإلكتروني إعلام المستهلك برقم السجل التجاري ، وذلك حتى يتسنى لهذا الأخير التحقق من شخصية التاجر من خلال اللجوء إلى السجل التجاري المذكور والبحث عن شخصية مالك هذا الرقم ، وما إذا كان لتاجر المذكور أم لا(كوثر سعيد عدنان خالد ، 2012).

ويلاحظ مما سبق أن المعلومات المتعلقة بشخصية التاجر الإلكتروني هي من أهم المعلومات التي يجب تبصير المستهلك بها في التعاقد الإلكتروني حتى يتحقق رضاه هذا من جهة ، وحتى يستطيع أن يقوم بتقديم شكوى في حالة إخلال المزود بالتزاماته من جهة أخرى(عبد الله ذيب محمود ، 2012).

المحور الثالث. تحديد مواصفات المنتج محل التعاقد الإلكتروني وشروط البيع: بعدما تناولنا في المحور الثاني تحديد شخصية التاجر الإلكتروني تأتي مرحلة تحديد مواصفات السلعة و الخدمة محل التعاقد الإلكتروني ، وقد نص المشرع الجزائري في المادة 17 من الفصل الخامس من قانون حماية المستهلك و قمع الغش على أنه يجب على كل متدخل أن يعلم المستهلك بكل المعلومات المتعلقة بالمنتج الذي يضعه للإستهلاك وبأي وسيلة كانت.

وسيتطرق في هذا المحور إلى إعلام و تبصير المستهلك بالصفات الأساسية للسلعة أو الخدمة الإلكترونية (أولاً)، ثم إعلامه بثمن و شروط البيع(ثانياً).

أولاً. إعلام المستهلك بالصفات الأساسية للسلعة أو الخدمة الإلكترونية: إن العلم بالمواصفات والبيانات المادية والأوصاف الأساسية للشئ المباع ، أمر يقتضي معرفة دقائقه ومكوناته وكميته ونوعه وتحديد جودته ومدى كفاءته أو ملائمته للعرض الذي أعد له(سه نكه ر علي رسول ، 2016).

بمعنى آخر يجب أن يكون عقد الإستهلاك الإلكتروني معيناً عن طريق وصف السلعة أو الخدمة وصفا مانعاً من الجهالة على شاشة الكمبيوتر عبر شبكة الأنترنت ، سواء من خلال صفحات الويب أو الكتلوج الإلكتروني(خالد ممدوح إبراهيم ، 2008)، وذلك حتى تساعد من وجهة إليه على تكوين رأيه و إتخاذ قراره النهائي(عمر محمد عبد الباقي ، 2004)، وهو على علم بتحقيق التعاقد والبيانات التفصيلية ومدى ملائمتها للعرض الذي يبتغيه من التعاقد(عبد المنعم موسى إبراهيم ، 2007).

ثانياً. إعلام المستهلك بثمن و شروط البيع: نص المشرع الجزائري على أن العرض التجاري يجب أن يتضمن على الأقل - وليس على سبيل الحصر - المعلومات الآتية(المادة 11 من القانون رقم 05-18 ، 2018):  
-أسعار السلع أو الخدمات المقترنة باحتساب كل الرسوم.

- كيفية حساب السعر عندما لا يمكن تحديده مسبقا.
- كيفية و إجراءات الدفع.
- شروط فسخ العقد عند الإقتضاء.
- وصف كامل لمختلف مراحل تنفيذ المعاملة الإلكترونية.
- مدة صلاحية العرض عند الإقتضاء.
- طريقة تأكيد الطلبية.
- موعد التسليم و سعر المنتج موضوع الطلبية المسبقة وكيفية الإلغاء عند الإقتضاء.
- طريقة إرجاع المنتج أو إستبداله أو تعويضه.
- تكلفة إستخدام وسائل الإتصالات الإلكترونية عندما تحتسب على أساس آخر غير التعريفات المعمول بها.
- كما نص على وجوب أن يتضمن العقد الإلكتروني-على سبيل الحصر- المعلومات الآتية(المادة 13 من القانون رقم 05-18 ، 2018):
- الخصائص التفصيلية للسلعة أو الخدمة.
- شروط وكيفية التسليم.
- شروط الضمان وخدمات ما بعد البيع.
- شروط فسخ العقد الإلكتروني.
- شروط وكيفية الدفع.
- شروط وكيفية إعادة المنتج.
- كيفية معالجة الشكاوى.
- شروط وكيفية الطلبية المسبقة عند الإقتضاء.
- الشروط و الكيفيات الخاصة المتعلقة بالبيع التجريبي عند الإقتضاء.
- الجهة القضائية المختصة في حالة النزاع طبقا لأحكام المادة 02 من القانون 05-18.
- مدة العقد حسب الحالة.
- ويستنتج من البيانات السابقة أن المورد الإلكتروني ليس ملزما فقط بإعلام المستهلك بثمان السلعة أو الخدمة بل يجب عليه أيضا إعلامه بشروط البيع.
- كما أن إعلام المستهلك بالسعر الذي سيدفعه في حالة شراء سلعة ما يجب أن يكون متوافقا مع المبلغ الإجمالي(محمد بودالي ، 2006).
- وتجدر الإشارة إلا أنه يجب تقديم العرض الإلكتروني بطريقة مرئية ومقروءة ومفهومة(المادة 11 من القانون رقم 05-18 ، 2018)، وذلك حتى يتسنى للمستهلك الإلكتروني الإطلاع عليها بكل يسر وسهولة.

#### خاتمة:

بناء على نصوص المواد المتعلقة بالإعلام والمنصوص عليها في قانون حماية المستهلك وقمع الغش من جهة ، وقانون التجارة الإلكترونية من جهة أخرى ، يظهر جليا أنها غير قادرة على حماية المستهلك المتعاقد إلكترونيا حماية كاملة وشاملة ، بالرغم من أن المشرع الجزائري إعتبره إلتزام بتحقيق نتيجة.

ويرجع السبب في ذلك إلى عدم إحاطة هذه النصوص بعناصر وبيانات جوهرية ، وفي هذا المقام نوصي :  
ضرورة تعديل نص المادة 17 من قانون حماية المستهلك و قمع الغش وذلك بالنص صراحة على المستهلك الإلكتروني.

تعديل نص المادة 11 من القانون رقم 05-18 المتعلق بالتجارة الإلكترونية وذلك بنص على وجوب أن يتضمن العرض الإلكتروني تلك البيانات المذكورة و على سبيل الحصر لا المثال .  
إضافة بيانات تنص صراحة على إلزام المورد الإلكتروني بإعلام المستهلك بكيفية إستعمال المبيع ، وبالخطورة الناجمة عنه.

#### قائمة المراجع:

- أكرم محمد حسين التميمي، التنظيم القانوني للمهني، دراسة مقارنة في نطاق الأعمال التجارية منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان ، 2010.
- القانون رقم 03-09 ، المؤرخ في 25 فيفري لسنة 2009، يتعلق بحماية المستهلك و قمع الغش ، ح رعدد 15 مؤرخة في 08/مارس/2009.
- بوعبيد عباسي ، الإلتزام في الإهلام في العقود ، دراسة في حماية المتعاقد و المستهلك ، مطبعة ووراقة زنقة ابو عبيدة الطبعة الأولى مراكش ، 2008.
- خالد مهدوح إبراهيم ، أمن المستهلك الإلكترونية ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، 2008.
- خالد مهدوح إبراهيم ، حماية المستهلك في المعاملات الإلكترونية ، دراسة مقارنة ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، 2007.
- زاهية حورية سي يوسف، دراسة قانون رقم 03\_09\_03 المؤرخ في 25 فيفري 2009 المتعلق بحماية المستهلك و قمع الغش، دار هومه ، الجزائر ، 2017.
- سليم سعداوي ، حماية المستهلك الجزائر نموذجاً ، ط 1 ، دار الخلدونية ، الجزائر ، 2009.
- عبد المنعم موسى إبراهيم، حماية المستهلك ، دراسة مقارنة ، منشورات الحلبي الحقوقية ، لبنان ، 2007.
- فاتن حسين حوى ، الوجيز في قانون حماية المستهلك ، منشورات الحلبي الحقوقية ، لبنان ، 2012.
- قانون رقم 05-18 مؤرخ في 24 شعبان 1439 الموافق 10 ماي 2018 يتعلق بالتجارة الإلكترونية.
- كريمة بركات ، حق المستهلك في الإعلام في عقد البيع الإلكتروني ، مجلة الحقوق و الحريات ، العدد الرابع ، أفريل 2017.
- كوثر سعيد عدنان خالد ، حماية المستهلك الإلكتروني ، دار الجامعة الجديدة الإسكندرية ، 2012.
- محمد بودالي، الإلتزام بالنصيحة في نطاق عقود الخدمات، دراسة مقارنة ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، 2005.
- مهدي علوش ، الإلتزام التعاقدى بالإفشاء كآلية لتوقي مخاطر المنتجات ، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 48 ديسمبر ، المجلد ب 81 ، 2017.
- أسامة أحمد بدر ، حماية المستهلك في التعاقد الإلكتروني ، دراسة مقارنة ، دار الكتب القانونية ، مصر ، 2008.
- المرسوم التنفيذي رقم 13-378 المؤرخ في 09 نوفمبر 2013 الذي يحدد شروط و الكيفية المتعلقة بإعلام المستهلك ، الجريدة الرسمية ، العدد 58 الصادر في 18 نوفمبر 2013.
- سه نكه ر علي رسول ، حماية المستهلك وأحكامه ، دراسة مقارنة ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية ، 2016.
- عبد الفتاح بيومي حجازي ، حماية المستهلك عبر شبكة الأنترنت ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية ، 2006.
- عبد الله ذيب محمود ، حماية المستهلك في التعاقد الإلكتروني ، دراسة مقارنة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، 2012.
- علي بولحية بن بوخميس، القواعد العامة لحماية المستهلك و المسؤولية المترتبة عنها في التشريع الجزائري، دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر ، 2000.
- عمر محمد عبد الباقي، الحماية العقدية للمستهلك ، دراسة مقارنة بين الشريعة و القانون ، منشأة المعارف ، 2004.
- محمد العروصي ، الإلتزام بالإعلام خلال مرحلة تكوين عقد البيع ، مطبعة ووراقة سجلمانسة ، الطبعة الثانية ، الزيتون مكناس ، 2012.
- محمد بودالي ، حماية المستهلك في القانون المقارن ، دار الكتاب الحديث ، الجزائر ، 2006.
- مصطفى أحمد أبو عمرو ، موجز أحكام قانون حماية المستهلك ، منشورات الحلبي الحقوقية ، لبنان ، 2011.
- هدى تريكي ، الحماية المدنية الإجرائية للمستهلك، دراسة مقارنة، المركز القومي للإصدارات القانونية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 2017.

## تيديس الأثرية قيمة تاريخية واستثناءات معمارية Tiddis Historical value and architectural exceptions

د.نبيل بوعويرة

قسم الآثار جامعة قسنطينة2 عبد الحميد مهري-الجزائر

**مقدمة:** كغيره من العديد من مواقع التراث الأثري ببلادنا فإن موقع تيديس قد نال نصيبا من البحث والاكتشافات بعدما توقف به الزمن وانتهى تحت التراب لقرون عديدة ، وهذا نظير ما قدمه الرواد الأوائل للجمعية الأثرية لمدينة قسنطينة الذين لم تثنهم صعوبة التضاريس الموصلة للموقع ، حيث ذُكرت آثار تيديس في العام الأول لصدور حوليات الجمعية ( 1853) وذلك من طرف رئيس الجمعية نفسه الكولونيل كرولي (Colonel Creully) الذي قام برفقة ليون روني (Léon Renier) ببعض الأسفار التي سمحت باكتشاف أربعة (04) نقيشات (Colonel Creully, 1853, pp. 84-90) ، واحدة منهم كانت بمثابة الجزء لمجهودات الباحثين فقد كانت اهدائية خصصت لـ جوليا دومنا (Julia Domna) ، واُكتشف من خلالها الاسم الذي أزال الغموض عن آثار المنطقة وكشف عن وجود ( Brthier(A), (REPUBLICA TIDDITANORUM (2000, p. 20) ، وبهذا فُتح الباب لاستكمال الأبحاث التي دامت لها يفوق القرن لتكشف عن مخلفات أثرية مهمة ذات قيمة استثنائية قل ما نجدتها في نظيراتها.

**1) الإطار المكاني والخصائص الجغرافية للموقع الأثري تيديس:** في الشمال الغربي لمدينة قسنطينة وعلى بعد أقل من 20 كم (مسافة أفقية) فإن واد الرمال قد نحت مضائق عميقة مطابقة لمضائق مدينة سرتا ، وعلى الضفة اليمنى لهذه المضائق وجد ما يسمى بالخنق ، وهي هضبة تقف فوق مساحتها 40 هكتار محاطة من جوانبها الثلاثة بمنحدرات تعلوها قمة صخرية يصل ارتفاعها إلى 574م ، ولها مسلك وحيد من الجهة الشرقية (صورة01).

تيديس أو الكاستلوم تيديتانوروم ( Le castellum Tidditanorum) لها نفس المميزات الجغرافية لمدينة قسنطينة ، الأمر الذي يبرز تسمية الأهالي لها بقسنطينة القديمة (Berthier(A), 1949, pp. 229-233). للعلم فإنه قبل اكتشاف النص المخلد لاسم المدينة فقد عرف الموقع باسم الخنق ، كما تساءل الباحثون وعلى رأسهم الكولونيل كرولي (Creully) حول ما إذا كان الخنق أو تيديس هي العاصمة القديمة للمملكة النوميدية (سرتا) ، وما زاد في هذا الغموض هو التسمية المتمثلة في (قسنطينة القديمة) هذه التسمية التي بينت مدى تطابق هذه المدينة مع جارتها الكبرى سرتا.

إن أوجه التشابه كثيرة ومدهشة ومنها:  
مضائق منحوتة بواسطة واد الرمال ، وهضبة محمية بواسطة منحدرات وجروف صخرية ، وأيضا وجود مسلك وحيد فقط يسمح بالدخول للمدينة ، بالإضافة إلى عمق واد الرمال في المدينتين ، وأطوال هذه المضائق كلها تكاد تكون واحدة بين المدينتين (Brthier(A), 2000, p. 33) (صورة02).

**(2) التطور التاريخي والمحطات الحضارية للموقع الأثري تيديس:** إن الكاستلوم تيديتانوروم ( Castellum Tidditanorum) لا تدين بوجودها فقط إلى الرومان ، فالموقع قد استُغل قبل الفترة الرومانية وبعدها كذلك ، ما جعله ينفرد بهذا التنوع الحضاري المتعاقب لمختلف الفترات ، الأمر الذي قل ما نجده في غيره من المواقع ، حيث أنه عرف الوجود الليبي وبعده البوني ثم الروماني والبيزنطي وفي الأخير الإسلامي (Berthier(A), 1991, p. 8) ، أما بخصوص تسمية تيديس (Tiddis) فإن برتيني يرجح أن تكون ذات أصول بربرية ، حيث اقترح عدة اشتقاقات للكلمة ، وهو يشير إلى أن (باسي) (Basset) اكتشف في معاجم اللغة البربرية المصطلح (Tiddart) أو (تيديرت) والذي يعني منزل ، أو مجموعة مساكن بأعلى الجبل (AbderrahmaneKhelifa, 2011, p. 425) ، هذا مع أن قمة تيديس تدعى حتى الآن برأس الدار ، وهي التسمية التي أطلقها السكان المحليون عليها ، ويزيد باسي في تعليقه أن هذه القمة احتوت على منزل أو معبد لإله من الآلهة المحلية ، ومنه جاء اسم تيديرت أو تيديس ، أو بيت الإله ، لتتحول الكلمة وتختلف مع تطور الزمن واختلاف لغات الشعوب إلى (تيديس) (Berthier(A), 1991, p. 08).

**(1.2) تيديس في فترة فجر التاريخ:** إن تيديس لها تاريخ ضارب في الأعماق ، هذا التاريخ الذي تشهد عليه مخلفات حضارة بربرية قديمة ، لأن أقدم معالم هذه المدينة قد تمثلت في قبور الدولمن ، التي تواجدت في المنحدر الغربي للهضبة وغيرها من جوانب كثيرة بالموقع. بالإضافة إلى قبور الدولمن فقد احتفظ الموقع كذلك بنوع آخر من القبور وهي البازيناس التي تواجدت على المنحدر الشمالي للهضبة ، هذه المعالم الجنائزية لم تتوفر إلا على أنواع بسيطة من الفخار ، ذات القواعد المسطحة والخالية من عناصر التزيين ، وعلى عكس ذلك فإن قبور البازيناس ذات القواعد الأسطوانية والتي تواجدت أسفل الجبل في الجهة الشرقية ، قد أظهرت عينات من زخرفة فخارية جميلة ومدهشة ، حيث يظهر فيها تأثير بعض الزخارف الهندسية لحضارات شرق المتوسط ، والتي نجدتها أيضا في أيماننا تزين فخاريات بلاد القبائل (Berthier(A), 1991, p. 10). هناك تردد حول تاريخ هذه القبور لكن الراجح بالعموم أنها بعد النيوليتي ، والأمر المتأكد منه هو أنها قبل الفترة البونية. ولقد تجلت أيضا فترة فجر التاريخ في الفخار ، حيث أن أول استيراد لفخاريات من الورشات الإيطالية واليونانية يمكن إرجاعها إلى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد ، وهذا ما أشار إليه الختم الموجود على إحدى الأنفورات بالإضافة إلى العديد من كسور الفخار الكومباني (A) ، أما بخصوص الفخار المزين أو المرسوم فقد كان سابقا وكذالك معاصرا في نفس الوقت لهذا الاستيراد الأول للفخار ، ولقد حافظ على نفس التقنية لفترة طويلة من الزمن والدليل على ذلك ما هو متوفر في بلاد القبائل حاليا. كما تجلت فترة فجر التاريخ بتيديس أيضا في المغارات والكهوف التي تواجدت بسفح الهضبة الشرقي والشمالي ، والتي اتخذت كمساكن من طرف سكان هذه الفترة بالمنطقة ، كما تشهد البقايا أيضا أن السفح قد استغل كفضاء للدفن.

**(2.2) تيديس في الفترة البونية:** إن أول من سكنوا مدينة تيديس بعد فترة فجر التاريخ قد استقروا بأعالي المدينة في فترة يمكن أن تحدد حسب النقود والبقايا المختلفة التي وجدت بها ، إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل الميلاد في زمن كانت فيه قسنطينة مدينة بونية كبيرة (Brthier(A), 2000, p. 39).

بخصوص فخاريات مدينة تيديس والتي درست من طرف (كامبس) (G Camps) فقد حدد نمط خاص بتيديس وهو النمط الذي يحتوي على عنصر تزييني رئيسي يتمثل في مثلث مشبع بزخارف على شكل مربعات الشطرنج ، ونقطة الوصل بين هذه المثلثات تتمثل في شكل نباتي ، وفي بعض الفترات جاءت على شكل عصفور أو نجم ، كما اعتمد في التزيين أحيانا عناصر حية متمثلة في: شخصيات ، راقصات ، أو عصافير. هذه الشواهد على العبادات البربرية القديمة ، تقدم شرحا لخصوصية التاريخ الديني بتيديس والذي يظهر فيه انتشار لعبادة أشهر الآلهة القرطاجية كبعل همون وتانيت.

فيما يخص الكتابات فقد وجدت بسيقوس مجموعة من النقوش ذات الكتابة البونية القديمة الأمر الذي يشهد على قدم وسرعة انتشار التأثير البوني في هذا المكان.

لكن على العكس من ذلك فقد لوحظ بتيديس عدم وجود لكتابة بونية قديمة بل بالعكس وجدت مجموعة نقوش ليبية وهو دليل آخر للمحافظة على طبيعة الموقع البربرية ، بالإضافة إلى أن السكان الذين مارسوا طقوس الدفن الجماعي استطاعوا مقاومة تبني طقوس جنائزية أجنبية تشترط حرق الجسد (Berthier(A), 1991, p. 13) ، زيادة إلى كل هذا فقد عرفت تيديس شواهد أخرى تدل على حضور الفترة البونية بالمنطقة ، هذه الشواهد التي تمثلت في المقبرة البونية الجديدة ، والتي قدمت مجموعة مهمة من القطع تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد ، هذا بالإضافة إلى بعض الأسوار وبعض مخلفات الحي البوني الصغير الذي يتواجد بالمنحدر الشرقي لهضبة تيديس (Brthier(A), 2000, p. 35).

**3.2) تيديس في الفترة النوميدية:** لقد كانت تيديس حقا بمثابة المدينة الحصن التي تحرس العاصمة قسنطينة في زمن (سيفاكس) و (ماسينيسا) كما كانت أيضا بمثابة الامتداد الطبيعي لعاصمة المملكة النوميدية (AbderrahmaneKhelifa, 2011, p. 420)

وهناك ندرة شديدة في البقايا التي تشهد على التواجد النوميدي بتيديس ، ولقد كان من أهمها الكنز النقدي المكتشف بها والذي من بين مكوناته 184 قطعة نقدية تعود لفترة حكم الملوك النوميد ، هذه القطع التي درست من طرف تروسل (M. Troussel) حيث صنفتها حسب مكوناتها إلى: نقود الملوك ، ونقود المدن (Troussel(M), 1948, p. 131.132.133).

**4.2) تيديس خلال الفترة الرومانية:** إن الفترة الرومانية بتيديس عُدت من بين أهم الفترات والمراحل التي عرفت بها المدينة ، نظرا للتوسع العمراني والتطور المهم في جميع مجالات الحياة ، ولقد كانت مدينة تيديس من بين المدن التابعة للإقليم الكونفدرالي السيرتي.

هذا الإقليم الذي شغل المنطقة التي حازها سبتوس من قيصر في العهد الإمبراطوري ، إذ كان يضم أربع مستعمرات هي مستعمرة سيرتا (Cirta) ومستعمرة روسيكادا (Rusicade) ومستعمرة شولو (Chulu) ومستعمرة ميلاف (Milev) (أصطيفان أكصيل ، 2007 ، صفحة 140).

ومن بين القرى التي كانت تابعة لمستعمرة سيرتا نحصي: كالديس (Caldis) وصدّار (Seddar) وتيديس (Tiddis) وسيللا (Sila) وتيجيسيس (Tigisis) وأوزيليس (Uzelis) (Gsell(St), 1991, p. 12).

ولقد وُجِدَت بعض المعلومات التي أشارت إلى حصول تيديس على تنظيم إداري في عهد هادريان (Hadrien) وذلك بتوفرها على مجلس بلدي (Conseil des décurions) ، كما تحصلت تيديس في عهد سبتيم سيفير

(Septimesévère) أيضا على ترقية في الوضعية الإدارية وحملت اسم الريسبوليكا تيديتانوروم (RESPUBLICATIDDITANORUM) (Gsell(St), 1991, p. 06) الأمر الذي أكدته إحدى النقيشات المؤرخة في حدود 238-239 والمهداة إلى الامبراطور (Gordien III) حيث توضح من خلالها اسم المدينة (Gascou(j), 1983, p. 180) (صورة03) إذ كتب عليها عبارة: (RESPUBLICA CASTELLI TIDDITANORUM) والتي معناها كالتالي:

- REPUBLICA : حيث ينسب إلى تنظيمات أو تقسيمات تشكل كل واحدة منها جزء من بلدية ، وتحتوي كل واحد منها على خزينة عمومية كما كانت تدار بواسطة مجالس حملت اسم أوردو ( Ordo ) وقد أطلق على أعضاء الأوردو لقب الديكيريون (Décurions) (Berthier(A), Tiddis , 1942, pp. 141-153). ولقد رقيت تيديس إلى هذا التنظيم الإداري ( Ordo ) فيما بين سنتي 136-138م أي في نهاية عهد الإمبراطور هادريان ، وهي تقريبا نفس الفترة بالنسبة لسيقوس ( Sigus ) حيث كانت بين سنتي 126-138م ، وبهذا فقد كانت سبقة نوعا ما بالنسبة لتيبيليس ( Thibilis ) في 166-169م ، وتيجيسيس (Tigisis) في 195م وصدار (Saddar) 215م ، وأوزيليس (Uzelis) في 222م وغيرها من القرى (Gascou(j), 1983, p. 200).

فيما يخص تاريخ تسمية تيديس بلقب الريسبوليكا ( Respublica ) فإنه يؤرخ بسنة 197م أي في عهد سبتيم سيفير (Septimesévère) وبهذا فإن تيديس على غرار البلديات الأخرى مثل سيقوس ( Sigus ) والكاستلوم أرساكاليتانوم ( Arscalitanum ) كانت من أقدم البلديات التي نالت هذا الاسم وسبقت بذلك البلديات الأخرى مثل: تيبيليس ( Thibilis ) في 247م ، وصدار (Saddar) في 215م ، وأوزيليس (Uzelis) في 212 ميلادية (Gascou(j), 1983, p. 199).

وعلى محيط سرتا فإن هاته ال ( Respublicae ) كانت مراقبة بواسطة حكام ماجيسترا (Magistrats) ملقبون ب ( PraefectiJuri dicundo ) وقد امتدت سلطة هؤلاء الحكام حتى إلى روسيكادا ( Rusicade ) ميلاف (Milev) وشولو ( Chulu ) ، هذه المستعمرات التي شكلت مع سيرتا كونفدرالية الأربع مستعمرات (Berthier(A), Tiddis , 1942, pp. 141-153).

- CASTELLI : وهي تشير استنادا إلى علم الاشتقاق إلى وضعية محصنة أو مكان محصن وبهذا نتعرف إلى دور المدينة العسكري ، والتي اعتبرت كحصن وهو أمر يؤكد موقع المدينة الذي أنجز في أول الأمر ليكون حصنا (Berthier(A), Tiddis , 1942, pp. 141-153) ، وللعلم فإن هذه التسمية قد نالتها تيديس في ما بين سنتي 222-235م وهي مرحلة متأخرة بقليل مقارنة مع غيرها من البلديات التي حملت معها نفس هذه التسمية مثل: سيقوس التي كانت بعد سنة 211م و الكاستلوم سوبزواريتانوم ( Castellum Subzuaritanum ) في 215م وغيرها من الكاستلات الأخرى (Gascou(j), 1983, p. 198).

- TIDDITANORUM : وهي تسمية سكان المدينة.

للعلم فإن المكان الذي كان مخصص لهذا المجلس هو القاعات المتواجدة بساحة الفوروم ، حيث كان لها دور ديني بالإضافة إلى دورها السياسي والإداري ، هذه الأدوار المتعددة لهذه القاعات كانت نتيجة نقص المرافق المخصصة لذلك وهذا يعود لضيق المدينة وصعوبة إنجاز مرافق مخصصة لذلك.

بخصوص الشواهد المادية الأخرى التي دلت على الوجود الروماني بتيديس فقد تجسدت في معظم معالم المدينة من أسوار وحمامات وخزانات وطرق ومنازل تشهد كلها على أن المدينة في هذه الحقبة الرومانية قد عاشت أهم فترات تاريخها ، سواء من جوانبها السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو العمرانية.

**5.2) الفترة المسيحية بتيديس:** كغيرها من غالبية المدن الرومانية بشمال إفريقيا فقد شهدت تيديس أيضا الفترة المسيحية التي شغلت مرحلة من مراحل تاريخ المدينة الرومانية ، مع العلم أن المعلومات حول دخول المسيحية إليها قليلة غير أنه قد وجدت بعض الدلائل والشواهد المادية التي تشهد بمرور هذه المرحلة وقد تمثلت هذه الشواهد في:

- المصابيح ذات العلامات والأشكال والصور التي تعود للفترة المسيحية والمعروضة بمتحف سرتا.  
- كذلك الكنيسة المسيحية التي وجدت بالقرب من المدخل الشمالي للمدينة ، وبمقابل معبد ميثرا ، حيث يشار إلى أن هذا المبنى قد كان معبدا مخصصا للإلهة سيبييل ( Cybèle ) قبل أن يحول إلى كنيسة (Berthier(A), 1991, pp. 19-22).

- وهناك أيضا شاهد تمثل في تحويل معبد القمة من معبد إلى بازيليك ، هذه القراءة إلى استنتجت بعد اكتشاف مجموعة من مصابيح الفترة المسيحية مع بعض الأنصاب المهدامة ، ما يدل على توالي الفترتين في هذا المكان (Berthier(A)Leglay(M), 1958, pp. 23-58).

صف إلى كل هذا أحواض التعميد ( Baptistères ) أو المعموديات المختلفة الأشكال والتي استعملت خصيصا لطقوس التعميد والدخول في الديانة المسيحية (Berthier(A), 2000, p. 161).

**6.2) الفترة البيزنطية تجسدت هذه المرحلة خصوصا في السور والبرج التحصينية.**

**7.2) تيديس في الفترة الإسلامية:** يرى بعض مؤرخي الفترة القديمة أن الحياة في تيديس قد توقفت مع بدايات القرن السابع ميلادي ، لكن هذا يدعو للتساؤل حول طبيعة الحياة بالمدينة خلال الفترة الممتدة بين القرن السابع والعاشر ، أي حتى بروز الدولة الفاطمية ( 909 م ) ، الفترة التي عرفت فيها تيديس نشاطا اقتصاديا جديدا ، وهو الأمر الذي يشهد عليه أكثر من 130 قرص زجاجي (تسمى بالصنوج) اكتشفت بمدينة تيديس. هذا وقد عرفت المدينة ندرة في المسكوكات الإسلامية عامة إلا ما وجد من بعض الدراهم الموحدية وكذلك دينار حفصي (Berthier(A), 1991, p. 21) ، ومنه فإن الفترة الإسلامية ومع قلة شواهدا إلا أنه يمكن أن تكون مرحلة تاريخية خاتمة لسجل حافل بمختلف الحضارات التي شهدتها منطقة شمال إفريقيا بهذه المدينة. بهذا فإن الدارس لآثار تيديس ليس بإمكانه إلا أن يربأنها لوحة متكاملة تُصور مجموعة من الحلقات التاريخية التي رسمت تاريخ الموقع ، عبر ما خلفته من معالم يشهد اختلافها على تواجد متنوع من الحضارات الإنسانية ، التي ساهمت في تطور المدينة منذ فترات فجر التاريخ ، أين كانت عبارة عن تجمع سكاني بربري استقر بأعلى الهضبة ، مروراً بالفترة النوميدوبونية (Numido-Punique) التي يظهر فيها استغلال السفح الشرقي للهضبة ، وتتبع بعد ذلك بالتواجد الروماني الذي كان من أهم فترات التوسع الذي تشهد عليه أغلب مكونات المدينة الحالية التي تشغل كل منحدر وسفح الجانب الشرقي لهضبة تيديس ، هذه المرحلة التي أتبعَت بفترة بيزنطية تشهد عليها أيضا تلك التحصينات على السور البربرية الموجودة بأعلى المنحدر الشرقي ، ولقد انتهت كل هذه



الحلقات بالمرحلة الإسلامية التي لم تكن ذات تأثير واضح على معالم المدينة ، حيث تجسد تواجدها في إعادة استغلال المنشآت السكنية شمال الخزانات الكبرى بالإضافة إلى بعض المخلفات .

**(3) الاستثناءات المعمارية لأثار موقع تيديس:** مثلما استطاعت منشآت تيديس أن تشهد على تاريخ غني بالتعاقبات الحضارية للمدينة ، فإن هذه المنشآت التي يعود معظمها للفترة الرومانية تشهد أيضا على خصائص ومميزات واستثناءات عمرانية ومعمارية جعلت من تيديس مدينة ذات خصوصية أثرية نادرا ما نجدها في المدن الأثرية الأخرى ، وللعلم فإن هذه الخصوصية الأثرية كما أسلفنا القول لم تكن عفوية بل كانت نتيجة سببين مختلفين ، تجسد الأول في التنوع التاريخي الذي عرفته المنطقة أما الثاني ففي الطبيعة التضاريسية للمدينة .

السبب الأول برز تأثيره في طبيعة المنشآت وأنواعها ، هذه المنشآت التي بقيت شاهدة بتنوعها على الاختلاف الثقافي والحضاري الذي عرفها الموقع منذ فترات ما قبل التاريخ حتى مرحلة الدويلات الإسلامية ، مخلفة بذلك منشآت منها ما تداخل مع بعضه البعض ، ومنها ما عدل وأعيد استعماله لأغراض أخرى تختلف تماما عما كان عليه في مرحلة تسبقه ، ومنها ما عُبر دوره حسب ما يتناسب مع طبيعة وثقافة الشعوب الحاكمة للمدينة بتلك الفترة .

وأما السبب الثاني فكان تأثيره على شكل المنشآت وعمارتها ، بالإضافة إلى عمران المدينة بصفة عامة ، حيث أثرت الطبيعة التضاريسية في شكل المباني ووجهها وهندستها ، كما أثرت على عمران المدينة وتقسيماتها ، فالملاحظ لمنشآت مدينة تيديس الرومانية يرى وببساطة التميز العمراني الذي فرضته التضاريس على هذه المدينة التي اختلفت مكوناتها عن المكونات المعروفة للمدن الرومانية ، فهي مثلا قد حُلت من بعض المعالم الأساسية المكونة للمدينة ، كما احتوت على معالم أخرى حاول معماريوها أن يتبعوا بها النمط المعماري الروماني ولو تشبيها مثلما هو مجسد في طريق الديكيومانوس (Decumanus).

إذا هذا ما جعل من مدينة تيديس استثناءً معماريا مهما في تاريخ المدن الرومانية بشمال إفريقيا ، حيث سنسعى هنا إلى إبراز هذه الاستثناءات مقارنة بما وجد في العمارة المعهودة التي عرفتها نظيراتها في المدن الرومانية .

من بين هذه الخصوصيات الكثيرة نذكر التقسيمات العمرانية التي شهدتها المدينة في الفترة الرومانية ، حيث عمل مهندسوها على تطبيق مبادئ العمارة الرومانية التي من أهم أسسها توزيع المعالم وتوقيعها اعتمادا على شارعين رئيسيين متقاطعين ومتعامدين على شكل محورين ، محور شمال جنوب ويسمى كارديو ومحور شرق غرب ويسمى ديكيومانوس وهو المبدأ نفسه الذي طبق في هذه المدينة ، لكن الاستثناء يكمن في طريقة تطبيقه ، فتقاطع الطريقين وتعامدهما لم يُحَقَّق بل كان عبارة عن تلاقي لطريقين في نقطة ما ، كما أن الكارديو بالإضافة إلى ضيقه فهو لم يجسد الاتجاه شمال جنوب إلا في الأربعة أمتار الأولى التي تلي البوابة الشمالية ، بالإضافة إلى انكساره الشديد بعد تلاقيه بطريق الديكيومانوس ، إذ انكسر بزواوية حادة تُوجِّهه إلى الشمال الغربي بعدما كان متجها جنوبا ، ليعيد بعد ذلك وبانحناء آخر توجهه نحو الجنوب ، وفي مقابل ذلك فإن الديكيومانوس وفي انطلاقه من الجهة الشرقية لم يكن طريقا بل كان افتراضا جُسد على شكل درج يتصاعد إلى أن ينتهي إلى طريق يكمل مساره للاتقاء بطريق الكارديو (صورة 04) ، ونظرا لالتزام المهندس الروماني بتطبيق

مبدأ التعامد الذي لم يتحقق هنا فقد عمل على إعطاء خصوصية إضافية لمدينة تيديس تمثلت في انجاز قوسين بفتحتين ، الأولى لها اتجاه شمال جنوب ، والثانية شرق غرب وهي تحقق مبدأ التعامد الذي لم يتجسد مع الطريقتين السابقين (صورة 05).

من المميزات الناتجة عن الخصوصية التضاريسية أيضا صغر مساحة المعالم سواء المدنية منها أو الدينية ، وهذا ما يتجلى لنا مثلا في مساحة البازيليك وحجم قاعات معبد ميثرا ، وكذلك صغر مساحة الفوروم الذي يعد من أصغر الساحات العامة الرومانية بشمال إفريقيا بالإضافة إلى صغر قاعات الحمامات المحاذية للخزانات الكبرى ، وكذلك المساكن الخاصة ،

زيادة على هذه الميزات فإن الطبيعة التضاريسية والخصائص التاريخية والاجتماعية قد نتج عنها أيضا تغير في الوجه العام للمدينة من حيث عدم اعتماد بعض المرافق التي توجد في المدن الرومانية عادة ، على غرار المسرح ، أقواس النصر ، النافورات ، المراحيض العمومية ، والتي لم توجد بتيديس ربما بسبب نقص المساحة أو لسبب الدور العسكري الذي لعبته المدينة ، أو بسبب نقص المساحة ، أو المستوى الاجتماعي البسيط لطبقة السكان بتيديس التي تعتبر ضيقة صغيرة تخلو من مظاهر البذخ الموجودة في جميلة أو تيمقاد مثلا. كما نتج كذلك عن الطبيعة التضاريسية لتيديس خاصية مهمة أخرى تميزت في الاستعمال الواسع للعمارة الصخرية ، حيث عمل بناؤها على تهذيب الصخر ونحته بما يخدم ويكمل بناء المنشآت المختلفة ، فبسبب ضيق المساحة وبسبب الطبيعة الصخرية لغالبية الفضاء المحيط بهضبة تيديس ، فقد وجد المعماري الروماني بهذه المدينة أنه مجبرا على استغلال هذه الفضاءات ( صورة 06) ، وذلك رغم ما تملبه من وجوب توفير للوسائل وبذل للجهد ، واستهلاك للوقت ، حيث تمثل إدماجهم لهذه العمارة في نحت الصخر باختلاف أحجامه للحصول على أوجه جدران وأرضيات بأشكال مختلفة ، لتستكمل هذه الأشكال بإضافات مبنية بالحجارة المختلفة ، للحصول في الأخير على منشآت مدمجة في تكوينها بين العناصر الصخرية والعناصر المبنية ، ولهذا النمط أمثلة وأشكال متعددة من زوايا المدينة.

ومن بين أهم الخصائص العمرانية أيضا التي ميزت الطابع العام لمدينة تيديس هي كثرة الخزانات والأحواض المائية ، مما زاد حقا في الطبيعة الاستثنائية التي اتسمت بها هذه المدينة ، حيث أن ندرة المياه والينابيع بها ، وكذلك تضاريسها الوعرة التي صعبت إيصال الماء إليها ، ألزمت سكانها بالبحث عن موارد أخرى للمياه تُعوض العجز الموجود في هذا العامل الضروري للحياة ، وبهذا سعى سكان تيديس إلى الاستغلال الواسع لمياه الأمطار ، عن طريق إنجاز عدد هائل من الخزانات بمختلف الأحجام موزعة عبر كل أرجاء المدينة لخدمة جميع المنشآت العمومية والخاصة ، وهي مبربوطة بشبكة مائية تستقطب كل مياه الأمطار التي تنزل بمختلف فضاءات المدينة.

زيادة على التأثيرات الطبيعية التي خلفت الكثير من الاستثناءات العمرانية بمدينة تيديس فإن الجانب الديني أيضا كان له نصيبه في التأثير ، هذا التأثير الذي تجسد في كثرة المنشآت والمخلفات الدينية التي تعود لمختلف الفترات التاريخية المتعاقبة على هذه المدينة ، ومن أهم هذه المنشآت المعابد التي غزت الهضبة من حدودها الجنوبية حتى أعلى القمة ، كما تتدرج على الجانب الشمالي للهضبة ابتداء من المغارات القريبة من بوابة موميوس إلى قمة الهضبة ، وهي تتسلق أيضا الجانب الجنوبي الشرقي للمدينة ابتداء من مغارة

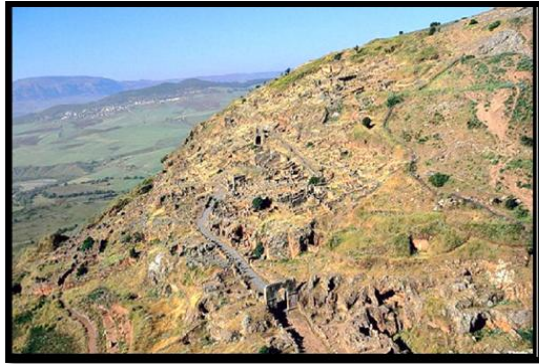
فيستا (Vista) حتمركب معبد سيراس (Cereres) هذا بالإضافة إلى كل من معبد ميثرا والكنيسة المسيحية والكايبتول المجاور لبوابة موميوس ، وهي كلها منشآت دينية شكلت بتوزعها أغلب معالم المدينة ، وجعلت من كل هضبة تيديس فضاء عبادة بالدرجة الأولى وهذا ما يبرر أحد تسميات المدينة الموسومة بقدس الأقداس.

**خاتمة:** إن الغنى التاريخي والحضاري لموقع تيديس وكذلك طبيعته التضاريس المتميزة كلها خصائص استثنائية جعلت من آثار المدينة ذات طابع استثنائي فريد نادرا ما نجد له مثيل ، وهو الشيء الذي زاد من القيمة الحضارية للمدينة وضاعف من أهميتها ، التي تقتضي توفير الحماية الجدية والدائمة لها تبقى من مخلفاتها.

لكن رغم هذه الأهمية التاريخية والأثرية لموقع مدينة تيديس إلا أنه كان ولا يزال عرضة لتأثير عوامل مختلفة سواء كانت طبيعية ساعدتها خصوصية المنطقة وتضاريسيتها ، أو كانت بشرية شجعها نقص الاهتمام بالموقع والتأخر المتواصل في تطبيق برامج الصيانة ورد الاعتبار المبرمجة له.

### الملاحق

صورة 01: صورة جوية لمنحدر وهضبة تيديس



صورة 02: منحدرات واد الرمال بمدينة تيديس



صورة 03: النقيشة التي تؤكد تسمية مدينة تيديس الرومانية من خلال دورها الإداري والعسكري



صورة 04: الدرج المجدد لطريق الديكييمانوس



صورة 05: القوسان المجددان تمثيلا لتقاطع الكاردو بالديكييمانوس



## صورة 06: استغلال المساحات الصخرية في عمارة المدينة



## قائمة المراجع

## المؤلفات بالعربية:

- أصطيفان أكصيل ، تاريخ شمال إفريقيا القديم ، تر: محمد التازي سعود ، ج 8 ، الرباط 2007.

## المؤلفات باللغة الأجنبية:

- Berthier (A), Tiddis antique castellum Tidditanorum, Agence national d'archéologie, Alger, 1991.
- Berthier (A), Tiddis cité antique de Numidie, Mémoires de l'académie des inscriptions et belles lettres T20, BOCCARD, Paris 2000.
- Gsell (St), Atlas Archéologique de l'Algérie .F17 N°126, paris 1991.
- Khelifa Abderrahmane, Cirta, Constantine la capitale céleste, Colorset Alger 2011.

## المقالات باللغة الأجنبية:

- Berthier (A), <<Tiddis>>, dans, R.S.A.C. V. LXV, 1942, pp. 141-153.
- Berthier (A), <<Tiddis, documents Algérien>>, synthèses de l'activité Algérienne. 1949. pp. 229-233.
- Berthier (A), et Leglay (M), <<Le sanctuaire de sommet et les stèles à Baal-saturne de Tiddis>>, dans Libya. A.E, T6, 1958,pp. 23-74.
- Colonel Creully, <<Deux villes Numido-Romaines>>, dans R-S-A-C .1853, pp. 84-90
- Gascou (j), <<Pagus et Castellum dans la confédération Cirtéenne>>, dans A.A, T19, 1983. pp. 175-207.
- Troussel (M), <<Le trésor monétaire de Tiddis>>, dans R.S.A.C, T66, 1948, pp. 120-176.